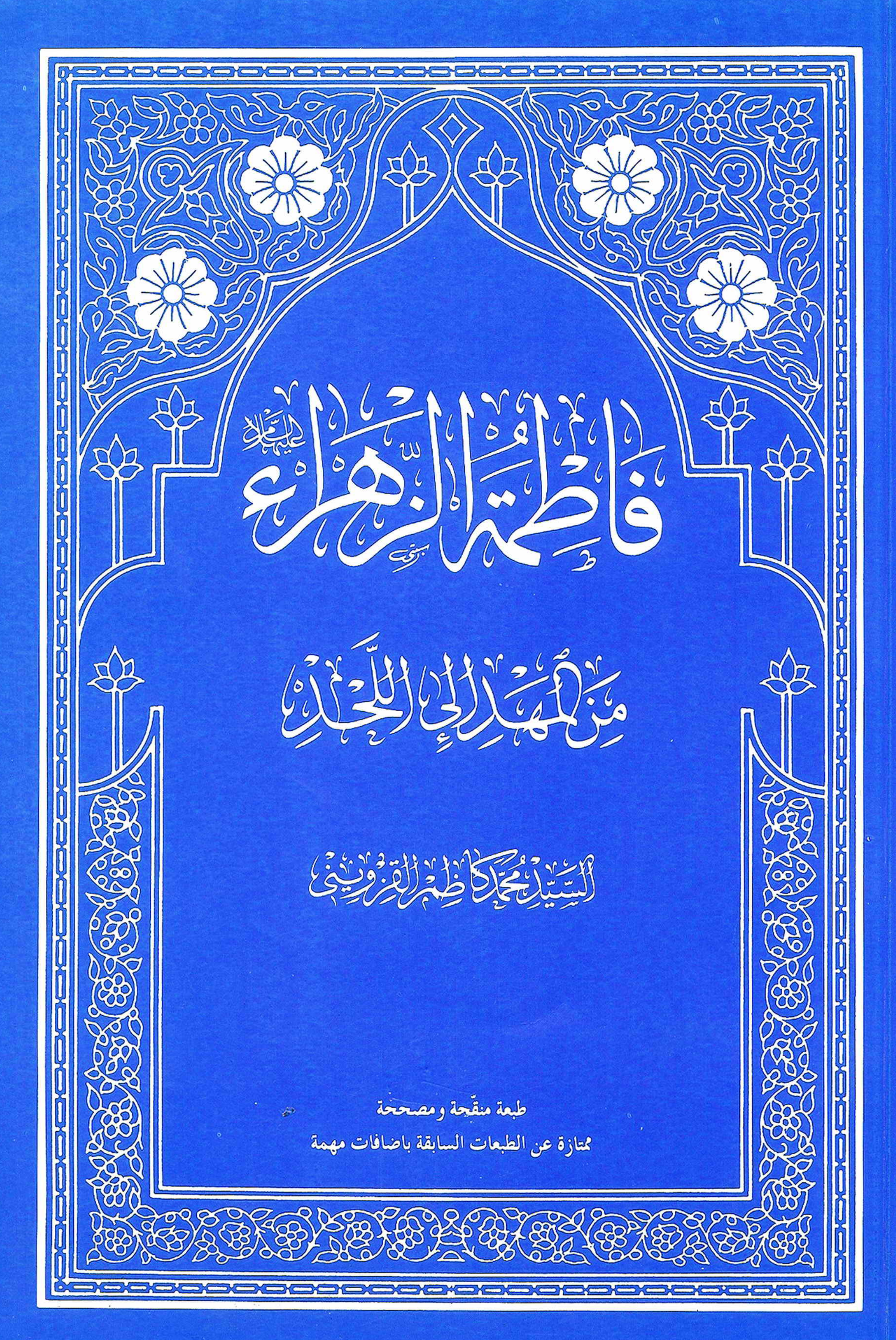

فاطمة الزهراء عليها السلام
من المهد إلى اللحد
السيد محمد كاظم القزويني
طبعة منقّحة ومصححة
ممتازة عن الطبعات السابقة باضافات مهمة



من المهد إلى اللحد

السيد محمد كاظم القزويني

طبعة منقّحة ومصححة

ممتازة عن الطبعات السابقة باضافات مهمة



هوية الكتاب:

الكتاب: فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من المهد إلى اللّحد

تأليف: السيّد محمد كاظم القزويني

الناشر: المؤلف

صف الحروف الالكترونية: مطبعة سيّد الشهداء (عليه السّلام) ـ قم ـ تلفن ٣٣٧٦٢

طبع: المطبعة العلمية

مركز النشر: مكتبة بصيرتي ـ قم ـ شارع ارم

تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ ق

العدد: ٢٠٠٠

الإهداء

إلى سيّدنا ومولانا بقيّة العترة الطاهرة

الإمام المهدي المنتظر "عليه السلام".

إليه أهدي هذه الصّفحات المشرقة المتلألأة

بحياة جدّته الصّديقة الطّاهرة، ملكة الإسلام

فاطمة الزهراء "صلوات الله عليها".

وأنا واثق أن هذه الخدمة الضئيلة

ستقع منه موقع الرضا والقبول بإذن الله تعالى.

العراق - كربلاء

محمد كاظم القزويني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد للّه حمداً كثيراً كما يرضى، وصلى اللّه على سيدنا محمّد المصطفى وآله الطاهرين سادات الورى.

وبعد: إنقضت سنوات وأنا أُحدِّث نفسي أن أقوم بتأليف كتاب يتضمن ما تيسَّر من حياة الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء، عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها الصلاة والسّلام؛

كنت أشعر بضرورة هذا العمل، وكانت رغبتي ملحَّة جداً، وذلك لما كنت أجده من النقص الذي يشبه الفراغ في المكتبة العربية والإسلامية بالنسبة لهذه الشخصية.

ولا أقصد ـ بكلامي هذا ـ إِنتقاصَ الكتب والمؤلفات التي دُوِّنت حول ترجمة سيدة نساء العالمين، بل أقصد أن تلك المؤلفات ـ القديمة منها والحديثة ـ لاتسدَّ الحاجة، ولاتملأُ الفراغ الذي يشعر به كل من يريد الإطلاع على حياة السيدة الزهراء (عليها السّلام).

وتلك المؤلفات لاتفي بالغرَض، بل هي دون مقام السيدة فاطمة الزهراء ولاتؤدِّي ما تستحقه شخصية عزيزة رسول اللّه وأحبِّ الناس إليه،

لأن شخصية الصدِّيقة الطاهرة تستوجب التنويه والإشادة بها أكثر وأكثر من هذا.

ولاأدَّعي أنني أستطيع النهوض بهذا العبإ الثقيل واستيفاء الغرض، وتحصيل الغاية كما ينبغي، بل أعترف بالعجز والقصور الملازمين لفكري ولساني وقلمي.

وهكذا انقضت الأيام والأعوام، والهواجس تعاودني بين فترة وأُخرى وهناك العوائق التي تحول دون تحقيق هذه الأُمنية.

وقبل فترة غير بعيدة هبَّت عليَّ عاصفة من الحوادث وخيَّمت على حياتي سحائب الهموم، فنذرت للّه تعالى: ـ إن كشف عني الضر والسوء ـ أن أُبادر إلى تأليف كتابٍ حول حياة الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السّلام).

فكشف اللّه عني الضرَّ برحمته، فله الحمد وله الشكر وها أنا قد شرعت بتحرير هذه السطور والأوراق، وما أدري أين ينتهي بي المطاف؟، واللّه المستعان، وهو خير مستعان، وهو حسبي ونعم الوكيل في المبدء والمآل وهو خير موفِّق ومعين.

محمّد كاظم القزويني

٢٦ جمادي الثانية ١٣٩٢ هـ

كربلاء المقدّسة ـ العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمة..!

وما أدراك من فاطمة؟!

شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آيةً على قدرة اللّه البالغة واقتداره البديع العجيب، فإن اللّه تعالى خلق محمداً (صلى اللّه عليه وآله) ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثم خلق منه بضعته وإبنته فاطمة الزهراء لتكون علامة وآية على قدرة اللّه في إبداع مخلوق أُنثى تكون كتلة من الفضائل، ومجموعة من المواهب، فلقد أعطى اللّه تعالى فاطمة الزهراء أوفر حظ من العظمة، وأوفى نصيب من الجلالة بحيث لايمكن لأية أُنثى أن تبلغ تلك المنزلة.

فهي من فصيلة أولياء اللّه الذين إعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، ونزلت في حقهم آيات محكمات في الذكر الحكيم، تتلى آناء الليل وأطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، وإلى أن تقوم القيامة.

شخصية كلما إزداد البشر نضجاً وفهماً للحقائق، وإطلاعاً على الأسرار ظهرت له عظمة تلك الشخصية بصورة أوسع، وتجلّت معانيه ومزاياها بصور أوضح.

إنها فاطمة الزهراء، اللّه يثني عليها، ويرضى لرضاها ويغضب لغضبها.

ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ينوِّه بعظمتها وجلالة قدرها.

وأمير المؤمنين (عليه السّلام) ينظر إليها بنظر الإكبار والإعظام .

وأئمة أهل البيت (عليهم السّلام) ينظرون إليها بنظر التقديس والاحترام. سيدة، باسمها قامت حكومات، وتأسست عروش وباسمها إنهارت عروش وتقوّضت حكومات.

وبِحُبِّها سوف ترى الناس يدخلون الجنّة أفواجاً.

ولأجل الإنحراف عنها سيق الذين كفروا إلى جهنّم زُمَراً.

وإنني أعتقد أن الكتاب ـ بما فيه ـ يكون عظيم النفع، غزير الفائدة، حلو الحديث، تستأنس به النفس، وتستعذبه الروح إلى غير ذلك مما يدركه القارىء ولايمكن وصفه.

إذ أن التحدث عن حياة السيدة فاطمة الزهراء يشتمل على حوادث كلها عِبَر وحِكَم ودروس، يتعرف الإنسان بها على حياة أولياء اللّه وخاصته، وكيفية نظرتهم إلى الحياة، ويطّلع على جانب من التاريخ الإسلامي المتعلق بحياة السيدة فاطمة الزهراء بالرغم من قصر عمرها، وأنها كانت تعيش في خدرها، لايطّلع أحد على معاشرتها وسلوكها في البيت إلاّ أُسرتها وذووها.

وبالرغم من أن التاريخ ظلمها، ولم يُعِر بحياتها وترجمتها اهتماماً لائقاً بها.

فالتحدث عن عبقرية السيدة فاطمة الزهراء يعتبر تحدثاً عن المرأة في الإسلام من حيث حفظ كرامتها، والاعتراف باحترامها وشخصيتها.

ويشمل التحدث نموذجاً من المرأة بصفتها بنتاً في دار أبيها، وزوجة في دار بعلها. وأُمّاً ومربِّية في البيت الزوجي.

ولا يخلو الكلام ـ هنا ـ عن التحدث عن المرأة في الإسلام بصفتها إنساناً يُسمح لها بالعمل في الحقل الإجتماعي، ولكن في إطار محدود بحدود الدين والعفة، والمحافظة على الشرف والكيان.

ويتَّضح ـ ضمناً ـ أن الإسلام لايحرم المرأة عن العلم والثقافة والأدب والمعرفة ولكن مع رعاية الابتعاد عن التبرج والاستهتار والاختلاط، وما شابه ذلك مما يسبِّب الويلات على المرأة ويدمر كيانها.

إنني أعتقد انه ليس من الممكن أن يوجد في العالم قانون أو نظام أو جهاز يحافظ على حرمة المرأة وكيانها وشرفها أكثر من محافظة الدين الإسلامي لذلك.

فالجمعيات والمنظّمات النسائية في البلاد الإسلامية لم تنفع المرأة أبداً بل قد جلبت عليها الشقاء بصورة فظيعة.

وقد قرأت في بعض الصحف أن إحدى المنظّمات النسائية تطالب حكومتها أن تضع قانوناً لمنع تعدُّد الزوجات!!

إن المنظَّمة تعتبر تعدُّد الزوجات ظلماً واعتداءاً على المرأة. فهي تطالب بإيقاف الرجل عند حدِّه، لئلا يطمع في أكثر من إمرأة.

إن المنظَّمة جاهلة أو متجاهلة أنها بعملها هذا تفتح على المرأة أبواب الفساد والشقاء، وتغلق عليها أبواب السعادة الزوجية ولذَّة الأُمومة.

فإذا خُيِّرت المرأة بين أن تتزوج برجل متزوج أو تبقى جليسة بيتها حتى يبيَّض شعرها كأسنانها، وإلى أن يأتيها الموت وهي واحدة من اثنتين:

إما أن تقضي معظم حياتها ـ بما في ذلك من عنفوان شبابها ـ بالكبت والضغط والحرمان من ملاذ الحياة.

وإما أن تفسح لنفسها المجال، وتطلق لنفسها الحريَّة الكاملة، فتحضر السهرات، وتشترك في الحفلات وتراقص الرجال وو ....

ثم تفتح عينيها وإذا بها مفقودة الشرف، مسلوبة العفاف، محطّمة الشخصية، ملوّثة الساحة، مشوّهة السمعة، يرغب إليها الرجال ما دامت طريّة وشهيّة، فإذا فقدت محاسنها، وذبلت مفاتنها يمجُّها كل أحد، وينبذها كل رجل.

إذا خُيِّرت المرأة بين عدم الزواج وحياة العزوبة التي تنتهي بها إلى أحد المصيرين المذكورين، وبين أن تتزوج برجل متزوج، وتتمتع بالسعادة الزوجية تحت ظل العدالة الإسلامية، فهي محفوظة الشرف، سليمة العفاف، نزيهة السمعة، طاهرة الصحيفة والساحة تنتج أطفالاً، وتكوِّن أسرة، وتصلح أجزاء المجتمع، أيهما أفضل وأحسن؟؟

هذان طريقان، لاثالث لهما، فان عدد النساء في العالم أكثر من عدد الرجال، ولو اكتفى كل رجل بامرأة واحدة لبقيت هناك الملايين من النساء بغير أزواج.

ثم هناك رجال لاتكفيهم إمرأة واحدة، وهناك نساء لاتنسجم غرائزهن مع غرائز أزواجهن من حيث التجاوب والرغبة، أضف إلى هذا كله أن المرأة في معرض العقم والمرض والسفر إلى غير ذلك مما يطول الكلام بذكره، ولاأقصد في كتابي هذا التطرُّق إلى هذه المواضيع وإنما (الكلام يجرُّ الكلام)، والشيء بالشيء يذكر.

أعود ـ والعود أحمد ـ إلى حديثي عن الصدِّيقة فاطمة الزهراء، فلاعليك أن تعلم أن من أعجب الغرائب، وأغرب العجائب أن شخصية كشخصية فاطمة الزهراء ـ التي هي في أوج العظمة، وذروة الشرف وقمّة الفضيلة ـ تصبح هدفاً للأقلام المسمومة، والغارات القاسية التي شنّها بعض المسلمين وغيرهم.

ويظهر لك هذا بكل وضوح حينما تراجع كتب الأحاديث الزاخرة

بفضائل هذه الشخصية، ترى إلى جانبها أحاديث إفتعلتها يد الدسّ والعداء، واختلقتها ألسِنة الشحناء والبغضاء من سماسرة الحديث الوضّاعين الكذّابين، الذين كانوا أبواقاً للسلطات الماضية، ينفثون بما يوحي إليهم شياطينهم من زخرف القول والكذب والزور والبهتان، شأن من يشتري مرضاة المخلوق بسخط الخالق.

إنهم كتبوا بأقلام العداء ومحابر النفاق تلبية لمن اشترى منهم دينهم وضمائرهم الميّتة، وهم غير مبالين بما في تزويرهم ـ هذا ـ من حطٍّ مقام صاحب الشريعة النبي الأقدس (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) غير مكترثين بما في كلامهم ذاك من التناقض للأحاديث المتواترة المدوَّنة في صحاحهم في فضل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام).

وكأنهم يعجبهم المسُّ بكرامة الصدّيقة فاطمة الزهراء إجابة لنداء ضمائرهم، وهم يعلمون أنها عترة الرسول، وأحبَّ الناس إليه، وعزيزته وحبيبته وكأنَّهم لايستطيعون التصريح بتدنيس ساحة الرسول الأعظم مباشرة فاختاروا الطريق الملتوي غير المباشر، كل ذلك إشباعاً لرغباتهم الجهنَّمية.

وما أدري ما هي الدوافع إلى هذا الهجوم العنيف القاسي على شخصية فاطمة الزهراء؟

وما هي أسباب هذا العداء العميق العجيب؟

أفليست إبنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وبضعته؟ وقرَّة عينه وثمرة فؤاده، وروحه التي بين جنبيه؟!

فهل كانت الزهراء خليفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فدفعتهم الدوافع للمس من كرامتها كما اساؤا إلى زوجها العظيم بنفس تلك الدوافع؟

ثم ما هذا التركيز والإلحاح على محاربة شخصيتها؟

هل لكونها بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

فلماذا لانجد هذه الظاهرة في حق سائر بنات النبي؟

أم لأنها زوجة الإمام علي (عليها السّلام)؟

فقد تزوّج الإمام أمير المؤمنن بعدها بأربع نساء، فلماذا لانجد هذا التهريج والإرجاف في حقهن؟

إنني لاأتصور للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ذنباً سوى أنها كانت أحبّ الناس إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهي المفضّلة على بقية بناته وزوجاته وأنها كانت المدافعة والمحامية عن حقوق زوجها.

وأنها حضرت في المسجد، وطالبت بحقوقها المغتصبة وأموالها التي جعلها اللّه ورسوله لها، وأنها احتجت على رئيس الدولة يومذاك[1].

وأمثالها من الفضائل والفواضل التي خصّها اللّه بها دون النساء.

فهل هذه ذنوب تبرّر وتبيح للمسلمين أن يذكروها بما لايناسب قُدسيّتها ونزاهتها؟

وقد كان للمستشرقين الأجانب (من اليهود والنصارى) دور مهم في هذا المجال فلقد حاولوا المسّ بكرامة مقدّسات الإسلام والمسلمين، فالتقطوا الأباطيل والأساطير من سقطات القول ونشروها في أوساطهم.

وجاء بعض المسلمين وترجموا تلك الكتب المسمومة وطبعوها ونشروها في البلاد الإسلامية، بدون أي تعليق أوْ تهذيب أو تنقيح، كأن نواياهم تتفق مع المستشرقين حول محتويات تلك الكتب.

والأفضل أن ننقل ـ هنا ـ مثالاً ـ لما نحن فيه ـ عن الجزء الثالث من

١ـ سيأتيك التفصيل في شرح خطبتها في مسجد أبيها الرسول.

كتاب الغدير ص١٠ للمرحوم شيخنا الأميني مع رعاية الاختصار:

كتب مستشرق نصراني يسمّى (أميل درمنغم) كتاباً سماه (حياة محمد) والكتاب كله كذب وزور وضلال ودسّ ودجل، وتهجّمٌ على الإسلام والقرآن والنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم).

وقد ترجم الكتاب أُستاذ فلسطيني يسمى (محمد عادل زعيتر) ولم يعلّق على خرافات الكتاب وأساطيره وأكاذيبه، وهو يزعم أنه يراعي أمانة النقل! وليت شعري هل التعليق على الباطل ينافي أمانة النقل؟

ومن جملة أباطيل الكتاب وأضاليله قوله:

«كانت فاطمة عابسة، دون رقية جمالاً، ودون زينب ذكاءً، ولم تدار فاطمة حينما أخبرها أبوها من وراء الستر: أن علي بن أبي طالب ذكر اسمها، وكانت فاطمة تعدّ علياً ذميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان علي أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه مع ذلك.

وكان علي غير بهيّ الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبة أنفه، وكبر بطنه، وصلعه، وذلك كله إلى أن علياً كان شجاعاً تقيّاً صادقاً وفيّاً مخلصاً صالحاً مع توان وتردُّد!

وكان علي ينهت فيستقي الماء لنخيل أحد اليهود في مقابل حفنة تمر، فكان إذا ما عاد بها قال لزوجته عابساً: كلي وأطعمي الأولاد!

وكان علي يحرد بعد كل منافرة، ويذهب لينام في المسجد، وكان حموه يربّته على كتفه ويعظه ويوفق بينه وبين فاطمة إلى حين.

ومما حدث أن رأى النبي إبنته في بيته ذات مرة، وهي تبكي من لكم علي لها!!

إن محمداً مع امتداحه قِدم علي في الإسلام إرضاءً لابنته كان قليل الالتفات إليه، وكان صهرا النبي الأمويّان: عثمان الكريم وأبو العاصي أكثر

مداراة للنبي من علي، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته، ومن عدِّ النبي له غير قوَّام بجليل الأعمال.

والنبي وإن كان يفوِّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة إليه...

وأسوأ من ذلك ما كان يقع عند مصاقبة علي وفاطمة لعدوَّاتهما أزواج النبي وتنازع الفريقين، فكانت فاطمة تعتب على أبيها متحسرة، لأنه كان لاينحاز إلى بناته...».

إلى غير ذلك من جنايات تاريخية سوداء سوَّد بها الرجل صحيفة كتابه.

وهنا يجيب شيخنا الأميني (رضوان اللّه عليه) على مفتريات هذا النصراني:

«أنا لا ألوم المؤلف ـ جدع اللّه مسامعه ـ وإن جاء بأذني عناق[1] إذ هو من قوم حناق على الإسلام، وهو مع ذلك جرف منهال وسحب منجال[2] ينمُّ كتابه عن عُجَره وبجره، وإنما العتب كل العتب على المترجم الجاني على الإسلام والشرق والعرب ـ وهو يحسب نفسه منها ـ نعم، جذب السوء يلتجيء إلى نجعة سوء[3] والجنس إلى الجنس يميل.

كل ما في الكتاب من تلكم الأقوال المختلقة والنسب المفتعلة إن هي إلاّ كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، وتُضادُّ ما أصفقت عليه الأمة الإسلامية وما أخبر به نبيُّها الأقدس؛

هل تناسب تقوّلاته في فاطمة مع قول أبيها (صلى اللّه عليه وآله

١ـ أي جاء بالكذب والباطل.

٢ـ مثل يضرب، يراد أنه لايطمع في خيره.

٣ـ يعني أن الأمور تتشاكل في الجودة والرداءة.

وسلّم): فاطمة حوراء إنسية، كلّما اشتقت إلى الجنة قبّلتها؟[١]
أو قوله (صلى اللّه عليه وآله و سلّم): إبنتي فاطمة حوراء آدميّة؟[٢].
أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): فاطمة هي الزهرة؟[٣]
أو قول أُمِّ أنس بن مالك : كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر، أو الشمس كفر غماماً، إذا خرج من السحاب، بيضاء مشرَّبة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول اللّه شبهاً، كانت واللّه كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو جثل أسحم[٤]
فكأنها فيه نهار مشرق ... وكأنه ليل عليها مظلم[٥]

ولقبها: الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جلية الحال، وهل يساعد تلك التحكّمات في ذكاء فاطمة وخُلقها قولُ أم المؤمنين خديجة (رضي اللّه عنها): كانت فاطمة تُحدّث في بطن أُمّها، ولما وُلدت وقعت حين وقعت على الأرض ساجدة، رافعة إِصبعها؟![٦]
أو يلائمها قول عائشة: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول اللّه في قيامه وقعوده من فاطمة كانت إذا دخلت على رسول اللّه قام إليه فقبّلها ورحَب بها، وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه؟![٧]
وفي لفظ البيهقي في السنن ٧ ص١٠١: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً

١ـ تاريخ الخطيب البغدادي/٥ ص٨٦.
٢ـ الصواعق ٩٦ إسعاف الراغبين ص١٧٣.
٣ـ نزهة المجالس/٢ ص٢٢٢.
٤ـ جثل الشعر: كثر والتفّ واسودّ. والأسحم: الأسود.
٥ـ مستدرك الحاكم ٣ ص١٦١.
٦ـ سيرة الملا، ذخائر العقبى.
٧ـ الترمذي، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٢ ص٣.

وحديثاً من فاطمة برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ... الحديث.

وهل توافق مخاريقه في الإمام علي (صلوات اللّه عليه) وعدم بهاء وجهه وعدّ فاطمة له دَميماً، وكونه عابساً مع ما جاء في جماله البهيّ: أنه كان حسن الوجه، كأنه قمر ليلة البدر، وكأن عنقه إبريق فضة[1] ضحوك السن[2] فإن تبسَّم فعن اللؤلؤ المنظوم[3].

وأين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له:

إذا استقبلت وجه أبي تراب ... رأيت البدر حار الناظرينا[4]

نعم،

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله ... فالناس أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً: إنه لدميم

أو يخبرك ضميرك الحرُّ في علي ما سلقه الرجل به من (التواني والتردد)؟ وعلي ذلك المقتحم في الأهوال والضارب في الأوساط والأعراض في المغازي والحروب؟

وهو الذي كشف الكرب عن وجه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في كل نازلة وكارثة منذ صدع بالدين الحنيف إلى أن بات على فراشه، وفداه بنفسه، إلى أن سكن مقرَّه الأخير.

أليس عليّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى: «أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن باللّه واليوم الآخر وجاهد في سبيل اللّه»؟

١ـ الاستيعاب ٢ ص٤٦٩.

٢ـ تهذيب الأسماء واللغات.

٣ـ حلية الأولياء ١ ص٨٤.

٤ـ تذكرة سبط ابن الجوزي ص١٠٤.

وقوله تعالى: ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات اللّه؟!»[١].

فمتى خلى علي عن مقارعة الرجال، والذبٌ عن قدس صاحب الرسالة حتى يصح أن يُعزى إليه توانٍ أو تردد في أمر من أمور الدين؟!

غير أنَّ القول الباطل لاحدَّ له ولاأمد.

وهل يتصور في أمير المؤمنين تلك العِشرة السيّئة مع حليلته الطاهرة؟!

والنبي يقول له: أشبهتَ خَلقي وخُلقي وأنت من شجرتي التي أنا منها[٢].

وكيف يراه النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أفضل أُمته أعظمهم حلماً وأحسنهم خلقاً ويقول: علي خير أُمَّتي، وأعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً؟[٣]

ويقول لفاطمة: إني زوَّجتك أقدم أُمَّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً؟[٤].

ويقول لها: زوَّجتك أقدمهم سلماً، وأحسنهم خُلقاً؟[٥]

يقول هذه كلها وعشرته تلك كانت بمرئى منه ومسمع؟

أفك الدجَّالون.

كان علي (عليه السّلام) كما أخبر به النبي الصادق الأمين (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

١ـ سورة البقرة: ٢٠٧.

٢ـ تاريخ بغداد للخطيب ج١١ ص١٧١.

٣ـ الطبري، الخطيب، الدولابي كما في كنز العمال ٦ ص١٥٣.

٤ـ مسند أحمد ج٥ ص٢٦ الرياض النضرة ٢ ص١٩٤.

٥ـ الرياض النضرة ٢ ص١٨٢.

وهل يقبل شعورك ما قذف به الرجل (فضّ اللّه فاه) علياً بِلَكم فاطمة بضعة المصطفى؟!

وعلي ذاك المقتص أثر الرسول، وملأ مسامعه قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم، لفاطمة: ان اللّه يغضب لغضبك ويرضى لرضاك[١].

وقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها، فهي بضعة مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبيَّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه[٢].

وقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها[٣].

وقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني[٤].

وقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها[٥].

١ـ مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري ٣ ص١٥٤. التذكرة لسبط ابن الجوزي ص١٧٥ و٣٢٠، مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ج١ ص٥٢، كفاية الطالب ص٢١٩، كنز العمال٧ ص١١١ الصواعق١٠٥، ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي ج٢ ص٧٢ طبعة القاهرة، الاصابة لابن حجر العسقلاني ج٤ ص٣٦٦ طبعة دار الكتب المصرية وغيرها.

٢ـ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي١٥٠ نزهة المجالس للصفوري الشافعي٢ ص٢٢٨ نور الأبصار للشبلنجي المصري ص٤٥، ارشاد الساري للقسطلاني ٦/١٤٤ وغيرها.

٣ـ صحاح البخاري ومسلم والترمذي،مسند أحمد٤ ص٣٢٨ الخصائص للنسائي ص٣٥.

٤ـ صحيح البخاري ج٥ ص٢١ و٢٩، خصائص النسائي ص٣٥.

٥ـ مسند أحمد ٤ ص٣٢٣ الصواعق المحرقة ١١٣، مستدرك الصحيحين للحاكم ١٥٤/٣ كنز العمال ٩٦/١٣، تاريخ الاسلام للذهبي ٩٦/٢.

وهل يقتصر امتداح النبي علياً بقدم إسلامه؟! حتى يتفلسف في سرّه، ويكون ذلك إرضاء لابنته، على أن امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمة لكان يقتصر (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) على قوله لفاطمة في ذلك، وكان يتأتى الغرض به، فلماذا كان يأخذ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بيد علي في الملأ الصحابي تارة ويقول: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة؟

ولماذا كان يخاطب أصحابه أخرى بقوله: أوّلكم وارداً عليَّ الحوض أوّلكم إسلاماً: علي بن أبي طالب؟

وكيف خفي هذا السرّ المختلق على الصحابة الحضور والتابعين لهم بإحسان، فطفقوا يمدحونه بهذه الإثارة كما يُروى عن سلمان الفارسي، أنس بن مالك، زيد بن أرقم، عبداللّه بن عباس، عبداللّه بن حجل، هاشم بن عتبة، مالك الأشتر، عبداللّه بن هاشم، محمد بن أبي بكر، عمرو بن الحمق، أبو عمرة، عدي بن حاتم، أبو رافع، بريدة، جندب بن زهير، أم الخير بنت الحراش[١]؟

وهل القول بقلّة إلتفات النبي إلى علي يساعده القرآن الناطق بأنه نفس النبي الطاهر؟! أو جعل مودّته أجر رسالته؟!

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في حديث الطير المشوي، المروي في الصحاح والمسانيد: أللهم إئتني بأحب خلقك إليك ليأكل معي.

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لعائشة: إن علياً أحب الرجال إليَّ، وأكرمهم عليَّ، فاعرفي له حقّه، واكرمي مثواه[٢].

١ـ أكثر المصادر التاريخية.

٢ـ الرياض النضرة ٢ ص١٦١ ذخائر العقبى ٦٢.

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أحبّ الناس إليّ من الرجال علي[١].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): علي خير مَن أتركه بعدي[٢].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): خير رجالكم علي بن أبي طالب، وخير نسائكم فاطمة بنت محمد[٣].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم: علي خير البشر، فمن أبى فقد كفر؟![٤].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): مَن لم يقل علي خير الناس فقد كفر؟[٥].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في حديث الراية المتفق عليه: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه اللّه ورسوله، ويحب اللّه ورسوله؟

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): علي مني بمنزلة رأسي من بدني أو جسدي؟[٦].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): علي مني بمنزلتي من ربي[٧].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): علي أحبهم إليَّ، وأحبَّهم إلى اللّه[٨].

١ـ وفي لفظ: أحب أهلي.

٢ـ مواقف الايجي ٣ ص٢٧٦ مجمع الزوائد ٩ ص١١٣.

٣ـ تاريخ بغداد للخطيب ٤ ص٣٩٢.

٤ـ تاريخ بغداد، كنوز الحقائق، هامش الجامع الصغير، ص١٦ كنز العمال٦ ص١٥٩.

٥ـ تاريخ بغداد ٣ ص١٩٢ كنز العمال ٦ ص١٥٩.

٦ـ تاريخ بغداد ٧ ص١٢ الصواعق ٧٥، الجامع الصغير للسيوطي، نور الأبصار ٨٠.

٧ـ السيرة الحلبية ٣ ص٣٩١ الرياض النضرة ٢ ص١٦٣.

٨ـ تاريخ بغداد ١ ص١٦٠.

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لعلي: أنا منك وأنت مني، أو: أنت مني وأنا منك؟[١].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): علي منّي وأنا منه، وهو وليٌّ كل مؤمن من بعدي؟[٢].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في حديث البعث بسورة البراءة المجمع على صحته: لايذهب بها إلا رجل مني وأنا منه؟[٣].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لحمك لحمي، ودمك دمي والحق معك[٤].

أو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ما من نبي إلاّ وله نظير في أُمته، وعلي نظيري؟[٥].

أو ما صحَّحه الحاكم وأخرجه الطبراني عن أُم سلمة قالت: كان رسول اللّه إذا أُغضب لم يجترىء أحد أن يكلِّمه غير علي؟[٦].

أو قول عائشة: واللّه ما رأيت أحداً أحب إلى رسول اللّه من علي، ولا في الأرض امرأة كانت أحب إليه من امرأته؟[٧].

أو قول بريدة وأُبي: أحب الناس إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من النساء فاطمة، ومن الرجال علي؟[٨].

١ـ مسند أحمد ٥ ص٢٠٤ الخصائص للنسائي ٣٦ و٥١.

٢ـ مسند أحمد ٥ ص٣٥٦.

٣ـ الخصائص للنسائي ٨ وغيره.

٤ـ المحاسن والمساوي ١ ص٣١ مناقب الخوارزمي ٧٦، ٨٣، ٨٧.

٥ـ الرياض النضرة ٢ ص١٦٤.

٦ـ الصواعق ٧٣ تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٦.

٧ـ مستدرك الحاكم ٣ ص١٥٤ الخصائص للنسائي٢٩.

٨ـ الخصائص للنسائي ٢٩ مستدرك الحاكم ٣ ص١٥٥.

أو حديث جميع بن عمير. قال: دخلت مع عمتي على عائشة فسألت: أيُّ الناس أحبُّ إلى رسول اللّه؟!

قالت: فاطمة.

فقيل: من الرجال؟

قالت: زوجها، إن كان ما علمت صوّاماً قوّاما[1].

وكيف كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقدِّم الغير على علي في الإلتفات إليه؟! وهو أول رجل إختاره اللّه بعده من أهل الأرض لما اطَّلع عليهم، كما أخبر به (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لفاطمة بقوله: إن اللّه إطلع على أهل الأرض فاختار منه أباك فبعثه نبياً، ثم إطلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إليَّ فانكحته واتخذته وصيّاً[2].

وبقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إن اللّه اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجك[3].

إلى آخر ما ذكره شيخنا الأميني (عليه الرحمة) في سرد الأحاديث الصحيحة في تزييف أباطيل ذلك الكتاب التائه.

هذا، والتهجُّمات القاسية ضدَّ آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كثيرة جداً وسنشير أيضاً إلى بعضها في المستقبل بمناسبة المقام إن شاء اللّه.

وقبل الخوض في صميم البحث لابأس بذكر مقدمة كمدخل في الموضوع.

١ـ جامع الترمذي ٢ ص٢٢٧ وجمع آخر.

٢ـ الطبراني، كنز العمال ٦ ص١٥٣، مجمع الزوائد ٩ ص١٦٥.

٣ـ مواقف الآيجي ص٨.

وحيث آن التحدث في هذا الكتاب إنما هو عن شخصية فوق المستويات التي عرفها البشر فلابدَّ من تمهيد أمور لعلها تعتبر من (الماورائيات) فالشخصية المترجمة عبقرية ماورائية، وسيتَّضح لك صدق هذا القول وصحة هذا الكلام.

قانون الوراثة

من الأُمور الثابتة قديماً وحديثاً أنَّ صفات الأبوين تنتقل إلى الطفل وترتكز فيه منذ تكوُّنه في صلب أبيه إلى انتقاله إلى بطن أُمِّه، ونَشوِه ونُموِّه، وبعد الولادة والنُّموّ تظهر الصفات تدريجياً. بل وحتى الرضاع له تأثير عجيب في صفات الطفل المرتضع، وفي الحديث عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام): «لاتسترضعوا الحمقاء فإن الرضاع يُعدي» وقد كتب الكثيرون حول هذا القانون تفاصيل كثيرة.

على ضوء هذا القانون ينبغي أن أذكر شيئاً من ترجمة حياة والدَي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) كي نستنتج منها بعض جوانب العظمة التي أحاطت بالسيدة فاطمة من ناحية الوراثة ولكن البحث سيطول، وينتقل الكتاب عن موضوعه إلى موضوع آخر، إلاّ أننا نلخِّص الكلام في هذه الجملات الموجزة فنقول:

سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلّم) أطهر كائن وأشرف مخلوق، وأفضل موجود في العالم كله، لأجله خلق الله الكائنات، ولايوجد في الكون شرف أو فضيلة أو مكرمة إلاّ وأوفى نصيبٍ ممكنٍ منها متوفر في الرسول العظيم.

هذه عصارة الخلاصة مما يمكن أن يقال في حق الرسول، وليس في هذا التعبير شيء من الغلوّ والمبالغة، بل هو كقولنا: الشمس مشرقة، والعسل حلو.

هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسّم)، وقد انحدرت الزهراء

مــن صلبه.

وأما السيدة خديجة، فكانت إمرأة بيضاء، طويلة حسناء، شريفة في قومها، عاقلة في أُمورها واتّصفت بالنزاهة والعفة، حتى دعاها قومها ـ في الجاهلية ـ بالطاهرة، وكان لها نصيب وافر من الذكاء، وبصيرة في الأُمور، تعتمد على نفسها وشخصها، تدير عجلة التجارة بفكرها الوقّاد، وتعرف مبادىء الاقتصاد والتصدير والاستيراد.

هذا بصفتها إنسان أو بصفتها امرأة.

وأمّا بصفتها زوجة فقد بذلت تلك الآلاف المؤلفة من أموالها لزوجها الرسول يتصرَّف فيها حسب رأيه، وكان لأموال خديجة كل التأثير في تقوية الإسلام يومذاك إذ كان الدين الإسلامي في دور التكوين، وكان بأمسِّ الحاجة إلى المال، فقيَّض اللّه للإسلام أموال خديجة، وبالفعل تحقق الهدف.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «ما نفعني مالٌ قط مثل ما نفعني مال خديجة».

وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يفكُّ من مالها الغارم والعاني، ويحمل الكَلَّ، ويعطي في النائبة ويرفد فقراء أصحابه إذ كان بمكة، ويحمل من أراد منهم الهجرة، وكان ينفق منه ماشاء في حياتها، ثم ورثها هو ووَلُدها بعد مماتها[1].

وبهذا يتضح كلام الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «ما قام ولا استقام الدين إلاّ بسيف علي ومال خديجة».

وكانت معاشرتها للرسول في حياتها الزوجية تستحق كل تقدير

١ـ الأمالي للطوسي ج٢ ص٨٢.

وتعظيم، ولهذا كان الرسول إذا ذكرها أو ذُكرت عنده بعد وفاتها ترحَّم عليها، وانكسر قلبه عليها وربما جرت عبرته على خده حزناً عليها.

وذات يوم ذكر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خديجة فقالت عائشة: عجوز كذا وكذا قد أبدلك اللّه خيراً منها!!

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ما أبدلني خيراً منها، لقد آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدَّقتني حين كذَّبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني اللّه ولدها، وحرمني ولد غيرها[١].

١ـ الاستيعاب.

زواج الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

تزوّج الرسول العظيم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالسيدة خديجة الكبرى وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي بنت أربعين سنة.

وقيل: ستة وعشرين سنة[1].

وقيل: ثمانية وعشرين سنة[2].

ويقال إنها كانت قد تزوّجت قبل الرسول بزوجين متعاقبين، وقيل: بل كانت عذراء يوم تزوجها الرسول[3] ولكنه غير مشهور.

لم يكن زواج الرسول بالسيدة خديجة يشبه الزواج المتعارف بين الناس بل يعتبر هو الزواج الوحيد من نوعه، إذ لم يكن ذلك القِران الميمون نتيجة حُب وغرام، بل لم يكن هناك دافع مادّي أو ما يشبهه من الأغراض التي كثيراً ما تحدث في زواج العظماء من جوانب السياسة.

بل لم يكن هناك تناسب بين الرسول وبين السيدة خديجة من حيث الحياة الإقتصادية، فالرسول العظيم كان يعيش تحت كفالة عمّه الفقير أبي طالب.

والسيدة خديجة هي أثرى وأغنى إمرأة في مكة، فهناك بون شاسع في مستوى المعيشة بين هذا وتلك.

١ـ جنات الخلود.

٢ـ البحار ج١٦.

٣ـ البلاذري، وأبو القاسم في كتابيهما، والمرتضى في الشافي. وأبو جعفر في التلخيص، وابن شهرآشوب في المناقب.

ولكن السيدة خديجة كانت قد علمت أو سمعت أن للرسول مستقبلاً متلألأً واسع النطاق، ولعلَّ غلامها (ميسرة) هو الذي حدَّثها بما جرى للرسول في أثناء رحلته إلى الشام قصد التجارة بأموال خديجة، أو بلغها كلام راهب دير بُصرى قرب الشام في حق الرسول.

فهنا إقترحت السيدة خديجة قضية الزواج، وفاتحت الرسول، وطلبت منه أن يطلب يدها من والدها خويلد، أو عمِّها (على قولٍ).

لكن الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) كان يفضِّل أن يتزوَّج بامرأة فقيرة تنسجم حياتها مع حياته، وإعتذر من خديجة، وامتنع من تلبية طلبها لهذا السبب.

لكن السيدة خديجة العاقلة اللبيبة الفاضلة أجابته بأنها تهب نفسها للنبي، فهل يصعب عليها أن تبذل أموالها له، وتجعلها تحت تصرُّف الرسول؟

وطلبت من الرسول أن يرسل أعمامه إلى أبيها خويلد ليخطبوها.

هنا.. فوجىء أعمام الرسول بهذا النبأ الوحيد من نوعه، واستولت الدهشة على عمّات الرسول حينما سمعن منه الخبر.

إنَّه لعجيب!!

سيدة تملك آلالاف من الأموال، ويعيش العشرات والمئات من العملاء والأجَراء من بركات أموالها وتجارتها القائمة صيفاً وشتاءً، بين اليمن ومكة وبين مكة والشام.

سيدة خطبها الأمراء والأشراف فرفضتهم.

هكذا سيدة كيف تقدِّم نفسها هبةً لشاب فقير يعيش تحت كفالة عمِّه الفقير أبي طالب؟

فيا ترى هل صدقت خديجة في تقديم نفسها للرسول؟

وهل لهذا الخبر نصيب من الحقيقة؟

قامت صفية بنت عبدالمطلب (عمة النبي) وتوجهت إلى دار خديجة للتحقيق عن الخبر ، وإذا بها تجد الترحيب والاستعداد بجميع معنى الكلمة.

السيدة خديجة على أبواب السعادة

رجعت صفية إلى إخوتها (أعمام النبي) وأخبرتهم بصدق الخبر، واستولت الفرحة على أعمام النبي، فرحة ممزوجة بالتعجب والدهشة والذهول.

فإن خديجة خطبها الأمراء وأشراف العرب فرفضت ولم توافق، إذ انها لم تَرَهم لها أكفاءً، فما الذي دعاها إلى انتخاب هذا الزوج الفقير الذي لايملك من حطام الدنيا تبراً، ولا من الأرض البسيطة شبراً؟

يا للعجب العجاب!!

قام أعمام النبي وقصدوا دار خديجة، وخطبوها من أبيها خويلد أو عمّها، فامتنع ثم وافق بعد ذلك.

ثمَّ لابدَّ من تقديم مبلغ من المال صداقاً يليق بمقام خديجة، فكيف يمكن تحصيل هذا المال؟ ومن أين؟ ومن الذي يتبرع بالصداق؟

وإذا بالسيدة خديجة تباغتهم مرة أُخرى، وتدفع إلى الرسول أربعة آلاف دينار هدية، وتطلب منه أن يجعل ذلك المبلغ صداقاً لها ويقدّمه إلى أبيها خويلد.

وفي رواية: أن أبا طالب هو الذي دفع الصداق من ماله.

إن كانت السيدة خديجة تؤمن بالقيَم، وتضحّي بالمادة في سبيل تحصيل الشرف فانّ أباها خويلد لم يكن يحمل هذه الفكرة، وكثيراً ما تجد التفاوت الكثير بين ثقافة الأب وابنه أو إبنته.

وهذا الاختلاف في التفكير موجود بين طبقات الناس، وحتى بين الأخ وأخيه، والرجل وزوجته، والأب وما ولد.

كانت هذه البادرة نادرة عجيبة جداً، فلم يعهد أحد في العرب أن المرأة تقدّم الصداق لزوجها، فلاعجب إذا هاج الحسد بأبي جهل وقال: «ياقوم رأينا الرجال يمهرون النساء، وما رأينا النساء يمهرن الرجال».

فيجيبه أبو طالب ـ مغضباً : «مالَكَ؟ يا لُكَع الرجال! مثل مُحمد يُحمل إليه ويُعطى، ومثلك يُهدي ولايُقبل منه».

أو قال: «إذا كانوا مثل ابن أخي هذا، طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلاّ بالمهر الغالي».

وتمَّ الزواج المبارك الميمون على أحسن ما يرام، وانتقل الرسول إلى دار السيدة خديجة، فكانت خديجة تشعر أنها في أسعد أيام حياتها إذ أنها وصلت إلى أغلى أمانيها وأحلى أحلامها.

وأنجبت السيدة خديجة أولاداً ماتوا كلهم في أيام الصغر، وأنجبت بنات أربع: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة الزهراء، وكانت فاطمة أصغرهنَّ سنّاً وأجلّهنَّ شأناً وأعظمهنَّ قدراً.

وهناك اختلاف بين المؤرخين والمحدّثين حول البنتين الأوليين، فقيل: إنهما ليستا من بنات النبي، والصحيح أنهما من بناته وصلبه، وسيأتي الكلام حول ذلك في المستقبل بالمناسبة بإذن اللّه[1].

١ـ اقتطفنا تفاصيل زواج السيدة خديجة من بحار الأنوار ج١٦.

كلمة خاطفة حول (الماورائيات)

هذه هي السيدة خديجة الكبرى، وهذا بعض مناقبها وفضائلها التي تعتبر كل فضيلة منها مثالاً رائعاً للانسان الكامل، وهذه السيدة هي التي أنجبت السيدة فاطمة الزهراء، وأرضعتها اللبن الممزوج بالمواهب والفضائل.

وفاطمة الزهراء سليلة أبوين هذا بعض ما يتعلق بحياتهما ومحاسنهما، وهذه نظرة خاطفة أو صورة مصغَّرة يمكن لنا أن ننظر منها إلى عبقرية سيدتنا فاطمة الزهراء وبذلك تظهر لنا زاوية من حياتها على ضوء الوراثة.

وهناك حقائق ثابتة لايمكن إنكارها، وقد صرَّحت بذلك أحاديث شريفة كثيرة متواترة عن الرسول الأقدس وأهل بيته الطاهرين (عليهم السّلام) لم يكتشفها العلم الحديث ولم تصل إليها الإكتشافات الحديثة بالرغم من سعتها وانتشارها، وبالرغم من وصولها إلى الذرة فما فوقها وإلى الكواكب فما دونها.

تلك الحقائق لامجال للآلات والمجاهر أن تغزوها وتحيط بها علماً، ولاطريق لعدسات التصوير ان تلتقطها ولو بالأشعة البنفسجية وما فوق البنفسجية.

وتفشل دون إدراكها مقاييس الطبيعة والمنطق، فالحقيقة فوق إدراك المادة والموازين المنطقية، فلاتدرك بالحواس الخمس (الباصرة، السامعة، الذائقة الشامّة، اللامسة) بل هي من أسرار اللّه المودعة في الكائنات، وإن شئت أن تسمّيها بـ (الماورائيات) فَلَكَ ذلك.

وقبل عرض تلك الحقائق لابدَّ من تمهيد مقدمة موجزة فنقول: إن النطفة ـ التي تنعقد في الرحم ويتكوَّن منها الجنين ـ إنّما تتكوّن من الدم، والدم يستخلص من الطعام بعد إنهاء عمليات الهضم والنضج والطبخ في المختبرات التي يحتويها الجسم، فلاشك أن النطفة المتكونة من الدم المستخلص من لحم الخنزير أو الخمر (مثلاً) تختلف عن النطفة المتكونة من الدم المستخلص من لحم الغنم أو ما أشبه ذلك، لأن نوعية هذا اللحم تختلف اختلافاً كبيراً عن نوعية ذاك، فكذلك تختلف منتجات كل واحد منهما.

وللطعام تأثير خاص في روح الإنسان ونفسه، فهناك أطعمة مفرِّحة للقلب، مهدِّئة للأعصاب، تخفف عن توترها، وهناك أطعمة مفعولها عكس ذلك.

وللطعام الحلال والطاهر تأثير في نفس الإنسان وروحه، بعكس الطعام النجس كالخمر أو الحرام كالمسروق والمغصوب.

ونفس التأثير يظهر في النطفة التي تنعقد من الطعام الحلال أو الحرام، أو الطاهر أو النجس، ولو أردنا إستعراض الشواهد وإقامة الأدلّة والبراهين على ذلك لطال بنا الكلام وخرج الكتاب عن أسلوبه وموضوعه المقصود.

وعلى هذا الغرار فللطعام الذي يأكله الأبوان كل التأثير في توجيه الطفل وتسييره نحو الخير والشر، إذ من ذلك الطعام تتكون النطفة، ثم تنتقل من صلب الرجل إلى رحم زوجته، وتلتصق بجدار الرحم، وتنمو وتكبر حتى تكمل جنيناً تامّاً.

فالطعام من حيث النوعية ومن حيث الحكم الشرعي كالحلال والحرام، والطاهر والنجس له تأثير عجيب مدهش في مصير الطفل، وكيفية تفكيره في الأمور واختيار الحياة الدينية، وتوجيهه نحو الاعتدال

والاستقامة أو الإنحراف والإنجراف.

وكذلك الحالة النفسية الموجودة عند الزوجين عند العملية الجنسية لها كل التأثير في مقدَّرات الطفل وحالاته ونفسياته في المستقبل.

فالخوف والقلق لهما أسوأ الأثر في مستقبل الطفل المسكين، وبالعكس الطمأنينة والهدوء النفسي له أحسن الأثر في الطفل.

كذلك الرغبة الملحَّة والشوق الشديد يؤثر في جمال الطفل وحسنه وذكائه، بينما عدم الرغبة وضعف الشهوة يسبب خلاف ذلك.

وانطلاقاً من هاتين النقطتين: نقطة تأثير الطعام ونقطة تأثير الحالة النفسية ننتقل بالقرَّاء إلى طائفة من الأحاديث المتواترة، فقد ذكر شيخنا المجلسي (قدَّس سرَّه) في الجزء السادس عشر من البحار هذا الحديث الشريف:

اعتزال النبي عن خديجة

... هبط جبرئيل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فناداه يامحمد! العلي الأعلى يقرأُ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً.

فشقَّ ذلك على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وكان لها محبّاً وبها وامقاً (محبّاً) فأقام النبي أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك. بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال: قل لها: ياخديجة لاتظني أن انقطاعي عنك هجرة ولاقلى، ولكن ربي أمرني بذلك لينفِّذ أمره، فلاتظني ياخديجة إلاّ خيراً، فإن اللّه (عزّوجلّ) ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنَّك الليل فاجيفي (رُدّي) الباب، وخذي مضجعك من

فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد.

فجعلت خديجة تحزن كل يوم مراراً لفقد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرئيل فقال: يامحمد! العلي الأعلى يقرؤك السلام وهو يأمرك أن تتأهّب لتحيّته وتحفته.

طعام الجنّة

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ياجبرئيل وما تحفة رب العالمين وماتحيّته؟؟

فقال جبرئيل: لاعلم لي.

فبينما النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطّى بمنديل سندس أو إستبرق، فوضعه بين يدي النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأقبل جبرئيل (عليه السّلام) وقال: يامحمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

قال علي بن أبي طالب (عليه السّلام): كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد من الأقطار، فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) على باب المنزل وقال: يابن أبي طالب إنه طعام محرّم إلاّ عليّ.

قال علي (عليه السّلام): فجلست على الباب، وخلى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب، وعنقود من عنب، فأكل النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) منه شبعاً وشرب من الماء ريّاً، ومدَّ يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرئيل، وغسل يده ميكائيل وتمندله إسرافيل، وارتفع فاضل (باقي) الطعام مع الإناء إلى السماء.

ثم قام النبي ليصلي فأقبل عليه جبرئيل وقال: الصلاة محرَّمة عليك

في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإن اللّه (عزّوجلّ) آلى (حلف) على نفسه أن يخلق من صلبك هذه الليلة ذريَّة طيِّبة.

فوثب النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إلى منزل خديجة؛

قالت خديجة: وقد كنت قد ألفتُ الوحدة، فكان إذا جنَّني الليل غطَّيت رأسي، وسجفت (أرسلت) ستري وغلّقت بابي، وصلَّيت وِردي، وأطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي؛

فلما كانت تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولابالمنتهبة إذ جاء النبي فقرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقة لايقرعها إلاَّ محمد؟

فنادى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: إفتحي ياخديجة فإني محمد.

قالت خديجة: فقمت مستبشرة بالنبي، وفتحت الباب، ودخل النبي المنزل.

وكان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاة، ثم يقوم فيصلي ركعتين يوجز فيهما، ثم يأوي إلى فراشه.

فلما كانت تلك الليلة لم يدعُ بالإناء ولم يتأهب للصلاة... بل كان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعلها، فلا والذي سمك السماء، وأنبع الماء؛ ما تباعد عني النبي حتى حسست بثقل فاطمة في بطني... الى آخره[1].

نستفيد من هذا الحديث أموراً:

١ـ إن اللّه تعالى أمر نبيَّه أن يعتزل خديجة، وأن ينقطع عن رؤيتها لفترة حتى يزداد بها شوقاً ورغبة.

٢ـ اشتغاله بالمزيد من العبادة للمزيد من روحانية النفس وسموّها

١ـ البحار ج١٦/٧٨.

وتعاليها بسبب الإتصال بالعالم الأعلى.

٣ـ إفطاره بالتحفة السماوية الطاهرة، السريعة التحول إلى النطفة بسبب لطافتها.

٤ـ تكوُّن النطفة من طعام سماوي لطيف، لايشبه الأطعمة المادية.

٥ـ التوجه إلى دار خديجة فوراً إستعداداً لإنتقال النطفة مع تلك المقدمات.

وقد ذكر هذا الحديث ـ من علماء العامة ـ بتغيير يسير كلٌّ من:

١ـ الخوارزمي في مقتل الحسين ص٦٣ ـ ٦٨.

٢ـ الذهبي في الاعتزال ج٢ ص٢٦.

٣ـ تلخيص المستدرك ج٣ ص١٥٦.

٤ـ العسقلاني في لسان الميزان ج٤ ص٣٦.

ثم هناك أحاديث كثيرة بهذا المعنى مع إختلاف يسير في ألفاظها، واتفاقها حول النقطة الجوهرية، وهي إنعقاد نطفة السيدة فاطمة الزهراء من طعام الجنة ونذكر من بعض تلك الأحاديث الجملة المرتبطة بالموضوع رعاية للاختصار، فنقول:

عن الإمام الرضا (عليه السّلام) قال: قال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): لما عُرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته، فتحوَّل ذلك نطفةً في صُلبي فلما هبطتُ واقعتُ خديجة، فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيَّة، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة[1].

عن الإمام الباقر (عليه السّلام) عن جابر بن عبداللّه قال: قيل لرسول

١ـ الأمالي للصدوق.

اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إنك لتلثم فاطمة وتلزمها وتدنيها منك... وتفعل بها ما لاتفعله بأحد من بناتك؟

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إن جبرئيل أتاني بتفاحة من تفاح الجنة فأكلتها فتحوَّل ماءً في صلبي ثم واقعت خديجة فحملت بفاطمة. وأنا أشمُّ منها رائحة الجنة[1].

وعن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول اللّه وهو يقبِّل فاطمة، فقالت له: أتحبُّها يارسول اللّه؟

قال: أما واللّه لو علمت حبِّي لها لازددت لها حباً، إنه لما عُرج بي إلى السماء الرابعة...

إلى أن يقول: فإذا برطب ألين من الزبد، وأطيب من المسك، وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها فتحولت الرطبة نطفة في صلبي، فلما أن هبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فإذا اشتقتُ الى الجنة شممتُ رائحة فاطمة[2].

وقد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة كلٌّ من:

١ـ الخطيب البغدادي في تاريخه ج٥ ص٨٧.

٢ـ الخوارزمي في مقتل الحسين ص٦٣.

٣ـ الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ج١ ص٣٨.

٤ـ الزرندي في (نظم درر السمطين).

٥ـ العسقلاني في لسان الميزان ج٥ ص١٦٠.

٦ـ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة.

٧ـ محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص٤٣.

١ـ علل الشرائع.

٢ـ البحار ج١٦.

وهذه الأحاديث مروية عن عائشة وابن عباس وسعيد بن مالك وعمر بن الخطاب.

٨ـ وروى ذلك الشيخ شُعيب المصري في (الروض الفائق) ص٢١٤ قال: «روى بعض الرواة الكرام: أن خديجة الكبرى (رضي اللّه عنها) تمنّت يوماً من الأيام على سيد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهة دار السلام، فأتى جبرئيل إلى المفضَّل على الكونين من الجنة بتفاحتين وقال: يامحمد يقول لك منَ جعل لكل شيء قدراً: كل واحدةً وأطعم الأخرى لخديجة الكبرى، واغشها، فاني خالق منكما فاطمة الزهراء. ففعل المختار ما أشار به الأمين وأمر...

إلى أن قال: فكان المختار كلما اشتاق إلى الجنة ونعيمها قبَّل فاطمة وشمَّ طيب نسيمها، فيقول ـ حين يستنشق نسمتها القدسية ـ: إن فاطمة حوراء إنسية».

وهناك روايات متواترة بهذا المضمون، واكتفينا بما ذكرنا.

بقيت هنا كلمة لابأس بالإشار إليها، وهي: أن الأحاديث كما تراها تصرح بأن السيدة خديجة حملت بفاطمة (عليها السّلام) بعد المعراج مباشرة، وكان المعراج على ما هو المذكور في بعض كتب الحديث في السنة الثالثة من المبعث، وفي بعضها: في السنة الثانية وقيل غير ذلك.

وستأتيك طائفة من الأحاديث من أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) تصرح بولادتها بعد المبعث بخمس سنين، ومعنى هذا أنها بقيت في بطن أُمها أكثر من عامين، وهذا غير صحيح قطعاً، فكيف يمكن الجمع بين القولين؟.

يمكن أن تُحلَّ هذه المشكلة بما يلي:

١ـ إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عُرج به إلى السماء

أكثر من مرة كما في كتاب الكافي[1] وهذا عندي أحسن الوجوه.

٢ـ الأخذ بالقول المروي بولادتها في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث (كما سيأتي) وهذا يتفق مع القول بالمعراج في تلك السنة نفسها، وخاصة بعد الإلتفات إلى إختلاف الأقوال حول الشهر الذي كان فيه المعراج.

الجنين يتكلَّم مع اُمِّه

ومن جملة مزايا السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) أنها كانت تكلِّم اُمَّها خديجة وهي في بطنها.

ولم ينفرد علماء الشيعة بذكر هذه الفضيلة، بل شاركهم عدد كثير من علماء العامة ومحدِّثيهم، فقد روى عبدالرحمن الصفوري الشافعي في (نزهة المجالس) ج٢ ص٢٢٧ (قالت اُمَّها خديجة(رضي اللّه عنها): لما حملت بفاطمة كانت حملاً خفيفاً، تكلِّمني من باطني.

وروى الدهلوي في (تجهيز الجيش) عن كتاب (مدح الخلفاء الراشدين) «انه لما حملت خديجة بفاطمة كانت تكلمها ما في بطنها، وكانت تكتمها عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فدخل عليها يوماً وجدها تتكلم وليس معها غيرها، فسألها عمن كانت تخاطبه فقالت: ما في بطني، فإنه يتكلم معي.

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): أبشري ياخديجة، هذه بنت جعلها اللّه أُمَّ أحد عشر من خلفائي يخرجون بعدي وبعد أبيهم».

وذكر شعيب بن سعد المصري في (الروض الفائق) ص٢١٤: فلما سأله الكفار أن يريهم إنشقاق القمر، وقد بان لخديجة حملها بفاطمة

١ـ الكافي ج١/٤٤٢ باب مولد النبي حديث١٣.

وظهر، قالت خديجة: واخيبة مَن كذَّب محمداً وهو خير رسول ربي.

فنادت فاطمة ـ من بطنها ـ : يا أُماه لاتحزني ولاترهبي، فإن اللّه مع أبي.

فلما تمَّ حملها وانقضى، وضعت فاطمةَ فأشرق بنور وجهها الفضاء.

وقد مرَّ عليك في (المقدمة) الحديث المروي عن السيدة خديجة حول تكلُّم السيدة فاطمة الزهراء وهي في بطن أُمَّها.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تطلُّ على الحياة

من العجب: الاختلاف الواضح في تاريخ ولادتها، وأنها هل كانت قبل المبعث أو بعده؟ فإنك تجد طائفة كبيرة من الأحاديث تصرّح بولادتها بعد المبعث بخمس سنين أو ثلاث سنين، وتجد كميَّة من الأقوال التي تلح وتركّز على ميلادها قبل المبعث بخمس سنين، وتجد القول الأول للشيعة مروياً عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) ويوافقهم بعض علماء العامة.

والقول الثاني خاص بعلماء العامة ومحدّثيهم.

وإليك بعض تلك الأحاديث حول ميلادها بعد المبعث:

١ـ الكافي (للكليني): ولدت بعد النبوة بخمس سنين وبعد الإسراء بثلاث سنين، وقبض النبي ولفاطمة يومئذٍ ـ ثماني عشرة سنة!... الى آخره.

٢ـ المناقب (لابن شهرآشوب): ولدت فاطمة بعد النبوة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين في العشرين من جمادي الاخرة، وأقامت مع أبيها بمكة ثماني سنين ثم هاجرت... الى آخره.

٣ـ وفي (الكافي) عن الإمام الباقر (عليه السّلام): ولدت فاطمة بنت محمد بعد مبعث رسول اللّه بخمس سنين، وتوفيت ولها ثمانية عشر سنة وخمسة وسبعون يوماً.

٤ـ روضة الواعظين: ولدت فاطمة بعد مبعث النبي بخمس سنين... الى آخره.

٥ـ إقبال الأعمال: قال الشيخ المفيد في كتاب (حدائق الرياض): يوم العشرين من جمادي الآخرة كان مولد السيدة الزهراء سنة اثنتين من المبعث.

٦ـ مصباح الكفعمي: وُلدتْ في العشرين من جمادي الآخرة يوم الجمعة سنة اثنتين من المبعث، وقيل سنة خمسٍ من المبعث.

٧ـ مصباح الكفعمي والطوسي: في اليوم العشرين من جمادي الآخرة يوم الجمعة سنة اثنتين من المبعث كان مولد فاطمة (عليها السّلام) في بعض الروايات، وفي رواية أُخرى: سنة خمس من المبعث، والعامة تروي أن مولدها قبل المبعث بخمس سنين.

٨ـ دلائل الإمامة عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: ولدت فاطمة في جمادي الآخرة العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبي... الى آخره[1].

هذه نبذة من أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) وقدماء علماء الشيعة (رحمهم اللّه) حول ولادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) بعد المبعث.

وأما أقوال علماء العامة:

١ـ معرفة الصحابة لأبي نعيم: إن فاطمة كانت أصغر بنات رسول اللّه سنّاً، ولدت وقريش تبني الكعبة.

٢ـ مقاتل الطالبيين لأبي الفَرَج: كان مولد فاطمة قبل النبوة وقريش حينئذ تبني الكعبة.

٣ـ ابن الأثير في (المختار من مناقب الأخيار).

١ـ إلتقطنا هذه الأحاديث من بحار الأنوار ج٤٣.

٤ـ الطبري في (ذخائر العقبى).

٥ـ السيوطي في (الثغور الباسمة).

هذا ولعل الباحث يجد هذا القول في أكثر كتب العامة حول مولد الزهراء.

وقد مرت عليك طائفة من الأحاديث المروية عن كتب العامة حول انعقاد نطفتها من طعام الجنة.

بعد الإطلاع على هذه الأحاديث ولو بصورة موجزة يتضح لنا أنَّ ولادة السيدة فاطمة الزهراء كانت بعد المبعث، إذ لم يكن قبل المبعث معراج ولاهبوط جبرئيل ولاميكائيل على النبي بالوحي، وبهذا ينكشف لنا تزوير الأقوال المصرِّحة بولادتها قبل المبعث بخمس سنين وأن القائلين بذلك لهم غاية تدفعهم، وهدف يدعوهم إلى اختلاق هذا القول، وهو نسف الأحاديث الواردة حول نزول الطعام من السماء وانعقاد نطفة السيدة فاطمة من أطعمة الجنة وثمارها.

وهدف آخر: وهو أنَّهم يحاولون أن يثبتوا أن فاطمة الزهراء كانت مزهوداً فيها، ولايرغب فيها أحد، ولهذا بلغت من العمر ثمانية عشر سنة (على زعمهم) ولم يخطبها أحد في خلال تلك الفترة.

وسيأتي مزيد من القول حول هذا الموضوع في المستقبل في فصل البحث عن زواجها.

وعلى كلٍّ.. فقد روى الطبري في (ذخائر العقبى) والصفوري الشافعي في (نزهة المجالس) والقندوزي في (ينابيع المودة) عن خديجة (عليها السّلام) قالت:.. فلما قربت ولادتي أرسلتُ إلى القوابل من قريش فأبينَ عليَّ لأجل محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

فبينما أنا كذلك إذ دخل عليَّ أربع نسوة، عليهن من الجمال والنور

مالايوصف، فقالت إحداهن: أنا أمكِ حواء. وقالت الأخرى: أنا آسية. وقالت الأخرى أنا أم كلثوم (كلثم) أخت موسى، وقالت الأخرى: أنا مريم، جئنا لنلي أمرك.

وقد وردت هذه الرواية بصورة أخرى:

... فلما أرادت خديجة أن تضع، بعثت إلى نساء قريش ليأتينها فيلين منها ما تلي النساء ممن تلد، فلم يفعلن، وقلن: لانأتيك، قد صرتِ زوجة محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة، عليهن من الجمال والنور ما لايوصف، فقالت لها إحداهن: أنا أُمُّكِ حواء، وقالت الأخرى: أنا آسية بنت مزاحم، وقالت الأخرى: أنا كلثم أخت موسى وقالت الأخرى: أنا مريم بن عمران (أم عيسى). جئنا لنلي من أمرك ما يلي النساء.

قال: فولدت فاطمة.

فوقعت ـ حين وقعت ـ على الأرض ساجدة رافعة إصبعها.

وروي عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبداللّه الصادق (عليه السّلام): كيف كانت ولادة فاطمة؟

فقال: نعم.... فلمّا حملت [خديجة] بفاطمة، كانت فاطمة تحدّثها من بطنها وتصبّرها، وكانت تكتم ذلك من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) فدخل رسول اللّه يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها: يا خديجة من تحدّثين؟

قالت: الجنين الذي في بطني يحدّثني ويؤنسني.

قال: يا خديجة هذا جبرئيل يخبرني انها انثى، وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأن اللّه تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمّة ويجعلهم خلفاءه في أرضه، بعد انقضاء وحيه.

... ثمّ أشار (عليه السّلام) الى نزول النسوة الأربع على خديجة لمساعدتها على أمر الولادة...

ثم قال (عليه السّلام): فوضعت [خديجة] فاطمة مطهّرة، فلمّا سقطت الى الأرض، أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة....

ودخل عشر من الحور العين، كلّ واحدة منهن معها طست من الجنّة وابريق من الجنّة، وفي الأبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين ـ أشدّ بياضاً من اللبن، وأطيب ريحاً من المسك والعنبر ـ فلفّتها بواحدة وقنّعتها بالثانية.

ثم استنطقتها، فنطقت فاطمة بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، وأن أبي رسول اللّه سيّد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء، وولدي سادة الأسباط.

ثمّ سلّمت [فاطمة] عليهن، وسمّت كل واحدة منهن بإسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشّر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة.

وحَدَث في السماء نور زاهر، لم تره الملائكة قبل ذلك.

وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهّرة زكيّة ميمونة، بورك فيها وفي نسلها.

فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرّ عليها[1].

وروى ابن عساكر في التاريخ الكبير: وكانت خديجة إذا ولدت ولداً، دفعته لمن يرضعه، فلمّا ولدت فاطمة لم ترضعها أحد غيرها.

ورواه ابن كثير في البداية والنهاية.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص٢.

التسمية

تعتبر تسمية الطفل المولود أو التسمية (بصورة عامة) من سنن اللّه تعالى الأولى، وقد سمّى اللّه تعالى آدم وحوّاء يوم خلقهما، وعلّم آدم الأسماء كلها، وقد سار الناس على هذه السُنّة أو السيرة. فالتسمية لابدّ منها عند البشر المتحضّر، ولعل البشر المتوحش في الغابات ـ بسبب إبتعادهم عن الحضارة ـ لايعرفون التسمية ولايسمّون.

وتختلف أسماء البشر على مرّ الأجيال والعصور، وعلى إختلاف لغاتهم فقد توجد هناك مناسبة بين الإسم والمسمّى، وقد لاتوجد، وقد يكون للإسم معنى في قاموس اللغة وقد لايكون له معنى، بل هو إسم مخترع لامن مادة لغوية.

أما أولياء اللّه فإنّ التسمية تعتبر عندهم ذات أهمية كبرى، ولايخلو الأمر عن الحقيقة، لأنّ الإنسان ينادى ويدعى باسمه، فكم هناك فرق بين الإسم الحسن الجيّد، وبين القبيح السيئى؟!

وكم هناك فرق بين تأثر نفس صاحب الإسم بهذا وذاك وهكذا تأثّر السامع للاسم؟ فهذه إمرأة عمران ولدت بنتاً فقالت: «وإني سميتها مريم».

واختار اللّه لنبيه يحيى (عليه السّلام) هذا الإسم قبل أن تنعقد نطفته في رحم أمّه، لأنّ زكريا سأل ربه قال: «فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا» فجاء الجواب: «يازكريا إنّا نبشّرك بغلام إسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا»[1].

---

١ ـ مريم: ٧.

وأنت إذا أمعنت النظر في قوله تعالى: «لم نجعل له من قبل سميّا» يتضح لك أنَّ تعيين أسماء أولياء اللّه يكون من عنده (عزّوجلّ)، وأنَّ اللّه تولّى تسميتهم ولم يكلها إلى الأبوين.

إذا عرفت هذا فهلمَّ معي إلى طائفة كبيرة من الأحاديث التي تذكر إسم السيدة فاطمة الزهراء ووجه التسمية، وأنها إنما سميت بفاطمة لأسباب ومناسبات، وليست هذه التسمية إرتجالية، ولاوليدة إعجاب واستحسان فقط، بل روعي فيها مناسبة الإسم مع المسمى، بل صدق الإسم على المسمَّى، وبهذه الأحاديث الآتية يتضح ما نقول:

قال الإمام الصادق (عليه السّلام): لفاطمة تسعة أسماء عند اللّه (عزّوجلّ):

١ـ فاطمة

٢ـ والصدّيقة

٣ـ والمباركة

٤ـ والطاهرة

٥ـ والزكية

٦ـ والراضية

٧ـ والمرضية

٨ـ والمحدَّثة

٩ـ والزهراء...[1].

والآن... إليك شرحاً موجزاً لهذه الأسماء المقدَّسة:

١ـ البحار: ج٤٣/١٠.

فاطمة (عليها السّلام)

لقد وردت أحاديث متنوّعة في سبب تسميتها (عليها السّلام) بفاطمة.

وقبل أن نذكر تلك الأحاديث نقول: ان اسم فاطمة مشتق من الفطم وهو بمعنى القطع، يقال: فطمتِ الأم طفلها، وفطمتُ الحبل.

قال العلاّمة المجلسي (رحمه اللّه تعالى) ـ ما معناه ـ : ... كثيراً ما يجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول، كقولهم: سرٌّ كاتم، أي: مكتوم، ومكان عامر، أي: معمور، وكما قالوا في قوله تعالى: «في عيشة راضية» أي: مرضيّة.

والآن إليك بعض تلك الأحاديث:

١ـ لأنها فَطمت شيعتها من النار.

روي عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السّلام) عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن جبرئيل قال له: ... سُمّيت فاطمة، في الأرض، [لأنها] فطمت شيعتها من النار[١].

٢ـ لأن اللّه فطمها وشيعتها من النار.

روي عن الإمام الرضا عن آبائه (عليهم السّلام) عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: يا فاطمة أتدرين لمَ سُمّيتِ فاطمة؟

قال علي (عليه السّلام): لمَ سُمّيت؟

١ـ بحار الأنوار ج٤٣/١٨.

قال: لأنها فُطمت هي وشيعتُها من النار[١].

وعنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: سُمّيت فاطمة، لأن اللّه فَطَمها وذريّتها من النار، مَن لقي اللّه منهم بالتوحيد والايمان بما جئتُ به[٢].

وروى ابن عباس عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: ... وإنّما سمّاها فاطمة، لأن اللّه فطمها ومحبّيها من النار[٣].

وروى القندوزي الحنفي عن أبي هريرة عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: إنّما سُمّيت ابنتي فاطمة، لأن اللّه فطمها وذريّتها ومحبّيها عن النار[٤].

وروي عن الإمام الباقر (عليه السّلام) أنّه قال: لفاطمة وقفة على باب جهنم.... فتقول: الهي وسيدي، سمّيتني فاطمة، وفطمتَ بي مَن تولاّني وتولّى ذريّتي من النار، ووعدك الحق وأنت لاتخلف الميعاد.

فيقول اللّه (عزّوجلّ): صدقت يا فاطمة، اني سميتكِ فاطمة وفطمتُ بكِ مَن احبّكِ وتولاّك، واحبّ ذريّتك وتولاّهم من النار، ووعدي الحق وأنا لا أُخلف الميعاد..... الى آخر الخبر[٥].

١ـ بحار الأنوار ج٤٣/١٤، وذكره محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص٢٦ طبعة القاهرة، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة ص١٩٤ والصفوري الشافعي في نزهة المجالس، وروى قريباً منه الخركوشي في كتاب (شرف النبي) وابن بطة في كتاب الابانة وغيرهم.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٣ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص٣٣١ طبعة القاهرة /ذخائر العقبى للطبري ص٢٦ طبعة القاهرة/كنز العمال للمتّقي الهندي ج١٣ ص٩٤ طبعة حيدرآباد دكن/فيض القدير للمناوي الشافعي ج١ ص٢٠٦ طبعة القاهرة/وغيرها.

٤ـ ينابيع المودّة للقندوزي ص٣٩٧ طبعة اسلامبول/نور الابصار للشبلنجي ص٤١ طبعة مصر.

٥ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٥.

٣ـ لأنها فُطمت من الشرّ.

روي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) انه قال: تدري أيّ شيء تفسير فاطمة؟

قلت: اخبرني ياسيّدي؟

قال: فُطمت من الشر.

ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين تزوَّجها، لما كان لها كفوٌ الى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه[١].

وقد روى هذا الحديث جماعة من علماء العامَّة منهم: ابن شيرويه الديلمي عن أُم سلمة قالت: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «لو لم يخلق اللّه عليّاً لما كان لفاطمة كفو».

ورواه الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين (عليه السّلام) ص٦٥، والترمذي في المناقب، والمناوي الشافعي في كنوز الحقائق، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودَّة عن أُم سلمة وعن العباس عمّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

٤ـ لأن الخَلق فُطموا عن معرفتها.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: ... وإنّما سُمّيت فاطمة لأن الخَلق فُطموا عن معرفتها[٢].

٥ـ لأن اللّه فطمها بالعِلم.

روي عن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: لمّا وُلدت فاطمة (عليها السّلام) أوحى اللّه (عزّوجلّ) الى مَلك، فانطق به لسان محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فسمّاها فاطمة.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٦.
٢ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص٦٥.

ثم قال [تعالى]: اني فطمتكِ بالعِلم، وفطمتكِ عن الطمث.

ثم قال أبو جعفر (عليه السّلام): واللّهِ لقد فَطمها اللّه تبارك وتعالى بالعِلم، وعن الطمث بالميثاق[1].

وكان هذا الاسم محبوباً عند أهل البيت (عليهم السّلام) ويحترمونه ويحترمون مَن سُمّيت به.

فقد سأل الإمام الصادق (عليه السّلام) أحد أصحابه ـ وقد رزقه اللّه بنتاً ـ بِم سَمَّيتها؟

قال الرجل: سميتها فاطمة.

قال الإمام الصادق: فاطمة؟ سلام اللّه على فاطمة، أما إن سميتها فاطمة فلاتلطمها ولاتشتمها وأكرمها.

وعن السكوني قال: دخلت على أبي عبداللّه ـ الصادق ـ (عليه السّلام) وأنا مغموم مكروب قال لي: ياسكوني ما غَمَّك؟

فقلت: وُلدت لي ابنة....

فقال: ما سميَّتها؟

قلت: فاطمة.

قال: آه آه آه.

ثم قال: أما إذا سميتها فاطمة فلاتسبَّها ولاتلعنها ولاتضربها[2].

وفي سفينة البحار عن أبي الحسن (الكاظم) قال: لايدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد.... وفاطمة من النساء.

إن الحديث الخامس ـ الذي مرَّ في تسميتها ـ (عليها السّلام) ـ بفاطمة ـ عن الإمام الباقر (عليه السّلام) قد جاء فيه قولُه: «واللّه لقد فطمها اللّه

ـــــــــــــــ

١ـ بحار الانوار ج٤٣.

٢ـ وسائل الشيعة ج٧ باب أحكام الأولاد.

تبارك وتعالى بالعلم وعن الطمث بالميثاق».

إن المقصود من كلمة (الميثاق) هنا هو عالم الذر، ذلك العالم الذي أشار إليه قوله تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى»[1].

وملخص القول: ان اللّه تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر، فعرضهم على آدم وقال: إني آخذ على ذُريَّتك ميثاقهم أن يعبدوني ولايشركوا بي شيئاً وعليَّ أرزاقهم.

ثم قال لهم: ألست بربكم قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا.

فقال للملائكة: إشهدوا.

فقالوا: شهدنا.

وقيل: أن اللّه تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردَّهم إلى صلب آدم، والناس محبوسون بأجمعهم حتى يخرج كل من أخرجه اللّه في ذلك الوقت، وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى، ومن كفر وجحد فقد تغيَّر عن الفطرة الأولى.

وهذا القول مستخلص من طائفة كبيرة من الأحاديث، والأخبار المعتبرة، وهذا العالم يسمَّى عالم الذر ويسمى عالم الميثاق، والإمام الباقر (عليه السّلام) يشير في كلامه إلى أن الصِّدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء كانت طاهرة من العادة الشهرية من ذلك العالم ومن ذلك الوقت.

وأما الأحاديث التي تتحدث عن عالم الذر فكثيرة جداً، ونكتفي هنا بذكر بعضها:

١ـ في الكافي عن الإمام أبي عبداللّه (الصادق) (عليه السّلام) قال: سُئل

١ـ الأعراف ١٧٢.

رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): بأي شيء سبقت ولد آدم؟

قال: إنني أول من أقرّ بربي، ان اللّه أخذ ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا: بلى. فكنت أول من أجاب.

٢ـ عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبداللّه ـ الصادق ـ (عليه السّلام): كيف أجابوا وهم ذرّ؟

قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه.

وزاد العياشي: يعني في الميثاق.

٣ـ وعن زرارة انه سأل من الإمام الباقر (عليه السّلام) عن قول اللّه (عزّوجلّ): «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم»؟

قال: من ظَهر آدم ذُريَّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ، فعرَّفهم وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربَّه.

٤ـ ولما حجَّ عمر بن الخطاب واستلم الحَجَر قال: أما واللّه إني لأعلم أنك حَجَر، لاتضرُّ ولاتنفع، ولولا أن رسول اللّه استلمك ما استلمتك.

فقال له علي: يا أبا حفص لاتفعل فإن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يستلم إلاَّ لأمرٍ قد علمه ولو قرأت القرآن فعلمت من تأويله ما علم غيرك لعلمت انه يضرُّ وينفع، له عينان وشفتان ولسان ذلق يشهد لمن وافاه بالموافاة.

فقال له عمر: فأوجدني ذلك في كتاب اللّه يا أبا الحسن.

فقال علي (عليه السّلام): قوله تبارك وتعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا»، فلما أقروا بالطاعة بأنه الربّ وأنهم العباد أخذ عليهم الميثاق بالحج إلى بيته الحرام، ثم خلق اللّه رَقّاً أرقَّ من الماء وقال للقلم: أكتب موافاة خلقي ببيتي الحرام. فكتب القلم موافاة بني آدم في الرَّق، ثم قيل للحَجَر:

افتح فاك. ففتحه فألقم الرَّق. ثم قال للحجر: احفظه واشهد لعبادي بالموافاة. فهبط الحجر مطيعاً للّه.

ياعمر: أوليس إذا استلمت الحجر قلت: أمانتي أدَّيتها، وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة؟

فقال عمر: اللهم نعم.

فقال له علي: من ذاك».

وانك تجد طائفة كبيرة من الأحاديث التي تتضمن البحث عن عالم الذر في كتاب الكافي للكليني والبحار للمجلسي وغيرهما من موسوعات الأحاديث.

وقد التبس الأمر على بعض علمائنا. فلم يفهموا معنى الآية فجعلوا يشككون في تلك الأحاديث (سامحهم اللّه) بالرغم من كثرتها بل بالرغم من صريح الآية.

وخلاصة الكلام أن عالَم الذرّ هو عالم الميثاق، ومن ذلك العالم ـ بل وقبل ذلك ـ كانت الأفضلية لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأهل بيته الطاهرين، ومن جملتهم ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء.

ولايصعب عليك قبول هذا القول، فإن هناك أحاديث كثيرة رواها علماء الفريقين من الشيعة والسُنّة قد بلغت أو تجاوزت حدَّ التواتر وهي تؤيِّد هذا الموضوع.

أما الأحاديث المذكورة في كتب الشيعة فيعسر إحصاؤها وعدُّها.

وأما في كتب العامّة: فقد روى الصفوري الشافعي في (نزهة المجالس) ج٢ ص٢٢٣ قال: قال الكسائي وغيره: لما خلق اللّه آدم... إلى أن قال: وعليه جارية لها نور وشعاع، وعلى رأسها تاج من الذهب، مرصَّع بالجواهر لم ير آدم أحسن منها. فقال: ياربِّ مَن هذه؟

قال: فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

فقال: يارب من يكون بعلها؟

قال: ياجبرئيل إفتح له باب قصر من الياقوت. ففتح له، فرأى فيه قبّةً من الكافور، فيها سرير من ذهب، عليه شاب حُسنه كحسن يوسف فقال: هذا بعلها علي ابن أبي طالب... الى آخر الحديث.

وروى العسقلاني في (لسان الميزان) ج٣ ص٣٤٦:

عن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السّلام) عن آبائه (عليهم السّلام) عن جابر بن عبداللّه عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): لما خلق اللّه آدم وحوّاً تبخترا في الجنّة وقالا: من أحسن منّا؟ فبينما هما كذلك. إذ هما بصورة جارية لم يُرَ مثلها، لها نور شعشعاني يكاد يطفىء الأبصار. قالا: يارب ما هذه؟ قال: صورة فاطمة سيدة نساء ولدك.

قال: ما هذا التاج على رأسها؟

قال: عليٌ بعلها.

قال: فما القرطان؟

قال: إبناها، وُجِدَ ذلك في غامض علمي قبل أن أخلقك بألفي عام».

الصدّيقة

لقد مرَّ عليك أن من جملة أسمائها (عليها السّلام) الصِّدِّيقة، بكسر الصاد والدال المشدَّدة (صيغة المبالغة) أي: الكثيرة الصدق.

والصِدِّيق أبلغ من الصدوق.

وقيل: الصدِّيق: مَن كثُر منه الصدق.

وقيل: بل مَن لم يكذب قط.

وقيل: الكامل في الصدق، الذي يصدِّق قوله بالعمل، البارّ، الدائم التصديق.

وقيل: من لم يتأتَّ منه الكذب لِتَعوُّده الصدق.

وقيل: مَن صدق بقوله واعتقاده، وحقَّق صدقه بفعله. كذا في تاج العروس.

وقيل: المداوم على التصديق بما يوجبه الحق.

وقيل: الذي عادته الصدق.

وقيل: إنه المصدِّق بكل ما أمر اللّه به وبأنبيائه، لايدخله في ذلك شك، ويؤيده قوله تعالى: «والذين آمنوا باللّه ورسوله أولئك هم الصدِّيقون»[1].

هذه تعاريف في معنى الصِّدِّيق، ولكن المستفاد من الآيات الكثيرة والروايات المتعددة أن مرتبة الصدِّيقين في عداد مراتب الأنبياء والشهداء،

١ـ الحديد: ١٩.

ولهم حساب خاص بهم ودرجة مخصوصة بهم. تأمّل هذه الايات ليظهر لك ما قلنا:

١ـ «ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا»[١].

٢ـ «واذكر في الكتاب إبراهيم انه كان صدّيقا نبيا»[٢].

٣ـ «واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقا نبيًّا»[٣].

٤ـ «ما المسيح بن مريم إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة»[٤].

وفي تفسير قوله تعالى: «وأُمُّه صدّيقة» قيل: سُمِّيت صدّيقة لأنها تصدّق بآيات ربها، ومنزلة ولدها وتصدّقه فيما أخبرها به، بدلالة قوله تعالى: «وصدَّقت بكلمات ربها» وقيل: لكثرة صدقها، وعظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها.

بعد استعراض هذه الآيات والأقوال يمكن لنا أن نستفيد أن التصديق باللّه وبالأنبياء والكتب السماوية والأحكام الشرعية تارة يكون باللسان دون العمل.

ففي الوقت الذي يصدّق الإنسان بأن اللّه تعالى يراه مع ذلك يعصي اللّه (عزّوجلّ) ويعلم بأن اللّه تعالى قد أوجب عليه حقوقاً مالية أو غير مالية مع ذلك لايؤدي تلك الحقوق، ويعلم بأن اللّه حرَّم الخمر والربا والزنا ومع ذلك لايرتدع عن تلك المعاصي فهو مصدّق باللّه وبالحلال والحرام، والثواب والعقاب، والجنة والنار، ولكن عمله لايطابق هذا التصديق، أي لم

١ـ النساء: ٦٩.

٢ـ مريم: ٤١.

٣ـ مريم: ٥٦.

٤ـ المائدة: ٧٥.

يبلغ بـه التصديق إلى درجة المطابقة بين القـول والفعـل أو بين الاعتقـاد والعمل.

ولكنَّ الصدِّيقين هم الذين يعتقدون الحق ويؤمنون به، ويعملون على ضوء تلك المعتقدات، وهؤلاء عددهم قليل ونادر في كل زمان وفي كل مكان.

وأنت إذا قارنت بين هذه التعاريف وبين أعمال الناس يظهر لك بكل وضوح أن عدد الصدّيقين قليل جداً جداً، ولعل في بعض البلاد لايوجد صدِّيق واحد.

وبعد هذا كله سوف يسهل عليك أن تعرف أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) قد بلغت مرتبة الصدِّيقين، وسمَّاها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالصدِّيقة. كما في (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٠٢ وفي (شرف النبوة) عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال لعلي: أُتيتَ ثلاثاً لم يؤتَهن أحد ولا أنا:

أُوتيتَ صهراً مثلي ولم أُوتَ أنا مثلي.

وأُوتيتَ زوجة صدِّيقة مثل ابنتي ولم أُوتَ مثلها زوجة.

وأُوتيتَ الحسن والحسين من صلبك ولم أوتَ من صلبي مثلهما.

ولكنكم مني وأنا منكم.

وسأل المفضل بن عمر الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: قلت: من غسَّل فاطمة؟

قال: ذاك أمير المؤمنين.

[قال المفضَّل]: فكأني استعظمت ذلك من قوله.

فقال: كأنك ضقتَ ممّا أخبرتك به؟

قلت: قد كان ذلك جُعلت فداك!

قال: لاتضيقنَّ، فانها صدّيقة، ولا يغسّلها إلاَّ صدّيق، أما علمت أن مريم لم يغسّلها إلاَّ عيسى؟[1].

وروي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) ـ في حديث له عن السيدة فاطمة (عليها السّلام) ـ انه قال: ... «وهي الصِدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الاولى»[2].

١ـ علل الشرائع: ص١٨٤ باب١٤٨ ح١.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٠٥.

المباركة

البركة: النماء والسعادة والزيادة، كما في (تاج العروس).

وقال الراغب: ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لايحبس، وعلى وجه لايحصى ولايحصر قيل ـ لكل ما يشاهَد منه زيادة محسوسة ـ : هو مبارك فيه، وفيه بركة.

ولقد بارك اللّه في السيدة فاطمة أنواعاً من البركات وجعل ذرية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من نسلها، وجعل الخير الكثير في ذريّتها، فانها ماتت وتركت ولدين وبنتين فقط، وهم: الإمام الحسن والإمام الحسين (عليهما السّلام) وزينب وأم كلثوم.

وجاءت واقعة كربلاء، وقتل فيها أولاد الحسين ولم يبق من أولاده إلاّ علي بن الحسين (زين العابدين).

وقُتل من أولاد الإمام الحسن سبعة (على قول) وإثنان من ولد زينب، وأما أم كلثوم فانها لم تعقب.

وبعد واقعة كربلاء تكررت الحوادث، وأقيمت المذابح والمجازر في نسل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وذرية فاطمة الزهراء، من واقعة الحرّة، إلى واقعة زيد بن علي بن الحسين إلى واقعة الفخ، إلى مطاردة العلويين في عهد الأمويين.

وجاء دَور بني العباس، فضربوا الرقم القياسي في محاربة العلويين، وإبادتهم وإستيصال شأفتهم، راجع كتاب (مقاتل الطالبيين) تجد بعض تلك الحوادث.

وإستمرت المحاربة أكثر من قرنين حتى قُتل الإمام الحسن العسكري (عليه السّلام) ـ وهو الإمام الحادي عشر ـ مسموماً في مدينة سامراء.

ولم يكن صلاح الدين الأيوبي بأقل من العباسيين في إراقة دماء آل رسول اللّه ودماء شيعتهم، فلقد أقام في المغرب العربي مجازر ومذابح جماعية تقشعر منها الجلود.

ومع ذلك كله فقد جعل اللّه البركة في نسل فاطمة الزهراء، وقد جعل اللّه منها الخير الكثير.

وفي تفسير قوله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر» أقوال للمفسرين، وإن كان المشهور أن الكوثر هو الحوض المعروف في القيامة، أو النهر المشهور في الجنة ولكن الكوثر ـ على وزن فوعل ـ هو الشيء الكثير والخير الكثير.

وقد ذكر السيوطي في (الدر المنثور) في تفسير الكوثر: وأخرج البخاري وابن جرير والحاكم عن طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي اللّه عنهما) انه قال: الكوثر: الخير الكثير الذي أعطاه اللّه إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير فإنَّ ناساً يزعمون أنَّه نهر في الجنة.

قال: النهر الذي في الجنة هو من الخير الكثير الذي أعطاه.

والأنسب بالمقام. وبمقتضى الحال ـ كما في التفسير للرازي ـ أن يكون المقصود من الكوثر هي الصدّيقة فاطمة الزهراء، فقد ذكر الطبرسي في (مجمع البيان) في تفسير سورة الكوثر: قال: قيل: الكوثر هو الخير الكثير، وقيل: هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من وُلد فاطمة حتى لايحصى عددهم، واتصل إلى يوم القيامة مددهم.

وقال الفخر الرازي في تفسيره حول الآية:

والقول الثالث: الكوثر أولاده، قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه (عليه السّلام) بعدم الأولاد، فالمعنى انه يعطيه نسلاً يبقون

على مرِّ الزمان فانظر كم قُتل من أهل البيت؟ ثم العالم ممتلىء منهم، ولم يبق من بني أُمية في الدنيا أحد يُعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا (عليهم السّلام) والنفس الزكية وأمثالهم؟».

ووجه المناسبة: ان الكافر شمت بالنبي حين مات أحد أولاده وقال: إن محمداً أبتر، فإن مات مات ذكره. فأنزل اللّه هذه السورة على نبيه تسلية له كأنه تعالى يقول: إن كان إبنك قد مات فإنا اعطيناك فاطمة، وهي وإن كانت واحدة وقليلة، ولكن اللّه سيجعل هذا الواحد كثيراً.

وتصديقاً لهذا الكلام ترى في العالم (اليوم) ذرية فاطمة الزهراء ـ الذين هم ذرية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) منتشرين في بقاع العالم، ففي العراق حوالي مليون وفي ايران حوالي ثلاث ملايين، وفي مصر خمس ملايين وفي المغرب الأقصى خمس ملايين وفي الجزائر وتونس وليبيا عدد كثير، وكذلك في الأردن وسوريا ولبنان، والسودان وبلاد الخليج والسعودية ملايين؛ وفي اليمن والهند وباكستان والأفغان وجزر أندونيسيا حوالي عشرين مليوناً.

وقلَّ أن تجد في البلاد الإسلامية بلدة ليس فيها أحد من نسل السيدة فاطمة الزهراء. ويقدَّر مجموعهم بخمسة وثلاثين مليوناً، ولو أجريت إحصائيات دقيقة وصحيحة فلعل العدد يتجاوز هذا المقدار[1].

هؤلاء ذرية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهم من صلب علي وفاطمة وفيهم الملوك والأمراء والوزراء والعلماء والكُتّاب والشخصيات البارزة والعباقرة المرموقة.

---

١ ـ هذا الإحصاء لعام ١٣٦٦ هـ أمّا اليوم فقد تضاعف عددهم الى ما يعلمه اللّه تعالى.

ومنهم مَن يعتزُّ بهذا الانتساب ويفتخر به، ومنهم مَن يهمله ولايبالي به، ومنهم مَن يسير على طريقة أهل البيت، ومنهم مَن يسير على خلاف مذهب أهل البيت.

ومن أعجب العجب أن بعض المسلمين ما كان يعجبهم أن يعترفوا بهذا الانتساب، أي انتساب ذرية علي وفاطمة إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بل يعتبرون هذا الإعتراف كذباً وإفتراءاً، ويحاربون هذه الفكرة محاربة شعواء لاهوادة فيها، وكانوا يسفكون الدماء البريئة لأجل هذه الحقيقة.

أنظر إلى موقف الحَجاج السفَّاك الهتَّاك تجاه هذا الأمر، وهكذا المنصور الدوانيقي، وهرون الرشيد وغيرهم ممن حذا حذوهم وسلك طريقتهم.

عن عامر الشعبي انه قال: بعث إليَّ الحجاج ذات ليلة فخشيت فقمت فتوضأت وأوصيت، ثم دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور والسيف مسلول، فسلَّمت عليه فردَّ عليَّ السلام فقال: لاتخف فقد أمنتك الليلة وغداً إلى الظهر. وأجلسني عنده ثم أشار فأتي برجل مقيَّد بالكبول والأغلال، فوضعوه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول: إنَّ الحسن والحسين كانا إبني رسول اللّه، ليأتيني بحجَّة من القرآن وإلاَّ لأضربنَّ عنقه.

فقلت: يجب أن تحلَّ قيده، فإنَّه إذا احتج فإنَّه لامحالة يذهب وإن لم يحتج فإنَّ السيف لايقطع هذا الحديد.

فحلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك، وقلت: كيف يجد حُجَّةً على ذلك من القرآن؟

فقال الحجاج: إئتني بِحُجَّة من القرآن على ما إدَّعيت وإلاَّ أضرب عنقك.

فقال له: إنتظر.

فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك. فقال: إنتظر. فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك فقال: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، بسم اللّه الرحمن الرحيم ثم قال: «ووهبنا له اسحاق ويعقوب.... إلى قوله: وكذلك نجزى المحسنين» ثم سكت وقال للحجاج: إقرأ ما بعده. فقرأ: (وزكريا ويحيى وعيسى) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى؟

قال: إنَّه كان من ذريته.

قال: إن كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنته فنُسب إليه مع بُعده فالحسن والحسين أولى أن يُنسبا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) مع قربهما منه.

فأمر له بعشرة آلاف دينار، وأمر أن يحملوها إلى داره وأذن له في الرجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب عليَّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلَّم منه معاني القرآن، لأني كنت أظن أني أعرفها، فإذا أنا لأعرفها. فأتيته فإذا هو في المسجد، وتلك الدنانير بين يديه، يفرِّقها عشراً عشراً، ويتصدق بها ثم قال: هذا كله ببركة الحسن والحسين (عليهما السلام) لئن أغممنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا اللّه ورسوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)[1].

أقول: الايات التي أستدل بها سعيد بن جبير (رضوان اللّه عليه) هي: «ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا، ونوحاً هدينا من قبل، ومن ذريّته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين

١ـ بحار الأنوار: ج٤٣.

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين»[١].

ولقد جرى حوار ـ حول هذا الموضوع ـ بين هارون الرشيد والإمام موسى بن جعفر (عليه السّلام):

كما في كتاب عيون أخبار الرضا (عليه السّلام) أن هارون الرشيد قال للإمام موسى بن جعفر (عليه السّلام):

لِمَ جوَّزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ويقولون لكم: يابني رسول اللّه، وأنتم بنو علي، وإنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء والنبي (عليه السّلام) جدّكم من قِبَل أُمّكم؟؟؟

فقال الإمام: لو أن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) نُشر (أي بعث حياً) فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه؟

قال الرشيد: سبحان اللّه! ولِمَ لاأُجيبهُ؟ بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

فقال الإمام: ولكنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لايخطب إليَّ ولاأُزوِّجه.

قال الرشيد: ولِمَ؟

قال الإمام: لأنه ولدني ولم يلدك.

قال الرشيد: أحسنت ياموسى.

ثم قال الرشيد: كيف قلتم إنا ذرية النبي، والنبي (عليه السّلام) لم يعقّب؟ وإنما العقب للذكر، لا للأنثى، وأنتم ولد الإبنة، ولايكون لها عقب؟

١ـ الأنعام: ٨٤ـ ٨٥

فاعتذر الإمام عن الإجابة على هذا السؤال المحرج وطلب من الرشيد إعفاءه عن الجواب رعاية للتقية. فقال الرشيد: لا، أو تخبرني بحجتكم فيه ياولد علي وأنت ياموسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أُنهي إليّ ولست أُعفيك في كل ما أسئلك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب اللّه، فأنتم تدّعون ـ معشر وُلد علي ـ انّه لايسقط عنكم منه شيء ألفٌ ولا واو إلاّ وتأويله عندكم، واحتججتم بقوله (عزّوجلّ): (مافرّطنا في الكتاب من شيء) وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقال الإمام: تأذن لي في الجواب؟

قال الرشيد: هات.

قال الإمام: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، بسم اللّه الرحمن الرحيم ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى. مَن أبو عيسى.

قال الرشيد: ليس لعيسى أب.

قال الإمام: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء (عليهم السّلام) من طريق مريم (عليها السّلام) وكذلك أُلحقنا بذراري النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من قِبَل أُمّنا فاطمة (عليها السّلام)... إلى آخر الحديث[1].

هذه هي الآيات التي إستدلّ بها الأئمة (عليهم السّلام) على إنتسابهم إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسل) عن طريق السيدة فاطمة الزهراء.

وأما الأحاديث التي تصرّح بهذا المعنى فكثيرة جداّ، ونكتفي ـ هنا ـ بما يلي:

١ـ الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١ ص٣١٦.

١ـ عيون أخبار الرضا: ج١ ص٨١ ح٩.

عن ابن عباس قال: كنت أنا وأبي: العباس بن عبدالمطلب جالسين عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذ دخل علي بن أبي طالب فسلَّم، فردَّ عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وبشَّ به، وقام إليه واعتنقه، وقبَّل بين عينيه، وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يارسول اللّه أتحبُّ هذا؟

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ياعمَّ رسول اللّه! واللّهِ أللّهُ أشدُّ حُبّاً له مني، إنَّ اللّه جعل ذريَّة كل نبي في صلبه، وجعل ذريَّتي في صلب هذا.

ورواه الخوارزمي في (المناقب) ص٢٢٩.

٢ـ عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: إنَّ اللّه (عزّوجلّ) جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي.

ورواه محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى).

والجويني في (فرائد السمطين).

والذهبي في (ميزان الاعتدال).

وابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص٧٤.

والمتقي الهندي في (منتخب كنز العمال).

والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية).

والقندوزي في (ينابيع المودة) ص١٨٣.

٣ـ وذكر النسائي في كتاب (خصائص أمير المؤمنين) عن محمد بن أسامة بن زيد، عن أبيه قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): أما أنت ياعلي فختني[1] وأبو وُلدي وأنت مني وأنا منك.

١ـ الخَتَن: الصِهر.

٤ـ وروى أيضاً عن أسامة قال: طرقت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ليلةً لبعض الحاجة، فخرج وهو مشتمل على شيء لاأدري ما هو؟ فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه فإذا هو الحسن والحسين على وركيه، فقال: هذان إبناي، وإبنا بنتي، اللهم إنك تعلم أني أحبُّهما فأحبهما.

والأحاديث التي تصرّح بأنَّ الحسن والحسين (عليهما السّلام) كانا ابني رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كثيرة جداً.

وجاء بعض الجهلاء يتفلسف ليُنكر أبوّة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لولديه: الحسن والحسين (عليهما السّلام) مستدلاً بقوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) فيزعم الجاهل أنَّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ليس بأب لأحد، مع العلم أنَّ الآية نزلت حول نفي نسب زيد الذي تبنّاه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ثم زوَّجه زينب بنت جحش ثم طلَّقها زيد وتزوجها النبي (فلما قضى زيد منها وطراً زوَّجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر اللّه مفعولاً)[1] ففي هذا بيان أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ليس بأب لزيد حتى تحرم عليه زوجته، فإن تحريم زوجة الإبن معلق بثبوت النسب، فمن لانسب له لاحرمة لامرأته، ولهذا اشارت الآية إليهم فقالت: (من رجالكم) وقد وُلد لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أولاد ذكور: إبراهيم والقاسم والطيب والمطهَّر، فكان (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أباهم.

وقد صحَّ وثبت أنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال للحسن (عليه

١ـ الأحزاب:٣٧.

السّلام): إن ابني هذا سيد.

وقال أيضاً: الحسن والحسين ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا. وقال أيضاً: إن كل بني بنت يُنسبون إلى أبيهم إلاَّ أولاد فاطمة فإني أنا أبوهم.

وقيل: أراد بقوله: (من رجالكم) البالغين من رجال ذلك الوقت ولم يكن أحد من أبنائه رجلاً في ذلك الوقت.

وختاماً لهذا الفصل نقول: كل ما تقوله في أبوّة رسول اللّه لأولاده الذكور فهو الثابت في أبوة رسول اللّه لولديه الحسن والحسين، والكلام هناك نفس الكلام هنا.

الطاهرة

لقد مرَّ عليك أن من جملة أسمائها (عليها السّلام) : الطاهرة.

وقد روي عن الإمام محمد الباقر عن آبائه (عليهم السّلام) قال: «إنّما سُمّيت فاطمة بنت محمد: الطاهرة، لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كل رفث وما رأت قط يوماً حُمرةً ولانفاساً»[1].

وأحسن مانبحث فيه حول هذا الموضوع هي آية التطهير، وهي قوله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

إن هذه الآية الكريمة تعتبر في طليعة الآيات ذات الأهمية الكبرى، وذلك لعظم معناها ومغزاها، لأنها منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على أُمور عظيمة.

وقد كثرت الأقوال، وجالت الأقلام حول هذه الآية.

ولعل من الصحيح أن نقول: إن آية التطهير معترك الآراء المتضاربة والأقوال المختلفة، وخاصة حول كلمة: (أهل البيت) والمقصود منهم، ومدى شمول هذه الكلمة.

والأمر الذي لاشك فيه أن آية التطهير تشمل الصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) قطعاً، وباجماع المفسّرين والمحدِّثين من الشيعة والسنَّة. إلاَّ مَن شذَّ وندر.

إذ أن جميع الأحاديث الواردة حول نزول هذه الآية متفقة على

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٩.

شمولها لعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) بالقدر المتيقن.

وإن كان هناك قول يشعر بشمولها لزوجات النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) اعتماداً على ظاهر لفظ (أهل البيت) أو سياق الآية التي سبقتها ولحقتها خطابات لزوجات النبي، فإن جميع الأحاديث تصرّح بأن النبي لم يسمح حتى لزوجته السيدة أم سلمة أن تدخل تحت الكساء قبل نزول آية التطهير.

وقد ذكرنا الشيء اليسير ـ مما يتعلق بالآية ـ في كتاب (علي من المهد إلى اللّحد) ونذكر هنا بعض الأحاديث ومصادرها من كتب علماء العامة، رعايةً لأسلوب الكتاب وتتميماً للفائدة.

وينبغي أن نعلم أن الذين رووا نزول آية التطهير في حق علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) يعسر إحصاؤهم، ولعلهم يتجاوزون المئات.

ولو أردنا إستعراض أقوال المفسرين والمحدّثين حول الآية لطال بنا الكلام، وخرج الكتاب عن أسلوبه، ولكننا نذكر هنا عشرين مصدراً من مشاهير مؤلفات علماء العامة وحفّاظهم ومفسّريهم ومحدّثيهم، وفي ذلك كفاية لكل منصف:

١ـ الخطيب البغدادي في تاريخه (ج١٠) باسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في قوله تعالى:

(إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) قال: جمع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) علياً وفاطمة والحسن والحسين، ثمَّ أدار عليهم الكساء فقال: هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأم سلمة على الباب فقالت: يارسول اللّه ألست منهم؟

فقال: إنك لعلى خير أو: إلى خير.

٢ـ الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ج١ ص١٩٣.

روي عن عائشة (رضي اللّه عنها) أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خرج وعليه مرط مرجّل من شعر أسود موشّى منقوش، فجاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: (إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً).

٣ـ الإمام الرازي في تفسيره ج٢ ص٧٠٠ طبع الاستانة: روي أنه (عليه السّلام) لما خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة ثم علي ثم قال: إنما يريد اللّه... الى آخره.

٤ـ ابن الأثير الجزري في كتابه: (أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٢ ص١٢): عن عمر بن أبي سلمة (ربيب النبي) (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: لما نزلت هذه الآية على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إنما يريد اللّه ـ الآية ـ في بيت أم سلمة فدعى النبي (صلى اللّه عليه وآله) فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساءٍ وعليٌّ خلف ظهره ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت أم سلمة: وأنا معهم يارسول اللّه؟ قال: أنتِ على مكانك أنت في خير.

٥ـ سبط ابن الجوزي في (تذكرة الأئمة ص٢٣٣) عن واثلة بن الأسقع قال: أتيت فاطمة (عليها السّلام) اسألها عن علي فقالت: توجَّهَ إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم). فجلست أنتظره فإذا برسول اللّه قد أقبل ومعه علي والحسن والحسين، قد أخذ بيد كل واحدٍ منهم حتى دخل الحجرة فأجلس الحسن على فخذه اليمنى، والحسين على فخذه اليسرى، وأجلس علياً وفاطمة بين يديه ثم لفَّ عليهم كساه أو ثوبه ثم قرأ: إنما يريد

اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ـ الآية ـ ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً.

٦ـ الإمام الواحدي في كتابه: (أسباب النزول) بسنده إلى أُم سلمة زوج النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ذكرت أن رسول اللّه كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي لي زوجكِ وابنيك.

قالت: فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا، فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة، وهو على دكان[1]. وتحته كساء خيبري.

قالت: وأنا في الحجرة أُصلِّي، فانزل اللّه تعالى إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، قالت: فأخذ فضلَ الكساء فغشّاهم به، ثم أخرج يديه فألوا بهما إلى السماء ثم قال: أللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً. قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: أنا معكم يارسول اللّه؟

قال: آئل إلى خير، آئل إلى خير.

ونقل الترمذي في صحيحه: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان من وقت نزول هذه الاية إلى قريب ستة أشهر إذا خرج إلى الصلاة يمرُّ بباب فاطمة يقول: الصلاة أهل البيت إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس... الاية.

٧ـ ابن الصباغ المالكي في كتابه: (الفصول المهمة ص٧) يروي عن الواحدي قريباً من الحديث الذي مرَّ، وذيّله بقوله: وقال بعضهم في ذلك شعراً:

١ـ الدكان: شيء كالمصطبة يقعد عليه.

إن النبي محمداً ووصيّه وابنيه وابنته البتول الطاهرة
أهل العباء فانني بولائهم أرجو السلامة والنجا في الآخرة

٨ـ أبو بكر السيوطي في كتابه: (الدر المنثور ج٥ ص١٩٨) و(الخصائص الكبرى ج٢ ص٢٦٤) و(الاتقان ج٢ ص٢٠٠) روى هذا الحديث بطرق كثيرة، متعددة الأسانيد تنتهي أسانيدها إلى كل من أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وزيد بن ارقم وابن عباس، والضحاك بن مزاحم، وأبي الحمراء وعمر بن أبي سلمة وغيرهم:

ان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) دعا فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً. لّما نزلت: إنما يريد اللّه، فجلّلهم بكساء وقال: واللّه هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

٩ـ الطبري في (ذخائر العقبى ص٢١): روى عن عمر بن أبي سلمة نزول الآية في الخمسة الطيبة. وروى عن أُم سلمة أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أخذ ثوباً وجلّله فاطمة وعلياً والحسن والحسين وهو معهم، وقرأ هذه الآية: إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. قالت: فجئت أدخل معهم فقال: مكانك إنّك على خير.

وعنها أيضاً: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال لفاطمة: إئتي بزوجك وابنيك. فجائت بهم وأكفأ عليهم كساء مذكياً، ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد. قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقال: إنك على خير.

١٠ـ محمد بن أحمد القرطبي في كتابه: (الجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٨٢) روى نزول الاية في حق أهل البيت (عليهم السّلام).

١١ـ ابن العربي في كتابه: (أحكام القرآن ج٢ ص١٦٦).

١٢ـ ابن عبدالبر الأندلسي في كتابه: (الاستيعاب ج٢ ص٤٦٠).

١٣ـ البيهقي في كتابه: السنن الكبرى ج٢ ص١٤٩).

١٤ـ الحاكم النيسابوري في كتابه: (المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤١٦) روى عن أم سلمة قريباً ممّا تقدَّم.... إلى أن قالت: فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت أم سلمة: يارسول اللّه ما أنا من أهل البيت؟ قال: إنك أهلي إلى خير، وهؤلاء أهل بيتي... الى آخره.

١٥ـ الإمام أحمد بن حنبل في (مسند ج١ ص٣٣١).

١٦ـ النسائي في كتابه: (الخصائص ص٤).

١٧ـ محمد بن جرير الطبري في تفسيره (ج٢٢ ص٥).

١٨ـ الخوارزمي في: (كتاب المناقب ص٣٥).

١٩ـ الهيثمي في: (مجمع الزوائد ٩ ص١٦٦).

٢٠ـ ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة ص٨٥).

إنتخبنا هذا العدد وهذه العدَّة من جماعة كثيرة من المفسرين والمحدِّثين، ولولا الخوف من الملل لأسهبنا في ذكر المصادر، وفي هذا المقدار تبصرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولا أراني بحاجة إلى المزيد من التحدّث حول الموضوع بعد شهادة آية التطهير التي يستفاد منها أن الزهراء طاهرة ـ بجميع معنى الكلمة.

وستأتيك الأحاديث الكثيرة حول كونها بتولاً.

ورعاية لأسلوب الكتاب وبمناسبة اسمها (الطاهرة) نذكر ما تيسَّر:

لقد طهَّرها اللّه عن العادة الشهرية، وعن كل دنس ورجس، وعن كل رذيلة، والرجس: كل ما تستقذره الطباع. ويأمر به الشيطان، ويحق لأجله العذاب، ويشين السمعة، وتقترف به الآثام، وتمجّهُ الفطرة، وتسقط

به المروّة.

وذكر ابن العربي في (الفتوحات المكية باب ٢٩) (ان الرجس فيه عبارة عن كل ما يشين الإنسان» وهذا معنى العصمة التي تعتقد به الشيعة في الأنبياء والأئمة والسيدة فاطمة الزهراء، وهي مرتبة عظيمة، ومنزلة سامية خصّ اللّه بها بعض عباده.

وليس من لوازم العصمة تبليغ الأحكام، فإن كانت العصمة لازمة للنبي والإمام لقيامهما بأعباء التبليغ فليس معنى ذلك أن غيرهما لايتصف بالعصمة.

وقد احتج الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) على عصمة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) بآية التطهير، في حوار جرى بينه وبين أبي بكر، نذكر بعضه كشاهد لما نحن فيه:

قال علي (عليه السّلام) لأبي بكر: يا أبا بكر أتقرأ كتاب اللّه؟ قال: نعم.

قال: أخبرني عن قول اللّه (عزّوجلّ): «إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟

قال: بل فيكم.

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول اللّه بفاحشة ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدّ كما أقيم على نساء المسلمين!!

قال: كنت إذن عند اللّه من الكافرين.

قال: ولِم؟

قال لأنك رددتَ شهادة اللّه لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس

عليها... إلى آخره[١].

ومن لوازم هذه الطهارة عدم التنجس بالموت مع العلم أن كل إنسان مهما بلغ في التقوى والعبادة إذا مات نجس جسمه نجاسة مشدّدة، بحيث يجب الغسل على مَن مسَّ ذلك الميت بعد برده، ولايطهر الميت إلا بالتغسيل، ولكن المعصومين كانوا مطهَّرين في حياتهم وبعد موتهم.

في كتاب وسائل الشيعة عن الحسن بن عبيد قال: كتبت الى الصادق (عليه السّلام): هل إغتسل أمير المؤمنين حين غسَّل رسولَ اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عند موته؟

فأجاب: «النبي طاهر مطهَّر، ولكن فعل أمير المؤمنين وجرت به السُنة[٢].

وسيأتيك المزيد من التفصيل في أواخر هذا الكتاب في باب تغسيلها، إنشاء اللّه.

١ـ البحار: ج٤٣.

٢ـ وسائل الشيعة ج٢ ص٩٢٨، ح٧.

حديث الكساء

وقد روي في كتب الشيعة حول نزول آية التطهير حديث اشتهر بحديث الكساء وهو ـ كما في كتاب عوالم العلوم للشيخ عبدالله البحراني ج١١، وغيره ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري:

عن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) انها قالت: دخل عليَّ أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في بعض الأيام فقال: السلام عليك يافاطمة. فقلت: وعليك السلام. فقال: إني أجد في بدني ضعفاً. فقلت له: أعيذك بالله ياأبتاه من الضعف. فقال: يافاطمة إيتيني بالكساء اليماني وغطّيني به.

قالت فاطمة (عليها السّلام): فأتيته بالكساء اليماني فغطّيته به وصرتُ أنظر إليه وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله.

قالت فاطمة: فما كانت إلاّ ساعة وإذا بولدي الحسن (عليه السّلام) قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه. فقلت: وعليك السلام ياقرة عيني وثمرة فؤادي. فقال لي: ياأُماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) فقلت: نعم ياولدي إن جدك نائم تحت الكساء فأقبل الحسن (عليه السّلام) نحو الكساء وقال: السلام عليك ياجداه، السلام عليك يارسول الله أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء؟ فقال: وعليك السلام ياولدي وصاحب حوضي قد أذنت لك. فدخل معه تحت الكساء.

قالت: فما كانت إلاَّ ساعة وإذا بولدي الحسين (عليه السّلام) قد أقبل وقال: السلام عليك ياأماه. فقلت: وعليك السلام ياقرة عيني وثمرة فؤادي فقال لي: ياأماه إني أشمُّ عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقلت: نعم، إنَّ جدَّك وأخاك تحت الكساء. فدنى الحسين (عليه السّلام) نحو الكساء وقال: السلام عليك ياجدَّاه، السلام عليك يامن اختاره اللّه، أتأذن لي أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): وعليك السلام ياولدي وشافع أمَّتي قد أذنت لك. فدخل معهما تحت الكساء.

قالت فاطمة (عليها السّلام): فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وقال: السلام عليك يابنت رسول اللّه.

فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين.

فقال: يافاطمة إني أشمُّ عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء.

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السّلام) نحو الكساء وقال: السلام عليك يارسول اللّه أتأذن لي أن أكون معكم تحت هذا الكساء؟

قال له: وعليك السلام يا أخي وخليفتي وصاحب لوائي قد أذنت لك. فدخل علي (عليه السّلام) تحت الكساء.

ثم اتيتُ نحو الكساء وقلت: السلام عليك يا أبتاه السلام عليك يارسول اللّه أتأذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء؟

قال: وعليك السلام يا بنتي وبضعتي قد أذنت لكِ. فدخلت معهم تحت الكساء.

فلما اكتملنا جميعاً تحت الكساء أخذ ابي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بِطَرَفَي الكساء وأومىء بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم ان هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي وحامّتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويُحرجني ما يُحرجهم[١] أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالَمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ومحبٌّ لمن أحبّهم، إنّهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليٌّ وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

قال اللّه (عزّوجلّ): ياملائكتي وياسُكّان سماواتي إني ما خلقت سماءً مبنية، ولاأرضاً مدحيَّة، ولاقمراً منيراً، ولاشمساً مضيئة، ولافلكاً يدور، ولابحراً يجري، ولافُلكاً تسري إلاّ في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرئيل: يارب من تحت الكساء؟

فقال اللّه (عزّوجلّ): هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.

فقال جبرئيل: يارب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون لهم سادساً؟

فقال اللّه (عزّوجلّ): قد أذنت لك.

فهبط الأمين جبرئيل فقال: السلام عليك يارسول اللّه! العلي الأعلى يقرؤك السلام، ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي! إني ما خلقت سماءً مبنية، ولاأرضاً مدحيَّة، ولاقمراً منيراً ولاشمساً مضيئة، ولافلكاً يدور، ولابحراً يجري ولافُلكاً تسري إلاّ لأجلكم، وقد

١ـ وفي نسخة: ويحزنني ما يحزنهم.

أذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء، فهل تأذن لي أن أدخل أنت يارسول اللّه؟

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): وعليك السلام ياأمين وحي اللّه قد أذنت لك. فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء فقال: ان اللّه قد أوحى إليك[١] يقول: انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً.

فقال علي بن أبي طالب: يارسول اللّه أخبرني ما لجُلُوسِنا هذا تحت الكساء من الفضل عند اللّه؟

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجيّاً ما ذُكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمعٌ من شيعتنا ومحبّينا إلاّ ونزلت عليهم الرحمة وحفّت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا.

فقال علي (عليه السّلام): إذن ـ واللّه ـ فُزنا وفازت شيعتنا ورب الكعبة.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ثانياً: والذي بعثني بالحق نبيّاً، واصطفاني بالرسالة نجيّاً ما ذُكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمعٌ من شيعتنا ومحبّينا وفيهم مهموم إلاّ وفرّج اللّه همّه، ولامغموم إلاّ وكشف اللّه غمّه، ولاطالب حاجة إلاّ وقضى اللّه حاجته.

فقال علي (عليه السّلام) إذن ـ واللّه ـ فُزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة. انتهى.

الشيعة وحديث الكساء

لقد جرت السيرة عند الشيعة ـ طوال القرون والعصور ـ على تلاوة

١ـ وفي نسخة: فقال لأبي: ان اللّه قد أوحى إليكم يقول...

حديث الكساء في المجالس والمجامع والمحافل، للتبرّك واستجابة الدعاء ونزول الرحمة الإلهية.

وهناك الآثار العجيبة التي ظهرت ببركة تلاوة هذا الحديث الشريف، من شفاء المرضى وقضاء الحوائج ورفع الشدائد والمكاره.

وقد روي حديث الكساء هذا، في المصادر التالية:

١ـ غرر الأخبار للديلمي صاحب كتاب إرشاد القلوب، وهو من علماء القرن الثامن الهجري.

٢ـ المنتَخب للطريحي صاحب كتاب مجمع البحرين.

٣ـ نهج المحجة في فضائل الأئمّة للشيخ علي نقي بن أحمد الاحسائي، وهو من علماء القرن الثاني عشر.

٤ـ عوالم العلوم للشيخ عبداللّه افندي البحراني... فقد رواه بأسانيد عالية متصلة، عن سلسلة من العلماء العظام، فيهم العلاّمة الحلّي والشيخ الطوسي والشيخ المفيد وابن قولويه وعلي بن ابراهيم ـ صاحب التفسير ـ والشيخ الكليني وغيرهم.

كماأفرد بعض العلماء كتباً مستقلّة حول هذا الحديث وشرحه وبيان طُرقه.

الحق
هذا... ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب احقاق للقاضي نور اللّه التستري ج٢ ص٥٥٨.

الشعراء وحديث الكساء

كما كان للشعراء دور كبير في نظم هذا الحديث الشريف وصياغته في قوالب شعرية رائعة، باللغة العربية والفارسية والهندية «الأُردو».

ومنهم السيد الأجل السيد محمد القزويني بن السيد مهدي القزويني

النجفي الحلّي، حيث نظم هذا الحديث الشريف في القصيدة التالية:

رَوت لنا فاطمة خير النساء ... حديث أهل الفضل أصحاب الكسا
تقول : ان سيد الأنام ... قد جاءني يوماً من الأيام
فقال لي: إني أرى في بدني ... ضعفاً أراه اليوم قد أنحلني
قومي عليَّ بالكسا اليماني ... وفيه غطّيني بلاتواني
قالت : فجئته وقد لبّيتُه ... مسرعةً وبالكسا غطّيتُه
وكنت أرنو وجهه كالبدر ... في أربع بعد ليال عشر
فما مضى إلاَّ يسير من زمن ... حتى أتى أبو محمد الحسن
فقال: يا اماه اني أجد ... رائحة طيبة أعتقد
بأنها رائحة النبيّ ... أخ الوصي المرتضى علي
قلت: نعم هاهو ذا تحت الكسا ... مدثّرٌ بِهِ، مغطىً واكتسى
فجاء نحوه ابنه مسلّما ... مستأذناً قال له: ادخل مكرما
فما مضى إلاَّ القليل إلاَّ ... جاء الحسين السبط مستقلا
فقال: يا أُمّ أشمُّ عندكِ ... رائحة كأنها المسك الذكي
وحقّ مَن أولاك منه شرفا ... أظنّها ريح النبي المصطفى
قلت: نعم تحت الكساء هذا ... بجنبه أخوك فيه لاذا
فأقبل السبط له مستأذنا ... مسلّماً قال له : ادخل معنا
وما مضى من ساعة إلاَّ وقد ... جاء أبوهما الغضنفر الأسد
أبو الأئمة الهداة النجبا ... المرتضى رابع أصحاب الكسا
فقال : يا سيدةَ النساء ... ومن بها زُوّجتُ في السماء
إني أشمّ في حماك رائحة ... كأنها الورد النديّ فايحة
يحكى شذاها عَرف سيد البشر ... وخير من لبَّى وطاف واعتمر

قلت: نعم تحت الكساء إلتحَفَا وضمَّ شبليك وفيه اكتنفا
فجاء يستأذن منه سائلا منه الدخول قال: فادخل عاجلا
قالت: فجئت نحوهم مسلّمة قال: ادخلي محبوّة مكرَّمة
فعندما بهم أضاء الموضعُ وكلّهم تحت الكساء اجتمعوا
نادى إله الخلق جل وعلا يُسمع أملاك السموات العلى:
أُقسم بالعزّة والجلال وبارتفاعي فوق كل عالي
ما من سماً رفعتُها مبنيَّة وليس أرض في الثرى مدحيَّة
ولاخلقتُ قمراً منيرا كلاً ولاشمساً أضائت نوراً
وليس بحر في المياه يجري كلاًّ ولافُلك البحار تسري
إلاَّ لأجل من همُ تحت الكسا من لم يكن أمرهم ملتبسا
قال الأمين: قلت: يارب ومن تحت الكسا؟ بحقهم لنا ابِن
فقال لي: هم معدن الرسالة ومهبط التنزيل والجلالة
وقال: هم فاطمة وبعلها والمصطفى والحسنان نسلها
فقلت: يارباه هل تأذن لي أن أهبط الأرض لذاك المنزل
فأغتدي تحت الكساء سادسا كما جُعلتُ خادما وحارسا؟
قال: نعم. فجاءَهم مسلِّما مستأذناً يتلو عليهم إنما
يقول: إنَّ اللّه خصّكم بِها معجزة لمن غدا منتبها
أقراكم ربٌّ العلا سلامه وخصّكم بغاية الكرامة
وهو يقول معلنا ومفهما أملاكه الغر : بما تقدما
قال علي: قلت : ياحبيبي ما لجلوسنا من النصيب؟
قال النبي: والذي اصطفاني وخصَّني بالوحي واجتباني
ما إن جرى ذكرٌ لهذا الخبرِ في محفل الأشياع خير معشر
إلاَّ وأنزل الإله الرحمة وفيهم حفَّت جنود جمَّة

من الملائك الذين صدقوا ... تحرسهم في الدهر ما تفرقوا
كلاًّ وليس فيهمُ مغموم ... إلاَّ وعنه كُشفت هموم
كلاًّ ولا طالب حاجة يرى ... قضاءها عليه قد تعسّرا
إلاَّ قضى اللّهُ الكريم حاجتَه ... وأنزل الرضوان فضلاً ساحته
قال عليٌّ: نحن والأحباب ... أشياعنا الذين قِدماً طابوا
فُزنا بِما نِلنا وربٌّ الكعبة ... فليشكرنَّ كلُ فَردٍ ربَّه
يا عجباً يستأذنُ الأمين ... عليهم ويهجمُ الخئون
قال سُليمٌ : قلتُ : ياسلمان ... هل دخلوا ولم يك استئذانُ
فقال : أي وعزَّة الجبَّار ... ليس على الزهراءِ من خمار
لكنها لاذت وراء البابِ ... رعايةً للستر والحجابِ
فمذ رأوها عَصَروها عصره ... كادت ـ بروحي ـ أن تموت حسرة
تصيح : يا فضةُ أسنديني ... فقد وربي قتلوا جنيني
فأسقطت بنتُ الهدى واحزنا ... جنينها ذاك المسمَّى مُحسنا

الراضية

الرضا بما قدَّر اللّه تعالى لعبده يعتبر من أعلى درجات الإيمان باللّه (عزّوجلّ)، وقد رضيت السيدة فاطمة الزهراء بما قدَّر اللّه لها من مرارة الحياة، وهذا الكتاب كله يحدّثك عن المصائب والنوائب التي انصبّت عليها، منذ نعومة أظفارها إلى أن فارقت الحياة في عنفوان شبابها، وهي في جميع تلك المراحل راضية بما كتب اللّه لها من خوف واضطهاد وحرمان وفقر وأحزان وهموم وغموم ومآسي وآلام، وستجد شيئاً من تلك المكاره التي امتزجت بحياتها تجدها في هذا الكتاب، ويجدرُ بها أن يشملها قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) لأنها راضية بثواب اللّه، راضية عن اللّه بما أعدَّ اللّه لها، راضية بقضاء اللّه في الدنيا حتى رضي اللّه عنها.

الزكية

لقد وردت كلمات في القرآن الكريم مشتقة من التزكية في مواضع عديدة كقوله تعالى: «قد أفلح من زكّاها» وقوله: «أقتلت نفساً زكية» وقوله: «لاهب لك غلاماً زكيا» وقوله «ذلك أزكى لكم وأطهر».

وهذه الكلمة تستعمل في التطهير والنمو، فالآية الاولى معناها: قد أفلح من زكى نفسه بالتطهير من الأخلاق الذميمة، الناشئة من شر البطن والكلام والغضب والحسد والبخل، وحب الجاه وحب الدُّنيا والكبر والعجب.

فالتطهير من هذه الصفات يكون بالتجرد عنها، وبالعمل الصالح الذي هو ضد البخل والكبر، وما شابه ذلك.

ومعنى الآية الثانية: أقتلت نفساً طاهرة لم تصدر منها جناية أو أي عمل يوجب قتلها.

ومعنى الآية الثالثة. أي غلاماً طاهراً من الذنوب، تاماً في أفعال الخير.

والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) زكية بجميع هذه المعاني والمفاهيم، وفي آية التطهير كفاية لإثبات هذه الامور، فهي زكية أي مطهرة من كل رجس، وقد ذكرنا معاني (الرجس) عند البحث عن آية التطهير.

وأما الآية الرابعة التي معناها النمو والزيادة فإنَّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) زكية بذلك المعنى أيضاً، وقد ذكرنا بعض ما يتعلق بهذا الموضوع في معنى كلمة (المباركة).

المرضية

إن درجة المرضيين عند اللّه تعالى درجة عالية، ومنزلة سامية فهناك القليل من عباد اللّه الذين رضي اللّه عنهم فكانوا مرضيين عند اللّه تعالى بسبب اعتدالهم واستقامتهم.

ومن جملة الذين فازوا بتلك المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية هي سيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السّلام) فإن اللّه تعالى قد رضي عنها احسن الرضا، فكانت مرضية عنده لعبادتها وطاعتها، مرضية لزهدها وانفاقها، مرضية لصبرها واستقامتها.

وقد روى الحافظ العسقلاني عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «أتاني جبرئيل فقال: يا محمد إن ربك يحبّ فاطمة فاسجد، فسجدت...» الى آخره[1]

كما روى الذهبي ان جبرئيل نزل على النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ عند ولادة فاطمة ـ فقال له: «... اللّه يقرؤك السلام، ويُقرىء مولودك السّلام»[2].

١ـ لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٢٧٥ طبعة حيدرآباد.

٢ـ ميزان الإعتدال للذهبي ج٢ ص٢٦ طبعة القاهرة.

المحدَّثة

قبل كل شيء ينبغي أن نعلم: هل تتحدَّث الملائكة مع غير النبي؟ وهل يراهم غير النبي؟ أو يسمع أصواتهم؟

للإجابة على هذه الأسئلة نراجع القرآن الكريم للتحقيق عن الجواب الصحيح:

١ـ قال تعالى: «وإذ قالت الملائكة يامريم إن اللّه اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربِّك واسجدي واركعي مع الراكعين»[١].

إن صريح هذه الآية أن الملائكة خاطبت مريم بما مرَّ عليك من كلمات الثناء والأوامر الإلهية.

ولاشك أنها كانت تسمع نداءهم وتفهم خطابهم وإلا فما فائدة هذا الخطاب؟

وقيل: الذي خاطبها هو جبرئيل وحده[٢].

٢ـ قال سبحانه: «واذكر في الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، فاتخذت من دونهم حجاباً، فأرسلنا إليها روحنا فتمثَّل لها بشرا سويا، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا، قال: إنَّما أنا رسول ربِّك لأهب لك غلاماً زكيا، قالت أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيّاً، قال كذلك قال ربك هو عليَّ هيِّن، ولنجعله آية للناس،

١ـآل عمران: ٤١.

٢ـ مجمع البيان في تفسير الآية.

ورحمة منّا وكان أمراً مقضيا»[١].

لقد أجمع المفسِّرون أن المقصود من «روحنا» هو جبرئيل، تمثّل لها بصورة آدمي صحيح، لم ينقص منه شيء فانتصب بين يديها، وجرى بينهما الكلام والحوار.

٣ـ قال سبحانه: «وامرأته قائمة فضحكت، فبشَّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. قالت ياويلتي ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إنّ هذا لشيءٌ عجيب قالوا: أتعجبين من أمر اللّه رحمة اللّه وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد»[٢].

إن هذه الآيات تتعلق بمجيء الملائكة إلى دار إبراهيم الخليل (عليه السّلام) لتبشِّره بالولد، وكانت زوجته سارة تخدم وتحمل الطعام إليهم ظناً منها أنهم ضيوف.

وهذه الآيات صريحة بأن سارة قد تكلَّمت مع الملائكة، وخاطبتها الملائكة بما مرَّ عليك من الآيات.

٤ـ قال (عزّوجلّ): «وأوحينا إلى أُمِّ موسى أن أرضعيه، فإذا خفتِ عليه فالقيه في اليم»[٣].

وقد ذكر المفسرون معنى (أوحينا) أي ألهمنا، وقذفنا في قلبها، وعلى قول: انها نُوديت بهذا الخطاب.

وقد ذكر المنّاوي في شرح الجامع الصغير ج٢ ص٢٧٠ عن القرطبي قال: (محدَّثون) بفتح الدال إسم مفعول، جمع محدَّث أي مُلهَم، أو صادق الظن وهو مَن اُلقي في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من

١ـ مريم: ١٦ ـ ٢١.

٢ـ هود: ٧٠ ـ ٧٣.

٣ـ القصص: ٧.

الملأ الأعلى، أو مَن يجري الصواب على لسانه بلاقصد، أو تكلّمه الملائكة بلانبوة، أو من إذا رأى رأياً أو ظنَّ ظنّاً أصاب، كأنّه حُدِّث به وألقي في روعه من عالم الملكوت، فيظهر على نحو ما وقع له، وهذه كرامة يكرم اللّه بها من يشاء من صالحي عباده، وهذه منزلة جليلة من منازل الأولياء».

أقول: بعد هذه المقدمات سوف لايصعب عليك أن تعرف أن السيدة فاطمة الزهراء كانت محدَّثة، إذ ليست سيدة نساء العالمين وبنت سيد الأنبياء والمرسلين بأقلَّ شأناً من مريم بنت عمران أو سارة زوجة ابراهيم أو أم موسى، وليس معنى ذلك أن مريم أو سارة أو أمُّ موسى كُنَّ من الأنبياء، وهكذا ليس معنى ذلك أن السيدة فاطمة الزهراء كانت نبيَّة.

وقد روى الشيخ الصدوق في (علل الشرائع) عن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبداللّه (الصادق) يقول إنَّما سمِّيت فاطمة محدَّثة (بفتح الدال) لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول الملائكة: يافاطمة إن اللّه اصطفاك وطهَّرك واصطفاك على نساء العالمين[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السّلام) لأبي بصير....: وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، واللّه ما فيه من قرآنكم حرف واحد وإنما هو شيء أملاه اللّه عليها وأوحى إليها... الى آخر الحديث[2].

إن هذا الحديث يكشف لنا أموراً قد تحتاج إلى بحث وتحقيق، فقول الإمام (عليه السّلام): «فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات» يريد بذلك حجم

١ـ علل الشرائع: ص١٨٢ باب١٤٦ ح١.

٢ـ الكافي: ج١ ص٢٣٨ ح١.

المصحف، وكمية المواد الموجودة فيه، وحيث أن القرآن كتاب معروف ومشهور عند جميع المسلمين في كل زمان وكل مكان من حيث الحجم والسُوَر والآيات والكمية.

لهذا جعل الإمام (عليه السّلام) القرآن مقياساً وميزاناً يقيس عليه مصحف فاطمة (عليها السّلام) من حيث الحجم وكمية المواد.

فمثلاً : لو أن قرآناً طبع بحروف متوسطة، وصفحات حجمها متوسط، فلنفرض أن عدد تلك الصفحات تبلغ خمسمائة صفحة فلو طبعنا مصحف فاطمة (عليها السّلام) بنفس تلك الحروف ونفس حجم تلك الصفحات لبلغ عدد صفحات مصحف فاطمة (عليها السّلام) ألفاً وخمسمائة صفحة، أي ثلاثة أضعاف صفحات القرآن، وهذا معنى كلام الإمام (عليه السّلام): (فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات) وليس معناه أن القرآن الموجود بين أيدينا ناقص، وأن مصحف فاطمة مكمِّل له.

كلاًّ وألف كلاًّ.

وليس معناه أن اللّه أنزل على السيدة فاطمة (عليها السّلام) قرآناً.

وكُلُّ من ادَّعى غير هذا فهو إمَّا جاهل أو معاند مفتر كذاب.

وأما كلمة: المصحف وإن كان هذا الاسم يستعمل في زماننا هذا إسماً للقرآن ولكنه في اللغة يستعمل في الكتب.

قال الرازي في مختار الصحاح: (والمصحف ـ بضم الميم وكسرها ـ وأصله الضم، لأنه مأخوذ من (اصحف) أي جُمعت فيه الصحف.

وفي المنجد: المَصحف، والمُصحف جمعه مصاحف: ما جُمع من الصحف بين دفَّتي الكتاب المشدود.

وفي صراح اللغة: ـ

مصحف ـ بالكسر والضم ـ كرّاسه.

قال الفرّاء: وقد استثقلت العرب الضمة في حروف فكسروا ميمها، واصلها الضم من ذلك مصحف ومخدع ومطرف... لأنها في المعنى مأخوذة من أصحف أي جمعت فيه الصحف.

وفي المصباح المنير: ـ والصحيفة قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه... والجمع صُحُف بضمتين وصحائف... والمصحف بضم الميم أشهر من كسرها.

وفي أقرب الموارد: ـ المُصحف اسم مفعول... وحقيقتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بين دفتي الكتاب المشدود... وفيه لغتان اخريان وهما المِصحف والمَصحف جمعه مصاحف.

وفي لسان العرب : ـ

المُصحف والمِصحف الجامع للصُّحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحِف، والكسر والفتح فيه لغة.

أيّها القارىء الكريم: إليك الآن هذا الحديث الشريف الذي يتحدث فيه الإمام الصادق (عليه السّلام) عن معنى المحدَّثة و«مصحف فاطمة»:...

في بحار الأنوار ج٤٣: ... وسأله بعض أصحابه عن مصحف فاطمة.

فسكت الإمام طويلاً، ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لاتريدون!

إن فاطمة مكثت بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خمسة وسبعين يوماً، وكان دَخَلَها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها على أبيها، ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه

ويخبرها بما يكون بعدها، وكان علي (عليه السّلام) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة.

والحسين بن أبي العلا يروي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قوله: ... ومصحف فاطمة، ما ازعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولانحتاج إلى أحد، حتى أن فيه الجلد بالجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة وارش الخدش... الى آخره.

وفي حديث آخر قال (عليه السّلام): وأما مصحف فاطمة (عليها السّلام) ففيه ما يكون من حادث، وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة.

بقي الكلام حول جملة (أوحى إليها) فالمستفاد من القرآن أن الوحي من اللّه لايختص بالأنبياء، بل يوحي اللّه تعالى إلى غير الأنبياء أيضاً، إستمع إلى هذه الايات البيّنات:

١ـ «فقضيهن سبع سموات في يومين وأوحى إلى كل سماء أمرها»[١].

٢ـ «وإذ أوحيت إلى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي»[٢].

٣ـ «إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أني معكم فثبّتوا الذين آمنوا»[٣].

٤ـ «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً»[٤].

٥ـ «وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه»[٥].

٦ـ «إذ أوحينا إلى أُمّك مايوحى»[٦].

هذه بعض الآيات التي تصرّح بأن الوحي لايختص بالأنبياء، بل لايختص بالبشر، فلقد أوحى اللّه تعالى إلى كل سماء، وأوحى إلى الحواريين وإلى الملائكة وإلى النحل وإلى أمّ موسى، فلايصعب عليك أن تقبل بأنَّ اللّه تعالى أوحى إلى سيدة نساء العالمين وبنت سيد الأنبياء

١ـ فصلت ١٢.
٢ـ المائدة ١١١.
٣ـ الأنفال ١٢.
٤ـ النحل ٦٨
٥ـ القصص ٧
٦ـ طه ٣٩.

والمرسلين فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وكلما تقول في تفسير الوحي إلى أم موسى قُل في تفسير الوحي إلى فاطمة الزهراء.

وختاماً لهذا البحث نقول: ان مصحف السيدة فاطمة الزهراء كتاب ضخم، يحتوي على جميع الأحكام الشرعية بالتفصيل، ويستوعب قانون العقوبات في الإسلام، حتى بعض المخالفات التي عقوبتها جلدة واحدة أو نصف الجلدة أو ربع الجلدة، بل وحتى غرامة من خدش جسم أحد من الناس خدشة واحدة.

وفيه أسماء ملوك العالم الذين حكموا البلاد من ذلك اليوم وسيحكمون إلى قيام القيامة، كل ذلك كان في علم اللّه الذي هو بكل خلق عليم وبكل شيء خبير بصير محيط.

وفيه ذكر الحوادث المهمة من الملاحم والمجازر التي تحدث في الكون وغير ذلك من القضايا المهمّة.

وليس فيه شيء من القرآن كما هو صريح الحديث.

ولقد أطلنا البحث والكلام حول هذا الموضوع لأن بعض أصحاب النفوس المريضة والقلوب السقيمة اعتبروا هذا الحديث مرتعاً خصباً للتهريج والتشنيع ضد الشيعة والتشيُّع، كأنهم لم يقرئوا هذه الآيات أو لم يفهموها أو تناسوها فهاجموا الشيعة مهاجمة شعواء فقالوا ما قالوا، وحسابهم على اللّه يوم فصل القضاء.

الزهراء

عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «.... فخلق اللّه نور فاطمة الزهراء ـ يومئذٍ ـ كالقنديل، وعلّقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سُمّيت فاطمة: الزهراء»[1].

وعن ابن عباس قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم):

«وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسية متى قامت في محرابها بين يدي ربها (جل جلاله) زهر نورها لملائكة السموات كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض[2].

وبهذين الحديثين اتضح لنا سبب تسميتها (عليها السّلام) بالزهراء، وهناك أحاديث أخرى بهذا المضمون، وانها كانت تتمتع بوجه مشرق مستنير زاهر، وفيما ذكرناه كفاية.

ولسيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السّلام) أسماء غير التي مرّت عليك، وكل إسم يدلّ على فضيلة ومزية إمتازت بها السيدة الزهراء، منها: البتول، العذراء، الحانية (من الحُنوّ) بسبب كثرة شفقتها وعطفها على أولادها.

وكنيتها: أم أبيها، وهي من أفضل كناها.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧.

٢ـ أمالي الصدوق/بحار الأنوار ج٤٣.

البتول

إعلم أنَّ اللّه تعالى قد جعل في مخلوقاته - من الجماد والنبات والحيوان والإنسان - قوانين وسُنَن، وجعل تلك المخلوقات خاضعة لتلك القوانين، فالنار طبيعتها الإحراق وهذه سُنَّة اللّه في النار.

والنبات يحتاج إلى زمان محدود ومكان معيّن بشروط خاصة حتى ينمو ويكبر ويثمر.

أنظر إلى الحبة التي تزرع، والعوامل التي تساعدها على أن تنبت من الأرض، والزمان المعيَّن لنُموِّها!.. وهذه سُنَّة اللّه في النباتات.

وكذلك الحيوانات جعلها اللّه خاضعة لقوانين خاصة في أحجامها وألوانها وغير ذلك.

والإنسان كذلك خاضع لقوانين كونيّة، وطبائع جسميّة ونفسية وروحيّة، ولكن اللّه تعالى جعل أولياءه فوق تلك القوانين والسنن في ظروف خاصة لحكمته البالغة.

وبعبارة أخرى: جعل اللّه تلك القوانين هي الخاضعة لأوليائه بإذنه.

أنظر إلى النار المحرقة، التي تحرق كل ما أصابته، ولكن اللّه تعالى جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم الخليل (عليه السّلام).

وكذلك أنبت اللّه على نبيه يونس (عليه السّلام) شجرة من يقطين، بعد أن نبذه الحوت بالعراء وهو سقيم، مع العلم أن حبَّة اليقطين تحتاج إلى مدة غير قصيرة، حتى تنبت وتورق وتستر بِورَقها جسم إنسان أو غير إنسان، وهكذا جعل اللّه النبات خاضعاً لوليِّه يونس (عليه السّلام).

والتناسل لايمكن إلاَّ بالتلقيح، وإنتقال نطفة الرجُل إلى رحم المرأة، وتطوُّر النطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام إلى خلق آخر، وإلى أن يكمل الجنين خلال ستة أشهر على أقل التقادير، أو تسعة أشهر كما هو الغالب.

هذه سُنَّة اللّه في قانون التناسل بين البشر، ولكن هذه السُنَّة وهذا القانون كان خاضعاً لمريم إذ حملت بعيسى (عليه السّلام)، ولم يمسسها بشر، وحملت بولدها فانتبذت به مكاناً قصيّاً، فأجاء المخاض إلى جذع النخلة، فوضعت بعيسى، كل ذلك خلال تسع ساعات أو ست ساعات فقط[1].

وعلى هذا الغرار كانت المعجزات تصدر عن الأنبياء والأوصياء عن طريق خرق العادة والطبيعة.

هذا والأمثلة كثيرة جدّاً، تجد في القرآن الكريم طائفة كبيرة من القصص التي تحدَّى فيها الأنبياء والأوصياء قانون الطبيعة، كهبوط آدم من الجنة إلى الأرض، وفوران التنور بالماء في قصة نوح (عليه السّلام) وحمل سارة باسحاق (عليه السّلام) بعد أن كانت عجوزاً عقيماً، وإنقلاب العصا حيَّة تسعى في قصة موسى (عليه السّلام) وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في قصة عيسى (عليه السّلام)، وقصّة الإسراء والمعراج في قصّة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وغير ذلك من القضايا الخارقة للعادة والطبيعة.

وقد ذكرت هذه الجملات كمقدمة تمهيدية لما يلي:

إن العادة الشهرية التي تراها المرأة في كل شهر منذ بلوغها حدّ الأنوثة إلى الخمسين أو الستين من العمر ما هي إلاَّ دم فاسد، قد تخزَّن في

١ـ (مجمع البيان) سورة مريم. ج٦/٥١١.

الأوعية والأجهزة التي جعلها اللّه في جسم المرأة ليكون ذلك الدم غذاءً للجنين، فإذا لم يكن جنين في الرحم سال الدم إلى الخارج، وربما إنقلب إلى اللبن إذا كانت المرأة مرضعة.

قال تعالى: «ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً» أي إن دم الحيض مادة ضارّة، مؤذية في جسم المرأة، فلابدّ من خروجها لتنجو المرأة من أمراض وأعراض.

وفي فترة العادة الشهرية تحدث حوادث جسميَّة وروحيَّة للمرأة تغيِّر ملامحها، ولون وجهها، بل وأخلاقها ونفسيَّتها ومن الممكن معرفة الحائض من ملامح وجهها وعينيها، بل من نظراتها وحركاتها، وهذا النزيف لايشبه النزيف الطبيعي العادي الذي يصاب به الإنسان، بل يختلف عن ذلك إختلافاً كثيراً.

إن العادة الشهرية حينما تحدث للمرأة تشعر بشيء من الإنفعال والخجل والإنكسار وإن كان الامر خارجاً عن إرادتها وإختيارها، ولكنها تتألم بهذا الحادث الذي لايحسن التصريح به لكل أحد، وخاصة للرجال، والنزيف وحالة الإنفعال تُوجِد في المرأة ضعفاً وإنكساراً في جسمها وروحها.

ولهذا سقط عنها حكم الصلاة والصوم خلال فترة العادة، وحرَّم اللّه عليها اللّبث في المساجد ودخول المسجد الحرام والمسجد النبوي وقراءة سُوَر العزائم الأربع وهي السُوَر التي فيها آيات السجدة الواجبة، وغير ذلك مما مذكور في الكتب الفقهيّة.

ونفس هذه الأحكام تجري في أيام النفاس لنفس الأسباب التي مرَّ ذكرها.

ولكن اللّه تعالى كره لسيدة النساء فاطمة الزهراء أن تتلوّث بهذه

القذارة الماديّة والمعنوية، فأذهب اللّه عنها الرجس وطهَّرها تطهيراً.

وهاك طائفة من الأحاديث الصحيحة التي تصرّح بهذا المعنى:

١ـ روى القندوزي في ينابيع المودة ص٢٦٠ عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إنما سمِّيت فاطمةُ: البتولَ لأنها تبتَّلت من الحيض والنفاس.

٢ـ روى محمد صالح الكشفي الحنفي في (المناقب) ص١١٩ عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: وسُمِّيت فاطمة بتولاً لأنها تبتلت وتقطَّعت عمّا هو معتاد العورات في كل شهر.

٣ـ روى الأمرتسري في (أرجح المطالب) ص٢٤١: أن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) سُئل عن بتول وقيل: إنَّا سمعناك ـ يارسول اللّه ـ تقول: مريم بتول وفاطمة بتول؟

فقال: البتول التي لم ترَ حمرة قط، أي لم تحض، فان الحيض مكروه في بنات الأنبياء. أخرجه الحاكم.

٤ـ وروى الحافظ أبو بكر الشافعي في (تاريخ بغداد ج١٣ ـ ص٣٣١) عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إبنتي حوراء آدميَّة لم تحض ولم تطمث... الى آخره ورواه النسّائي أيضاً.

٥ـ وروى ابن عساكر (في التاريخ الكبير ج١ ص٣٩١) عن أنس بن مالك عن أم سليم قالت: لم تر فاطمة (رضي اللّه عنها) دماً في حيض ولا في نفاس.

٦ـ الحافظ السيوطي: ومن خصائص فاطمة (رضي اللّه عنها) أنها كانت لاتحيض.

٧ـ وروى الرافعي في التدوين عن أم سلمة (رض) قالت: ما رأت فاطمة (رضي اللّه عنها) في نفاسها دماً ولاحيضاً.

٨ـ روى الطبري في (ذخائر العقبى) عن أسماء بنت عُميس قالت: قبلت (أي ولَّدت) فاطمة بالحسن فلم أر لها دماً في حيض ولانفاس، فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «أما علمتِ أن إبنتي طاهرة مطهرة، لايُرى لها دمٌ في طمث ولا ولادة؟»

ورواه الصفوري في (نزهة المجالس) ص٢٢٧.

٩- عن أبي بصيرعن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: حرَّم اللّه (عزّوجلّ) على عليّ النساءَ ما دامت فاطمة حيَّة (في قيد الحياة).

قلت: وكيف؟

قال: لأنها طاهرة لاتحيض.

قال شيخنا المجلسي: هذا التعليل يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون المراد أنها لما كانت لاتحيض حتى يكون له عذر في مباشرة غيرها فلذا حرَّم اللّه عليه غيرها رعاية لحرمتها.

الثاني: أن جلالتها منعت من ذلك، وعبَّر عن ذلك ببعض ما يلزمه من الصفات التي اختصت بها.

أقول: ونزاهة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) عن هذه الدماء تُعتبر من مصاديق آية التطهير التي تُصرِّح بإذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم تطهيراً.

العذراء

لقد مرَّ عليك أن من جملة أسمائها: العذراء أي أنها كانت عذراء دائماً، وقد مرَّت عليك أحاديث كثيرة تصرِّح بأنَّ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) خُلقت من طعام الجنَّة، وصرَّح النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بأنها حوراء إنسية، وليس في هذا التعبير شيء من المجاز أو الغلوّ، بل هي الحقيقة والحق.

ونجد إلى جانب تلك الأحاديث قوله تعالى: (إنَّا أنشأناهن إنشاءً فجعلناها أبكاراً) ومعنى ذلك أنَّ الحور العين أبكار دائماً.

وفي مجمع البيان في تفسير الآية: لايأتيهن أزواجهن إلاَّ وجدوهن أبكاراً.

وإليك هذا الحديث الذي يفسِّر الموضوع تفسيراً كاملاً.

فقد سأل رجل من الامام الصادق (عليه السّلام) ـ في ضمن مسائل ـ قال: فكيف تكون الحوراء - فيكل ما أتاها زوجها ـ عذراء؟

قال: لأنها خلقت من الطيب، لايعتريها عاهة ولاتخالط جسمها آفة... ولايدنّسها حيض، فالرحم ملتزقة... الى آخره[1].

١ـ البرّهان في تفسير القرآن ج٤/٢٨١.

حياتها ونشأتها

لقد فتحت السيدة فاطمة الزهراء عينها في وجه الحياة، وفي وجه أبيها الرسول ترتضع من أمّها السيدة خديجة اللبن المزيج بالفضائل والكمال.

وكانت تنمو في بيت الوحي نموّاً متزايداً، وتنبت في مهبط الرسالة نباتاً حسناً، يزقّها أبوها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) العلوم الالهية، ويفيض عليها المعارف الربانية، ويعلمها أحسن دروس التوحيد، وأرقى علوم الإيمان وأجمل حقائق الإسلام.

ويربّيها أفضل تربية وأحسنها، إذ وجد الرسول في إبنته المثالية كامل الاستعداد لقبول العلوم ووعيها، ووجد في نفسها الشريفة الطيبة كل الروحانية والنورانية، والتهيؤ لصعود مدارج الكمال.

إلى جانب هذا شاءت الحكمة الإلهية للسيدة فاطمة الزهراء أن تكون حياتها ممزوجة بالمكاره، مشفوعة بالآلام والمآسي منذ صغر سنّها، فانها فتحت عينها في وجه الحياة وإذا بها ترى أباها خائفاً، يحاربه الأقربون والأبعدون ويناوؤه الكفّار والمشركون.

فربما حضرت فاطمة في المسجد الحرام فرأت أباها جالساً في حِجر إسماعيل (عليه السّلام) يتلو القرآن، وترى بعض المشركين يوصلون إليه أنواع الأذى، ويحاربونه محاربة نفسية.

وحضرت يوماً فنظرت إلى بعض المشركين وهو يُفرغ سلا الناقة[1]

١ـ هو الكيس الذي يتكوّن فيه الجنين.

على ظهر أبيها الرسول وهو ساجد.

كانت الزهراءتشاهدذلك المنظرالمؤلم،وتمسح ذلك عن ظهرأبيها وثيابه، وترمي القوم بكلمات التحقيروالاهانةوهم يضحكون منها،شأن السفلةالأوباش

وعن إبن عباس: إن قريشاً إجتمعوا في الحِجر، فتعاقدوا باللات والعزّى ومناة: لو رأينا محمداً لقُمنا مقام رجل واحد، ولنقتلنَّه. فدخلت فاطمة (عليها السّلام) على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) باكية، وحكت مقالهم... الى آخر كلامه.

واشتدت الأزمة وزادت المحنة حتى اضطر الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يختفي في شعب أبي طالب، ورافقته عائلته، وآل أبي طالب إلى ذلك المكان، وكانوا يعيشون في جوٍّ من الإرهاب والإرعاب، ففي كل ليلة يتوقعون هجوم المشركين عليهم، وخاصة بعد أن كتب المشركون الصحيفة القاطعة، وحاصروا بني هاشم حصاراً إقتصادياً فلايَدَعونهم يبيعون ولايشترون شيئاً حتى المواد الغذائية، بل ومنعوا إيصال الطعام إليهم، فاستولى الجوع عليهم، وأثَّر في الأطفال أكثر وأكثر، فلاعجب إذا كانت أصوات بكاء الأطفال تصل إلى مسامع أهل مكة، فبين شامت بهم مسرور، وبين متألِّم حزين.

وطالت المدة ثلاث سنين وشهوراً، وكانت السيدة فاطمة من الذين شملتهم هذه المأساة.

وهذه المآسي أيقظت في السيدة فاطمة روح الجهاد والاستقامة والمثابرة، وكأنها كانت فترة التمرين والتدريب للمستقبل القريب.

ومما كان يهوِّن الخطب، ويجبر خاطر السيدة فاطمة الزهراء ويقرّ عينها أنها كانت ترى البطل الشهم أبا طالب يقف ذلك الموقف المشرِّف في نصرة أبيها الرسول فكان تارة يحمل سيفه ويرافقه أخوه حمزة ويمشيان

خلف الرسول نحو المسجد الحرام ليعلن مؤازرته ومناصرته للرسول، وكأنهما جنديان مسلَّحان في حالة الإنذار، وربما انضمَّ إلى أبي طالب بعض عبيده ومواليه يمشون خلف الرسول وكأنهم مفرزة عسكرية أو سريَّة جيش.

وتارة أخرى كان يُصرِّح بتجاوبه وانحيازه إلى الرسول، فكان يعلن إسلامه إظهاراً للحقيقة، فينظم القصائد التي كان لها أحسن أثر في ذلك اليوم في دعم الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)، ومنها:

ما رواه الطبري باسناده أن رؤساء قريش لما رأوا دفاع أبي طالب عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) اجتمعوا إليه، وقالوا: جئناك بِفَتى قريش جمالاً وجوداً وشهامة: عمارة بن الوليد، ندفعه إليك وتدفع إلينا ابن أخيك الذي فرّق جماعتنا، وسفَّه أحلامنا فنقتله!!

فقال أبو طالب: ما أنصفتموني! تعطوني إبنكم فاغذوه، وأعطيكم إبني فتقتلونه؟ بل، فليأت كل امرىء منكم بولده فأقتله، وقال:

منعنا الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروق
أذود وأحمي رسولَ المليك حماية حام عليه شفيق

وأقواله وأشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة لاتحصى فمن ذلك قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطَّ في أول الكتب؟
أليس أبونا هاشم شدَّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالحرب؟

وقوله من قصيدة:

وقالوا لأحمد : أنت امرؤ خَلوف اللسان ضعيف السبب
ألا : إن أحمد قد جاءهم بحق، ولم يأتهم بالكذب

وقوله في حديث الصحيفة، وهو من معجزات النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم):

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبَّر غائب القوم يعجبِ
محا اللّه منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معربِ
وأمسى ابن عبداللّه فينا مصدّقاً على سخط من قومنا غير معتب

وقوله من قصيدة يحضّ أخاه حمزة على إتباع النبي والصبر في طاعته:

صبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مُظهراً للدين وُفّقتَ صابرا
فقد سرَّني إذ قلت أنك مؤمن فكن لرسول اللّه في اللّه ناصرا

وقوله يحض النجاشي (ملك الحبشة) على نصر النبي:

تعلَّم[1] مليكَ الحبش أن محمداً نبي كموسى والمسيح بن مريم
أتى بهدىً مثل الذي أتيا به وكلٌ بأمر اللّه يهدي ويعصم
وإنكُمُ تتلونه في كتابكم بصدق حديث،لاحديث المرجّم
فلا تجعلوا للّه نداً، وأسلموا وإن طريق الحق ليس بمظلم

وقال أيضاً:

لقد أكرم اللّه النبي محمداً فأكرم خلق اللّه في الناس أحمدُ
وشقَّ له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود،وهذا محمد[2]

وقال أيضاً:

كذبتم وبيتِ اللّه نبزي محمداً ولما نطاعن دونه ونناضلِ
ونُسلمه حتى نُصرَّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاَّك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل

١ـ تعلّم أي إعلم.

٢ـ وقد ضمّن حسان بن ثابت هذا البيت في قصيدته في مدح الرسول.

ألـم تعلموا أن إبننا لامكذَّب لدينا، ولا نعبأ بقول الأباطـل
فأيَّـده ربّ العبـاد بنـصـره وأظهـر ديناً حقه غيـر باطـل
أقيمُ على نصـر النبي محمد أقـاتـل عنه بالقنـا والقنـابـل[1]

إلى غير ذلك من مواقفه وتصريحاته ومساندته للرسول الأكرم (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)ولولا إيمانه باللّه واعتقاده بالإسلام لما وقف تلك المواقف، ولما غامر بنفسه وبأولاده في سبيل نصرة النبي وتقوية دينه.

ولم يكن ذلك التفادي والمخاطرة بدافع القرابة، فلقد كان للرسول ثمانية أعمام (غير أبي طالب) فلماذا لم يسجِّل التاريخ لهم تلك المواقف المشرّفة؟.

بل سجل التاريخ عن بعض أعمام النبي مواقف مخزية كمواقف عمّه أبي لهب.

١ـ القنابل: جمع قنبلة ـ الطائفة من الناس أو الخيل ـ وفي الاصطلاح الحديث هي القذيفة المحشوة بمواد متفجرة أو حارقة.

وفاة السيدة خديجة الكبرى

كانت الأعوام تمرّ، والسنوات تنقضي، وحياة الزهراء مشفوعة بالحوادث والمآسي، وقد بلغت السابعة من عمرها أو قاربت الثامنة وإذا بفاجعة تطلّ على حياتها، وتخيّم الهموم وتتراكم الأحزان على قلبها، وهي وفاة أمها السيدة خديجة، تلك الأم البارّة الحنون التي كانت تنظر إلى ابنتها الصغيرة فاطمة العزيزة نظرة حزن وتألم وتأثر لأنها تعلم أن الزهراء ستفجع بأمها العطوفة الرؤفة.

كانت السيدة خديجة طريحة الفراش، وقد خيّم عليها شبح الموت، فدخل عليها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهي تعالج سكرات الموت فقال لها: بالرغم منّا ما نرى بك ياخديجة، فإذا قدمت على ضرائرك فاقرئيهن السلام!

قالت: من هُنَّ يارسول اللّه؟

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون. فقالت: بالرفاء يارسول اللّه[1].

وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: أُمرت أن أبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه ولانصب[2].

قال ابن الأثير في (النهاية): القصب ـ في هذا الحديث ـ : لؤلؤ

١ـ البحار ج١٩/٢٤ عن من لايحضره الفقيه.

٢ـ مسند أحمد.

مجوّف واسع كالقصر المنيف. والصخب: الضجة واضطراب الأصوات للخصام.

كانت السيدة خديجة تتأوه وتبكي فقالت لها أسماء بنت عميس: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين؟ وأنت زوجة النبي؟ مبشّرة على لسانه بالجنة؟!

فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لابدّ لها من امرأة تفضي إليها بسرّها وتستعين بها على حوائجها، وفاطمة حديثة عهد بصبا، وأخاف أن لايكون لها من يتولى أمرها حينئذ!

فقالت أسماء: ياسيدتي لك عهد اللّه إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الأمر... الى آخر الخبر.

وفارقت السيدة خديجة الحياة، وعمرها ثلاث وستون سنة (على قول) فكانت وفاتها ضربة مؤلمة على قلب الرسول، وخاصة وأن النبي قد فجع بعمّه أبي طالب بعد أيام أو شهور من وفاة السيدة خديجة فازداد حزناً، حتى سمّى تلك السنة (عام الحزن) لأنه أصيب بمصيبتين عظيمتين على قلبه البار:

مصيبة زوجته خديجة، لا لأنها زوجته فقط، بل لأنها أول من صدّقته بالنبوة، ولأنها كانت زوجة ومعاضدة ومساعدة ومحامية لزوجها، لأنها وهبت الآلاف المؤلفة من أموالها في سبيل الإسلام، لأنها كانت تحمل شخصية فريدة من نوعها في مكة، بل في نساء العرب.

ودُفنت في الحَجون، فنزل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في قبرها. وكانت السيدة فاطمة (عليها السّلام) تلوذ برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وتدور حوله وتسأله: يارسول اللّه أين أمي؟ فجعل النبي لايجيبها، وهي تدور على من تسئله، فهبط عليه جبرئيل فقال: إن ربك

يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وأعمدته من ياقوت أحمر، بين آسية إمرأة فرعون ومريم بنت عمران.

فقالت فاطمة: إن اللّه هو السلام ومنه السلام، وإليه يعود السلام.

والمصيبة الأخرى مصيبة عمّه أبي طالب الذي كفل النبي من يوم وفاة جدّه عبدالمطلب، وهو ابن ثمان سنوات، واستمرت الكفالة حتى بلغ النبي من العمر ثلاثاً وخمسين سنة، وهي السنة التي مات فيها أبو طالب.

ولأبي طالب حقوق وخدمات ومواقف تجاه النبي طيلة هذه السنوات تعتبر في قمة فضائله وفواضله، ولولاه لمات الدين الإسلامي وهو في المهد:

ولولا أبو طالب وابنه ... لَمَا مَثُل الدين شخصاً فقاما
فهذا بمكة آوى وحاما ... وهذا بيثرت جسّ الحِماما
وللّه ذا فاتحاً للهدى ... وللّه ذا للمعالي ختاما

وكان لهاتين الفاجعتين أكبر الأثر في حياة الرسول وتغيير مجراها، فلولا موت أبي طالب لما هاجر من مكة، لأنّه حينذاك شعر بفقدان الناصر والكفيل والمحامي ولم يكن في أعمامه مَن يقوم مقام أبي طالب حتى عمّه حمزة يومذاك.

وقد رثاه ابنه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) بأبيات:

أبا طالب عصمة المستجير ... وغيث المحول ونور الظُّلَم
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ ... فصلّى عليك وليُّ النعم
ولقّاك ربك رضوانه ... فقدكنت للطهر من خير عم[1]

١ـ كتاب الكنى والألقاب للقمي.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) والهجرة

ولما أصيب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بوفاة السيدة خديجة وعمّه أبي طالب عزم على الهجرة من مكة، وأمر عليّاً أن يبيت على فراشه تلك الليلة، وسُمّيت تلك اللّيلة: (ليلة المبيت) وهي الليلة التي اجتمع فيها حوالى أربعين أو أربعة عشر رجلاً من المشركين، وطوّقوا بيت الرسول، وهم يريدون الهجوم عليه ليقتلوه في بيته، فخرج النبي إلى الغار، وبقيت السيدة فاطمة في البيت، وهي تتوقع هجوم الأعداء على دارها في كل ساعة وتستمع إلى هتافات الكفر والإلحاد ضد الرسول.

ويعلم اللّه مدى الخوف والقلق المسيطر عليها طيلة تلك الليلة، وهي تعلم خشونة طباع المشركين وقساوة قلوبهم، فيكون أسوء الاحتمالات عندها أقرب الاحتمالات.

وإلى أن أصبح الصباح من تلك الليلة، وهجم القوم في الدار شاهرين سيوفهم كأنهم ذئاب ضارية أو كلاب مستسبعة تطلب فريستها، وقصدوا نحو فراش النبي فلم يجدوه بل وجدوا عليّاً (عليه السّلام) راقداً في فراش النبي، ملتحفاً بردة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فخابت ظنونهم، وخرجوا من الدار فاشلين، وكادوا أن يتفجّروا حقداً وغيظاً وغضباً.

فكانت تلك الساعات من أحرج الساعات وأكثرها خوفاً وفزعاً على قلب السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام).

ويا ليت الأمر كان ينتهي هنا، ولكن أحقاد الكفر كانت كامنة في

الصدور كأنها جمرة تحت رماد.

ولما خرج أمير المؤمنين (عليه السّلام) بالفواطم من مكة وهُنَّ: فاطمة الزهراء وفاطمة بنت أسد (أم أمير المؤمنين) وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، فلحقهم العدو، واعترضهم في أثناء الطريق للحيلولة دون الهجرة، وكان الموقف حرجاً، واستولى الرعب والفزع على قلوب الفواطم من الأعداء، وكادت أن تقع هناك كارثة أو كوارث لولا حفظ اللّه وعنايته، ثم بسالة الإمام علي وبطولته المشهورة، وكفاهم اللّه شر الأعداء، ونجى علي والفواطم بقدرة اللّه تعالى.

وصلت الفواطم إلى المدينة، وقد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قد سبقهم إليها، وكان ينتظرهم، ولما وصلوا دخل النبي المدينة ونزل في دار أبي أيوب الأنصاري، والتحقت به ابنته فاطمة الزهراء، ونزلت على أُمِّ أبي أيوب الأنصاري.

كانت السيدة فاطمة الزهراء تعيش تحت ظلّ والدها الرسول في المدينة بعد أن مرَّت بها عواصف شديدة وحوادث مؤلمة، من موت أمها خديجة وهجرة أبيها الرسول من وطنه ومسقط رأسه، وهجوم الأعداء على الدار، وهجرتها من مكة إلى المدينة، ومطاردة الأعداء لها.

فهل انتهت تلك الحوادث والمصائب؟

كلا، بل كانت تلك القضايا بداية مآسي أخرى، وكوارث متسلسلة متعاقبة، إذ ما مضت سنة واحدة على الهجرة إلاّ والمشركون يجتمعون في مكة ويقصدون التوجه إلى المدينة لمحاربة الرسول والمسلمين.

فنزل جبرئيل وأخبر النبي بالمؤامرة، فخرج (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) بالمسلمين من أهل المدينة وبمن التحق به من المهاجرين من أهل مكة، خرج بهم ليستقبل العدو في أثناء الطريق قبل وصولهم الى المدينة، فوصلوا

إلى منطقة بين المدينة ومكة يقال لها: بدر.

وهناك التقوا بالمشركين وكان عدد المشركين ثلاثة أضعاف المسلمين، ولكن كانت الغلبة والانتصار للمسلمين والهزيمة والاندحار للمشركين، فرجع النبي إلى المدينة مظفّراً منصوراً.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) يوم أُحُد

وبعد سنة واحدة وشهر وقعت غزوة أُحد، وقُتل فيها من أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) سبعون رجلاً كانوا هم الصفوة والزبدة من أصحابه، وفي طليعتهم عمّه سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، وأصيب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بحجر إنكسرت منه جبهته الشريفة، وحجر أصاب فمه الطاهر وانكسرت منه ثناياه، وتخثّر الدم على لحيته كأنه حنّاء أو خضاب.

وفي تلك الآونة صاح إبليس صيحة سمعها المسلمون في أُحُد، وسمعها أهل المدينة، صاح: (قتل مُحمد).

إضطربت القلوب في جبهة القتال، وانهزم المنهزمون، وثبت المؤمنون حقا، ولم يكن إضطراب العوائل في المدينة بأقلّ من إضطراب المسلمين في ساحة القتال.

وقد خرجت صفيّة بنت عبدالمطلب (عمّة النبي) وفاطمة الزهراء إلى أُحُد: فصاحت فاطمة، ووضعت يدها على رأسها، وخرجت تصرخ، وخرجت كل هاشميّة وقرشيّة، واضعة يدها على رأسها.

وكان وصول فاطمة الزهراء وصفية إلى أُحد بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وبعد أن قُتل مَن قُتِل، وجُرحَ مَن جُرح، وكان النبي يتفقد القتلى ويبحث عن المفقودين من أصحابه.

وهو إذ ذاك قد وصل إلى مصرع حمزة، فوجده بحالة لاتوصف،

فقد مثّلوا به أبشع وأقبح مُثلة، فقد قطعوا أصابع يديه ورجليه، وجدعوا أنفه وأذنيه وشقّوا بطنه، وأخرجوا كبده، وتركوه بهذه الحالة.

كان هذا المنظر المشوَّه مؤلماً ومحزناً ومخدشاً لقلب الرسول، إذ هو نكاية وتنكيل من المشركين لعمٍّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وناصره والمدافع عنه.

كان الحزن والغيظ قد أخذ من الرسول كل مأخذ، فبينما هو كذلك وإذا به يرى عمَّته صفية وابنته فاطمة قد توجَّهتا نحو تلك المنطقة، ، فغطّى الرسول جثمان حمزة بِردائه، وستَره من القرن إلى القدم كي لا يُرى شيء من مواضع المثلة.

وأقبلت صفية وفاطمة تعدُوان، وجلستا عند مصرع حمزة، وشرعتا بالبكاء والنحيب، ورسول اللّه يساعدهما على البكاء، ويشاركهما في الأنين والنحيب، ثم نظرت فاطمة إلى جراحة جبهة الرسول، وإلى الدماء المتخثرة على وجهه الطاهر ولحيته الشريفة، فصاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: إشتدّ غَضب اللّه على مَن أدمى وجه رسول اللّه.

فغسلت الدماء عن وجه أبيها، وكان علي يصبّ الماء بالمجنّ[1] .

فلما رأت فاطمة أنَّ الماء لايزيد الدم إلاَّ كثرة عمدت إلى قطعة حصيرة فأحرقتها، وجعلت رمادها ضماداً على جبهة أبيها، وألزمته الجرح، فاستمسك الدم.

أترى كيف انقضت تلك الساعات على قلب فاطمة؟ فقد تداخلها الحزن العظيم والخوف الشديد وهي البنت البارَّة بأبيها، العارفة بحقه.

ولما رجع علي (عليه السّلام) من أُحد ناولَ فاطمة سيفه، وقال:

١ـ المجنّ: التُرس.

خذي هذا السيف، فلقد صدقني اليوم، وأنشأ يقول:

أفاطمُ هاكِ السيف غير ذميمِ ... فلستُ بِرِعديدٍ، ولا بلئيم

لعمري لقد أعذرتُ في نصرأحمد ... وطاعة ربٍّ بالعباد عليم

أُريد ثواب الله لا شيء غيره ... ورضوانه في جنة ونعيم

وكنتُ إمرءاً يسموإذ الحرب شمَّرت ... وقامت على ساق بغير مليم

امِتُّ ابن عبدالدار حتى جرحته ... بذي رونقٍ يفري العظام صميم

فغادرته بالقاع فارفضَّ جمعه ... عباديد مما قانط وكليم

وسيفي بكفّي كالشهاب أهزُّه ... أحزُّ به من عاتقٍ وصميم

فما زلتُ حتى فضَّ ربي جموعهم ... وأشفيت منهم صدر كل حليم

أميطي دماء القوم عنه فانه ... سقى آل عبدالدار كأس حميم

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): خذيه يافاطمة فقد أدَّى بعلك ما عليه، قتل اللّه صناديد قريش بيديه.

أيّها القارىء الكريم: لقد مرَّ عليك أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) حضرت في أُحد، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ولما نظرت إلى جراحة أبيها غسلت الدماء بالماء، وأحرقت قطعة حصيرة وجعلت رمادها على جبهة أبيها الرسول.

هذه الواقعة كما ذكرها المؤرّخون.

ولكن في زماننا ـ هذا ـ جاءت طائفة من الناس، واعتبروا هذه الواقعة ساحةً لمسرحياتهم الشاذة، فكتبوا بكل إصرار وإلحاح وتكرار أن فاطمة كانت تحضر جبهات القتال وتضمِّد الجرحى، وتداويهم وتسعفهم!!

أنا ما أدري ما يقصد هؤلاء الشواذ من إختلاق هذه الأكذوبة؟

إذا قامت سيدة بتضميد جراحة أبيها فقط وفقط في العمر مرَّة واحدة بعد انتهاء القتال هل يقال عنها: انها كانت تحضر جبهات القتال وتُضمِّد

الجرحى وتداويهم؟؟

أنا ما أدري ما هدف هؤلاء من ترويج هذا الباطل وإشاعة هذا الافتراء؟

هل يريدون المسَّ بقدسيَّة السيدة فاطمة الزهراء ونزاهتها؟

أم يريدون فتح الطريق للاختلاط بين الجنسين.

ولنفرض أن نسيبة بنت كعب حضرت يوم أُحد لتضميد الجرحى فهل معنى ذلك أن نعتبر السيدة فاطمة الزهراء ـ وهي سيدة نساء العالمين في العفاف والحياة والحشمة والنزاهة والعصمة ـ نعتبرها كالموظفات في المستشفيات والمستوصفات ومؤسَّسات الإسعاف الدولية؟؟

أنا ما أدري، ولعلهم يدرون ويعرفون ما يبرِّر لهم هذه الأُكذوبة!.

مشاكل السيدة فاطمة في دار أبيها

ومن المشاكل التي عكّرت - على السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) - حياتها أنها إبتُليت ببعض زوجات أبيها الرسول، من اللواتي قد تكوَّنت عندهنَّ عقدة نفسية، فكنَّ يحسدن السيدة فاطمة الزهراء على مواهبها وفضائلها، وخاصة وأن الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان يغمر السيدة فاطمة بألطافه ويُمطر عليها عواطفه، ويحبها حُبّاً عجيباً يهيِّج في قلوب بعض نسائه الحسد الكامن.

فقد روى شيخنا المجلسي (عليه الرحمة) عن كتاب الخصال عن أبي عبداللّه (الصادق) (عليه السّلام) قال: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) منزله، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها، وهي تقول: واللّه يابنت خديجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا؟ وما هي إلاَّ كبعضنا!!

فسمع النبي مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بكت، فقال: مايبكيكِ يابنت محمد؟

قالت: ذكرت عائشة أمي فنقصتها فبكيتُ.

فغضب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ثم قال: مَه ياحميراء! فان اللّه تبارك وتعالى باركَ في الودود الولود، وإن خديجة (رحمها اللّه) ولدت مني طاهراً (وهو عبداللّه) وهو المطهّر، وولَدت مني القاسم ورقية وام كلثوم وزينب، وأنتِ ممن اعقم اللّه رَحمها. فلم تلدي شيئاً[1]

١ـ الخصال للشيخ الصدوق.

ولعائشة مواقف غير مشكورة تجاه السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تدل على جانب كبير من انحرافها العميق العريق المتواصل، بحيث لم يُعهد تلك المواقف المتطرفة من بقية زوجات الرسول تجاه سيدة نساء العالمين.

فمنها: ما ستقرأه ـ عند البحث عن فدك ـ بأن عائشة شهدت عند أبيها أبي بكر ان الأنبياء لايورِّثون، وذلك لكي تُحرم السيدة فاطمة (عليها السّلام) عن ارث أبيها (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ومنها: لّما بلغ عائشة خبرُ وفاة الزهراء (عليها السّلام) تبسّمت!!

وسوف تقرأ ان السيدة فاطمة أوصت أسماء بنت عميس بعدم السماح لعائشة أن تحضر عند جنازتها ساعة الوفاة، وهذا يدلّ على سخطها على عائشة وعدم رضاها عنها، وقد قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «ان اللّه يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها».

هذا.. وفي الحديث الأول تصريح بأن بنات السيدة خديجة الكبرى كلهن من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لامن زوج آخر وليس هذا الحديث هو الدليل الوحيد على ذلك بل توجد أدلَّة وبراهين قطعية على أنَّهن كنَّ بنات رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حقيقة، ومن صلبه، إلا أن المجال ـ في هذا الكتاب ـ لايسع للشرح والتفصيل أكثر من هذا، ولعلنا نلتقي ـ إنشاء اللّه ـ بالقراء في غير هذا الكتاب حول هذا الموضوع، ونؤدي بعض ما يتطلبه البحث والتحقيق.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) على أعتاب الزواج

كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) قد بلغت من العمر تسع سنوات، ولكنها كانت تتمتَّع بالنمو الجسمي، بل الكمال الجسماني، وكانت تمتاز من صغر سنِّها بالنضج الفكري والرشد العقلي المبكِّر، وقد وهب اللّه لها العقل الكامل والذهن الوقاد، والذكاء الذي لايوصف، ولها أوفر نصيب من الحُسن والجمال والملاحة خلقةً ووراثة، فمواهبها كثيرة وفوق العادة، وفضائلها الموروثة والمكتسبة تمتاز عن كل أُنثى وعن كل ابن أُنثى.

وأما ثقافتها الدينية والأدبية فحدِّث ولاحرج، وسيتضح لك أنها أعلم امرأة وأفضلها في العالم كله، ولم يشهد التاريخ إمرأة حازت الثقافة والعلم والأدب بهذا المستوى. مع العلم أنها لم تدخل في مدرسة ولم تتخرج من كُلِيِّة سوى مدرسة النبوة وكُلِيِّة الوحي والرسالة.

فلاعجب إذا خطبها مشاهير أصحاب النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وكان النبي يعتذر إليهم ويقول: أمرها إلى ربها، إن شاء أن يزوِّجها زوَّجها.

وروى شعيب بن سعد المصري في (الروض الفائق): «فلما استنارت في سماء الرسالة شمس جمالها، وتمَّ في أُفق الجلالة بدر كمالها، إمتدت إليها مطالع الأفكار وتمنَّت النظر إلى حسنها أبصار الأخيار، وخطبها سادات المهاجرين والأنصار، ردَّهم (المخصوص من اللّه بالرضا) وقال: إني

أنتظر بها القضاء».

وخطبها أبو بكر وعمر فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إنها صغيرة[1] وخطبها عبدالرحمن بن عوف، فلم يجبه النبي بل أعرض عنه.

بعد الانتباه إلى هذه الجملة وهي قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): (انها صغيرة) يتضح لنا أيضاً تزوير الأقوال المروية بولادتها قبل المبعث بخمس سنين، إذ لو كان الأمر هكذا لكان عمرها يومذاك ثمانية عشر سنة كما صرح بذلك بعض هؤلاء، والبنت التي عمرها ثمانية عشر سنة كيف تكون صغيرة؟ وقد تزوَّج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عائشة وعمرها على أكثر التقادير عشر سنوات، ولم يعتبرها الرسول صغيرة فكيف تكون ابنته الشابة صغيرة لاتصلح للزواج؟

ثم لو كان الأمر كما يزعمون وانها ولدت قبل المبعث بخمس سنين لكان عمرها يوم كانت في مكة ـ قبل الهجرة ـ بين السادسة عشر والسابعة عشر، وهذه الفترة من العمر أحسن أوقات الزواج، فكيف لم يخطبها أحد في مكة، لامن بني هاشم ولامن غيرهم بل لم يُسمع أنها كانت في مظنَّة الخِطبة والزواج؟؟

وقد روى علي بن المتقي في كتابه: (كنز العمّال ج٢ ص٩٩) عن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقعد بين يديه فقال: يارسول اللّه قد علمت مناصحتي وقِدَمي في الإسلام وأني وأني...

قال: وما ذاك؟

١ـ فضائل أحمد بن حنبل، والنسائي في الخصائص ص٣١ وابن الجوزي في التذكرة ص٣١٦.

قال: تزوجني فاطمة.

فسكت عنه أو قال: فأعرض عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر فقال: هلكتُ وأهلكت.

قال: وما ذاك.

قال: خطبت فاطمة إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فأعرض عني.

قال عمر: مكانك حتى آتي النبي فأطلب منه مثل الذي طلبت.

فأتى عمر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقعد بين يديه فقال: يارسول اللّه قد علمت مناصحتي وقِدَمي في الإسلام وأني وأني...

قال: وماذاك؟

قال: تزوجني فاطمة. فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر اللّه فيها.

وروى الهيثمي في (مجمع الزوائد): أن كُلاّ من أبي بكر وعمر أمر ابنته أن تخطب فاطمة من رسول اللّه، فذكرت كل واحدة منهما فاطمة لأبيها، فأجابها رسول اللّه: حتى ينزل القضاء، فتمنّت كل واحدة منهما أنها لم تكن ذكرت للنبي شيئاً.

ولعل الرسول ما كان يحب أن يصارحهم بأنه يدّخرها لكفؤها، وما أحب أن يصارحهم بأنهم ليسوا بأكفاء لها، أو يفاجئهم بأن مستوى ابنته فوق المستويات.

كان الرسول يرى أن تجري الامور على مجراها الطبيعي، وكان الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) قد نزل في بيت سعد بن معاذ (على قول) منذ وصوله إلى المدينة، فجاء إليه سعد بن معاذ وهو في بعض بساتين المدينة وقال: ما يمنعك أن تخطب فاطمة من ابن عمك؟

وفي (منتخب العمال): إنطلق عمر إلى علي (رضي اللّه عنه) فقال: ما يمنعك من فاطمة فقال:

أخشى أن لايزوّجني!

قال: فإن لم يزوّجك فمن يزوج؟ وأنت أقرب خلق اللّه إليه.... الى آخر كلامه.

إن علياً لم يذكر فاطمة طيلة حياته لأي أحد، ولم يذكر رغبته حياء من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ثم إن ظروفه الإقتصادية يومذاك كانت قاسية جدّاً، فما كان يملك من حطام الدنيا أموالاً ولايملك في المدينة داراً ولاعقاراً، فكيف يتزوج؟ وأين يتزوج؟ وأين يسكن؟

وليست السيدة الزهراء بالمرأة التي يُستهان بها في زواجها!

ولكن، لما كان المقصود من الزواج تشكيل البيت الزوجي وتأسيس الصرح العائلي، فقد جاء الإسلام ليفتح الأغلال والتقاليد التي حبست على الناس سُنَّة الزواج، وشدَّدت عليهم هذا الأمر الذي يعتبر من ضروريات الفطرة، ومن لوازم نظام البقاء والحياة الزوجية والعائلية.

فقد أصبح الزواج ـ بفضل الإسلام ـ أمراً سهلاً مستسهلا، فالتعصب القِبَلي والعنصري قد اشرف على الزوال. وكان الرسول في دَور التكوين، وهو القدوة والأسوة للمسلمين، وحركاته وسكناته، وأعماله وأفعاله ستكون حُجَّة ودليلا عند المسلمين، فكان الرسول يحارب تقاليد الجاهلية وعادات الكفر باللسان واليد، قولا وفعلا.

فقد أتاه علي يخطب منه ابنته فاطمة، والنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) له الولاية العامّة على جميع المسلمين والمسلمات، وعلى ابنته ومن عداها، ولكنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حفظ لفاطمة كرامتها، ولم يعلن موافقته للزواج قبل الإستئذان من فاطمة، وبعمله هذا أعلن أنه لابدَّ من

موافقة البنت لأنها هي التي تريد أن تعيش مع زوجها، وتكون شريكة حياته، ويكون شريك حياتها.

إن تزويج البنت بغير إذنها أو موافقتها إهدار لكرامتها وتحقير لنفسيتها، وتحطيم لشخصيتها، وتصريح عملي لها انها لايحق لها إبداء رأيها حول انتخاب الزوج فكأنها بهيمة أو داجنة تباع وتوهب بلاإذن منها أو موافقة.

فقال الرسول: يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رِسلك حتى أخرج إليك.

فقام (صلّى اللّه عليه وآله) وترك علياً جالساً ينتظر النتيجة. ودخل على ابنته فاطمة، وأخبرها بأن علياً جاء يطلب يدها؛

ربما يحتاج الأب إلى أن يخبر ابنته عمن جاء يخطبها ويذكر لها أوصافه من حيث العمر والمهنة وبقية الخصوصيات إذا لم يكن معروفاً، لتكون البنت على علم وبصيرة.

ولكن هنا لاحاجة إلى ذلك، فعليٌّ (عليه السّلام) أعرف من أن يعرّف، وفاطمة تعرف علياً وتعرف سوابقه ومواهبه وفضائله، ولاتجهل شيئاً. فاكتفى الرسول بأن قال: يافاطمة ان علي بن أبي طالب مَن قد عرفتِ قرابته وفضله وإسلامه، وإني قد سألت ربي أن يزوّجك خير خَلقه، وأحبَّهم إليه، وقد ذكر عن أمرك شيئاً، فما ترين؟

فسكتت، ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كراهة، فقام وهو قول: اللّه أكبر! سكوتها إقرارها.

إعتبر الرسول سكوتها موافقة ورضى منها على الزواج، إذ لايُنتظر من الفتاة البكر الحيّية (ذات الحياء) أن تصرّح بموافقتها، بل ينتظر منها التصريح بالمخالفة والرفض عند عدم الموافقة، لأن الحياء يمنع التصريح

بالموافقة، ولايمنع التصريح بالرفض.

ورجع النبي إلى علي وهو ينتظره، فأخبره بالموافقة، وسئله عن مدى استعداده لاتخاذ التدابير اللازمة لهذا الشأن، إذ لابد من الصداق شرعاً وعرفاً، وسيكون هذا الزواج مثالياً نموذجياً، ويكون له صدى ودويّ على مر الأجيال، فلابدّ من رعاية جميع جوانبه، ولايصح إهمال أي ناحية منه مع رعاية البساطة:

فقال النبي لعلي: هل معك شيء أُزوّجك به؟

فقال علي: فداك أبي وأمي! واللّه لايخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحي!![1].

هذه ثروة الامام علي، وجميع ما يملكه من حطام الدنيا وهو مقبل على الزواج.

تلقّى الرسول كلامه برحابة صدر، وقال:

ياعلي! أما سيفك فلاغنى بك عنه، تجاهد به في سبيل اللّه، وتقاتل به أعداء اللّه، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع ورضيت بها منك، بعِ الدرع وائتني بالثَمَن!!

وكان علي (عليه السّلام) قد أصاب هذه الدرع من مغانم غزوة بدر ـ كما ذكره العسقلاني في (الإصابة ج٤ ص٣٦٥) ـ وقد كان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قد أعطاه إياها، وكانت تسمّى (الحطميّة) لأنها كانت تحطّم السيوف أي تكسرها ـ كما في كتاب لسان العرب....

فباع علي (عليه السّلام) الدرع بأربعمائة وثمانين أو بخمسمائة

١ـ الناضح: البعير الذي يُحمل عليه الماء.

درهم، وجاء بالدراهم إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وطرحها بين يديه، وتمّ الوفاق على أن يكون ثَمن الدرع صداقاً لأشرف فتاة في العالم، وأفضل أُنثى في الكون، وهي سيدة نساء العالمين، وبنت سيد الأنبياء والمرسلين وأشرف المخلوقين!!

لقد زوَّج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ابنته الطاهرة من خليفته علي بن أبي طالب بهذه البساطة والسهولة ليفكّك أغلال التقاليد التي قيَّد الناس بها أنفسهم.

لقد صنع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ما صنع ليقتدي به الناس الذين هم دونه في الشرف والمنزلة بملايين الدرجات.

وزوَّج ابنته وهي سيدة نساء العالمين بمهر قليل كي لاتستنكف الفتاة المسلمة أن تتزوج بمهر قليل.

وغير ذلك من الحِكَم والفوائد التي لامجال لذكرها هنا.

لقد جرى كل هذا في الأرض. أما في السماء:

فقد حفظ اللّه تعالى لسيدة النساء كرامتها، فقد زوَّج اللّه فاطمة الزهراء من الامام علي بن أبي طالب قبل أن يزوّجها أبوها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من علي.

وليس ذلك ببعيد، فقد زوَّج اللّه مَن هي دون فاطمة الزهراء بدرجات ومراتب كثيرة، أليس اللّه قد زوَّج زينب بنت جحش من رسول اللّه بقوله تعالى: «فلما قضى زيد منها وطراً زوّجناكها».

أليس اللّه قد زوَّج رسوله إمرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي؟

فما المانع أن ينعقد مجلس العقد أو حفلة القِران في السموات العلى، ويحضرها الملائكة المقرّبون كما صرَّحت بذلك الأحاديث؟

كل ذلك كرامة لها ولأبيها، وبعلها وبنيها الذين سيولدون منها،

وهم حجج اللّه على الخلق أجمعين.

كانت حفلة القِران التي أُقيمت في السماء الرابعة عند البيت المعمور وحيدة من نوعها، فريدة بمزاياها، لم يشهد الكون مثلها، فقد اجتمع ملائكة السموات كلها في السماء الرابعة ونُصب منبر الكرامة، وهو منبر من نور، وأوحى اللّه تعالى إلى مَلَكٍ من ملائكة حُجُبه يقال له: (راحيل) أن يعلو ذلك المنبر، وأن يحمده بمحامده، ويمجّده بتمجيده، وأن يُثني عليه بما هو أهله، وليس في الملائكة أحسن منطقاً ولاأحلى لغةً من راحيل المَلَك، فعلا المنبر وقال:

«الحمد للّه قبل أوَّلية الأوَّلين، الباقي بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين، وبربوبيته مذعنين، وله على ما أنعم علينا شاكرين، وحَجَب عنا النهم للشهوات، وجعل نهمتنا وشهوتنا في تقديسه وتسبيحه.

الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلَّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين، وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين ثم قال ـ بعد كلام ـ :

إختار اللّه الملك الجبار صفوة كرمه، وعبد عظمته لأَمَته سيدة النساء، بنت خير النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين، فوصل حبله بحبل رجل من أهله، صاحبه، المصدِّق دعوته، المبادر إلى كلمته، علي الوَصول، بفاطمة البتول إبنة الرسول.

ثم أعقبه جبرئيل عن اللّه تعالى قوله:

(الحمد ردائي، والعظمة كبريائي، والخلق كلهم عبيدي وإمائي، زوّجت فاطمة أَمَتي من علي صفوتي إشهدوا ياملائكتي)[١].

وقد روى هذا الحديث جمع من علماء العامة منهم:

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

عبدالرحمن الصفوري في (نزهة المجالس ج٢ ص٢٢٣) عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه): قال: دخلت أم أيمن على النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهي تبكي، فسألها عن ذلك.

فقالت: دخل عليّ رجل من الأنصار وقد زوّج ابنته، وقد نثر عليها اللوز والسُكّر، فتذكرت تزويجك فاطمة ولم تنثر عليها شيئاً.

فقال: والذي بعثني بالكرامة، وخصّني بالرسالة إن الله ـ لما زوّج علياً فاطمة ـ أمر الملائكة المقربين أن يحدقوا بالعرش، فيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وأمر الطيور أن تغنّي، فغنّت، ثم أمر شجرة طوبى أن تنثر عليهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبيض مع الزبرجد الأخضر مع الياقوت الأحمر.

وفي رواية: ان الزواج عند سدرة المنتهى وأوحى الله إليها أن انثري ما عليكِ، فنثرت الدر والجوهر والمرجان.

وذكر الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء ج٥ ص٥٩): عن عبدالله بن مسعود:... ثم أمر الله شجرة الجنان فحملت الحلي والحلل، ثم أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم شيئاً يومئذ أكثر مما أخذ غيره افتخر به إلى يوم القيامة.

ورواه جماعة كالخوارزمي في (مقتل الحسين)، والعسقلاني في (لسان الميزان) و(تهذيب التهذيب) والقندوزي في (ينابيع المودة).

وفي (نزهة المجالس): عن أنس بن مالك، قال: بينما النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في المسجد إذ قال لعليّ: هذا جبرئيل أخبرني أن الله قد زوجك فاطمة، وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملَك، وأوحى إلى شجرة طوبى أن أنثري عليهم الدرّ والياقوت والحلي والحلل، فنثرت عليهم، فابتدرت الحور العين يلتقطن من أطباق الدُرّ والياقوت والحُليّ والحُلل، فهم يتهادونه إلى يوم القيامة.

ورواه السيوطي في (تحذير الخواص).

وأجرى الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) صيغة العقد في المسجد وهو على المنبر، بمرأىً من المسلمين ومسمع.

وهكذا سنَّ رسول اللّه الإعلان والإشهاد في عقد النكاح، وكميَّة الصداق كي يقتدي به المسلمون فلايغالوا في الصداق.

وقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «لاتغالوا في الصداق فتكون عداوة».

وجعل النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) المهر الذي جرت عليه السُّنة خمسمائةدرهم،وتزوَّج رسول اللّه بزوجاته بهذاالمبلغ من الصداق وكذلك الائمة من أهل البيت (عليهم السّلام) كانوا لايتعدّون هذا المبلغ في الزواج.

ونعود الى حديثنا عن زواج السيدة فاطمة:

فقد باع علي (عليه السلام) الدرع، وجاء بالثمن إلى الرسول، فقسم النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) المبلغ أثلاثاً: ثُلثاً لشراء الأثاث والجهاز، وثُلثاً لشراء الطيب والعطر للزفاف، وثُلثاً تركه أمانة عند أم سلمة ثم ردَّه إلى علي قُبيل الزفاف إعانةً ومساعدة منه إليه لطعام وليمة الزفاف.

من الطبيعي أن زواج علي (عليه السّلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) كان سبب هياج الحسد والعداء في بعض القلوب، وخاصة وأن بعضهم كان قد خطب فاطمة من أبيها فرفض طلبه، وأعرض عنه، فلاعجب إذا جاء إلى الرسول أناس من قريش فقالوا: إنك زوَّجت علياً بمهر خسيس فقال لهم: ما أنا زوَّجت علياً، ولكنّ اللّه زوَّجه ليلة أُسري بي عند سدرة المنتهى... الى آخره[1].

١ـ من لايحضره الفقيه.

وقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم وأزوّجكم إلاّ فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء[1].

ودفع الرسول شيئاً من المال لأبي بكر ليشتري لفاطمة متاعاً لبيتها الزوجي وبعث معه بلالاً، وسلمان ليُعيناه على حمل مايشتري، وقيل: أردفه بعمار بن ياسر وجماعة، وقال لأبي بكر: إشترِ بهذه الدراهم لابنتي مايصلح لها في بيتها.

قال أبو بكر: وكانت الدراهم التي أعطانيها ثلاثة وستين درهماً؛ فحضروا السوق فكانوا يعترضون الشيء مما يصلح، فكان مما اشتروه:

١ـ فراشان من خيش مصر، حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جزّ الغنم.

٢ـ نطع من أدم (جلد).

٣ـ وسادة من أدم حشوها من ليف النخل.

٤ـ عباءة خيبرية.

٥ـ قربة للماء.

٦ـ كيزان (جمع كوز) وجرار (جمع جرّة) وعاء للماء.

٧ـ مطهرة للماء مزفّتة.

٨ـ ستر صوف رقيق.

٩ـ قميص بسبعة دراهم.

١٠ـ خمار بأربعة دراهم.

١١ـ قطيفة سوداء.

١٢ـ سرير مزمّل بشريط.

١ـ الكافي.

١٣ـ أربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر (نبات معروف).

١٤ـ حصير هجري.

١٥ـ رحى لليد.

١٦ـ مخضب من نحاس.

١٧ـ قعب للبن.

١٨ـ شنّ للماء.

حتى إذا استكمل الشراء حمل أبو بكر بعض المتاع وحمل أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الباقي، فلما عرض المتاع على رسول اللّه وكان في حجرة أم سلمة جعل يقلّبه بيده ويقول: بارك اللّه لأهل البيت.

وفي رواية: رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جُلُّ آنيتهم الخزف.

هذا جميع الأثاث والمتاع الذي إشتروه لإبنة سيد الأنبياء، وهي أشرف انثى، وسيدة نساء العالمين.

نعم، إن السعادة الزوجية لاتحصل عن طريق البذخ والترف والسرف، فإن الملابس الفاخرة، والكراسي الثمينة، والأحجار الكريمة وأواني الذهب والفضة، والفُرش الغالية والستائر القيمة، والقصور الشاهقة والسيارات الضخمة، ووسائل التنوير والتبريد والتدفئة، وغيرها ليست من أسباب السعادة الزوجية التي يتصورها البسطاء من الناس.

فكم من إمرأة ترفل في ثيابها وبدلاتها، وتجلس على فراش وثير، وتتلألأ الحلي ـ المرصّع بالمجوهرات ـ على جيدها ومعصميها، وشحمة أُذنيها، ومع ذلك كله تشعر بأنها في جحيم، وتعتبر نفسها شقيّة في الحياة غير سعيدة في دنياها.

وكم من إمرأة تعيش في كوخ أو بيت متواضع، تطحن وتعجن وتخبز وتغسل وتكنس وترضع وتتعب وتعيش بكل بساطة، محرومة عن مئات الوسائل ومع ذلك تشعر بأنها سعيدة في حياتها، وكأن بيتها الصغير الضيّق البسيط جنة عدن.

ونفس هذا الكلام يجري في الرجال، فترى القصر المنيف المشيَّد الشامخ جحيماً على الرجل، يدخله كرهاً، وكأنَّه في قفص، ويحاول الخروج منه ساعة قبل ساعة.

وترى البيت المتواضع الحقير يأوي إليه الرجل بكل شوق ورغبة، ولايحب مغادرة بيته حينما يرى البيت الزوجي مبنياً على أُسس السعادة والخير.

ولكن من الأسف أن ملايين الفتيان والفتيات يتصورون أن السعادة الزوجية والحياة السعيدة تحصل عن طريق الثروة والأثرياء، ويعتبرون البساطة في المعيشة من وسائل الشقاء وعلائم الحرمان.

فيبقى هؤلاء المساكين غير متزوجين وغير متزوجات، ينتظرون السعادة الزوجية تطرق باب دارهم!!

من صداق فاطمة (عليها السّلام)
الشفاعة يوم القيامة

إن كانت السيدة فاطمة (عليها السّلام) قد تزوَّجت بهذا المهر القليل نزولاً عند رغبة أبيها الرسول ـ حتى يقتدي به المسلمون ـ وتحقيقاً لأهدافه الحكيمة، فليس معنى ذلك أن تنسى السيدة فاطمة نفسها، أو تنسى عظمتها، بل لابدَّ من المحافظة على مقامها الأسمى وحقيقتها الشريفة، ومكانتها العليا، وطموحها نحو الفضائل والقيم، ولهذا فقد روى أحمد بن يوسف الدمشقي في: (أخبار الدول وآثار الأول) قال: (وقد ورد في الخبر أنها لما سمعت بأن أباها زوَّجها، وجعل الدراهم مهراً لها فقالت: يارسول اللّه إن بنات الناس يتزوَّجن بالدراهم فما الفرق بيني وبينهن؟ اسألك أن تردّها، وتدعو اللّه تعالى أن يجعل مَهري الشفاعة في عصاة أُمتك.

فنزل جبرئيل (عليه السّلام) ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: (جعل اللّه مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبين من أمة أبيها) فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن. فوُضعت، وقالت: إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي وشفعت في عصاة أمة أبي[1].

إن هذا الحديث ـ كما تراه ـ يدل علىٰ ما كانت تتمتع به السيدة فاطمة الزهراء من علوّ الهمّة وسموّ النفس، وعظمة الشخصية، وبُعد

1ـ سنوافيك في أواخر هذا الكتاب بطائفة كبيرة من الأحاديث حول شفاعتها يوم القيامة.

المدى، وجلالة القدر، فإنها تطلب من أبيها الرسول أن يدعو اللّه تعالى أن يمنحها هذا الحق العظيم وهو الشفاعة في يوم القيامة. واستُجيب دعاء الرسول ونُفِّذ طلبه، ونزل صك من السماء إجابة لهذا الطلب، وستبرز السيدة فاطمة ذلك الصكْ عند الحاجة، كما روى الصفوري في (نزهة المجالس) قال: قال النسفي: سألت فاطمة (رضي اللّه عنها) النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يكون صداقها الشفاعة لأمته يوم القيامة، فإذا صارت على الصراط طلبت صداقها.

وقد وردت روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) حول أن اللّه تعالى جعل الشفاعة يوم القيامة من صداق السيدة فاطمة الزهراء.

الزفاف ومقدّماته

وقعت فترة بين العقد والزفاف بدون قصد بل أن علياً (عليه السّلام) كان يستحي أن يطالب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بزوجته، وكان الرسول أيضاً يحافظ على كرامة السيدة فاطمة فما ينبغي له أن يزفّ ابنته قبل مطالبة زوجها ذلك.

وطالت تلك الفترة شهراً أو شهورا، وبقي الأمر مسكوتاً عنه، وأخيراً جاء عقيل إلى الامام علي يسأله عن سبب السكوت والقعود، ويستنهضه للقيام بمقدمات الزفاف وكان علي (عليه السّلام) يستحي من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يطالبه أن يزفّ السيدة فاطمة، ولكن عقيلاً ألحّ عليه، فخرجا يريدان الدخول على الرسول للمذاكرة حول الموضوع.

إلتقت أُم أيمن بهما، وسألت منهما عدم التدخّل مباشرة، وتكفّلت هي إنهاء الأمر، ولهذا ذهبت إلى أُم سلمة فأعلمتها بذلك، وأعلمت نساء النبي، فاجتمعن عند الرسول فأحدقن به، وقلن: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا يارسول اللّه! قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عينها!!

فلما سمع النبي اسم خديجة بكى، ثم قال: خديجة! وأين مثل خديجة؟ صدّقتني حين كذّبني الناس، وآزرتني على دين اللّه، وأعانتني عليه بمالها!!

إن اللّه (عزّوجلّ) أمرني أن أُبشّر خديجة ببيت في الجنَّة من قصب الزمرد، لاصخب فيه ولانصب.

قالت أُم سلمة: فقلنا: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا يارسول اللّه إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلاَّ وقد كانت كذلك، غير أنها مضت الى ربها، فهنّأها اللّه بذلك، وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته.

يارسول اللّه! هذا أخوك في الدنيا، وابن عمك في ا لنسب: علي بن أبي طالب يحب أن تُدخل عليه زوجته فاطمة تجمع به شمله.

وفي رواية: ان المتكلمة هي أُم أيمن قالت: يارسول اللّه! لو أن خديجة باقية لقرَّت عينها بزفاف فاطمة، وإن علياً يريد أهله، فقرٍّ عين فاطمة ببعلها، واجمع شملهما، وقرٍّ عيوننا بذلك.

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): فما بال علي لايسألني ذلك؟

قالت: الحياء منك يارسول اللّه!!

فقال ـ لأُم أيمن ـ : إنطلقي إلى علي فايتيني به.

خرجت أم أيمن، فإذا علي ينتظرها ليسألها عن جواب رسول اللّه، وحضر علي (عليه السّلام) عند الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وجلس مطرقاً رأسه نحو الأرض حياءً منه، فقال له: أتحب أن تدخل عليك زوجتك؟

قال: نعم، فداك أبي وأمي!

قال: نعم، وكرامة! ادخلها عليك في ليلتنا هذه أو ليلة غد إنشاء اللّه. هيِّىء منزلاً حتى تحوِّل فاطمة إليه.

قال علي: ما هاهنا منزل إلاَّ منزل حارثة بن النعمان.

فقال النبي: لقد استحينا من حارثة بن النعمان،قد أخذنا عامة منازله!!

فوصل الخبر إلى حارثة، فجاء إلى النبي وقال: يارسول اللّه! أنا ومالي للّه ولرسوله، واللّه ما شيء أحبّ إليّ مما تأخذه، والذي تأخذه أحب إليّ مما تتركه!!

يا لروعة الإيمان باللّه والرسول.

يا لجمال الاعتقاد بالاخرة والأجر والثواب!!

جعل حارثة أحد منازله تحت تصرُّف علي، وقام علي بتأثيث حجرة العرس وتجهيزها، فقد بسط كثيباً (رملاً) في أرض الحجرة، ونصب عوداً يوضع عليه القربة واشترى جرّة وكوزاً، ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للثياب!!، وبسط جلد كبش، ومخدّة ليف!

هذا جميع ما كان يتمتع به علي (عليه السّلام) من متاع الحياة الدنيا وزخرفها!!

لقد مرَّ عليك أن الصداق الذي استلمه النبي من علي (عليه السّلام) قسَّمه أثلاثاً: ثُلثاً اشترى به المتاع، وثُلثاً للطيب بمناسبة الزفاف، وثُلثاً تركه أمانة عند السيدة أم سلمة.

استرجع النبي الثلث الأخير من الصداق، وسلَّمه إلى علي كمساعدة، حيث أنه في مقتبل حياة جديدة، والحاجة ماسَّة إلى المال كما لايخفى، وقال: يا علي انه لابدَّ للعرس من وليمة.

يا لشرف الانسانية!!

يا لعظمة الأخلاق!!

يا لصدق المحبة والعاطفة!!

وتقدَّم بعض الأصحاب إلى علي ببعض الهدايا، وأمر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) علياً أن يصنع طعاماً فاضلاً.

أمره بالوليمة لأن اللّه تعالى يحب إطعام الطعام، لأن الوليمة فيها خير

كثير، وفائدة عامة ومنافع جمّة، فهي إشباع البطون الجائعة، وغرس المحبة في القلوب، وقبل كل شيء فيها رضي اللّه سبحانه.

ولكننا ـ يا للأسف ـ استبدلنا الوليمة بحفلة القِران واستبدلنا الإطعام بتناول بعض المرطبات والحلويات التي لاتُسمن ولاتغني من جوع!!

ومن الضروري أن لاننسى أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) قد ضربت الرقم القياسي في الانفاق في سبيل اللّه، والإيثار ابتغاء وجه اللّه، ولعلك لاتجد مثيلة لهذه المكرمة في تاريخ النساء! فقد روى الصفوري في (نزهة المجالس) ج٢ ص٢٢٦ عن ابن الجوزي أن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) اعـدَّ لها قميصاً جديداً ليلة عرسها وزفافها وكان لها قميص مرقوع وإذا بسائل على الباب يقول: أطلب من بيت النبوة قميصاً خَلِقاً، فأرادت أن تدفع إليه القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى: «لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون».فدفعت له الجديد، فلما قرب الزفاف نزل جبرئيل قال: يامحمد! إن اللّه يقرؤك السلام، وأمرني أن أُسلِّم على فاطمة، وقد أرسل لها معي هدية من ثياب الجنة من السندس الأخضر... الى آخر الخبر.

لقد تهيأ طعام الوليمة، فلقد طُبِخ اللّحم، وأحضر الخبز، والتمر والسمن، وأقبل رسول العظمة (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وحسر عن ذراعيه، وجعل يشدخ التمر في السمن ليكونا بمنزلة الحلويات والفطائر، وأمر النبى علياً أن يدعو الناس إلى وليمة الزواج.

فأقبل الإمام علي(عليه السّلام)إلى المسجد، وْالمسجد غاص بالمسلمين وهناك أهل الصُفَّة وهم المهاجرون الذين ما كانوا يملكون يومذاك شيئاً. وهناك أهل المدينة من الأنصار وغيرهم ممَّن ليسوا من الأغنياء، فما يصنع علي (عليه السّلام) بهذا العدد الكثير مع الطعام القليل؟!

ونفسيته الطاهرة الشريفة لاتسمح له أن يدعو قوماً ولايدعو قوماً

آخرين فالكل يحبون أن يأكلوا من وليمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والجميع يرغبون إلى الحضور في تلك المأدبة المباركة.

لكن إيمان علي (عليه السّلام) بقدرة اللّه تعالى، وإعتقاده ببركات يمين رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) هوّن عليه كل شيء، فصعد على مكان عال، يسمعه كل أحد، ونادى: «أيها الناس أجيبوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد».

فوَصل صوت علي (عليه السّلام) حتى إلي بساتين المدينة ومزارعها، وأقبل الناس رجالاً ونساءً ـ وحتى أهل البساتين ـ يأكلون ويشربون، ويحملون معهم من ذلك الطعام.

وهنا ظهرت بركة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذ أنَّ الطعام لم ينفذ، بل وكأنه لم ينقص، ودعا رسول اللّه بالأواني فمُلئت بالطعام، ووجَّه بها إلى بيوت زوجاته وأخذ صفحة (آنية) وقال: وهذه لفاطمة وبعلها!!

وغابت الشمس من ذلك اليوم، وإقترب زفاف السيدة فاطمة إلى دار زوجها.

فهنا إتخذ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) جميع التدابير اللازمة لزفاف ابنته فاطمة.

وبالرغم من أن زواج السيدة فاطمة كان يمتاز بالبساطة والسهولة، والابتعاد عن التكلف والترف، وما أشبه ذلك إلاَّ أنه كان محاطاً بآيات العظمة والجلالة والجمال، حتى روى الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن جابر أنه قال: حضرنا عرس علي وفاطمة (رضي اللّه عنهما) فما رأينا عرساً كان أحسن منه.... الى آخره.

أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) زوجاته بتزيين السيدة

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) استعداداً للزفاف، فقامت النسوة فضمَّخنها بالطيب، وألبسنها الحلي، فكانت احداهن تمشط شعرها، وقامت الاخرى بتزيينها، ولبست الحلَّة التي جاء بها جبرئيل من الجنة، وكانت الحلَّة لاتُقوَّم بقيمة، ولاتثمَّن بِثَمَن.

وإنما بذل الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) هذه العناية الخاصة، وخصَّ ابنته السيدة فاطمة الزهراء بعواطفه الغزيرة دون سائر بناته لأسباب، منها:

فضائلها الشخصية، ومزاياها النفسية.

شخصية زوجها علي بن أبي طالب.

فهو صاحب المواهب والسوابق وهو ابن عم الرسول وأخوه ووزيره وخليفته وحامل لوائه، ولم يكن في أصهاره من له تلك القرابة القريبة والمنزلة الخصيصة.

وان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يعلم أن ابنته الطاهرة ستشملها آية التطهير وآية المباهلة والقربى.

وأنها أُمّ الأئمة الطاهرين إلى يوم القيمة.

لقد جاءت تلك الليلة التي ستشعر السيدة فاطمة بأنها يتيمة، وتشعر بفقدان أمها خديجة، والأم لها دور مهم في ليلة عرس إبنتها، ولكن أين خديجة هذه الليلة؟

ولما انصرفت الشمس نحو الغروب دعا الرسول بابنته الطاهرة ودعا بصهره العظيم فأقبلت السيدة فاطمة وقد لبست ثوباً طويلاً، تجرّ ذيلها على الأرض، وقد تصبَّبت عَرقاً حياءً من أبيها سيد الأنبياء.

وقد شاء اللّه تعالى أن يكون زواج السيدة فاطمة ممتازاً من جميع الجوانب والنواحي وهكذا أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن

لاتشعر إبنته العزيزة باليتم، ولهذا.ولغير ذلك ـ أتى النبي ببغلته الشهباء، وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: إركبي.

وأمر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) سلمان أن يقود البغلة، وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يسوقها[١].

باللّه عليك ـ أيها القارىء ـ هل سمعت أو قرأت في تاريخ عظماء الدنيا ـ من أنبياء وملوك ووزراء وسلاطين ـ أن بنتاً تزف إلى دار زوجها، وسيّد الأنبياء يسوق بغلتها؟

نعم، لقد اشترك أهل السماء مع أهل الأرض في زفاف الإنسية الحوراء.

فقد روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج٥ ص٧) والجويني في(فرائد السمطين) والذهبي في (ميزان الاعتدال) والعسقلاني في (لسان الميزان) والقرماني في (أخبار الدول) والقندوزي في (ينابيع المودة) عن ابن عباس انه قال:

لمّا زُفّت فاطمة إلى علي كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قُدّامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملَك خلفها، يسبّحون اللّه ويقدّسونه حتى طلع الفجر.

وروي عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه (عليهم السّلام) عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال: «... فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ببغلته الشهباء[٢] وثنى عليها قطيفة، وقال: اركبي.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٢ـ كان النبي (صلّى اللّه عليه وآله) قد سمّى ناقته: العضباء، وبغلته: الشهباء، وعصاه: الممشوق، وعمامته: السحاب. وهكذا.

وأمر سلمان أن يقودها، والنبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يسوقها.

فبينما هو في بعض الطريق اذ سمع النبي وجبة[1] فاذا هو بجبرئيل في سبعين ألفاً، وميكائيل في سبعين ألفاً.

فقال النبي: ما أهبطكم الى الأرض؟

قالوا: جئنا نزفّ فاطمة الى علي بن أبي طالب.

فكبّر جبرئيل، وكبَّر ميكائيل، وكبّرت الملائكة، وكبّر محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

فوقع التكبير على العرائس من تلك الليلة[2].

وهكذا اجتمع رجالات بني هاشم يمشون في موكب السيدة، وأمر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بنات عبدالمطلب(عماته) ونساء المهاجرين والأنصار أن يرافقن فاطمة في تلك المسيرة وكانت زوجات الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يمشين قُدَّامها، ويرجزن فكانت أم سلمة تقول:

سِرنَ بعون اللّه جاراتي ... واشكرنه في كل حالات

واذكرن ما أنعم رب العلى ... من كشف مكروه وآفات

فقد هدانا بعد كفر ، وقد ... أنعشنا ربّ السموات

وسرن مع خير نساء الورى ... تُفدى بعمّاتٍ وخالات

يا بنت من فضّله ذو العلى ... بالوحي منه والرسالات

ثم قالت عائشة:

يا نسوة إسترن بالمعاجر ... واذكرن ما يحسن في المحاضر

واذكرن ربَّ الناس إذ يخصنا ... بدينه مع كل عبد شاكر

والحمد اللّه على أفضاله ... والشكر للّه العزيز القادر

١ـ الوجبة: السقطة مع الهدّة.

٢ـ أمالي الطوسي ج١ ص٢٦٣.

سرنَ بها فاللّه أعطى ذكرها   وخصّها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصة:

فاطمة خير نساء البشرِ   ومن لها وجه كوجه القمرِ
فضّلكِ اللّه على كل الورى   بفضل مَن خُصّ بآي الزمر
زوّجكِ اللّه فتىً فاضلاً   أعني علياخير مَن في الحضر
فَسرن جاراتي بها إنها   كريمة بنت عظيم الخطر

ثم قالت معاذه أم سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيهِ   وأذكر الخير وأبديهِ
محمد خير بني آدم   ما فيه من كبرٍ ولاتيه
بفضله عرّفنا رشدنا   فاللّه بالخير يجازيه
ونحن مع بنت نبي الهدى   ذي شرف قد مكنت فيه
في ذروة شامخة أصلها   فما أرى شيئاً يُدانيه

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز، ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إلى علي ودعاه ثم دعا فاطمة فأخذ يدها ووضعها في يد علي وقال: بارك اللّه في إبنة رسول اللّه.

يا علي! هذه فاطمة وديعتي عندك!!

يا علي! نعم الزوجة فاطمة!

ويا فاطمة! نعم البعل علي!!

اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شبليهما اللهم إنهما أحب خلقك إليّ فأحبّهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإني اعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم.

ثمّ دعا بماء فأخذ منه جرعة فتمضمض بها، ثم مجّها في القعب، ثمّ صبّها على رأس فاطمة وعلى صدرها وبين كتفيها ثم دعا علياً فصنع به

كما صنع بها.

وأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) النساء بالخروج فخرجن، وبقيت أسماء بنت عُميس، فلما أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يخرج رأى سواداً فقال. من أنت؟

قالت: أسماء بنت عميس!

قال: ألم آمرك أن تخرجي؟

قالت: بلى يارسول اللّه! فداك أبي وأمي، وما قصدت خلافك، ولكني أعطيت خديجة عهدا ـ وحدثته ـ فبكى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذ هاجت عواطفه من حديث خديجة، وانها كانت تتفكر حول تلك الليلة، وأن فاطمة ـ الليلة ـ منكسرة القلب.

فقال لها: باللّه لهذا وقفت؟

قالت أسماء: نعم، واللّه!

فقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): يا أسماء، قضى اللّه لك حوائج الدنيا والآخرة.

الأقوال حول سنة زواجها

اختلف المؤرخون والمحدثون في تاريخ سنة زواج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) فقد روى السيد ابن طاووس في الإقبال باسناده إلى الشيخ المفيد: ان زواجها كان ليلة إحدى وعشرين من المحرم سنة ثلاث من الهجرة.

وفي المصباح: في أول يوم من ذي الحجة، وروي أنه كان يوم السادس منه.

وفي الأمالي: أن زواجها كان بعد وفاة رقية زوجة عثمان بستة عشر يوماً وذلك بعد رجوعه من بدر، وذلك لأيام خلت من شوال.

تحقيق حول أسماء بنت عميس وأُم سلمة

إن اسماء بنت عُميس كانت زوجة جعفر بن أبي طالب وقد هاجر جعفر إلى الحبشة مع زوجته وعدد من المسلمين قبل الهجرة من مكة بسنوات، ورجع جعفر من الحبشة إلى المدينة يوم فتح خيبر في السنة الخامسة من الهجرة.

هذا هو المتفق عليه بين المؤرخين. ولكنك تجد حديثاً يصرِّح بحضور أسماء بنت عُميس عند السيدة خديجة الكبرى ساعة وفاتها في مكة كما مر عليك.

وتجد الأحاديث الكثيرة التي تصرِّح بحضورها في زواج السيدة فاطمة الزهراء تجد التصريح باسمها وإسم أبيها واللقب: (أسماء بنت عُميس الخثعمية).

وقد روى صاحب كشف الغمة حضور أسماء بنت عميس الخثعمية في زواج السيدة فاطمة، ورواه الحضرمي في (رشفة الصادي ص١٠) وأحمد بن حنبل في (المناقب) والهيثمي في (مجمع الزوائد) والنسائي في (الخصائص ص٣١) ومحب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) عن إبن عباس، وعن الخوارزمي عن الحسين بن علي (عليهما السّلام) وعن السيد جلال الدين عبدالحميد بن فخار الموسوي، وعن الدولابي وعن الإمام الباقر عن آبائه (عليهم السّلام).

وروى عن بعض هؤلاء شيخنا المجلسي في البحار ج٤٣.

مع العلم أن زواج السيدة فاطمة كان بعد واقعة بدر، وقبل واقعة أحد، أي في السنة الأولي أو الثانية من الهجرة، فكيف الجمع بين هذين القولين؟

إن هذه مشكلة تاريخية لم يجد المؤرخون لها حلاً مقبولاً صحيحاً، وقد تكلَّف شيخنا المجلسي في البحار ج٤٣ ببعض التأويلات أو التصرفات. ولكنها لاتتفق مع التصريح باسم أسماء بنت عُميس الخثعمية.

وأعجب من هذا ما ذكره القمي في سفينة البحار في مادة (ك ذ ب) عن مجاهد قال: قالت أسماء بنت عُميس: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول اللّه، ومعي نسوة، وقالت: فواللّه ما وجدنا عنده قوتاً إلاّ قدحاً من لبن، فشرب ثم ناوله عائشة، فاستحيت الجارية فقلت لها: لاتردّي يد رسول اللّه، خذي منه، فأخذته على حياء فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك.

فقلن: لانشتهيه.

فقال: لاتجمعن جوعاً وكذباً.

قالت: فقلت: يارسول اللّه إن قالت إحدانا ـ لشيء ـ : لانشتهيه أيعدُّ ذلك كذباً؟

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ان الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيبة كذيبة.

كان المقصود من ذكر هذا الحديث هو حضور أسماء بنت عميس في زواج الرسول بعائشة وكان ذلك قبل زواج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام).

أضف إلى هذا أنه قد اشتهر بالتواتر حضور أسماء بنت عميس عند ولادة الإمام الحسين (عليه السّلام) في السنة الرابعة أو الخامسة من الهجرة،

وكل ذلك قبل فتح خيبر، أي قبل رجوع جعفر بن أبي طالب من الحبشة.

وقد روى شيخنا المجلسي في البحار ج٤٣ عن محمد بن يوسف الكنجي في كتابه: (كفاية الطالب) حضور أسماء بنت عميس في زواج السيدة فاطمة الزهراء.

قال محمد بن يوسف: هكذا رواه ابن بطة، وهو حسن عال، وذكر أسماء بنت عميس في هذا الحديث غير صحيح لأن أسماء هذه إمرأة جعفر ابن أبي طالب...

إلى أن قال: وأسماء التي حضرت في عرس فاطمة (عليها السّلام) إنما هي أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصاري، وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشة، وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع، وكان زواج فاطمة (عليها السّلام) بعد وقعة بدر بأيام يسيرة، فصحّ بهذا أن أسماء المذكورة في هذا الحديث إنما هي بنت يزيد ..... الى آخره.

أقول: لو لم يكن في الأحاديث تصريح باسم أسماء وإسم أبيها ولقبها لأمكن هذا التوجيه أو التأويل، ولكن كيف يصح هذا التكلف والتعسّف في التأويل في مقابل هذا النص الصريح، وهو: (أسماء بنت عميس الخثعمية)؟

وأما أسماء بنت يزيد الأنصاري فان لنا أن نتساءل: كيف كانت في مكة يوم توفيت السيدة خديجة مع العلم أنها أنصارية أي من أهل المدينة؟

والحال أن أسماء التي حضرت وفاة خديجة في مكة هي التي حضرت زواج فاطمة الزهراء في المدينة.

وانني أظن أن الكنجي إنما قال هذا لوجود المشاركة في الاسم بين أسماء بنت عميس وأسماء بنت يزيد، ولم يذكر أحد من المؤرخين حضور أسماء الأنصارية في مكة عند وفاة السيدة خديجة.

والذي يقوى عندي أن الحل الصحيح والجواب المعقول هو: أن أسماء هذه هي أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة جعفر بن أبي طالب، وأنها هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ولكنها رجعت إلى مكة، وهاجرت إلى المدينة، ولعلها كررت سفرها إلى الحبشة لأن المسافة من جدة إلى الحبشة هي مسافة عرض البحر الأحمر، وليس قطع هذه المسافة بالصعب المستصعب ذهاباً وإياباً، وان كان التاريخ لم يذكر ذلك لأسماء فان التاريخ أيضاً لم يذكر لأبي ذر الغفاري هجرته إلى الحبشة، وقد روي عن أبي ذر قوله: كنت أنا وجعفر بن أبي طالب مهاجرين إلى بلاد الحبشة .... الى آخر كلامه.

روى ذلك الشيخ المجلسي عن كتاب: (علل الشرائع) للصدوق.

وقد ظفرت برواية رواها المجلسي في البحار ج٤٣ في باب تزويج السيدة فاطمة (عليها السّلام) عن كتاب (مولد فاطمة) عن ابن بابويه: أمر النبي بنات عبدالمطلب.... إلى أن يقول: والنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وحمزة وعقيل و(جعفر) وأهل البيت يمشون خلفها... الى آخره.

فالتصريح بوجود جعفر يحل هذه المشكلة:

بقيت هنا كلمة: وهي ان هجرة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كانت بعد وفاة السيدة خديجة الكبرى قطعاً، على اختلاف في تاريخ وفاتها في الشهور والأعوام قبل الهجرة.

ولكن الظاهر أن السيدة خديجة توفيت قبل الهجرة بأقل من سنة.

ومن ناحية أخرى كانت هجرة جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة مرتين، وهجرته الثانية كانت بعد وفاة السيدة خديجة، وقبل هجرة الرسول إلى المدينة.

والدليل على ذلك هو الخبر المروي: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم كان في الغار قال: (اني أرى سفينة جعفر تعوم في البحر).

ومن هنا يسهل علينا أن نعرف بأنّ أسماء بنت عميس كانت في مكة يوم وفاة خديجة، وأنها قد حضرت عند وفاتها.

وأما مشكلة اُم سلمة، فاننا نجد اسم السيدة اُم سلمة في الأيام التي سبقت زواج السيدة فاطمة الزهراء، فقد كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في بيتها يوم خطبة علي (عليه السّلام) من فاطمة الزهراء، وقد قرأتَ أن النبي أودع عندها شيئاً من صداق فاطمة الزهراء وكانت مرجع النساء في قضايا زواج السيدة فاطمة.

مع العلم أن المؤرخين ذكروا أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) تزوجها في السنة الرابعة من الهجرة، وزواج السيدة فاطمة كان في السنة الثانية من الهجرة بعد بدر وقبل أحد، فكيف كانت أم سلمة في هذه المراحل مع العلم أنها لم تكن زوجة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يومذاك؟.

نجيب على هذا السؤال بما يلي:

أولاً: المناقشة في سنة زواجها من الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فلعل الرسول تزوجها في أوائل الهجرة، أو أن زواج السيدة الزهراء كان في السنةالرابعة من الهجرة وهذا احتمال بعيد وقول ضعيف لايُعبأ به.

ثانياً:ان السيدة أم سلمةهي بنت عمةالنبي(صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فلامانع ان تساهم في مراحل زواج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) بحيث أن النبي يستودعها صداق فاطمة الزهراء، أو يكون لها إقتراح ورأي في تعجيل زفاف السيدة فاطمة الزهراء. ولعلّ هذا الوجه هو الأقوى.

هذا ما يتبادر الى ذهني واللّه العالم بحقائق الأمور.

بيت فاطمة (عليها السّلام)

إن الحضارة ـ اليوم ـ بدأت تشعر بضرورة إحترام بعض المساكن والمباني والأراضي، وذلك بعد أن شعرت باحترام الفضيلة وأهلها، والتقدير عن الشرف والعلم والقيم.

وعلى هذا الأساس أحدثت الحضارة قانوناً بل قوانين بهذا الشأن، ورعاية لهذا الأمر، فالصيانة الدبلوماسية التي منحها القانون لمباني السفارات والهيئات الدبلوماسية وهكذا القوانين التي تفرض إحترام الجامعات والمعاهد العلمية والمساجد والمعابد تقديراً للعلم والدين والثقافة هي من نتائج الشعور بهذا المعنى.

ولكن هذه الحقيقة كانت ثابتة عند اللّه تعالى، وعند أوليائه من أهل السموات والأرض منذ الأزل، وانطلاقاً من هذه الحقيقة نجد الأحكام الواردة حول احترام المساجد وخاصة المسجد الحرام، وتحريم الدخول فيه على بعض الأفراد كالمشركين أو المجنب والحائض، وتحريم تنجيسها، أو إتيان ما ينافي قدسيتها وإحترامها، أو الصيد في الحرم (وهو المناطق المحيطة بمكة من جميع الجوانب، حسب حدود معينة مذكورة في كتب الفقه).

بعد ذكر هذه المقدمة إعلم أن البيت الذي كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تسكن وتعيش فيه كان محاطاً بالقداسة والروحانية والنور، والتجليل والتبجيل، ويعرف حق ذلك البيت كل مَن يعرف حقَّ فاطمة وأبيها، وبعلها وبنيها.

وقد روى شيخنا المجلسي (عليه الرحمة) عن أنس بن مالك وعن بريدة قال: قرأ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «في بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدو والآصال»[١].

فقام رجل فقال: أي بيوت هذه يارسول اللّه؟

فقال: بيوت الأنبياء.

فقام إليه أبو بكر،

فقال: يارسول اللّه! هذا البيت منها؟!

وأشار إلى بيت علي وفاطمة.

قال: نعم، من أفضلها!![٢].

وعن ابن عباس قال: كنت في مسجد رسول اللّه، وقد قرأ القارىء: (في بيوت أذن اللّه أن ترفع ويذكر فيها اسمه... الآية) فقلت: يارسول اللّه! ما البيوت؟

فقال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): بيوت الأنبياء. وأومى بيده إلى منزل فاطمة![٣].

وفي الكافي عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال: خرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يريد فاطمة (عليها السّلام) وأنا معه، فلما إنتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه، ثم قال: السلام عليكم.

فقالت فاطمة (عليها السّلام): عليك السلام يارسول اللّه.

قال: ءأدخل؟

قالت: ادخل يارسول اللّه.

١ـ النور: ٣٦.

٢ـ وفي نسخة: من افاضلها/تفسير الثعلبي ومنه تفسير (البرهان) ج٣/١٣٩.

٣ـ كشف الغمّة.

قال: أدخل أنا ومن معي؟

فقالت: يارسول اللّه ليس عليَّ قناع.

فقال: يافاطمة خذي فضل ملحفتك، فقنّعي به رأسكِ. ففعلت.

ثم قال: السلام عليكم.

فقالت: وعليك السلام يارسول اللّه.

قال: ءأدخل؟

قالت: نعم يارسول اللّه.

قال: أنا ومَن معي؟

قالت: أنت ومَن معك.... الى آخره[1].

١ـ الكافي ج٥/باب الدخول على النساء حديث٥.

حياتها الزوجية

انتقلت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) إلى البيت الزوجي، وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والوصاية والخلافة والولاية، وحصل تطور في سعادة حياتها، فبعد أن كانت تعيش تحت شعاع النبوة صارت قرينة الإمامة.

كانت حياتها في البيت الزوجي تزداد إشراقاً وجمالاً، إذ كانت تعيش في جوٍّ تكتنفه القداسة والنزاهة، وتحيط به عظمة الزهد وبساطة العيش، وكانت تعين زوجها على أمر دينه وآخرته، وتتجاوب معه في اتجاهاته الدينية، وتتعاون معه في جهوده وجهاده.

وما أحلى الحياة الزوجية إذا حصل الإنسجام بين الزوجين في الاتجاه والمبدأ ونوعية التفكير، مبنياً على أساس التقدير والاحترام من الجانبين.

وليس ذلك بعجيب، فان السيدة فاطمة الزهراء تعرف لزوجها مكانته العظمى ومنزلته العليا عند اللّه تعالى، وتحترمه كما تحترم المرأة المسلمة إمامها، بل أكثر وأكثر، فإن السيدة فاطمة كانت عارفة بحق علي (عليه السّلام) حق معرفته، وتقدِّره حق قدره، وتطيعه كما ينبغي، لأنه أعز الخلق إلى رسول اللّه.

لأنه صاحب الولاية العظمى، والخلافة الكبرى والإمامة المطلقة.

لأنه أخو رسول اللّه وخليفته، ووارثه ووصيه.

لأنه صاحب المواهب الجليلة، والسوابق العظيمة.

وهكذا كان علي (عليه السّلام) يحترم السيدة فاطمة الزهراء إحتراماً لائقاً بها، لا لأنها زوجته فقط:

بل لأنها أحب الخلق إلى رسول اللّه.

لأنها سيدة نساء العالمين.

لأن نورها من نور رسول اللّه.

لأنها من الذين بهم فتح اللّه كتاب الايجاد والوجود.

لأنها كتلة من العظمة.

لأنها مجموعة من الفضائل، ولو كانت فضيلة واحدة من تلك الفضائل متوفرة في إمرأة واحدة لاستحقت التقدير والتعظيم.

فكيف بفاطمة الزهراء، وقد اجتمعت فيها من المزايا والمواهب والفضائل والمكارم ما لم تجتمع في أية إمرأة في العالم كله، من حيث النسب الشريف الأرفع، والروحانية والقدسية، ومن حيث بدء الخلقة ومنشأ إيجادها وكرامتها عند اللّه، وعبادتها وعلمها وديانتها وزهدها وتقواها وطهارتها ونفسيتها وشخصيتها، وغير ذلك من مئات المزايا مما يطول الكلام بذكرها.

بعد ما قصصنا وما لم نقصص عليك يمكن لك أن تدرك الجوّ الذي كان الزوجان السعيدان يعيشانه، والحياة الطيبة السعيدة الحلوة (بجميع معنى الكلمة) التي كانا يتمتعان بها:

حياة لايعكِّرها الفقر،ولاتغيّرها الفاقة، ولاتضطرب بالحوادث.

حياة يهبُّ عليها نسيم الحب والوئام، وتزيّنها العاطفة بجمالها المدهش.

قال علي (عليه السّلام): فواللّه ما أغضبتُها ولا أكرهتُها على أمر حتى قبضها اللّه (عزّوجلّ)، ولاأغضَبتني ولاعَصَت لي أمراً، لقد كنت

أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان[١].

وروي عن الإمام الباقر (عليه السّلام): ان فاطمة (عليها السّلام) ضمنت لعلي (عليه السّلام) عمل البيت والعجين والخبز، وقمّ البيت، وضمن لها علي (عليه السّلام) ما كان خلف الباب: نقل الحطب وان يجيء بالطعام، فقال لها يوماً: يا فاطمة هل عندكِ شيء؟

قالت: والّذي عظّم حقّك، ماكان عندنا منذ ثلاثةأيّام شيء نقريك به.

قال: أفلا أخبرتِني؟

قالت: كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) نهاني أن أسألك شيئاً، فقال: لاتسألي ابن عمّكِ شيئاً، إن جاءك بشيء وإلاّ فلاتسأليه[٢].

ولايُعلم بالضبط مدة إقامة الإمام والسيدة فاطمة (عليهما السّلام) في دار حارثة بن النعمان، إلاّ أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بنى لها بيتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلى المسجد، كبقية الحُجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت السيدة فاطمة إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت اللّه، المجاور لبيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص٣١. عن تفسير العيّاشي.

أكذوبة التاريخ في حق علي (عليه السّلام)

لقد تكرر منّا الكلام أن بعض حَمَلة الأقلام أساؤا إلى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في شتى الميادين ومختلف المجالات، وقد تقدم منا الكلام أن زواجِ الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بالسيدة فاطمة (عليها السّلام) قد هيّج الأحقاد في قلوب الحاسدين، فجعلوا يتشبثون بشتّى الوسائل لتعكير حياة الزوجين السعيدين، وإثارة الفتن والمشاغبات، كما هو شأن المفسدين الذين تتكوّن عندهم عقدة الحقارة النفسيّة بسبب الفشل في الحياة.

ومن جملة تلك المشاغبات أنهم أشاعوا أن علياً قد خطب إبنة أبي جهل، ووصل الخبر إلى السيدة فاطمة الزهراء أن زوجها قد خطب بنت رئيس المشركين وقطب الكافرين أبي جهل.

فتأثرت السيدة فاطمة وذهبت إلى حجرة أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ولكن سرعان ما انكشف الأمر، واتضحت الحقيقة، وظهر تزوير هذا الخبر.

هذه خلاصة هذه الاكذوبة.

ولكن هلُمَّ معي إلى بعض المؤلفين والكُتّاب كيف اتخذوا هذه التهمة مرتعاً خصباً للتهريج والتشنيع ضد الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام)، فجعلوا يطبّلون ويزمّرون من حيث يشعرون أو لايشعرون.

ومن جملة المطبّلين والمزمّرين هي الكاتبة المصرية بنت الشاطىء، التي

كتبت ما كتبت وهي غير مبالية بما تكتب، أو متعمدة فيما تكتب، فإنها اعتبرت هذه الأكذوبة حقيقة ثابتة عندها، لاشك فيها ولاريب.

وهنا نقتطف بعض ما كتبته هذه الكاتبة المصرية في كتابها: (بنات النبي) ص١٦٧:

«لقد همّ عليٌّ بالزواج على فاطمة... دون أن يخطر بباله أن في هذا ما تنكره بنت نبي الإسلام».

أنا لاأدري بماذا أجيب على هذه الكلمة الهوجاء التائهة؟

وهل يوجد في العالم كلّه رجلٌ لايشعر أن زوجته تكره الضرّة؟ وتكره أن يتزوج عليها زوجها؟

إنَّ أقلَّ الناس إدراكاً ومعرفة بالأمور يشعر بهذا الأمر، ولكن الكاتبة تقول: «دون أن يخطر بباله (ببال علي) أن في هذا ما تنكره بنت نبي الإسلام»!!

وتقول بعد ذلك: «ألا: ليت علياً قد صبر على واحدة».

ثم إنّها ملأت صفحات من كتابها في ذم أبي جهل ومواقفه ضد الإسلام، ثم قارنت بين بنت أبي جهل وبين بنت الرسول، وهي بهذه المقارنة تقصد التشنيع والتهريج ضدّ هذا الزواج المزعوم.

ومن العجب أن الكاتبة نفسها تبدي استياءَها من بعض المستشرقين المسيحيين المتعصبين الذين تلاعبوا بالتاريخ الإسلامي، وتخص الكاتبة منهم (لامانس) المبشّر المسيحي المعادي.

ومع الأسف أن الكاتبة نفسها نسيت التريّث والترويّ حول هذه المفتريات، واعتبرتها وحياً يوحى.

واستعانت الكاتبة بنسيج خيالها ووصفها الروائي الذي هي عادة مؤلفي الأساطير.

وهنا يجيب الفاضل المعاصر السيد حسن الأمين ـ عن هذه المفتريات ـ في الجزء الثالث من كتابه: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ص(١٠) تحت عنوان:

دسائس على النبي وعليّ وفاطمة:

ورد في كتاب (ذخائر العقبى) أن علياً أراد أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، وان النبي غضب لذلك وصعد المنبر محتدّاً ناقماً على هذا الأمر، شاجباً له، بالتفاصيل المزرئة التي وردت في الكتاب، مما هو طعن صريح بمحمد، فضلاً عن أنه طعن بعليّ وفاطمة.

أمّا إنه طعن بمحمد: فذلك أنه أظهره بمظهر من يرفض أن يطبّق الشريعة على نفسه وعلى من يتصل به في حين أنه يفرض على غيره تطبيقها.

فهو يبيح للناس تعدد الزوجات، ولكن يأبى أن ينطبق هذا التعدد على ابنته.

وهذا من أفظع ما يوجّه إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من مطاعن، ولكن أعداء محمد استطاعوا أن يفعلوا ذلك، وأن يستغلّوا ذوي النظر القصير، فيروونه في كتبهم ولايرون فيه شيئاً.

أمّا إنه طعن في علي: فذلك بإظهاره بمظهر من أغضب فاطمة وأغضب النبي نفسه.

وأمّا أنه طعن في فاطمة: لأنها تأبى أن تطبّق شريعة اللّه التي جاء بها أبوها على نفسها.

نحن لن نتعرّض لسند الخبر، فإن هذا الخبر باديء الفساد من نفسه ولكننا نتسائل: لماذا خصّ راووا الخبر بنت أبي جهل بهذا الشرف؟

ولماذا لم ينسبوا إلى علي محاولته التزويج على فاطمة من غير بنت

أبي جهل؟.

أكان ذلك لأن بنت أبي جهل كانت من الجمال والكمال بحيث لم تكن أي فتاة عربية غيرها على شيء من مثلها؟

إنما خصُّوا بذلك بنت أبي جهل ليكون الطعن في علي (عليه السّلام) أبلغ وأنفذ، فهو لم يختر لإغاظة النبي وابنته فاطمة إلاَّ بنت أعدى عدوّ للنبي والإسلام.

كشفت الدسيسة عن نفسها، وفضحت مخترعيها، ولو كانوا أكثر ذكاءً لخفّفوا من غلوائهم، ولم يمدحوا أنفسهم وهم يشتمون محمداً وابنته وابن عمه.

فقد أوردوا في القصة هذا النص عن لسان النبي: (ذكر ـ النبي ـ صهراً له من بني عبدشمس فأثنى عليه في مصاهرته فأحسن).

قال ـ النبي ـ : «حدَّثني ـ أي ذلك الصهر من بني عبدشمس ـ فصدَّقني، ووعدني فأوفاني».

ومعنى هذا الكلام أن النبي يثني على صهره الأموي من بني عبدشمس ويقول عنه: انه حدّثه فصدقه في حديثه، ووعده فوفى بما وعد!!

والنتيجة الحتمية لهذا الكلام أن صهر النبي الآخر (علي بن أبي طالب) حدّث النبيَّ وكذب، ووعد النبي فغدر ولم يفِ، وأن النبي ذمَّه في مصاهرته إياه!!

وهكذا ـ كما قلنا ـ فضحت الدسيسة نفسها بنفسها وأظهرت زيفها دون أن تحوجنا في ذلك إلى كثير عناء.

أُريدَ لهذا الخبر الزائف غاية أخرى مضافة إلى غاية الطعن في النبي وفي علي وفاطمة، هذه الغاية هي صرف الأنظار عن حقيقة الذين أغضبوا

فاطمة، وجعل المقصود بذلك هو علي بن أبي طالب.

فقد أورد مدبّرو الخبر ومنظّموه ـ أوردوه بعدّة نصوص ليكون في كل نصٍ غاية مستقلة.

ومن النصوص التي أوردوها قولهم: قال النبي: فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما يؤذيها».

ثم فسّروا هذا الحديث بأن قالوا: ان المقصود منه أن اللّه حرَّم على علي أن يتزوج على فاطمة ويؤذي رسول اللّه.

ولادة الامام الحسن (عليه السّلام)

وحملت السيدة فاطمة الزهراء بولدها الحسن (عليه السّلام) وعمرها إثنتا عشر سنة وانتقل شيء من نور الإمام والإمامة من صلب علي إلى فاطمة، ومن الطبيعي أن النور يتجلى في وجهها، ويزهر وجهها كي يصدق عليها إسم (الزهراء) واقتربت الولادة، واتفقت للرسول سفرة جاء يودّع ابنته فاطمة، فأوصاها بوصايا تتعلق بالمولود المنتظر ومنها: أن لايلفّوه في خرقة صفراء.

ووضعت فاطمة ولدها الأول في النصف من شهر رمضان (على قول) سنة ثلاث من الهجرة، فكان يوماً عظيماً، وقد حضرت عند الولادة أسماء بنت عميس فلفّوه في خرقة صفراء، لاتعمّداً ومخالفة للرسول، بل سهواً وغفلة ـ أو جهلاً ـ من النسوة اللاتي حضرن الولادة.

فأقبل النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقال: أروني ابني، ما سميتموه؟

وكانت فاطمة قالت لعلي (عليه السّلام): سَمِّه. فقال علي: ما كنت لأسبق باسمه رسول اللّه.

فلما جاء النبي وأخذ المولود قال: ألم أنهكم أن تلفُّوه في خرقة صفراء؟ ثم رمى بها، وأخذ خرقة بيضاء فلفَّه بها.

ثم قال لعلي (عليه السّلام): هل سمّيتَه؟

فقال علي: ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): وما كنت لأسبق ربي (عزّوجلّ).

فأوحى اللّه إلى جبرئيل: أنه قد وُلد لمحمد ابن، فاهبط، فاقرأه السلام، وهنّأه وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون.

فهبط جبرئيل فهنّأه من اللّه (عزّوجلّ)، ثم قال: ان اللّه تبارك وتعالى يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون.

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): وما كان اسمه؟

قال جبرئيل: شبّر.

فقال النبي: لساني عربي[1].

قال جبرئيل: سمّه الحسن. فسمّاه الحسن، وأذّن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى.

فلما كان يوم السابع عقّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً وديناراً. وحلق رأسه، وتصدّق بوزن الشعر فضّة، وطلى رأسه بالخلوق[2] وقال: يأسماء الدم فعل الجاهلية. [أي ان أهل الجاهلية كانوا يطلون رأس المولود بالدم].

وكان الرسول يقبّله، ويُدخل لسانه في فم الحسن فيمصّه الحسن وقيل: كان ذلك كله يوم السابع من الولادة[3].

١ـ لأن شبّر كلمة عبرية وليست عربية.

٢ـ الخلوق: طيب مركّب من الزعفران وغيره.

٣ـ بحار الأنوار ج٤٤.

ولادة الامام الحسين (عليه السّلام)

حملت السيدة فاطمة الزهراء بطفلها الثاني، ومضت ستة أشهر على الحمل، وإذا بها تشعر بعلائم الولادة.

وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قد بشَّر بولادة الحسين.

قال الإمام الصادق (عليه السّلام): أقبل جيران أُم أيمن إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقالوا: يارسول اللّه إن أُم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي حتى أصبحت.

فبعث رسول اللّه إلى أم أيمن فجاءته فقال لها: يا أم أيمن! لاأبكى اللّه عينيك! إن جيرانك أتوني وأخبروني أنك لم تزل الليل تبكين أجمع، فلاأبكى اللّه عينيك ما الذي أبكاك؟

قالت: يارسول اللّه، رأيت رؤيا عظيمة شديدة، فلم أزل أبكي الليل أجمع.

فقال لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): فقُصّيها على رسول اللّه، فإن اللّه ورسوله أعلم.

فقالت: تَعظم عليَّ أن أتكلم بها.

فقال لها: إن الرؤيا ليست على ما تُرى، فقُصّيها على رسول اللّه.

فقالت: رأيت ليلتي هذه كأن بعض أعضائك ملقىً في بيتي!

فقال لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): نامت عينك ورأيت

خيراً، يا أم أيمن تلد فاطمة الحسين فتربينه وتلبّينه فيكون بعض أعضائي في بيتك.

فلما ولدت فاطمة الحسين (عليهما السّلام) أقبلت به أم أيمن إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال: مرحباً بالحامل والمحمول، يا أُم أيمن هذا تأويل رؤياك.

ورأت أُم الفضل زوجة العباس (عم النبي) رؤيا شبيهة برؤيا أم أيمن.

وحضرت النسوة وقت الولادة، منهن: صفية بنت عبدالمطلب (عمة النبي) وأسماء بنت عميس وأُم سلمة، فلما وُلد الحسين قال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ياعمة هلمّي إليّ إبني.

فقالت: يا رسول اللّه إنّا لم ننظّفه بعد.

فقال: يا عمة أنت تنظّفينه؟ إن اللّه تبارك وتعالى قد نظّفه وطهّره.

وهبط جبرئيل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأمره أن يسمّيه: الحسين باسم ابن هارون، وكان إسمه بالعبرية (شبير) ومعناها بالعربية: الحسين.

وهبط على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أفواج من الملائكة لتُهنئه بولادة الحسين وتعزّيه بشهادته، وأخذ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الحسين، فجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين يمصّه.

وكان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يأتيه كل يوم، فيلقمه لسانه فيمصّه الحسين حتى نبت لحمه واشتد عظمه من ريق رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولم يرتضع الحسين (عليه السّلام) من أُمّه، ولا من إمرأة أخرى!

قال سيدنا بحر العلوم (عليه الرحمة):

للّه مرتضع لـم يرتضع أبـداً من ثدي أُنثى ومن طه مراضعه
يعطيـه إبهـامـه آنـاً فـآونـةً لسانـه فـاستوت منه طبـائعه

وفي اليوم السابع من ولادته أمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فحلق رأس الحسين، وتصدّق بوزن شعره فضة، وعقّ عنه[١].

هذا وتجد التفصيل في كتابنا: (الامام الحسين (عليه السّلام) من المهد إلى اللَّحد) إنشاء اللّه تعالى.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

ولادة السيدة زينب الكبرى (عليها السّلام)

من الصحيح أن نقول أن ولادة السيدة زينب الكبرى (عليها السّلام) كانت بعد ولادة الحسين (عليه السّلام).

وبعبارة أخرى: أن السيدة زينب هي الطفل الثالث للسيدة فاطمة الزهراء بإجماع أكثر المؤرخين والمحدّثين، إلاّ من شذّ وندر من المؤرخين المتطرفين الذين جعلوها الطفل الرابع، زاعمين أن السيدة فاطمة الزهراء حملت بزينب بعد سقوط جنين لها، وهم بذلك يقصدون تغطية الجريمة وستر المأساة التي حدثت عند باب دار السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة الرسول، مما أدّى ذلك إلى سقوط جنينها.

ومن جملة الذين أعجبهم هذا القول الشاذّ: هي بنت الشاطىء المصرية في كتابها: (بطلة كربلاء) وإليك نص كلامها:

«إنها الزهراء بنت النبي، توشك أن تضع في بيت النبوة مولوداً جديداً بعد أن أقرّت عيني الرسول بسبطيه الحبيبين: الحسن والحسين، وثالث لم يقدّر له أن يعيش هو المحسن بن علي.... الى آخر كلامها».

ولا يُهمّنا ـ الآن ـ النقاش حول هذه المغالطة، لأن لنا مجالاً واسعاً ـ في المستقبل ـ حول المحسن بن علي، وانه هو الطفل الأخير لفاطمة الزهراء (عليها السّلام) وانه مات جنيناً في بطن أمه على أثر الصدمة والضغطة التي حدثت بين الحائط وبين باب بيت فاطمة.

وإنما نذكر هنا نبذة مختصرة من حياة السيدة زينب الكبرى رعاية

لأسلوب الكتاب، وتجد التفصيل في كتابنا: زينب الكبرى من المهد إلى اللَّحد فإن حياتها المشرقة جديرة بالبحث والتحليل والإشادة والتنويه، ونذكر هنا الشيء اليسير اليسير عن مولدها ونشأتها:

وُلدت السيدة زينب الكبرى في السنة الخامسة من الهجرة، وهي المولود الثالث للبيت النبوي العلوي الشريف الأرفع.

وإنني أراها ـ هنا ـ في غنى عن التعريف والوصف، وما عساني أن أقول في سيدة أبوها: الإمام المرتضى علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وأمها التي أنجبتها: سيدة نساء العالمين الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بضعة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأخواها سيدا شباب أهل الجنة الإمامان: الحسن والحسين (عليهما السّلام) فهي حصيلة الفضائل، ونتيجة العظمة، محاطة بهالة من الشرف الرفيع من جميع جوانبها.

فلاتسأل عن صدرٍ أرضعها، وحجرٍ رباها، وتربية شملتها، ورعاية أحاطت بها، والبيت الذي فتحت فيه عينها.

ولاتسأل عن عوامل الوراثة، وتفاعل التربية، وتأثير الجوّ العائلي المقدّس في نفسية السيدة زينب، مضافة إلى أخلاقها المكتسبة، ومواهبها التي ظهرت من الإمكان إلى الفعل.

وكم يؤلمني أن أقول بأن التاريخ قد ظلم السيدة زينب كما ظلم اباها وأُمَّها وأُسرتها أجمعين. إذ لم يعبأ بها التاريخ كما ينبغي، ولم يتحدث عنها كما تقتضيه وتتطلبه شخصية سيدة مثل زينب الكبرى عقيلة الهاشميين، حفيدة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

وقد سمّاها جدّها الرسول زينباً. والكلمة مركبة من: (زين الأب).

وقد ذكر الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه: (الحسين وبطلة كربلاء) نقلاً عن جريدة (الجمهورية) المصرية ٣١/١٠/٧٢ مقالاً للكاتب

المصري يوسف محمود، نقتطف منه موضع الحاجة:

(وُلدت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة، فحملتها أُمها، وجاءت بها إلى أبيها (علي) وقالت:

سمِّ هذه المولودة.

فقال لها ـ رضي اللّه عنه ـ : ما كنت لأسبق رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم) وكان في سفر له، ولما جاء النبي وسأله عن إسمها قال: ما كنت لأسبق ربي.

فهبط جبرئيل يقرأ على النبي السلام من اللّه الجليل وقال له:

إسم هذه المولودة زينب، فقد اختار اللّه لها هذا الإسم).

هذا ما ذكره صاحب المقال بدون تعرّض لسند هذا الحديث، ذكرته بالنص.

وللسيدة زينب الكبرى حياة مشرقة وتاريخ حافل بالمكارم والفضائل، ومليىء بالمآسي في أدوار حياتها في عهد الطفولة ودور الصبا، من افتجاعها بجدّها الرسول الأقدس (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأُمّها الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) والأحداث التي عاشتها السيدة زينب طيلة ربع قرن، وهي الفترة التي كان أبوها المرتضى علي (عليه السّلام) جليس البيت مسلوب الإمكانيات. ثم هجرتُها من المدينة إلى الكوفة عاصمة أبيها يومذاك.

وشاءت الإرادة الإلهية أن تفجع السيدة زينب بأبيها العظيم الإمام علي (عليه السّلام) تلك الكارثة التي اهتزت لها السموات العلى.

وأعقبت ذلك أحداث من الحرب التي قامت بين أخيها الإمام الحسن (عليه السّلام) وبين معاوية ابن آكلة الاكباد، وما أنتجت تلك النتائج.

وإلى أن انتهت الفترة بوفاة الإمام الحسن (عليه السّلام) مسموماً.

وانقضت سنوات وإذا بالسيدة زينب تواجه كارثة أخرى هي أعظم فاجعة عرفها التاريخ، تلك فاجعة كربلاء الدامية ذات المسيرة الطويلة والأبعاد العديدة، فكانت السيدة زينب تعيش تلك الأحداث بدون أن يعتريها إنهيار أو إرتباك، لم تفقد أعصابها، ولم يختل وعيها.

وإلى أن رجعت إلى المدينة، وحكمت السلطة الامويّة عليها بالإبعاد، فاختارت مصر، وقدّر اللّه لها أن تفارق حياتها ـ تلك الحياة المدهشة ـ في أرض النيل فيكون مثواها ملاذاً ومعاذاً ومهوى افئدة الملايين على مرّ القرون وإلى يومنا هذا وإلى يوم يعلمه اللّه.

هذه نبذة موجزة ولمحة خاطفة تعتبر عصارة وخلاصة لحياة سيدتنا زينب الكبرى (عليها وعلى جدها وأمها وأبيها واخويها الصلاة والسلام).

وإلى اللقاء في كتاب: (زينب الكبرى من المهد إلى اللّحد).

ولادة السيدة أم كلثوم

استقبل بيت السيدة فاطمة الزهراء وعلي (عليهما السّلام) بنتهما الثانية وطفلهما الرابع بما استقبل به من سبقها من الأطفال من الفرح والسرور.

وقد شاركت السيدة ام كلثوم أُختها زينب في النسب الشريف والتربية الممتازة والأحداث كلها، وإن اختلفت عنها في بعض جوانب حياتها.

وهي أيضاً من الذين شملهم ظلم التاريخ، كما شملتها المآسي والآلام التي لايتحملها أقوياء الرجال.

ولعلنا نتطرق إلى نبذة من جوانب حياتها أثناء التحدث عن شقيقتها زينب الكبرى، ونؤدي بعض ما يتطلبه البحث والتحقيق إنشاءاللّه.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في آية القربى

وهي قوله تعالى: «قل لا اسئلكم عليه اجراً إلاّ المودة في القربى، ومَن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن اللّه غفور شكور»[1].

هذه الآية كما تراها خطاب من اللّه العظيم إلى نبيه الكريم: (قل) يا محمد لأمتك: (لااسئلكم عليه) على اداء الرسالة (أجراً) شيئاً من الأجر (إلاّ المودة في القربى) أي إلاّ أن تودّوا قرابتي.

وقد اتفقت كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) وكلمات أتباعهم ان المقصود من القربى هم أقرباء النبي، وهناك أحاديث متواترة مشهورة في كتب الشيعة والعامّة حول تعيين القربى بأفرادهم وأسمائهم، ومن جملة الأحاديث التي ذكرها علماءُ العامّة في صحاحهم وتفاسيرهم هذا الحديث:

لما نزلت هذه الآية قالوا: يارسول اللّه مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): علي وفاطمة وإبناها... الى آخره.

ذكر هذا الحديث طائفة من علمائهم، منهم:

١ـ ابن حجر في الصواعق المحرقة له.

٢ـ الثعلبي في تفسيره.

٣ـ السيوطي في الدر المنثور.

٤ـ أبو نعيم في حلية الأولياء.

١ـ الشورى: ٢٣.

٥ـ الجويني الشافعي في فرائد السمطين.

وحديث آخر رواه الطبري وابن حجر أيضاً: أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: ان اللّه جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي، وإني سائلكم غداً عنهم.

هؤلاء بعض الرواة الذين ذكروا ونقلوا هذا الحديث بصورة إجمالية.

وإليك بعض الأحاديث التي تصرّح باحتجاج أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) بهذه الآية على أن المقصود من القربى هم:

في الصواعق المحرقة لابن حجر: عن علي (عليه السّلام): فينا في آل حم، لايحفظ مودّتنا إلاّ كل مؤمن ثم قرأ: «قل لا اسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً ان اللّه غفور شكور».

وفي الصواعق أيضاً: عن الإمام الحسن المجتبى (عليه السّلام) انه خطب خطبة قال فيها: وأنا من أهل البيت الذين افترض اللّه (عزّوجلّ) مودتهم وموالاتهم، فقال فيما أنزل على محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «قل لاأسئلكم عليه اجراً إلاّ المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت... الى آخره.

وفي الصواعق أيضاً عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السّلام) حينما أتاه رجل من أهل الشام، وهو (عليه السّلام) أسير، وقد أُقيم على باب الجامع الأموي بدمشق فقال له الشامي: الحمد للّه الذي قتلكم... الى آخره. فقال له: أما قرأت: «قل لاأسئلكم عليه اجراً إلاّ المودة في القربى».

وإلى هذا أشار الشاعر الكميت الأسدي بقوله:

وجدنا لكم في آل حم آية ... تأوّلها منّا تقي ومعربُ

وعن جابر بن عبداللّه قال: جاء أعرابي إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

قال: يامحمد إعرض عليَّ الإسلام.

فقال: تشهد أن لا إله إلاَّ اللّه وحده لاشريك له. وأن محمداً عبده ورسوله.

قال: تسألني عليه أجراً؟

قال: لا، إلاَّ المودة في القربى.

قال: قرابتي أو قرابتك؟

قال: قرابتي.

قال: هات أُبايعك، فعلى من لايحبّك ولايحب قرابتك لعنة اللّه.

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): آمين.

رواه الكنجي في (كفاية الطالب) ص٣١.

وذكر ابن حجر في الصواعق ص١٠١ هذين البيتين لابن العربي:

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا

فما طلب المبعوث اجراً على الهدى ... بتبليغه إلاَّ المودة في القربى

وذكر هذين البيتين للامام الشافعي:

يا أهل بيت رسول اللّه حبّكم ... فرض من اللّه في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الشأن أنكُمُ ... مَن لم يُصَلِّ عليكم لاصلاة له

وقد ذكر شيخنا الأميني (عليه الرحمة) في الجزء الثالث من الغدير خمسة وأربعين من أسماء المحدّثين والحفّاظ والمفسّرين من العامّة الذين رووا نزول هذه الآية في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) وهُم:

الإمام أحمد، ابن المنذر، ابن أبي حاتم، الطبري، ابن مردويه، الثعلبي،

أبو عبدالله الملا، أبو الشيخ النسائي، الواحدي، أبو نعيم، البغوي، البزاز، ابن المغازلي، الحسكاني، محب الدين، الزمخشري، بن عساكر، أبو الفرج، الجويني، النيسابوري، إبن طلحة، الرازي، أبو السعود، أبو حيان، ابن أبي الحديد، البيضاوي، النسفي، الهيثمي، ابن الصباغ، الكنجي، المناوي، القسطلاني، الزرندي، الخازن، الزرقاني، ابن حجر، السمهودي، السيوطي، الصفوري، الصبان، الشبلنجي، الحضرمي، النبهاني.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في آية المباهلة

قال اللّه تعالى: «فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة اللّه على الكاذبين»[1].

تعتبر هذه الواقعة من الوقائع المشهورة، والحوادث المعروفة عند المسلمين من يوم وقوعها إلى يومنا هذا، ولا أراني بحاجة إلى ذكر المصادر والمدارك لها.

ويكفي أن أقول: ان جميع المفسرين والمحدّثين ـ إلاّ من شذّ وندر ـ قد اتفقت كلمتهم على نزول هذه الآية على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حينما جرى الحوار بينه وبين النصارى حول عيسى بن مريم (عليه السّلام) وإليك الواقعة بصورة موجزة مروية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام):

قدم على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وفد من نصارى نجران[2] يقدمهم ثلاثة من كبارهم: العاقب، ومحسن، والأسقف، ورافقهم رجلان من مشاهير اليهود، جائوا ليمتحنوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال له الأسقف: يا أبا القاسم فذاك موسى من أبوه؟.

النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): عمران.

الأسقف: فيوسف من أبوه؟

١ـ آل عمران: ٦١.

٢ـ نجران منطقة تقع على الحدود بين الحجاز واليمن.

النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): يعقوب.

الأسقف: فداك أبي وأمي: فأنت مَن أبوك؟

النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): عبداللّه بن عبدالمطلب.

الأسقف: فعيسى مَن أبوه؟

فسكت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فنزل جبرئيل فقال: هو روح اللّه وكلمته.

الأسقف: يكون روح بلاجسد؟

فسكت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فأوحى اللّه إليه: «إنَّ مَثَل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» فوثب الأسقف وثبة إعظام لعيسى أن يقال له من تراب ثم قال: ما نجد هذا ـ يا محمد ـ في التوراة ولا في الإنجيل ولافي الزبور، ولانجد هذا إلاّ عندك. فأوحى اللّه إليه: «فقل تعالوا ندع.... الى آخره».

فقالوا: أنصفتنا يا أبا القاسم فمتى موعدك؟

قال: يالغداة إنشاء اللّه.

فلما صلّى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الصبح أخذ بيد علي وجعله بين يديه، وأخذ فاطمة (عليها السّلام) فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وشماله، وقال لهم: إذا دعوتُ فأمِّنوا. ثم برك لهم باركاً. فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا وتآمروا فيما بينهم وقالوا: واللّه إنه لَنبي، ولئن باهَلَنا ليستجيب اللّه له علينا، فيهلكنا، ولاينجينا شيء منه إلاّ أن نستقيله[1].

وذكر الرازي في تفسيره: قال أُسقف نجران: يامعشر النصارى! إني لأرى وجوهاً لو سألوا اللّه أن يزيل جبلاً لأزاله بها، فلاتباهلوهم فتهلكوا،

١ـ بحار الأنوار ج١٦.

ولايبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه ثم قالوا: يا أبا القاسم أقِلنا.

قال: نعم. قد أقلتكم، أما: والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك اللّه على ظهر الأرض نصرانياً إلاّ أهلكه.

ذكرنا هذه الواقعة مع رعاية الأختصار، وقد ذكرنا ما تيسّر حول الآية في كتاب (علي من المهد إلى اللّحد).

ويكون حديثنا ـ هنا ـ حول قوله تعالى: «ونساءنا ونساءكم» فقد أجمع المسلمون أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يأخذ معه من الرجال إلاّ علياً، ومن الأبناء إلاّ الحسن والحسين، ومن النساء إلاّ ابنته فاطمة الزهراء، ولم يأخذ معه أحداً من زوجاته، وهنّ في حجراته ولم يأخذ معه إحدى عمّاته كصفيّة بنت عبدالمطلب التي كانت شقيقة أبيه عبداللّه، ولم يصطحب معه أم هاني بنت أبي طالب، ولادعى غيرهن من الهاشميات ولا من نساء المهاجرين والأنصار.

فلو كانت في نساء المسلمين إمرأة كفاطمة الزهراء في الجلالة والعظمة والقداسة والنزاهة لدعاها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لترافقه للمباهلة، مع العلم أن اللّه تعالى أمر نبيه أنْ يدعو نساءه بقوله تعالى: (ونساءنا) ولكنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يجد إمرأة تليق بالمباهلة سوى ابنته الصدّيقة الطاهرة. ولهذا انتخبها.

وقد روى القندوزي الحنفي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) انه قال: «لو عَلم اللّه تعالى أن في الأرض عباداً أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني ان أُباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة بهؤلاء، وهم أفضل الخَلق»[1].

١ـ ينابيع المودّة ص٢٤٤ طبعة اسلامبول.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام)
في سورة «هل أتى»

قال اللّه تبارك وتعالى:

«ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، عينا يشرب بها عباد اللّه يفجّرونها تفجيراً إلى قوله: وكان سعيكم مشكوراً»[1].

نزلت هذه الآيات حينما تصدّقت السيدة فاطمة الزهراء وزوجها الإمام أمير المؤمنين وولداها الإمامان: الحسن والحسين (عليهم السّلام).

وقد ذكر الواحدي في كتابه (البسيط) والثعلبي في تفسيره الكبير، وأبو المؤيد موفق في كتاب الفضائل وغيرهم ان الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام).

ونكتفي هنا بما ذكره الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ما لفظه: وعن ابن عباس (رض): ان الحسن والحسين مرضا. فعادهما رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك. فنذر علي وفاطمة وفضة (جارية لهما): إن برئا (الحسن والحسين) مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام. فشفيا، وما معهم شيء (طعام) فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد! مسكين من

---

١ سورة الدهر.

مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم اللّه من موائد الجنة. فاثروه وباتوا لم يذوقوا إلاَّ الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه. ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ علي (رض) بيد الحسن والحسين. وأقبلوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشدَّ ما يسؤوني ما أرى بكم.

وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل (عليه السّلام) وقال: خذها يامحمد، هنأك اللّه في أهل بيتك. فأقرأه السورة.

وأما تفسير الآيات مع رعاية الاختصار والإيجاز:

«ان الأبرار» الأبرار: جمع بارّ أو برّ، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) «يشربون من كأس» هي الزجاجة إذا كان فيها الشراب أو المراد من الكأس نفس الشراب لا الزجاجة «كان مزاجها» الذي تمزج به من عين في الجنة تسمى «كافوراً» لأن ماءها في بياض الكافور وبرودته لا في خواصه وآثاره، ومن الممكن أن كافور اسم عين في الجنة بدليل قوله تعالى «عينا» كأنها عطف أو بدل من كافور أي تفسير له «يشرب بها عباد اللّه» الكاملون في العبادة الذين ذكرهم في كتابه: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً» إلى آخر الآيات الدالة على الصفات الكاملة.

«يفجّرونها» يجرونها حيث شاؤا «تفجيراً» سهلاً يسيراً «يوفون بالنذر» إنهم استحقوا هذا الجزاء بسبب وفائهم بالنذر، لأن النذر هو ما

يوجبه الإنسان على نفسه فإذا وفى بالنذر فهو بما أوجب اللّه عليه كان أوفى «ويخافون يوماً كان شره مستطيراً» منتشراً «ويطعمون الطعام على حبّه» أي بالرغم من حبّهم للطعام لشدّة جوعهم بسبب الصوم، وقيل: «على حبّه» أي حبّ اللّه وقربةً إليه «مسكيناً ويتيماً وأسيرا» كل ذلك حباً للخير وإيثاراً على أنفسهم، وإشفاقاً على المسكين ورأفة باليتيم وعطفاً على الأسير«إنما نطعمكم لوجه اللّه لانريدمنكم جزاءً» بفعل تفعلونه «ولاشكوراً» بقول تقولونه.

قال مجاهد: إنهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئاً، وإنما علمه اللّه منهم فأثنى به عليهم.

«انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» شديد العبوس تشبيهاً له في تخويفه بالأسد العبوس أو الحاكم المتنمر العبوس.

«فوقاهم اللّه شرَّ ذلك اليوم» تأميناً لهم من شرّه وضرّه «ولقّاهم نضرةً» في وجوههم «وسروراً» في قلوبهم «وجزاهم بما صبروا» على الإيثار مع شدة الجوع «جنّة وحريراً» ثم ذكر اللّه أحوالهم في الجنة «متكئين فيها على الارائك» في منتهى الراحة والرفاهيّة «لايرون فيها شمساً» يؤذي حرّها «ولازمهريراً» يؤذي برده.

«ودانية عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلا» يسهل عليهم اقتطاف فواكه الجنة «ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب» خلقها اللّه بارادته «كانت قواريرا قوارير من فضة قدّروها تقديراً» على حسب ما تشتهي أنفسهم وتتمنى قلوبهم في التكيّف بالكيفيات المخصوصة... إلى آخر السورة التي في وصف نعم الجنة ونعيمها وعيون تسمى زنجبيلا وسلسبيلا. والخدم الذين يخدمونهم والمُلك الكبير الذي يكون لهم مع النعيم والملابس

الخُضر من الاستبرق، والزينة التي يتزينون بها، والشراب الطهور الذي يشربونه.

والعجيب ان اللّه تعالى ذكر في هذه السورة الكثير الكثير من نعم الجنة، ولم يذكر ـ هنا ـ الحور العين، لأن الاية نزلت في حق علي وفاطمة وولديهما، فحفظ اللّه لفاطمة الزهراء جلالتها إذ لم يذكر (عزّوجلّ) الحور العين كرامة لسيدة نساء العالمين.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام)
في آية النور

قال تعالى: «اللّه نور السماوات والأرض، مَثَل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دُرّي....»[1].

روى الحافظ ابن المغازلي الشافعي ـ في كتاب المناقب ـ بالإسناد الى علي بن جعفر قال: سألت أبا الحسن [الكاظم] (عليه السّلام) عن قوله (عزّوجلّ): «كمشكاة فيها مصباح»؟

قال (عليه السّلام): المشكاة: فاطمة، والمصباح: الحسن، والحسين: الزجاجة.

«كأنها كوكب دُرّيّ»: قال: كانت فاطمة كوكباً دُرّيّاً بين نساء العالمين... «يكاد زيتها يضيء» قال: يكاد العِلم ان ينطق منها[2].

أقول: لقد مرّت عليك بعض الأحاديث التي تتحدث عن نور الزهراء الزاهر المشرق.

وعن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنّه قال: «.... ونور ابنتي فاطمة من نور اللّه...»[3].

١ـ النور: ٣٥.

٢ـ المناقب ص٣١٧.

٣ـ بحار الأنوار ج١٥ ص١٠.

مكانة فاطمة الزهراء عند أبيها
الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

إن من الصعب المستصعب تحديد مكانة السيدة فاطمة الزهراء عند أبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ومن الصحيح أن يقال: أنه خارج عن قدرة القلم واللسان، والتحليل والبيان.

ويمكن لنا أن نجمل القول ونوجزه فنقول:

كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) قد حلّت في أوسع مكان من قلب أبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ووقعت في نفسه الشريفة أحسن موقع.

فكان النبي يحبها حباً لايشبه محبة الآباء لبناتهم، إذ كان الحب مزيجاً بالإحترام والتعظيم، فلم يعهد من أي أبٍ في العالم ما شوهد من رسول اللّه تجاه السيدة فاطمة الزهراء.

ولم يكن ذلك منبعثاً من العاطفة الأبوية فحسب، بل كان الرسول ينظر إلى ابنته بنظر الإكبار والإجلال، وذلك لما كانت تتمتع به السيدة فاطمة من المواهب والمزايا والفضائل، ولعله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان مأموراً باحترامها وتجليلها، فما كان يَدَعُ فرصة أو مناسبة تمرّ به إلاّ وينوّه بعظمة ابنته، ويشهد بمواهبها ومكانتها السامية عند اللّه تعالى وعند رسوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

مع العلم أنه لم يُسمع من الرسول ذلك الثناء المتواصل الرفيع

ولامعشاره في حق بقية بناته.

ولم يكن ثناؤه عليها اندفاعاً للعاطفة والحُبّ النفسي فقط، بل ما كان يسع له السكوت عن فضائل ابنته ودرجتها السامية عند اللّه تعالى. ولو لم يكن لها عند اللّه تعالى فضل عظيم لم يكن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يفعل معها ذلك إذ كانت ولده وقد أمر اللّه بتعظيم الولد للوالد، ولايجوز أن يفعل معها ذلك، وهو بضدّ ما أمر به أُمتّه عن اللّه تعالى.

وكان ذلك كله لأسباب منها:

كشفاً للحقيقة، وإظهاراً لمقام ابنته عند اللّه وعند الرسول، وكان (صلّى اللّه عليه وآله) يعلم ما سيجري على ابنته العزيزة من بعده من أنواع الظلم والإضطهاد والإيذاء وهتك الحرمة، ولهذا أراد الرسول أن يتمّ الحجة على الناس، حتى لايبقى لذي مقالٍ مقالٌ أو عذر، وإليك هذه الأحاديث التي تدل على ما كانت تتمتع به السيدة فاطمة من المكانة في قلب الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم):

روي عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السّلام) عن السيدة فاطمة (عليها السّلام) قالت: لما نزلت «لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً» هِبتُ رسول اللّه أن أقول له: يا أبة. فجعلتُ أقول: يا رسول اللّه. فأقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيكِ ولا في أهلكِ ولا في نسلكِ، أنت مني وأنا منك، إنما نزلت في أهل الجفاء والبذخ والكبر من قريش قولي: يا أبة. فإنها أحيى للقلب وأرضى للرب، ثم قبَّل النبي جبهتي...»[١].

أيضاً: عن عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه

١ـ المناقب لابن المغازلي الشافعي ص٣٦٤.

كلاماً وحديثاً برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه رحَّب بها وقبَّل يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحَّبت به وقبّلت يديه... الى آخره.

وسأل بزل الهروي الحسينَ بن روح قال: كم بنات رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

قال: أربع.

فقال: أيّتهن أفضل؟

قال: فاطمة.

قال: ولِمَ صارت أفضل وكانت أصغرهن سناً وأقلّهن صحبة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

قال: لخصلتين خصّها اللّه بهما:

١ـ أنها ورثت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

٢ـ ونسل رسول اللّه منها، ولم يخصّها بذلك إلاّ بفضل إخلاصٍ عرفه من نيّتها.

وعن حذيفة قال: كان رسول اللّه (صلى ءاللّه عليه وآله وسلّم) لاينام حتى يقبّل عرض وجه فاطمة....[١].

وعن ابن عمر: أن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قبَّل رأس فاطمة وقال: فداكِ أبوكِ، كما كنت فكوني[٢].

وفي روايةٍ: فداكِ أبي وأمي[٣].

وعن عائشة: قبَّل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) نحر فاطمة.

١ـ و٢ـ مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ص٦٦.

٣ـ مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري الشافعي ج٣ ص١٦٥.

وفي رواية: فقلت: يا رسول اللّه فعلتَ شيئاً لم تفعله؟

فقال: يا عائشة إني إذا اشتقتُ إلى الجنة قبّلت نحر فاطمة[١].

وعن عائشة قالت: كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذا قدم من سفر قبَّل نحر فاطمة وقال: منها أشمّ رائحة الجنة[٢].

أقول: قد ذكرنا شيئاً من هذه الأحاديث في أوائل الكتاب.

وعن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: «رائحة الأنبياء: رائحة السفرجل، ورائحة الحور العين: رائحة الآس، ورائحة الملائكة: رائحة الورد،ورائحة ابنتي فاطمة الزهراء:رائحةالسفرجل والآس والورد»[٣].

وعنه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: «.. ولو كان الحُسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، إن ابنتي فاطمة خير أهل الأرض عنصراً وشرفاً وكرماً»[٤].

وعن الإمام الحسين بن علي (عليهما السّلام) عن جدّه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: «فاطمة بهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بَصري، والأئمة من ولدها امناء ربي، وحبله الممدود بينه وبين خَلقه، من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى[٥].

وروي ان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ناول الزهراء ماءاً، فشربت فقال لها: «هنيئاً مريئاً يا أُمَّ الأبرار الطاهرين»الى آخر الحديث[٦].

١ـ ذخائر العقبى للمحب الطبري ص٣٦، وسيلة المآل للحضرمي ص٧٩ طبعة المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص٢٦٠.

٣ـ بحار الأنوار، كتاب الأطعمة والأشربة، باب السفرجل.

٤ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي ج٢ ص٦٨.

٥ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي ج٢ ص٦٦.

٦ـ بحار الأنوار ج٧٦ ص٥٧.

وعن فاطمة الزهراء (عليها السّلام) قالت: قال لي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «ألا أُبشِّرك؟ إذا أراد اللّه أن يتحف زوجة وليِّه في الجنة، بعث إليك تبعثين إليها من حُلِيِّك»[١].

وبهذه الأحاديث الآتية ـ الصحيحة عند الفريقين ـ يمكن لنا أن نطّلع على المزيد من الأسباب والعلل التي كوَّنت في سيدة نساء العالمين تلك القداسة والعظمة والجلالة:

١ـ قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): أفضل نساءأهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم (إمرأة فرعون) ومريم بنت عمران[٢].

٢ـ وقال أيضاً: خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد[٣].

٣ـ وقال أيضاً: حسبك من نساء العالمين: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد وآسية إمرأة فرعون[٤].

هذه أحاديث ثلاثة تصرِّح بتفضيل هذه السيدات الأربع على سائر

١ـ دلائل الإمامة ص٢.

٢ـ مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٩٣، الاستيعاب لابن عبدالبر الاندلسي ج٢ ص٧٥٠ في ترجمة السيدة خديجة، مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٦٠، الاعتقاد للحافظ البيهقي ص١٦٥، تاريخ الاسلام للذهبي ج٣ ص٩٢ أُسد الغابة لابن الأثير الجزري ج٥ ص٤٣٧ وغيرها.

٣ـ المصدر السابق.

٤ـ الاستيعاب، لابن عبدالبر الاندلسي ج٢ ص٧٥٠، مشكل الآثار للطحاوي ج١ ص٤٨، مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٥٧، معالم التنزيل للحافظ البغوي الشافعي ج١ ص٢٩١ وغيرها.

نساء العالم، إلا أنها لاتصرّح ببيان الأفضل من تلك الأربع، ولكن الأحاديث المتواترة المعتبرة تصرّح بتفضيل السيدة فاطمة الزهراء عليهن وعلى غيرهن.

ونحن لانشك في ذلك، بل نعتبره من الأمور المسلّمة المتفق عليها، لأنها بضعة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ولانعدل بها أحداً.

ولم ننفرد بهذه الحقيقة، بل وافقنا على ذلك الكثير الكثير من العلماء والمحدّثين المنصفين، من المتقدمين منهم والمتأخرين والمعاصرين، بل صرّح بذلك بعضهم، وإليك بعض أقوال أُولئك الأعلام:

عن مسروق قال: حدثتني عائشة أُم المؤمنين قالت: إنا كنا أزواج النبي عنده لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، لا واللّه ما تخفي مشيتُها من مشية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)، فلما رآها رحّب بها وقال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها[١] فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى حزنها سارّها الثانية! فإذا هي تضحك، فقلت لها ـ أنا من بين نسائه ـ : خصّكِ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالسرّ من بيننا، ثم أنتِ تبكين؟

فلما قام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) سألتها: عمّا سارّك؟

قالت: ما كنت لأفشي على رسول اللّه سرّه، فلما توفي قلت لها: عزمتُ عليك بما لي عليك من الحق(!!) لما اخبرتيني!

قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت: سارّني في الأمر الأوّل فانه أخبرني أن جبرائيل كان يعارضه (القرآن) كل سنة[٢] وانه قد عارضني به

١ـ أي: أسرّ إليها.

٢ـ هكذا وجدنا في المتن، والأصح: يعارضني، كما في مصادر أُخرى.

العام مرتين، ولا أرى الأجل إلاَّ قد اقترب، فاتقي اللّه واصبري فاني نعم السلف أنا لك، قالت: فبكيت بكائي الذي رأيتِ، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية قال: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟[1].

وفي رواية البغوي في (مصابيح السنة): ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين؟

والأحاديث التي تصرّح بسيادتها وتفضيلها على نساء العالمين كثيرة جداًّ، وجُلّها مروية عن عائشة، وعن عمران بن حصين، وعن جابر بن سمرة وعن ابن عباس وأبي بريدة الأسلمي وغيرهم، وقد روى البخارى هذا الحديث في الجزء الرابع ص٢٠٣ من صحيحه، وعدد كثير من علماء العامة كالقسطلاني والقندوزي والمتقي والهيثمي والنسّائي والطحاوي وغيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم.

ولقد ورد هذا الحديث بطرق عديدة، وفي بعضها: أن سبب ضحكها هو إخبار النبي لها بأنها أول أهل بيته لحوقاً به، وفي بعضها أن سبب ضحكها أو تبسّمها هو إخبار النبي لها أنها سيدة نساء العالمين.

ولكن روى أحمد بن حنبل حديثاً يجمع بين هاتين الطائفتين من الأحاديث: باسناده عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أنه أسرَّ إليها حديثاً فبكتْ، ثم أسرَّ إليها حديثاً

١ـ طبقات ابن سعد ج٢، ورواه باختلاف يسير كلٌ من مسلم في صحيحه ج٧ ص١٤٢، والبلاذري في أنساب الأشراف ص٥٥٢، والسيوطي في الخصائص ص٣٤ والحافظ البيهقي في الاعتقاد ص١٢٥، والطبري في ذخائر العقبى ص٣٩، وسبط ابن الجوزي في التذكرة ص٣١٩، وغيرهم.

فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتُها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

حتى إذا قُبض النبي سألتها؟

فقالت: إنه أسرّ إليّ فقال: إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلاَّ قد حضر أجلي، وأنكِ أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف انا لكِ، فبكيتُ لذلك، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين؟

قالت: فضحكتُ لذلك[1].

وقد روى البخاري في صحيحه ج٥ ص٢١ و٢٩: إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني.

وروى البخاري عن أبي الوليد: ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني.

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ متنوعة ومعاني متّحدة كقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم):

فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها.

فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها[2].

فاطمة شجنة مني[3]، فاطمة مضغة مني فمن آذاها فقد آذاني.

فاطمة مضغة مني، يسرني ما يسرّها.

يا فاطمة ان اللّه يغضب لغضبك ويرضى لرضاكِ.

١ـ مسند أحمد ج٦ ص٢٨٢.

٢ـ أي: يسرّني ما يسرّها، لأن الإنسان إذا سرّ انبسط وجهه.

٣ـ الشجنة أي: القطعة والبضعة.

فمن عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعة مني.

هي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه.

إن اللّه يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها.

وقد روى هذه الأحاديث أكثر من خمسين رجلاً من رجال الحديث والسنن، كأحمد بن حنبل، والبخاري، وابن ماجة والسجستاني والترمذي والنسّائي وأبو الفرج والنيسابوري وأبو نعيم والبيهقي والخوارزمي وابن عساكر والبغوي وابن الجوزي وابن الأثير وابن أبي الحديد والسيوطي وابن حجر والبلاذري وغيرهم ممن يعسر إحصاؤهم، وقد ذكرنا شيئاً من تلك الأحاديث مع مصادرها في أوائل الكتاب.

وقد وقعت هذه الأحاديث موقع الرضا والقبول من الصحابة والتابعين لتواترها وصحة أسنادها وشهرتها في الملإ الإسلامي.

أما الصحابة فلنا في المستقبل مجال واسع لإعتراف بعضهم بصحة هذا الحديث وسماعه من الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

واما التابعون فقد روى أبو الفرج في الأغاني ج٨ ص٣٠٧ بإسناده قال: دخل عبداللّه بن حسن على عمر بن عبدالعزيز وهو حديث السن وله وفرة، فرفع مجلسه، وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ عُكنة من عُكنه[1] فغمز (بطنه) حتى أوجعه وقال له: اذكرها عندك للشفاعة.

فلما خرج (عبداللّه بن حسن) لامَه أهله[2] وقالوا: فعلتَ هذا بغلام حديث السن ، فقال : ان الثقة حدثني حتى كأني اسمعه من فيّ رسول

١ـ العكنة ـ بضم العين ـ اللحم المنثي من البطن.

٢ـ أي: لام الناس عمر بن عبدالعزيز.

اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)[1] قال: (انما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرّها) وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيّة لسرّها ما فعلت بابنها.

قالوا: فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت؟

قال: انه ليس أحد من بني هاشم إلاّ وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

قال السمهودي ـ بعد إيراده حديث فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما أرابها ـ : فمن آذى شخصاً من أولاد فاطمة أو أبغضه جعل نفسه عُرضة لهذا الخطر العظيم، وبضده (وبالعكس) من تعرَّض لمرضاتها في حبّهم وإكرامهم.

وقال السهيلي: هذا الحديث يدل على أن من سبّها كفر، ومن صلَّى عليها فقد صلَّى على أبيها، واستنبط أن أولادها مثلها لأنهم بضعة مثلها، وفكّ الفرع من أصله هو فكّ الشيء من نفسه وهو غير ممكن ومحال، بإعتبار أنّ ذلك الفرع هو الشخص المعمول من مادة ذلك الأصل ونتيجته المتولدة منه ـ انتهى كلامه ـ .

أقول: لعل المقصود من الخطر العظيم الذي ذكره السمهودي هو إشارة إلى قوله تعالى: (إن الذين يؤذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهينا) وقوله (والذين يؤذون رسول اللّه لهم عذاب أليم).

أيها القارىء الذكي: بعد الإنتباه إلى هذه الآيات، وبعد الإمعان والتدبر في هذه الأحاديث والروايات ماتقول فيمن آذى فاطمة الزهراء؟؟!!

أعود إلى حديثي عن مدى حب النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

---

١ ـ أي: من فم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

لابنته السيدة فاطمة الزهراء:

من الصعب إحصاء الأحاديث التي تصرّح بأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذا أراد سفراً كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة (عليها السّلام) وأول مَن يدخل عليها ـ بعد رجوعه من السفر ـ فاطمة[1].

كان (صلّى اللّه عليه وآله) اذا رجع من سفره دخل على ابنته فاطمة اولاً، ثم ذهب الى داره والتقى بزوجاته[2].

انه كان يفضّل الزهراء على زوجاته ونسائه، وما ذاك إلاّ لأن اللّه فضّلها عليهن وعلى نساء العالمين.

فقدم من غزاة، وقد علّقت مسحاً أو سترا على بابها، وحلّت[3] الحسن والحسين قلبين من فضة، فقدم ولم يدخل، فظنت أن ما منعه أن يدخل دارها ما رأى، فهتكت الستر، وفكّت القلبين من الصّبيين، وقطعته منهما، ودفعته إليهما، فانطلقا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهما يبكيان، فأخذه منهما فقال: ياثوبان إذهب بهذا إلى فلان، إن هؤلاء أهلي أكره ان يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، ياثوبان[4] إشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج.

روى هذا الحديث الخطيب العمري في (مشكاة المصابيح) والطبري في (ذخائر العقبى) والنويري في (نهاية الارب) والقندوزي في (ينابيع المودة) والطبراني في(المعجم الكبير) والزبيدي في(إتحاف السادة) وغيرهم.

١ـ السُنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٢٦، ذخائر العقبى للطبري ص٣٧، مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٥٦ وغيرها.

٢ـ الاستيعاب للاندلسي ج٢ ص٧٥٠، مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٥٥.

٣ـ حلّت ـ من التحلية ـ وهي التجميل ولبس الحلي. قلبين ـ تثنية قلب ـ وهو السوار.

٤ـ ثوبان: اسم غلام

وقد روى هذا الحديث من علمائنا: الشيخ الكليني في (الكافي) والطبرسي في (مكارم الأخلاق) أكثر تفصيلاً وتوضيحاً مع إختلاف يسير:

عن زرارة عن أبي جعفر (الباقر) (عليه السّلام) قال: كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذا أراد سفراً سلَّم على مَن أراد التسليم عليه من أهله، ثم يكون آخر من يسلّم عليه فاطمة (عليها السّلام) فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، واذا رجع بدأ بها (أي يزورها قبل كل أحد) فسافر مرَّة، وقد أصاب علي (عليه السّلام) شيئاً من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة فخرج، فأخذت سوارين من فضة، وعلَّقت على بابها ستراً، فلما قدم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) دخل المسجد، فتوجَّه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقاً إليه، فنظر فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها.

فدعت إبنيها، فنزعت الستر عن بابها، وخلعت السوارين من يديها ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ثم قالت لهما: إنطلقا إلى أبي، فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا، فشأنك به. فجاءاه، فأبلغاه ذلك عن أمّهما، فقبّلهما رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينك السوارين فكسّرا فجعلهما قطعاً، ثم دعا أهل الصُّفة وهم قوم من المهاجرين، لم يكن لهم منازل ولا أموال فقسّمه بينهم قِطَعا.... الى آخره.

إن هذا الحديث الذي تراه مشهوراً عند الفريقين، مروياً بطرق عديدة لعله يحتاج إلى شرح وتعليق، مع العلم ان رواة هذا الحديث لم يتطرقوا إلى

شرح ما يلزم:

أقول: ليس المقصود من هذا الستر هو الستر المرخى على مدخل البيت عند فتح باب البيت، لأن هذا أمر مستحب للمبالغة على التستر والحجاب، وحاشا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يغضب من سترٍ قد عُلّق على مدخل بيت فاطمة.

بل المقصود ان السيدة فاطمة (عليها السّلام) كانت قد علَّقت على باب البيت (لامدخل البيت) ستراً يستر الباب الخشبي، للزينة، المسمَّى في زماننا بـ (الديكور) تجملاً أو تجميلاً للباب وبعبارة أخرى: ألبست الباب ثوباً ـ أي ستراً ـ ، وليس هذا بحرام بل لأنه لايتفق مع التزهد أو الزهد المطلوب من آل محمد (عليهم السّلام) والمواساة المترقبة المتوقعة منهم، ونفس هذا الكلام يأتي في موضوع السوار والقلادة.

وبناءً على صحة هذا الحديث كان الأفضل للسيدة الزهراء (عليها السّلام) أن تنفق ذلك الستر في سبيل اللّه بسبب الحاجة الماسَّة إليه، لكثرة الفقراء، وشدَّة الفقر المدقع عند فقراء المهاجرين ومن باب المواساة والإيثار.

وروى ابن شاهين في (مناقب فاطمة) عن أبي هريرة وثوبان هذا الحديث مع تغيير يسير، إلى أن قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ـ بعدما دفعت الزهراء الستر والسوار الى أبيها ـ : فعلت، فداها أبوها ـ ثلاث مرات ـ ما لآِل محمد وللدنيا؟ فانهم خلقوا للآخرة، وخُلقت الدنيا لهم.

وفي رواية أحمد بن حنبل: فان هؤلاء أهل بيتي، ولاأحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

ويستفاد من هذا التعليل ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لايحب أن ينقص حظ ابنته فاطمة الزهراء من الأجر والثواب في الآخرة،

لأن مرارة الحياة وخشونة العيش في الدنيا لهما تعويض في الآخرة.

وبهذا الحديث الآتي يتضح ما قلنا:

عن تفسير الثعلبي عن الامام جعفر بن محمد (عليه السّلام) وعن جابر بن عبداللّه الأنصاري قالا: رأى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فاطمة وعليها كساء من أجلّة الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال: يابنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة.

فقالت: يارسول اللّه الحمد للّه على نعمائه، والشكر للّه على آلائه.

فانزل اللّه: (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[١].

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

زهدها وإنفاقها في سبيل اللّه

كانت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) على جانب كبير من الزهد، ومعنى الزهد: التخلي عن الشيء وتركه وعدم الرغبة فيه، وكلما ازداد الإنسان شوقاً إلى الآخرة ازداد زهداً في الدنيا، وكلما عظمت الآخرة في نفس الإنسان صغرت الدنيا في عينه وهانت، وهكذا كلما ازداد الإنسان عقلاً وعلماً وإيماناً باللّه ازداد تحقيراً واستخفافاً للذّات الحياة.

أرأيت الأطفال كيف يلعبون، ويفرحون، ويحزنون ويتسابقون ويتنازعون على أشياء تافهة يلعبون بها، فإذا نضجت عقولهم وتفتحت مشاعرهم تراهم يبتعدون عن تلك الألاعيب، ويستنكفون من التنازل إلى ذلك المستوى، ويعتبرونه منافياً للوقار، ومُخلاً للشخصية، كل هذا بسبب تطوٌّر مداركهم، وانتقالهم من دور الصبا إلى مرحلة الرجولة والنضج.

نعم، هكذا كان أولياءُ اللّه، كانوا ينظرون إلى حطام الدنيا نظرة تحقير واستهانة، ولاتتعلق قلوبهم بِحُبٍّ الدنيا وما فيها، ولايُحبّون الدنيا للدنيا، بل يحبون الدنيا للآخرة، يحبون البقاء في الدنيا ليعبدوا اللّه تعالى، يريدون المال لينفقوه في سبيل اللّه (عزّوجلّ)، لإشباع البطون الجائعة وإكساء الأبدان العارية وإغاثة الملهوف وإعانة المضطر.

بعد هذه المقدمة يسهل عليك أن تدرك أسس الزهد عند السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) فهي عرفت الحياة الدنيوية، وأدركت الحياة الأخروية، فلاعجب إذا قنعت باليسير اليسير من متاع الحياة، واختارت

لنفسها فضيلة المواساة والإيثار، وهانت عليها الثروة، وكرهت الترف والسرف.

ولاغَرو من ذلك، فهي بنت أزهد الزهاد، وحياتها العقائدية ملازمة للزهد، وحياتها الإجتماعية أيضاً تتطلب منها الزهد، فهي أولى الناس بالسير على منهاج أبيها الرسول الزاهد العظيم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

وحياتها الزوجية تبلورت بالزهد والقناعة، فلقد كان زوجها الإمام علي (عليه السّلام) أول الناس وأكثرهم اتّباعاً للرسول في زهده، ولم يشهد التاريخ الإسلامي رجلاً من هذه الأمة أكثر زهداً من الامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام).

وهو الذي كان يخاطب الذهب والفضة بقوله: يا صفراء ويا بيضاء غُرّيا غيري.

وقد أمر علي (عليه السّلام) لأعرابي بألف. فقال الوكيل: من ذهب أو فضة؟

فقال علي: كلاهما عندي حَجَران، فاعطوا الأعرابي أنفعهما له.

وقد ذكرنا بعض ما يتعلق بهذا الموضوع في كتابنا: (علي من المهد إلى اللّحد) وإنما تطرّقنا هنا إلى زهد علي (عليه السّلام) بمناسبة حديثنا عن زهد السيدة فاطمة الزهراء.

وقد مرّ عليك فيما مضى ـ بعض الأحاديث عن زهدها وانفاقها في سبيل اللّه في باب زواجها ونزول سورة هل أتى وغيرهما.

وإليك نبذة من الأحاديث التي تشير إلى نفس الموضوع:

في كتاب (بشارة المصطفى) عن الإمام الصادق عن أبيه (عليهما السّلام) عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال:

صلّى بنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) صلاة العصر، فلما

انفتل جلس في قبلته والناس حوله. فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب، عليه سمل قد تهلَّل وأخلق[1] وهو لايكاد يتمالك كِبَراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يستحثه الخبر، فقال الشيخ: يا نبي اللّه أنا جائع الكبد فاطعمني، وعاري الجسد فأكسني وفقير فإرشني[2].

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ما أجد لك شيئاً، ولكن الدالّ على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل مَن يحب اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله، يؤثر اللّه على نفسه، إنطلق إلى حجرة فاطمة.

وكان بيتها مُلاصق بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي يتفرد به لنفسه من أزواجه، وقال: يابلال قم فقف به على منزل فاطمة.

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلما وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين.

فقالت فاطمة: وعليك السلام، فمن أنت يا هذا؟

قال: شيخ من العرب، أقبلت على أبيك سيد البشر، مهاجراً من شقّة، وأنا ـ يابنت محمد ـ عاري الجسد، جائع الكبد، فواسيني يرحمكِ اللّه.

وكان لفاطمة وعلي ـ في تلك الحال ـ ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من شأنهما.

١ـ السمل: الثوب الخلق. تهلل الثوب: انخرق.

٢ـ إرشني: أحسن إليّ.

فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ[١] كان ينام عليه الحسن والحسين، فقالت: خذ هذا يا أيها الطارق، فعسى اللّه أن يرتاح لك ماهو خير منه.

فقال الاعرابي: يا بنت محمد شكوت إليك الجوع، فناولتيني جلد كبش؟ ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟[٢].

قال: فعمدت فاطمة ـ لما سمعت هذا من قوله ـ إلى عِقدٍ كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبدالمطلب، فقطعته من عنقها، ونبذته إلى الأعرابي فقالت: خذه وبِعهُ، فعسى اللّه أن يعوّضك به ما هو خير منه.

فأخذ الأعرابي العقد، وانطلق إلى مسجد رسول اللّه، والنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) جالس في أصحابه فقال: يارسول اللّه أعطتني فاطمة بنت محمد هذا العقد فقالت: بِعه فعسى اللّه أن يصنع لك.

قال: فبكى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال: وكيف لايصنع اللّه لك، وقد أعطتكه فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم.

فقام عمار بن ياسر (رحمة اللّه عليه) فقال: يارسول اللّه أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: إشتر يا عمار، فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم اللّه بالنار.

فقال عمار: بِكَم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبُردة يمانية استربها عورتي واصلّي فيها لربي، ودينار يبلّغني إلى أهلي.

وكان عمار قد باع سهمه الذي نفله رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من خيبر ولم يُبق منه شيئاً فقال: لك عشرون ديناراً ومأتا درهم

ــــــــــــــــ

١ـ القرظ: شيء يدبغ به الجلد.

٢ـ السغب: الجوع.

هجرية، وبُردة يمانية، وراحلتي تبلّغك أهلك، وشبعك من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال أيها الرجل؟ وإنطلق به عمار فوفّاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابي إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال له رسول اللّه: أشبعتَ واكتسيت؟!

قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأمي.

قال: فاجزِ فاطمة بصنيعها.

فقال الأعرابي: اللهم إنك إلهٌ ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، فأنت رازقنا على كل الجهات، اللهم أعط فاطمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت...

وإلى ان قال: فعمد عمار إلى العقد فطيَّبه بالمسك، ولفَّه في بردة يمانية، وكان له عبد إسمه سهم إبتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك، وقال له: خذ هذا العِقد فادفعه إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأنت له.

فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأخبره بقول عمار فقال النبي: إنطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها. فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فأخذت فاطمة العقد، واعتقت المملوك.

فضحك المملوك فقالت: ما يضحكك يا غلام؟

فقال: أضحكني عظَم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع إلى ربه أي إلى صاحبه.

وفي كتاب البحار ج٤٣ عن تفسير فرات بن ابراهيم عن أبي سعيد الخدري قال:

أصبح علي بن أبي طالب (عليه السّلام) ذات يوم ساغباً[1] وقال: يا فاطمة هل عندك شيء تغذّينيه؟

قالت: لا، والذي أكرم أبي بالنبوة، وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة شيء، وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلاَّ شيء كنت اوثرك به على نفسي، وعلى ابني هذين: الحسن والحسين.

فقال علي: يافاطمة! ألا كنتِ أعلَمتِني فأبغيكم شيئاً؟

فقالت: يا ابا الحسن اني لأستحيي من إلهي ان اكلّف نفسك ما لاتقدر عليه.

فخرج علي بن أبي طالب من عند فاطمة (عليهما السّلام) واثقاً باللّه بحسن الظن، فاستقرض ديناراً فبينا الدينار في يد علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يريد أن يبتاع لعياله ما يُصلحهم، فتعرَّض له المقداد بن الأسود، في يوم شديد الحر، قد لوّحته الشمس من فوقه، وآذته من تحته فلما رآه علي بن أبي طالب (عليه السّلام) أنكر شأنه فقال: يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة من رحلك؟

قال: يا أبا الحسن خلّ سبيلي ولاتسألني عما ورائي!!

فقال: يا أخي انه لايسعني أن تجاوزني حتى أعلم علمك.

فقال: يا أبا الحسن رغبة إلى اللّه وإليك ان تخلّي سبيلي، ولاتكشفني عن حالي!!!

فقال له: يا أخي انه لايسعك ان تكتمني حالك.

فقال: يا أبا الحسن! أمَّا إذا أبيتَ! فوالذي أكرم محمداً بالنبوة وأكرمك بالوصية ما ازعجني من رحلي إلاَّ الجهد وقد تركت عيالي

١ـ أي: جائعاً.

يتضاعون جوعاً، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملني الأرض، فخرجت مهموماً، راكب رأسي، هذه حالي وقصتي!!

فانهملت عينا علي بالبكاء حتى بلَّت دمعته لحيته فقال له: أحلفُ بالذي حلفتَ: ما أزعجني إلاَّ الذي أزعجك من رحلك، فقد استقرضت ديناراً، فقد آثرتك على نفسي.

فدفع الدينار إليه ورجع حتى دخل مسجد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فصلَّى فيه الظهر والعصر والمغرب، فلما قضى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) المغرب مرَّ بعلي بن أبي طالب وهو في الصف الأول فغمزه برجله، فقام علي متعقباً خلف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حتى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسلَّم عليه فردَّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) السلام، فقال: يا أبا الحسن هل عندك شيء نتعشاه فنميل معك؟

فمكث مطرقاً لايحير جواباً، حياءً من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وكان النبي يعلم ما كان من أمر الدينار، ومن أين أخذه وأين وجَّهه، وقد كان أوحى اللّه تعالى إلى نبيه محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يتعشى تلك الليلة عند علي بن أبي طالب.

فلما نظر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إلى سكوته قال: يا أبا الحسن مالكَ لاتقول: لا. فأنصرف؟ أو تقول: نعم. فأمضي معك؟

فقال: ـ حياءً وتكرماً ـ : فاذهب بنا!!

فأخذ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يد علي بن أبي طالب فانطلقا حتى دخلا على فاطمة (عليها السّلام) وهي في مصلاّها قد قضت صلاتها، وخلفها جفنة تفور دخانا.

فلما سمعت كلام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خرجت من مصلاّها فسلَّمت عليه وكانت أعزّ الناس عليه، فردَّ عليها السّلام، ومسح بيده على رأسها وقال لها: يا بنتاه كيف أمسيتِ؟

قالت: بخير.

قال: عشّينا، رحمكِ اللّه، وقد فعل.

فأخذت الجفنة فوضعتها بين يدي النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعلي بن أبي طالب.....

فقال علي لها: يا فاطمة أنّى لكِ هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه قط، ولم أشمّ ريحه قط، وما آكل أطيب منه؟؟

قال: فوضع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كفّه الطيبة المباركة بين كتفي علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فغمزها، ثم قال: ياعلي! هذا بدل دينارِك، وهذا جزاء دينارك من عند اللّه، ان اللّه يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم استعبر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) باكياً، ثم قال: الحمد للّه الذي أبى لكم أن تخرجا من الدنيا حتى يجزيكما، ويجريك ـ يا علي ـ مجرى زكريا، ويجري فاطمة مجرى مريم بنت عمران، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) والعبادة

العبادة لها معنيان: معنى عام ومعنى خاص.

فالعبادة بمعناها العام هي: كل ما يتقرّب الانسان به الى اللّه سبحانه، من النوايا الطيّبة والأقوال الحسنة والأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة وغيرها.

والعبادة بمعناها الخاص هي الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، مما هو واضح للجميع.

وقد تجلّت العبادة ـ بكل معانيها وأبعادها ـ في حياة السيدة الطاهرة فاطمة (عليها السّلام).

فحياتها كلها عبادة، منذ البداية حتى النهاية، فمِن حمل الماء الى بيوت الفقراء والمساكين وإطعام الطعام والإيثار، وتعليم الأحكام الشرعيّة، وتحمّل متاعب الأعمال المنزليَّة، والزهد والحرمان والبساطة في العيش، وحُسن التبعّل، والدفاع عن الامامة والولاية، وما أصابها من الآلام والمصائب بعد وفاة أبيها الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) وغيرها ـ مما قرأته وتقرأه في صفحات حياتها المشرقة ـ كلها عبادة خالصة لوجه اللّه سبحانه.

بالإضافة الى الصلاة والخشوع والمناجاة وغيرها.

وقد روى عن ابن عباس ـ في قوله تعالى: «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون»[1] ـ قال: نزلت في علي بن أبي طالب

١ـ الذاريات ١٨

وفاطمة والحسن والحسين[1].

وفيما يلي نذكر بعض الأحاديث المرويَّة في هذا المجال:

١ـ روي عن الإمام الحسن (عليه السّلام) قال: «رأيت أُمّي فاطمة (عليها السّلام) قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتُها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم، ولاتدعو لنفسها بشيء.

فقلت: يا امّاه لِمَ لاتدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟

فقالت: يابُني الجار ثم الدار»[2].

٢ـ وعن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال: «وأمّا ابنتي فاطمة فانها سيدة نساء العالمين من الأوَّلين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيَّ، وهي الحوراء الانسيَّة.

متى قامت في محرابها بين يدي ربّها (جلّ جلاله) زَهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول اللّه (عزّوجلّ) لملائكته: يا ملائكتي انظروا الى اَمَتي فَاطمة، سيدة إمائي، قائمة بين يديَّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أُشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار...» الى آخر الحديث[3].

٣ـ وفي كتاب عدَّة الداعي لابن فهد الحلّي: وكانت فاطمة (عليها السّلام) تنهج في الصلاة من خيفة اللّه، والنهج ـ بفتح النون والهاء ـ : تتابع النفس.

١ـ شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج٢ ص١٩٤.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٣ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٤ـ وروى الحسن البصري قال:ما كان في هذه الأُمَّة اعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تورَّمت قدماها[1].

٥ـ وروي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) انه قال: «من صلّى أربع ركعات، يقرأ ـ في كل ركعة[2] ـ خمسين مرة: «قل هو اللّه أحد» كانت صلاة فاطمة، وهي صلاة الأوّابين»[3].

٦ـ وعنه (عليه السّلام) قال: كانت لأُمّي فاطمة ركعتان تصلّيهما، علَّمها جبرئيل (عليه السّلام) فاذا سلّمت سبّحت التسبيح[4] ثم تقول:

«سبحان ذي العزّ الشامخ المنيف، سبحان ذي الجلال الباذخ العظيم، سبحان ذي المُلك الفاخر القديم، سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردّى بالنور والوقار، سبحان من يرى اثَر النمل على الصَفَا، سبحان من يرى وقع الطير في الهواء، سبحان من هو هكذا، لاهكذا غيره»[5].

٧ـ وروي ان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قال لأمير المؤمنين وابنته فاطمة (عليهما السّلام): انني أريد أن أخصّكما بشيء من الخير مما علّمني اللّه (عزّوجلّ)، واطّلعني اللّه عليه، فاحتفظا به.

قالا: نعم يا رسول اللّه فما هو؟

قال: يصلّي أحدكما ركعتين، يقرأ في كل ركعة: فاتحة الكتاب وآية الكرسي ـ ثلاث مرات ـ و«قل هو اللّه أحد» ـ ثلاث مرات ـ وآخر الحشر ـ ثلاث مرات ـ من قوله: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل...» الى آخره.

١ـ ربيع الأبرار للزمخشري ص١٩٥.

٢ـ بعد الحمد.

٣ـ من لايحضره الفقيه ج١ ص٥٦٤.

٤ـ أي: تسبيح الزهراء (عليها السّلام).

٥ـ بحار الأنوار ج٨٩، ورويت الصلاة بصورة أُخرى أيضاً.

فاذا جلس فليتشهد وليُثن على اللّه (عزّوجلّ) وليصلّ على النبي وليدع للمؤمنين والمؤمنات، ثم يدعو ـ على أثر ذلك ـ فيقول:

«اللهم اني اسألك بحقّ كلّ اسم هولك، يحقّ عليك فيه اجابة الدعاء اذا دُعيت به، واسألك بحقّ كلّ ذي حقٍ عليك، واسألك بحقّك على جميع ما هو دونك ان تفعل بي...» كذا وكذا[1].

٨ـ وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) قال: للأمر المخوف العظيم تصلّي ركعتين، وهي التي كانت الزهراء (عليها السّلام) تصلّيها، تقرأ في الأُولى الحمد وقل هو اللّه أحد خمسين مرّةً، وفي الثانية مثل ذلك، فإذا سلّمت صلّيت على النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) ثمّ ترفع يديك وتقول:

«اَللهُمَّ أتوجّهُ إليكَ بِهِم، وأتَوسّلُ إليكَ بِحَقّهمُ (بحقّك ـ خ ل) العَظيمِ الَّذي لايَعلمُ كُنهَهُ سِواكَ، وَبحقٌ مَن حَقهُ عِندكَ عظيمٌ، وَبِأسمائِكَ الحُسنى وَكَلِماتِكَ التّامّاتِ الَّتي أمرتَني أن أدعُوكَ بِها، وأسأَلُكَ بِاسمِكَ العَظيم الّذي أمرتَ إبراهيمَ (عَليهِ السّلامُ) أن يَدعُو بِهِ الطَّيرَ فَأجابَتهُ، وَبِاسمِكَ العَظيمِ الَّذي قُلت لِلنّارِ: «كُوني بَرداً وَسَلاماً عَلى إبراهيمَ» فَكَانت، وَبِأحبِّ أسمائِكَ إليكَ وأشرَفِها عِندَكَ، وَأعظَمِها لَدَيكَ، وأسرَعِها إجابَةً، وَأنجَحِها طِلبَةً، وَبِما أنتَ أهلُهُ وَمُستحِقُّهُ وَمُستوجِبُهُ؛ وَأتَوسَّلُ إلَيكَ، وَأرغَبُ إليكَ، وَأتَصَدَّقُ مِنكَ، وأستَغفِرُكَ، وَأستَمنِحُكَ، وَأتضَرَّعُ إليكَ، وَأخضَعُ بَينَ يَديكَ، وَأخشَعُ لَكَ، وَأُقِرُّ لَكَ بِسوءِ صَنيعَتي، وَأتَمَلَّقُ وَأُلِحُّ عَلَيكَ، وَأسألُكَ بِكُتُبِكَ الَّتي أنزَلتَها عَلى أنبِيائِكَ وَرُسُلِكَ صَلَواتُكَ عَلَيهِم أجمَعينَ مِنَ التَّوراةِ وَالإنجيلِ وَالقُرآنِ العَظيمِ مِن أوَّلِها إلى آخِرِها، فَإنَّ فيهَا اسمَكَ الأعظَمَ، وَبِما فيها مِن أسمائِكَ العُظمى، أتَقَرَّبُ إلَيكَ، وَأسأَلُكَ أن

[1] قوله: كذا وكذا. أي: تذكر حاجتك/الحديث في بحار الأنوار ج٨٩ ص٣٦٥.

تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وأن تُفَرِّجَ عَن مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وتجعَلَ فَرَجي مَقرُوناً بِفَرَجِهِم، وتَبدأَ بِهِم فيهِ، وتَفتحَ أبوابَ السَّماءِ لِدُعائي في هذَا اليَومِ، وتَأذَنَ في هذَا اليَومِ وَهذهِ اللَّيلَةِ بِفَرَجي وَإعطاءِ سُؤلي وأَمَلي في الدُّنيا وَالآخِرَةِ، فَقَد مَسَّنِيَ الفَقرُ وَنالَني الضُّرُّ وَشَمَلَتنِي الخَصاصَةُ، وَأَلجأتنِي الحاجَةُ، وَتوَسَّمتُ بِالذِّلَّةِ، وغَلَبَتنِي المَسكَنَةُ، وَحَقَّت عَلَيَّ الكَلِمَةُ، وَأَحاطَت بِيَ الخَطيئَةُ، وَهذَا الوَقتُ الَّذي وَعَدتَ أولياءَكَ فِيهِ الإجابَةَ.

فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَامسَح ما بي بِيَمينِكَ الشّافِيَةِ، وَانظُر إليَّ بِعَينِكَ الرّاحِمَةِ، وَأدخِلني في رَحمَتِكَ الواسِعَةِ، وَأقبِل إلَيَّ بِوَجهِكَ الَّذي إذا أقبَلتَ بِهِ عَلى أسيرٍ فَكَكتَهُ، وَعَلى ضالٍّ هَدَيتَهُ، وَعَلى حائرٍ اديتَهُ، وَعَلى فَقيرٍ أغنَيتَهُ، وَعَلى ضَعيفٍ قَوَّيتَهُ، وَعَلى خائِفٍ آمَنتَهُ؛ وَلاتُخَلِّني لَقاً لِعَدُوِّكَ وَعَدُوّي، يا ذَا الجَلالِ وَالإكرامِ.

يا مَن لايَعلَمُ كَيفَ هُوَ، وَحَيثُ هُوَ، وقُدرته إلاّ هُوَ، يا مَن سَدَّ الهَواءَ بِالسَّماءِ، وَكَبَسَ الأرضَ عَلَى الماءِ، وَاختارَ لِنَفسِهِ أحسَنَ الأسماءِ، يا مَن سَمّى نَفسَهُ بِالإسمِ الَّذي بِهِ يَقضي حاجَةَ كُلِّ طالِبٍ يَدعُوهُ بِهِ، أسأَلُكَ بِذلِكَ الإسمِ، فَلاشَفيعَ أقوى لي مِنهُ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أن تُصَلّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأن تَقضِيَ لي حَوائِجي، وَتُسمِعَ مُحَمَّداً وَعَلِيّاً وَفاطِمَةَ وَالحَسَنَ وَالحُسَين وَعَلِيّاً وَمحمّداً وَجَعفراً وَمُوسى وَعَلِيّاً وَمحمّداً وَعَلِيّاً وَالحَسَنَ وَالحُجّة ـ صَلَواتُ اللّهِ عَلَيهِم وَبَرَكاتُهُ وَرَحمَتُهُ[١] ـ صَوتي، فَيَشفَعُوا لي إلَيكَ، وَتُشَفِّعُهُم فِيَّ، وَلاتَرُدَّني خائباً، بِحَقِّ لا إلهَ إلاّ أنتَ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صلّ على محمّد وآل محمّد وافعل بي كذا وكذا يا كريم.(٢)

١ـ وفي نسخة: صلواتك عليهم وبركاتك ورحمتك.   ٢ـ مصباح المتهجّد: ص٢٦٦.

٩ـ وقال السيد ابن طاووس الحلّي: روى صفوان قال: دخل محمد ابن علي الحلبي على أبي عبدالله الصادق (عليه السّلام) في يوم الجمعة فقال له: تعلّمني أفضل ما أصنع في مثل هذا اليوم؟

فقال (عليه السّلام): يا محمّد ما أعلم أحداً كان أكبر عند رسول الله من فاطمة، ولا أفضل ممّا علّمها أبوها محمد بن عبدالله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

قال (صلّى الله عليه وآله): من أصبح يوم الجمعة فاغتسل وصفّ قدميه وصلّى أربع ركعات مثنى مثنى، يقرأ في أوّل ركعة الحمد والإخلاص خمسين مرّة، وفي الثانية فاتحة الكتاب والعاديات خمسين مرّةً، وفي الثالثة فاتحة الكتاب وإذا زلزلت الأرض خمسين مرّةً، وفي الرابعة فاتحة الكتاب وإذا جاء نصر الله والفتح خمسين مرّة ـ وهذه سورة النصر وهي آخر سورة نزلت ـ فإذا فرغ منها دعا، فقال[1]:

«إلهي وَسَيِّدي، مَن تَهَيَّأَ أو تَعَبَّأَ أو أعَدَّ أوِ استَعَدَّ لِوَفادةٍ إلى مَخلُوقٍ رَجاءَ رَفدِهِ وَفَوائِدِهِ وَنائِلِهِ وَفَواضِلِهِ وَجَوائِزِهِ، فَإلَيكَ يا إلهي كانَت تَهيئَتي وَتَعبِيَتي وَإعدادي وَاستِعدادي رَجاءَ رَفدِكَ وَمَعرُوفِكَ وَنائِلِكَ وَجَوائِزِكَ، فَلاتَحرِمني ذلِكَ، يا مَن لايَخيبُ عَلَيهِ مَسأَلَةُ السّائِلِ، وَلاتَنقُصُهُ عَطِيَّةُ نائِلٍ فَإنّي لَم آتِكَ بِعَمَلٍ صالِحٍ قَدَّمتُهُ، وَلاشَفاعَةِ مَخلُوقٍ رَجوتُهُ، أتَقَرَّبُ إلَيكَ بِشَفاعَةِ مُحَمَّدٍ وَأهلِ بَيتِهِ صَلَواتُكَ عَلَيهِم أجمَعينَ، أرجو عَظيمَ عَفوِكَ الَّذي عَفَوتَ بِهِ عَلَى الخاطِئينَ عِندَ عُكُوفِهِم عَلَى المَحارِمِ فَلَم يَمنَعكَ طُولُ عُكُوفِهِم عَلَى المَحارِمِ أن عُدتَ عَلَيهِم بِالمَغفِرَةِ، وَأنتَ سَيِّدي العَوّادُ بِالنَّعماءِ، وَأنَا العَوّادُ بِالخَطاءِ، أسأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ أن تَغفِرَ لِيَ

[1] ـ جزاء الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه.

الذَّنبَ العَظيمَ، فَإنَّهُ لايَغفِرُ ذَنبِيَ العَظيمَ إلاّ العَظيمُ، يا عَظيمُ يا عَظيمُ يا عَظيمُ يا عَظيمُ يا عَظيمُ يا عَظيمُ يا عَظيمُ[1]».

والأحاديث في عبادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) كثيرة، خاصة الأدعية التي كانت تناجي بها ربها، ولا أراني بحاجة إلى المزيد من التحدث عن عبادتها، وكثرة شوقها ورغبتها إلى الصلاة، ومدى إقبال قلبها إلى المناجاة مع اللّه تعالى، فهي بنت أول العابدين، الذي كان يقف على قدميه للعبادة طيلة ساعات طوال حتى نزل عليه قوله تعالى: «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى».

وهي التي عرفت معنى العبادة وقيمة العبادة بمقدار معرفتها بعظمة اللّه تعالى فلاعجب إذا كانت السيدة فاطمة تستلذ من العبادة، وترتاح نفسها حين الوقوف بين يدي اللّه (عزّوجلّ)، والتذلل والخضوع لربها، وكأنها لاتتعب من القيام والركوع والسجود.

١ـ «جمال الأُسبوع» ص١٣٢ ـ ١٣٣.

تسبيح فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

روي عن الإمام علي (صلوات اللّه عليه) انه قال لرجلٍ من بني سعد: ألا أُحدّثك عني وعن فاطمة؟ انها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه[1] وانها استقت بالقِربة حتى أثَّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت[2] يداها، وكسحت البيت حتى اغبرَّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القِدر حتى دكنت[3] ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيتِ أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرَّ ما أنتِ فيه من هذا العمل.

فأتت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فوجدت عنده حُدّاثاً[4] فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أنها جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن في لفاعنا[5] فقال: السلام عليكم. فسكتنا[6] واستحيينا لمكاننا.

ثم قال: السلام عليكم. فسكتنا. ثم قال: السلام عليكم. فخشينا إن لم نردّ عليه ان ينصرف، وقد كان يفعل ذلك يسلّم ثلاثاً فان أذن له وإلاَّ إنصرف. فقلت: وعليك السلام يارسول اللّه أدخل.

١ـ أحبّ أهله أي أهل رسول اللّه بقرينة المقام.

٢ـ مجلت: ثخن جلدها.

٣ـ دكنت: اغبرّت واتسخت.

٤ـ حُدّاثاً: جماعة يتحدّثون.

٥ـ لفاع: لحاف.

٦ـ السلام إذا كان للاستئذان لايجب ردّه واللّه العالم.

فلم يعدُ أن جلس عند رؤوسنا فقال: يافاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟

قال (عليه السّلام): فخشيت إن لم تجبه أن يقوم فأخرجت رأسي فقلت: أنا ـ واللّه ـ أُخبرك يا رسول اللّه! إنها استقت بالقربة حتى أثَّر في صدرها وجرّت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القِدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من العمل.

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): أفلا أُعلّكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين.

قال: فأخرجت (عليها السّلام) رأسها فقالت: رضيت عن اللّه ورسوله، رضيت عن اللّه ورسوله، رضيت عن اللّه ورسوله[١].

وروي عن الإمام علي (عليه السّلام) قال: أهدى بعض ملوك الأعاجم رقيقاً[٢] فقلت لفاطمة: إذهبي إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فاستخدميه خادماً. فأتته فسألته ذلك......

فقال لها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم ومن الدنيا بما فيها: تكبّرين اللّه بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين اللّه ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبّحين اللّه ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بلا إله إلا اللّه، وذلك خير لك من الذي أردتِ ومن الدنيا وما فيها.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٢ـ الرقيق: العبيد والجواري يطلق على المفرد والجمع.

فلزمت (صلوات اللّه عليها) هذا التسبيح بعد كل صلاة، ونسب إليها هذا التسبيح، فيقال: تسبيح فاطمة[١].

وروي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) انه قال: يا أبا هارون إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة (عليها السّلام) كما نأمرهم بالصلاة فألزمه، فانه لم يلزمه عبد فشقى[٢].

وفي مكارم الأخلاق ص٣٢٨: أن فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كانت سُبحتها من خيط صوف مفتّل، معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت تديرها بيدها، تكبّر وتسبّح، إلى أن قُتل حمزة بن عبدالمطلب (رضي اللّه عنه) سيد الشهداء، فاستعملت تربته، وعملت التسابيح فاستعملها الناس، فلما قُتل الحسين (صلوات اللّه عليه) عُدل بالأمر إليه، فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية.

وعن الإمام الصادق (عليه السّلام): وتكون السبحة بخيوط زرق، أربعاً وثلاثين خرزة، وهي سبحة مولاتنا فاطمة (عليها السّلام) لمّا قُتل حمزة عملت من طين قبره سبحة تسبّح بها بعد كل صلاة.

وقال الإمام الباقر (عليه السّلام): «ما عُبد اللّهُ بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة، ولو كان شيء أفضل لنَحلَه رسولُ اللّه فاطمة»[٣].

وعن الإمام أبي عبداللّه (الصادق) (عليه السّلام) قال: من سبَّح تسبيح فاطمة (عليها السّلام) فقد ذكر اللّه ذكراً كثيراً[٤].

١ـ كتاب دعائم الإسلام، وفي البحار ج٤٣.

٢ـ كتاب قرب الاسناد وفي البحار ج٤٣.

٣ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص٦٤.

٤ـ تفسير مجمع البيان ج٨ في تفسير قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا اللّه ذكراً كثيراً». وذكره العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ج٤٣.

هذا... والروايات في فضل تسبيح فاطمة (عليها السّلام) كثيرة ومختلفة في كيفيتها، وفي بعض الروايات: التكبير ثم التحميد ثم التسبيح، وهذا هو الأشهر والأقوى عند فقهائنا.

وقد ذكر شيخنا المجلسي أقوال الفقهاء وآراءهم حول الترتيب والتقديم والتأخير بصورة مفصلة[١].

لقد اتضح لنا من هذه الاحاديث أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) مع جلالة قدرها وعظم شأنها وشرف نسبها كانت تقوم بأعمال البيت، وتدير أمور البيت بنفسها، وكان علي (عليه السّلام) يعينها ويتعاون معها، فقد روي عن الإمام علي (عليه السّلام) قال: دخل علينا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وفاطمة جالسة عند القِدر وأنا أُنقي العدس.

قال: يا أبا الحسن.

قلت: لبّيك يا رسول اللّه.

قال: إسمع مني، وما أقول إلاّ من أمر ربي: ما من رجل يعين إمراته في بيتها إلاّ كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة، صيام نهارها، وقيام ليلها ..... إلى آخر الحديث[٢].

١ـ بحار الأنوار ج٨٥.

٢ـ جامع الأخبار، وفي البحار ج٤٣.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) والعِلم

لقد عرفت ـ من مجموع الأحاديث الماضية ـ أن السيدة الزهراء (عليها السّلام) كانت أقرب انسان الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وأن اتصالها وارتباطها بالنبي هو اتصال الجزء بالكل، وارتباط بعض الشيء بالبعض الآخر، فالحب والعطف والانسجام والعلاقات الودّية قد بلغت الى أقصى درجة..

فلاعجب اذا كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يُعلّم ابنته أفضل الأعمال، ويرشدها الى أحسن الأخلاق، ويفيض عليها أحسن المعارف وأرقاها.

والزهراء (عليها السّلام) تتلقّى تلك العلوم الربّانيّة من ذلك النبع العذب الزلال، وتمتصّ رحيق الحقيقة من مهبط الوحي، فيمتلأ قلبها الواعي الواسع بأنواع الحكمة، ويساعدها عقلها الوقّاد وذكاؤها المفرط، على فهم المعاني ودرك المفاهيم وحفظ المطالب على اتمّ وجه واكمل صورة.

لقد سمعت من أبيها الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الكثير الكثير من العلوم، وتعلّمت منه القسط الوافر من الأحكام والأدعية والاخلاق والحِكَم.

هذا كلّه... بالاضافة الى ما ألهمها اللّه تعالى من العلم والمعرفة.

وقد مرَّ عليك بعض التفصيل عند التحدّث عن اسمها: «المحدَّثة».

وروى جابر بن عبداللّه الأنصاري عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه

وآله وسلّم) انه قال: «إن اللّه جعل علياً وزوجته وأبناءه حجج اللّه على خلقه، وهم أبواب العِلم في أُمَّتي، مـن اهتدى بهم هُدي الى صـراط مستقيم[١].

ولكن المؤسف حقاً انه قد روي عنها القليل، حسَب ظروفها الخاصة، ولما ستعرفه قريباً.

ولو كانت الزهراء (عليها السّلام) تعيش أكثر ممّا عاشت ـ مع فسح المجال أمامها ـ لملأت الدنيا علماً وثقافة ومعرفة.

وليس هذا ادّعاءاً فارغاً، بل هو الواقع الذي لاشك فيه.

فقد وجدت السيدة الزهراء المجال في حياتها ساعتين فقط: ساعةً خطبت فيها في مسجد أبيها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وساعةً خطبت في بيتها في جمع النساء اللاّتي حضرن لعيادتها.

وستعرف قريباً مدى مواهبها وسعة اطّلاعها، وكثرة معلوماتها، ومقدار قدرتها على الأداء والشرح والبيان.

ولكنها ـ أسَفي عليها ـ ما عاشت إلاّ يسيراً، وقد عرفت تاريخ ميلادها وستعرف تاريخ وفاتها، وستعرف أنها ماتت ولم تبلغ العشرين من العمر!!

فما تقول لو كانت الزهراء تعيش حتى تبلغ الخمسين والستين من العمر مع فسح المجال؟!

لكانت تترك للأُمة الاسلامية أعظم ثروة فكريَّة وعلمية في شتّى المواضيع والفنون!!

ولكن...؟!

١ـ شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج١ ص٥٨.

أيها القارىء الكريم: إليك الآن بعض ما روي عنها من الأحاديث الشريفة:

١ـ عن تفسير الإمام العسكري (عليه السّلام) قال: حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس ـ أي: اشتبه ـ عليها في أمرصلاتها شيء، وقد بعثتني إليك اسألكِ... فأجابتها فاطمة (عليها السّلام) عن ذلك، فثنّت[1]: فأجابت (الزهراء)، ثم ثلَّثت إلى أن عشرت[2] فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لاأشقّ عليكِ يا ابنة رسول اللّه.

قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لكِ، أرأيت مَن اكتُرِيَ (أي استؤجِر) يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراه (أي أجرته) مائة ألف دينار يثقل عليه؟

فقالت: لا.

فقالت: اكتُريتُ أنا لكل مسألة بأكثر من مليء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لايثقل عليَّ، سمعت أبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: إن علماء شيعتنا يُحشرون، فيُخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد اللّه، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور.

ثم ينادي منادي ربنا (عزّوجلّ): أيها الكافلون لأيتام محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفّلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا

١ـ أي: جاءت المرأة مرَّة ثانية أو سألت مرّة اُخرى.

٢ـ أي: جاءت مرة عاشرة، أو: سألت عشر مرات.

عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى ان فيهم ـ يعني في الأيتام ـ كمن يُخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلّم منهم.

ثم إن اللّه تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام، حتى تتموا لهم خِلَعهم، وتضعّفوها لهم، فيتمّ لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم.

ثم قالت فاطمة (عليها السّلام): يا أمة اللّه ان سلكةً من تلك الخِلَع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة»[١].

٢ـ وعن دعوات الراوندي عن سويد بن غفلة قال: أصابت عليّاً (عليه السّلام) شدّة، فأتت فاطمة (عليها السّلام) رسولَ اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فدقّت الباب، فقال: أسمع حس حبيبتي بالباب يا أُم أيمن قومي وانظري! ففتحت لها الباب فدخلت.

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): لقد جئتينا في وقت ما كنتِ تأتينا في مثله؟

فقالت فاطمة: يا رسول اللّه ما طعام الملائكة عند ربنا؟

فقال: التحميد.

فقالت: ما طعامنا؟

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): والذي نفسي بيده ما اقتبس في آل محمد شهراً ناراً[٢] وأعلّمك خمس كلمات علّمنيهن جبرئيل (عليه السّلام).

١ـ بحار الأنوار كتاب العِلم عن تفسير الإمام العسكري (عليه السّلام).

٢ـ أي: ما اشتعلت نار للطبخ في بيوت رسول اللّه منذ شهر.

قالت: يا رسول اللّه ما الخمس الكلمات؟

قال: «يارب الأولين والأخرين ويا خير الأوّلين والآخرين ويا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين».

فرجعت، فلما أبصرها علي (عليه السّلام) قال: بأبي أنت وأمي ما وراءكِ يا فاطمة؟

قالت: ذهبتُ للدنيا وجئت للآخرة!

فقال علي: خير أمامك، خير أمامكِ.

٣ـ وفي الكافي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) قال: جاءت فاطمة تشكو إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بعض أمرها، فأعطاها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كَربةً[١] وقال: تعلّمي ما فيها، وإذا فيها: من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فلايؤذ جاره، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقُل خيراً أو ليسكت.

٤ـ وقالت فاطمة (عليها السّلام): مَن اصعد الى اللّه خالص عبادته، اهبط اللّه اليه أفضل مصلحته[٢].

٥ـ وعن فاطمة بنت رسول اللّه قالت: سمعت أبي رسولَ اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في مرضه الذي قُبض فيه ـ يقول ـ وقد امتلأت الحجرة من أصحابه ـ : أيها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً يسيراً، وقد قدَّمت إليكم القول معذرة اليكم، ألا اني مخلّف فيكم: كتاب ربّي (عزّوجلّ)، وعترتي أهل بيتي.

١ـ كربة: أصل السعف، وقيل: ما يبقى في اصوله في النخلة.

٢ـ بحار الأنوار ج٧١ ص١٨٤.

ثم أخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لايفترقان حتى يردا عليّ الحوض، فاسألكم ما تخلفوني فيهما.

قال القندوزي الحنفي: روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً، وان كثيراً مِن طُرقه صحيح وحَسَن[١].

٦ـ وقالت (عليها السّلام): قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «مَن تختّم بالعقيق لم يزل يرى خيراً»[٢].

٧ـ وعن فاطمة بنت رسول اللّه قالت: ما يصنع الصائم بصيام اذالم يَصُن لسانه وسمعه وبَصره وجوارحه؟![٣].

٨ـ وروي عن الشهيد زيد بن علي بن الحسين عن آبائه (عليهم السّلام) عن فاطمة بنت النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قالت: سمعت النبي يقول: «ان في الجمعة لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل اللّه (عزّوجلّ) فيها خيراً إلاّ أعطاه إيّاها».

قالت: فقلت: يا رسول اللّه أيّ ساعة هذه؟

قال: «اذا تدلّى نصف عين الشمس للغروب».

قال: وكانت فاطمة (عليها السّلام) تقول لخادمها: اصعدي على السطح، فاذا رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فاعلميني حتى ادعو[٤].

٩ـ وروى حسن بن حسن عن اُمّه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قالت: قال رسول اللّه:

١ـ ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص٤٠.

٢ـ أمالي الطوسي ج١ ص٣١٨.

٣ـ مستدرك الوسائل كتاب الصوم.

٤ـ دلائل الامامة للطبري ص٥، ورواه في معاني الأخبار ص٣٩٩ باختلاف يسير.

«لايلومنَّ إلاّ نفسه مَن بات وفي يده غَمر»[١].

١٠ـ وروي عن عبدالله بن الحسن عن أبيه عن فاطمة الكبرى (عليها السّلام) قالت: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «ما التقى جُندان ظالمان الاّ تخلّى الله عنهما، ولم يبال ايّها غلب، وما التقى جندان ظالمان إلاّ كانت الدائرة على اعتاهما»[٢].

١١ـ وعن فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى (عليها السّلام) قالت: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «كلُّ بني أُمّ ينتمون الى عَصَبتهم، الاّ وُلد فاطمة فاني أنا أبوهم وعَصَبتهم»[٣].

أقول: عَصَبَة جمع عاصب، مثل: طلبة جمع طالب، وعَصَبة الرجل: بنوه وقرابته لأبيه، وإنّما سُمُّوا عَصَبَة لأنهم عصبوا به، أي: احاطوا به.

١ـ الغمر: الدسم والزهومة من اللحم ، والحديث في كتاب كشف الغمة ج١ ص٥٥٤.

٢ـ كشف الغمّة ج١ ص٥٥٣.

٣ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٢٨.

حديث اللَّوح

١٢- في (الكافي) بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله [الصادق] (عليه السّلام) قال:

قال أبي - لجابر بن عبدالله الأنصاري - : إنّ لي إليك حاجة، فمتى يخفُّ عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟

فقال له جابر: أيّ الأوقات أحببتَه.

فخلا به في بعض الأيام، فقال له: ياجابر! أخبرني عن اللّوح الذي رأيته في يد أُمّي فاطمة (عليها السّلام) بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وما أخبرتك به أُمّي أنه في ذلك اللَّوح مكتوب؟

فقال جابر: أشهد باللّه أني دخلتُ على أُمّك فاطمة (عليها السّلام) في حياة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) فهنئتُها بولادة الحسين، ورأيت في يديها لوحاً اخضر ظننتُ أنه من زمرّد، ورأيتُ فيه كتاباً أبيض، شبه لون الشمس؛

فقلت لها: بأبي أنتِ وأمّي يا بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) ما هذا اللوح؟

فقالت: هذا لوحٌ أهداه اللّه إلى رسوله (صلى اللّه عليه وآله) فيه اسم أبي واسم بعلي، واسم إبنيَّ، واسم الأوصياء من وُلدي، وأعطانيه أبي ليبشّرني بذلك.

قال جابر: فأعطتنيه أُمُّك فاطمة (عليها السّلام) فقرأته واستنسختُه.

فقال له أبي [الامام الباقر]: فهل لك يا جابر أن تعرضه عَلَيَّ؟

قال: نعم.

فمشى معه أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفة من رقٍّ[١] فقال: ياجابر! اُنظر في كتابك لأقرأ أنا عليك.

فنظر جابر في نسخته، فقرأه أبي، فما خالَفَ حرفٌ حرفاً.

فقال جابر: فاشهد باللّه أني هكذا رأيته في اللّوح مكتوبا:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم»

هذا كتاب من اللّه العزيز الحكيم

لمحمّد نبيّه ونوره وسفيره، وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين:

عظّم ـ يامحمد ـ أسمائي، واشكر نعمائي، ولاتجحد آلائي؛

إني أنا اللّه، لاإله إلا أنا، قاصم الجبّارين، ومديل المظلومين، وديّان يوم الدّين.

إنّي انا اللّه لا إله إلاّ أنا، فَمَن رجا غير فضلي، أو خاف غير عدلي عذَّبتُه عذاباً لاأُعذّبه احداً من العالمين؛

فَإياي فاعبُد، وعَلَيَّ فتوكَّل، إني لم أبعث نبيّاً فأكملت أيّامه، وانقضت مُدَّته إلاّ جعلتُ له وصيّاً، وإني فضَّلتُك على الأنبياء، وفضّلت وصيَّك على الأوصياء، وأكرمتك بِشبليك وسبطيك: حسن وحسين.

فجعلتُ حَسَناً معدن علمي بعد انقضاء مدَّة أبيه.

وجعلتُ حُسيناً خازن وحيي، وأُكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل مَن استُشهِد، وأرفع الشهداء درجةً،

١ـ الرَّق: الجِلد.

جعلتُ كلمتي التامّة معه،وحُجّتي البالغة عنده، بِعِترته أُثيب وأُعاقب؛

أوّلهم: عليٌّ سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين؛

وابنُه شبه جدِّه المحمود: محمد الباقر علمي، والمعدن لحكمتي؛

سيهلك المرتابون في جعفر، الرادُّ عليه كالرّادّ عليَّ، حقَّ القول منّي لأُكرمنّ مثوى جعفر، ولأُسرّنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه.

إنتجبتُ بعده موسى، فتنة عمياء حندس، لأنّ خيط فرضي لاينقطع وحجّتي لاتخفى، وإنّ أوليائي يُسقَون بالكأس الأوفى؛

مَن جَحدَ واحداً منهم فقد جَحدَ نعمتي، ومَن غيَّر آية من كتابه فقد إفترى عَلَيَّ، ويل للمفترين، الجاحدين؛

عند إنقضاء مدَّة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في عليٍّ وليّي وناصري ومَن أضع عليه أعباء النبوّة، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر يُدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح[1] إلى جنب شرِّ خلقي؛

حقَّ القول مني لأُسرنَّه بِمحمد إبنه، وخليفته من بعده، ووارث عمله فهو معدن علمي، وموضع سرّي وحُجّتي على خلقي، لايؤمن عبدٌ به إلاّ جعلتُ الجنّة مثواه، وشفَّعتُه في سبعين من أهل بيته، كلّهم قد استوجبوا النار؛

وأختم بالسعادة لإبنه عليٍّ، وليّي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي،

أُخرج منه الداعي الى سبيلي، والخازن لعلمي، الحسن؛

١ـ المقصود: طوس، فقد دُفن فيه الامام علي الرضا (عليه السّلام) جنب قبر هارون العباسي.

وأُكمل ذلك بابنه: «م ح م د» رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيّوب، فَيَذّلُّ أوليائي في زمانه، وتُتهادى رؤوسهم كما تُتهادى رؤوس التُرك والديلم، فيُقتلون، ويُحرَقون، ويكونون خائفين، مرعوبين، وجلين تصبغ الأرض بِدمائهم، ويفشو الويل والرنَّة في نسائهم، اولئك اوليائي حقاً.

بِهم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال، اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة واولئك هم المهتدون».

قال عبدالرحمن بن سالم: قال ابو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلاّ هذا الحديث لكفاك، فَصُنه إلاّ عن أهله[1].

أيها القارىء الكريم:

بعدما قرأتَ وعرفتَ من علم الزهراء وكثرة اتصالها بالرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) هلمَّ معي واستمع إلى ما يذكره العقاد ثم اضحك أو ابك:

ذكر العقاد في كتابه : (فاطمة والفاطميون) أحاديث سقيمة استحسنها هو، وكأنه أُعجب بها، ومن جملتها هذه الخرافة:

«ومن فطرة التدين في وريثة محمد وخديجة أنها كانت شديدة التحرّج فيما اعتقدته من أوامر الدين، حتى وهمت أن أكل الطعام المطبوخ يوجب الوضوء، يظهر ذلك من حديث الحسن بن الحسن عن فاطمة حيث قالت: «دخل عليَّ رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فأكل عرقا[2] فجاء

١ـ الكافي ج١ ص٥٢٧.

٢ـ العرق ـ بكسر العين وسكون الراء ـ اللحم الذي على العظم.

بلال بالأذان فقام ليصلي، فأخذت بثوبه فقلت: ياأبة ألا تتوضأ؟ فقال: مِمَّ أتوضأ يا بنية؟ فقلت: مما مسَّتِ النار. فقال لي: أوليس أطيب طعامكم ما مسّت النار».

فهي فيما تجهله تتحرج ولاترخص، وتوثر الشدَّة مع نفسها على الهوادة معها»[١].

لا أدري كيف أزيف هذه الأكذوبة التي اختلقتها يد الهوى، وصاغتها ألسنة الكذب والدجل؟!

ولا أطالب العقاد عن مصدر هذه الأسطورة، ولاعن كتاب ذكر هذه الأضحوكة، فالحديث منه عليه شواهد أنه كذب وافتراء بصرف النظر عن المصدر والكتاب.

ولكني اتساءل: ممن كانت الزهراء تأخذ معالم الدين؟!

وممن كانت تتعلم أحكام الإسلام؟

أليس المصدر الأول لعلومها هو أبوها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟!

وزوجها باب مدينة علم الرسول علي بن أبي طالب؟!

وقبل هذين هو القرآن العظيم الذي نزل شيء منه في بيتها؟

فمن أين جاءها هذا التوهم؟

من القرآن؟

من أبيها؟

من زوجها؟

وكيف كانت تجهل سيدة نساء العالمين هذا الحكم الذي تكثر إليه

١ـ ص٥٣.

الحاجة، ويعمُّ به الابتلاء؟

فهل كانت السيدة فاطمة تأخذ الأحكام من الكذابين الدجالين فتعلمت هذا الحكم منهم؟ ولهذا أخذت بثوب أبيها لتمنعه عن الصلاة بلا وضـوء؟

أنا ما أدري، ولعل العقاد يدري، ولعل الذين اختلقوا هذه الأسطورة يـدرون!

فاطمة الزهراء (عليها السلام) والحجاب

إن من جملة التعاليم الاسلامية ـ التي كانت السيدة الزهراء (عليها السّلام) تهتمّ بها غاية الاهتمام ـ هي المحافظة على شرف المرأة وحفظ كيانها، عن طريق الحجاب والتستر، فالزهراء (عليها السّلام) تعلم ـ حسَب علم الاجتماع ـ ان ملايين الفضائح والجرائم والمآسي تأتي عن طريق السفوروالتبرّج والخلاعةوالاختلاط،المسمّى في زماننا هذا بالحريّة والتقدم!!.

فان كنت لاتصدّق فاقرأ الجرائد والمجلات التي تصدر يوميّاً واسبوعياً، في البلاد الاسلامية وغير الاسلامية، كي تعرف عدد الضحايا التي تقدّمها الحضارة! والتقدّم! والحريّة!

فمِن حوادث الاغتصاب، الى جرائم الاجهاض واسقاط الجنين، الى قضايا الخيانة الزوجيَّة، الى انهدام الاسرة وتشتّت العائلة.. واخيراً الى الفساد والميوعة... كل هذه من مساوىء السفور وآثاره السيئة[1].

ولاتنس أن عُشر معشار هذه الفجائع والمآسي ما كانت تحدث للمرأة المسلمة يوم كانت تؤمن بالحجاب والعفاف والحياء!

يوم كانت تؤمن بالحلال والحرام!

يوم كانت تأبى وترفض ان ينظر إليها رجل اجنبي واحد!

١ـ جاء في تقرير نشرته جريدة النهار اللبنانية بتاريخ ٨ شباط ١٩٧٢م: (.. في لندن ارتفع عدد حالات الإجهاض من ٥٠ ألف في عام ١٩٦٩م الى ٨٣ ألف في عام ١٩٧٠، وما يقارب ٢٠٠ ألف في عام ١٩٧١، وترتفع هذه النسبة في فرنسا..، وفي الاتحاد السوفياتي ٦ ملايين اجهاض سنوياً).

فكيف ان تجعل جسمها ورأسها ووجهها محلاً لأنظار المئات بل الالوف من الرجال الأجانب، على اختلاف اديانهم وأهوائهم.

ولّما ضاعت المفاهيم والقِيَم سقطت المرأة المسلمة الى حيث سقطت، وبَلغ بها الأمر الى ما بلغ.

وإليك هذين الحديثين اللذين تضمّنا إعجاب الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بكلام ابنته الطاهرة العفيفة فاطمة الزهراء حول المرأة، وتصديقه لها، وتقديره لرأيها:

روى أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج٢ ص٤٠ عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ما خيرٌ للنساء؟

فلم ندرِ ما نقول، فسار عليٌّ إلى فاطمة فأخبرها بذلك، فقالت: فهلاّ قلت له: خير لهن أن لايرين الرجال ولايرونهن. فرجع ـ علي إلى رسول اللّه ـ فأخبره بذلك.

فقال النبي.... صدقت انها بضعة مني.

الرواية بصورة أخرى:

عن علي (عليه السّلام) انه قال لفاطمة: ما خير للنساء؟

قالت: لايرين الرجال ولايرونهن.

فذكر ذلك للنبي فقال: إنما فاطمة بضعة مني.

وذكر ابن المغازلي في مناقبه عن الامام علي بن الحسين بن علي (عليهم السّلام) ان فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) استأذن عليها أعمى فحجبته فقال لها النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لِمَ حجبتيه وهو لايراك؟

فقالت: يارسول اللّه إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشمّ الريح.

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): أشهد أنكِ بضعة مني.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) والدعاء

لاشك ان للدعاء اهميّة كبرى واثراً بالغاً في حياة الانسان وسعادته، وقضاء حوائجه واستجابة دعائه وتحقق آماله.

وخاصة حينما تنسد الأبواب في وجه الانسان وتفشل الوسائل والطُرق الماديَّة، فانه يفزع الى الدعاء والمناجاة بين يدي الخالق العظيم الذي هو على كل شيء قدير، كما قال سبحانه: «ادعوني استجب لكم».

بل إن الدعاء لايختصّ بوقت الحاجة فقط، بل يجب ان يكون برنامجاً يومياً في حياة الانسان، لأنه يؤدّي الى توثيق علاقته بربّه سبحانه، ويمنح الانسان صفاءاً معنوياً ونورانية قلبية تحلّق به الى سماء الكمال الانساني.

من هنا... فقد كان أولياء اللّه سبحانه يستأنسون بالدعاء ويرتاحون اليه وينسجمون معه تمام الانسجام.

هذا... وقد رويت عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ادعية كثيرة، كانت تدعو بها ربها سبحانه.

وفيما يلي نذكر نماذج منها، تتميماً للفائدة:

في كتاب مهج الدعوات للسيد ابن طاووس:

(ذِكر ما نختاره من الدعوات عن سيدتنا وأُمّنا المعظَّمة: فاطمة سيدة نساء العالمين، بنت سيد المرسلين (صلوات اللّه عليهما وعلى عترتهما الطاهرين):

١ـ فمن ذلك دعاء علَّمها إيّاه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله):

رويناه باسنادنا إلى أبي المفضّل محمد بن المطّلب الشيباني في الجزء الثالث من أماليه، باسناد نسبه الى مولانا الحسن بن مولانا علي بن أبي طالب (عليهما السّلام) عن أُمِّه فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وجدناه باسناد صحيح:

ان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال ـ للزهراء (عليها السّلام) ـ : يابُنيّة! ألا أُعلِّمك دعاءً لايدعو به أحدٌ إلاّ استجيب له، ولايجوز فيك سِحر ولاسمٌّ، ولايشمت بك عدوٌ، ولايَعرض لك الشيطان، ولايُعرض عنك الرحمن، ولايزيغ قلبكِ، ولاتُردُّ لكِ دعوة، ويقضى حوائجك كلّها؟

قالت: يا أبت! لَهذا أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها.

قال: تقولين:

«يا أعزَّ مذكورٍ وأقدمَه قِدَماً في العزّ والجبروت، يارحيم كل مسترحم، ومفزع كل ملهوف إليه، ياراحم كل حزينٍ يشكو بثَّة وحُزنه إليه، ياخير مَن سُئل المعروف وأسرَعهُ إعطاءً، يامَن يخاف الملائكة ـ المتوقّدة بالنور ـ منه؛

أسألك بالأسماء التي يدعوك بها حَمَلَة عَرشك، ومَن حولَ عرشك بِنورك يُسبِّحون شفقةً من خوف عقابك، وبالأسماء التي يدعوك بها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل إلاّ أجبتني وكشفت ـ يا الهي ـ كُربتي، وسترت ذنوبي؛

يامَن أمر بالصيحة في خلقه فاذا هُم بِالساهرة يُحشرون، وبذلك الإسم الذي أحييت به العظام وهي رميم، أحيِ قلبي، واشرح صدري، وأصلح شأني.

يا مَن خَصَّ نفسه بالبقاء، وخَلَق لِبَريَّته الموت والحياة والفناء يامَن فِعلُه قولٌ، وقولُه أمرٌ، وأمرُه ماضٍ على مايشاء؛

أسألك بالإسم الذي دعاك به خليلك حين أُلقي في النار، فدعاك به فاستجبت له، وقلت: يا نارُ كوني برداً وسلاماً على ابراهيم؛

وبالاسم الذي دعاك به موسى من جانب الطور الأيمن فاستجبتَ له؛

وبالاسم الذي خلقتَ به عيسى من روح القُدُس، وبالاسم الذي تُبتَ على داود، وبالاسم الذي وهبتَ لزكريا يحيى، وبالاسم الذي كشفتَ به عن أيوب الضُرَّ، وتُبتَ به على داود، وسخَّرت به لسليمان الريح تجري بأمره، والشياطينَ وعلَّمته منطق الطير؛

وبالاسم الذي خلقتَ به العرش، وبالاسم الذي خلقت به الكرسي، وبالاسم الذي خلقتَ به الرَّوحانيين، وبالاسم الذي خلقتَ به الجنَّ والإنس، وبالاسم الذي خلقتَ به جميع خلقك، وبالاسم الذي خلقت به جميع ما أردتَ من شيء وبالاسم الذي قَدَرتَ به على كل شيء؛

أسألك بهذه الأسماء إلاّ ما أعطيتني سؤلي، وقضيت حوائجي ياكريم».

فانه يقال لكِ: يافاطمة! نَعَم، نعم[١].

٢ـ ومن ذلك دعاء آخر عن مولاتنا فاطمة الزهراء (صلوات اللّه عليها):

«اللهم قَنِّعني بما رزقتني، واستُرني وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني اذا توفَّيتني؛

اللهم! لاتُعيِني في طلب ما لاتُقدِّر لي، وما قدَّرتَه عَلَيَّ فاجعله مُيَسَّراً سهلاً؛

١ـ مهج الدعوات: ١٣٩.

اللهم! كافِ عنّي والديَّ ـ وكُلَّ مَن له نعمةٌ علَيَّ ـ خيرَ مُكافاة؛

اللهم! فرِّغني لِما خلقتني له، ولاتَشغلني بما تكفَّلتَ لي به، ولاتعذِّبني وأنا استغفرك، ولاتَحرمني وانا أسألك؛

اللهم! ذلِّل نفسي في نفسي، وعَظِّم شأنك في نفسي، وألهِمني طاعتَك، والعملَ بما يُرضيك، والتجنُّبَ عمّا يُسخِطُك، يا ارحم الراحمين»[١].

٣ـ ومن ذلك للحمّى دعاء آخر لمولاتنا فاطمة الزهراء(عليها السّلام):

دخل النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) على فاطمة الزهراء (عليها السّلام) فوجَدَ الحسنَ (عليه السّلام) موعوكاً[٢]، فشقَّ ذلك على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فنزل جبرئيل (عليه السّلام) فقال: يامحمد! ألا أُعلِّمك معاذةً تدعو بها فينجلي عنه [الحسن] ما يجده؟

قال [النبي]: بلى.

قال: قل:

«اللهم! لا إله إلاّ أنتَ العليُّ العظيم، ذو السلطانِ القديم، والمنٌ العظيم، والوجه الكريم، لا إله إلاّ أنت العلي العظيم، وليُّ الكلمات التامّات والدعوات المستجابات، حُلَّ ما أصبح بِفُلان».

فدعا النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)، ثم وضع يده على جبهته [الحسن] فاذا هو ـ بعون اللّه ـ قد أفاق[٣].

١ـ مهج الدعوات: ١٤١.

٢ـ موعوكاً: مريضاً.

٣ـ مهج الدعوات: ١٤١.

٤ـ دعاء النور: العلاج العجيب لمكافحة الحُمّى

لقد اشتهر بين الشيعة ـ بكافة طبقاتهم من أهل العلم وغيرهم: ـ دعاء النور المروي عن سيدتنا فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وفي خلال هذه القرون ثبت بالتجارب ـ على مرّ التاريخ ـ أن لهذا الدعاء تأثيراً خاصاً للاستشفاء من الحمّى، وقد ذكره كثير من علمائنا في كتب الأدعية والأحاديث، ومنهم السيد ابن طاووس في كتابه (مهج الدعوات).

وخلاصة الحديث أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) علّمت سلمان الفارسي (رضوان اللّه عليه) هذا الدعاء وقالت له: ان سَرَّك أن لايمسَّك أذى الحُمّى ما عشت في دار الدنيا، فواظب على هذا الكلام الذي علَّمنيه أبي: محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كنتُ أقوله غدوة وعشية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

بسم اللّه النور، بسم اللّه نور النور، بسم اللّه نور على نور، بسم اللّه الذي هو مدبّر الأُمور، بسم اللّه خلق النور من النور، الحمد للّه الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطُور، في كتابٍ مَسطور في رَقٍّ منشور، بقَدَرٍ مقدور، على نبيٍّ مَحبُور، الحمد للّه الذي هو بالعز مذكور، وبالفخرِ مشهور، وعلى السَّرَّاء والضَّرَّاء مشكور، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

قال سلمان: واللّه لقد علّمتُ أكثر من ألف إنسان في مكة والمدينة كانوا مصابين بالحمّى، فبرئوا بإذن اللّه.

٥ـ وفي (كشف الغمة): وعن عبداللّه بن الحسن، عن أُمّه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة (عليهم السّلام) قالت:

«كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) اذا دخل المسجد قال: «بسم اللّه، والحمد للّه، وصلّى اللّه على رسول اللّه، اللهم اغفر لي ذنوبي، وسهّل لي ابواب رحمتك».

واذا خرج قال مثل ذلك، إلاّ أنه يقول: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وسهّل ابواب [رحمتك] وفضلك»[1].

٦ـ وعن زين العابدين (عليه السّلام) قال: ضمّني والدي (عليه السّلام) الى صدره يوم قتل، والدماء تغلي، وهو يقول: يابني احفظ عني دعاءً علمتنيه فاطمة (عليها السّلام) وعلّمها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وعلّمه جبرئيل (عليه السّلام) في الحاجة والهمّ والغمّ والنازلة اذا نزلت، والأمر العظيم الفادح قال: ادع:

«بحق يس والقرآن الحكيم، وبحق طه والقرآن العظيم، يامن يقدر على حوائج السائلين، يامن يعلم ما في الضمير، يامنفّس عن المكروبين يامفرج عن المغمومين ياراحم الشيخ الكبير، يارازق الطفل الصغير، يامن لايحتاج الى التفسير صلّ على محمد وآل محمد، وافعل بي...» تذكر الحاجة[2].

٧ـ وعن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: «... ان فاطمة اتت أباها (صلّى اللّه عليه وآله) تشكو ما تلقى من وَجع الضرس أو السِّنّ. فأدخل (صلّى اللّه عليه وآله) سبّابته اليمنى فوضعها على سنّها التي تضرب وقال: «بسم اللّه وباللّه، اسألك بعزّتك وجلالك وقدرتك على كل شيء، إن مريم

١ـ كشف الغمة ج١ ص٥٥٣.

٢ـ الدعوات للراوندي.

لم تلد غير عيسى روحِك وكلمتك، أن تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضرُّ كلّه» فسكن مابها...» الى آخر الحديث [١]

٨ـ وروي ان فاطمة (عليها السّلام) زارت النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال لها: ألا أُزوّدك؟

قالت: نعم.

قال: قولي: (اللهم ربّنا وربّ كلّ شيء، منزّل التوراة والانجيل والفرقان، وفالق الحبّ والنوى، اعوذ بك من شرّ كلّ دابّة انت آخذ بناصيتها، انت الأول فليس قبلك شيء، وانت الآخر فليس بعدك شيء، وانت الظاهر فليس فوقك شيء، وانت الباطن فليس دونك شيء، صلّ على محمد وعلى أهل بيته عليه وعليهم السّلام واقض عنّى الدَّين واغنني من الفقر، ويسّر لي كل الأمر، يا أرحم الراحمين) [٢].

٩ـ وعن علي (عليه السّلام) قال: ان فاطمة شكت الى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الأرقّ [٣] فقال لها: قولي يابنيّة: (يامشبع البطون الجائعة، ويا كاسي الجسوم العارية، وياساكِن العروق الضاربة، ويامنوّم العيون الساهرة، سكّن عروقي الضاربة، وأذن لعينِي نوماً عاجلاً).

قال (عليه السّلام): فقالته، فذهب عنها ما كانت تجده [٤].

---

١ ـ مكارم الأخلاق ص٤٠٦.

٢ ـ مهج الدعوات ص١٤٢، ذخائر العقبى للطبري ص٤٩ وبه: ان فاطمة (عليها السّلام) سألت أباها خادماً، فعلّمها هذا الدعاء.

٣ ـ الأرَق: السَهر.

٤ـ بحار الأنوار ج٧٦ ص٢١٣.

١٠ـ وروي هذا الدعاء عن السيدة فاطمة (عليها السّلام):

«اللهمَّ بعِلمك الغيب، وقد رتك على الخَلق، احيني ما علمتَ الحياة خيراً لي، وتوفَّني اذا كانت الوفاة خيراً لي، اللهم اني اسألك كلمة الاخلاص، وخشيتك في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، واسألك نعيماً لاينفد، واسألك قرَّة عينٍ لاتنقطع، واسألك الرضا بالقضاء، واسألك بَردَ العيش بعد الموت، واسألك النظر الى وجهك[1] والشوق الى لقائك، من غير ضرّاء مضرَّة، ولافتنةٍ مظلمة، اللهمَّ زينّا بزينة الايمان، واجعلنا هداةً مهديّين يارب العالمين»[2].

١ـ من الثابت عقائدياً وعقلاً. أن رؤية اللّه مستحيلة في الدنيا والآخرة، لأن الرؤية لاتكون إلاّ للاجسام، واللّه تعالى ليس بجسم ولامركَّب ولايُشغل حيِّزاً ولامكانا.

فقول الزهراء (عليها السّلام): «واسألك النظر الى وجهك» معناه: النظر الى رحمة اللّه سبحانه وجميل صنعه ولطفه واحسانه.

٢ ـ بحار الأنوار ج٩٤ ص٢٢٥.

النبي يخبر الزهراء
عن احداث المستقبل

من الطبيعي أن السيدة فاطمة (عليها السّلام) ـ مع منزلتها القريبة ومكانتها الخاصة عند أبيها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ كان النبي يخبرها عن المستقبل الخاص والعام.

إن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي كان يخبر الناس عمّا سوف يجري من بعده، ويخبرهم عن اشراط الساعة وعلائم آخر الزمان ومشاهد القيامة.

اتراه لايعلم بما سوف يجري على أهل بيته من بعده، وعلى ابنته العزيزة: فاطمة الزهراء؟!

اوتراه يعلم ذلك ولايخبرهم بما يتعلّق بمستقبلهم ومصيرهم؟!

نعم... كان النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يخبر أهل بيته بما سيجري عليهم من الناس من بعد وفاته مباشرة وبعد ذلك على طول خط التاريخ، فكم أخبر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أصحابه وزوجاته بشهادة الحسين (عليه السّلام)؟

ومن اليقين أنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أخبر إبنته الحبيبة فاطمة بمصائبها ونوائبها واضطهادها وما يجري عليها من المآسي.

وخاصة في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة، وعلى الأخص في الليلة الأخيرة واليوم الأخير من حياته، فقد ضاق المجال وحضرت الساعة الحرجة

ليكشف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) النقاب عن الواقع لابنته ويخبرها بكل صراحة فيبشّرها أنها لاتلبث بعده إلاّ قليلاً ثم تلتحق بأبيها الرسول في الدرجات العلى والرفيق الأعلى، ثم يخبرها بتبدل الأحوال وتغيّر الأوضاع:

فقد روي عن عبداللّه بن العباس قال: لما حضرت رسولَ اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الوفاة بكى حتى بلّت دموعه لحيته.

فقيل له: يارسول اللّه ما يبكيك؟

فقال: أبكي لذريتي، وما تصنع بهم شرار أُمَّتي من بعدي، كأني بفاطمة بنتي وقد ظُلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه فلايُعينها أحد من أُمّتي.

فسمعت ذلك فاطمة (عليها السّلام) فبكت، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): لاتبكينَّ يابنيَّة.

فقالت: لست أبكي لما يُصنع بي من بعدك، ولكنني أبكي لفراقك يارسول اللّه.

فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي[١].

وعن ابن عباس عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه قال:... وإني لما رأيتها (فاطمة) ذكرتُ ما يصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الذلُّ بيتها وانتُهكت حرمتها، وغُصبت حقُّها، ومُنعت إرثها، وكسر جنبها، وأسقطت جنينها، وهي تنادي: يا محمداه. فلاتُجاب، وتستغيث فلاتُغاث، فلاتزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقي أخرى، وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٥٦ عن الأمالي للشيخ المفيد.

الذي كانت تستمع إليه إذا تهجدتُ بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة.... الى آخره[1].

هذا والأخبار والأحاديث الواردة عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في إخباره أهل بيته بما يجري عليهم من بعده ـ كثيرة جداً ـ وآخر مرة أخبر النبي أهل بيته (وهم علي والزهراء والحسن والحسين) في مرض موته، وقبل وفاته (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بساعات قلائل.

فقد روي عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في مرضه الذي قبض فيه، لفاطمة (عليها السّلام) ـ : بأبي وأُمي أنت! أرسلي إلى بعلك فادعيه لي.

فقالت فاطمة للحسين أو الحسن: إنطلق إلى أبيك فقل: يدعوك جدي.

فانطلق إليه الحسين فدعاه. فأقبل علي بن أبي طالب (عليه السّلام) حتى دخل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وفاطمة عنده وهي تقول:

واكرباه لكربك يا أبتاه!

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): لاكرب على أبيك بعد اليوم يا فاطمة، ولكن قولي كما قال أبوك على ابراهيم[2]: تدمع العينان وقد يوجع القلب، ولانقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون[3].

وروي إن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) وقال ـ لمن في بيته ـ : أخرجوا عني. وقال ـ لأم

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٧٢ عن أمالي الصدوق/٩٩.

٢ـ ابراهيم بن رسول اللّه، وامّه مارية القبطية، توفي وله من العمر سنة ونصف.

٣ـ تفسير فرات بن ابراهيم، رواه عنه في البحار ج٢٢.

سلمة ـ : كوني على الباب فلايقربه أحد.

ثم قال ـ لعلي ـ : أُدنُ مني. فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلا وأخذ بيد علي بيده الأخرى، فلما أراد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الكلام غلبته عبرته، فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة بكاءاً شديداً وعلي والحسن والحسين (عليهم السّلام) لبكاء رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقالت فاطمة: يارسول اللّه قد قطعت قلبي، وأحرقت كبدي لبكائك يا سيد النبيين من الأولين والآخرين، ويا أمين ربه ورسوله، ويا حبيبه ونبيّه.

مَن لوُلدي بعدك؟

ولذُلٍّ ينزل بي بعدك؟ مَن لعليٍّ أخيك وناصر الدين؟

من لوحي اللّه وأمره؟

ثم بكت وأكبَّت على وجهه فقبلته، وأكبَّ عليه علي والحسن والحسين (عليهم السّلام) فرفع رأسه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إليهم، ويد فاطمة في يده فوضعها في يد علي وقال له: يا أبا الحسن وديعة اللّه ووديعة رسوله محمد عندك، فاحفظ اللّه واحفظني فيها، وإنك لفاعل هذا.

يا علي هذه ـ واللّه ـ سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والاخرين، هذه ـ واللّه مريم الكبرى[1].

أما ـ واللّه ـ ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت اللّه لهم ولكم، فأعطاني ما سألته.

يا علي أنفذ ما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل.

١ـ أي من حيث الشبه أو المنزلة.

واعلم يا علي أني راضٍ عمّن رضيت عنه إبنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته.

يا علي: ويل لمن ظلمها، ويل لمن ابتزّها حقها، وويل لمن هتك حرمتها...

ثم ضمَّ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فاطمة إليه وقبّل رأسها وقال: فداك أبوك يا فاطمة... الى آخره[١].

وروي عن الامام الصادق (عليه السّلام) - في حديث طويل - : ان رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)قال - لابنته فاطمة(عليهاالسّلام) -:...

«أما ترضين ان تنظري الى الملائكة على ارجاء السماء ينظرون اليكِ والى ما تأمرين به.

وينظرون الى بَعلك قد حضَر الخلائق وهو يخاصمهم عند اللّه، فما تَرين اللّه صانعاً بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بَعلك....» الى آخر الحديث[٢].

إن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يخبر ابنته - بكل صراحة - بأنها سوف تُقتل، كما يُقتل زوجها ووُلدها أيضاً.

وسوف تقرأ - في فصل قادم - ما جرى على سيدة النساء من المصائب والآلام، التي ادّت الى شهادتها ووفاتها.

وروي عن الامام موسى بن جعفر (عليه السّلام) قال: قلت - لأبي عبداللّه [الصادق] (عليه السّلام): أليس كان أمير المؤمنين كاتب الوصيّة، ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) المملي عليه، وجبرئيل والملائكة المقرّبون (عليهم السّلام) شهوداً؟

قال: فأطرق [الامام الصادق] طويلاً[٣] ثم قال [الامام]: **يا ابا الحسن**

١ـ بحار الأنوار ج٢٢/٤٨٤.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٥.

٣ـ وفي نسخة: مليّاً.

[الكاظم] قد كان ماقلت، ولكن حين نزل برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) الأمر[١] نزلت الوصيّة من عند اللّه كتاباً مُسجّلاً[٢] نزل به جبرئيل مع أُمَناء اللّه (تبارك وتعالى) من الملائكة.

فقال جبرئيل: يا محمد! مُر بإخراج مَن عندك. إلاّ وصيَّك، ليقبضها منّا، وتُشهِدنا بدَفعك إياها إليه، ضامناً لها ـ يعني عليّاً (عليه السّلام).

فأمر النبي (صلى اللّه عليه وآله) بإخراج مَن كان في البيت ماخلا عليّاً (عليه السّلام) وفاطمة فيما بين الستر والباب؛

فقال جبرئيل: يامحمد! ربُّك يقرؤك السلام، ويقول:

«هذا كتابُ ما كنتُ عهدتُ إليك، وشرطتُ عليك، وشهدت به عليك وأُشهدتُ به عليك ملائكتي، وكفى بي ـ يا محمد ـ شهيداً؛

قال [الامام الصادق]: فارتعدت مفاصل النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال: ياجبرئيل؛ ربّي هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، صَدَقَ، (عزّوجلّ) وبرَّ، هاتِ الكتاب.

فدفعه إليه، وأمره بِدَفعه إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) فقال له: إقرأه. فقرأه حرفاً حرفاً؛

فقال [النبي]: ياعلي! هذا عهد ربي (تبارك وتعالى) إليَّ، وشرطه عليَّ، وأمانته، وقد بلَّغتُ ونصحتُ وأدَّيتُ!

فقال علي (عليه السّلام): وأنا أشهد لك ـ بأبي وأُمّي أنت ـ بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلتَ، ويشهد لك سمعي وبَصَري ولحمي ودمي!

فقال جبرئيل: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين.

١ـ لعل المقصود من الأمر ـ هنا ـ : الموت.

٢ـ مُسجّلاً: أي محكماً مستوثقاً.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): ياعليُّ! أخذتَ وصيَّتي وعرفتَها، وضمنتَ لِلّه ولي الوفاء بما فيها؟

فقال علي (عليه السّلام): نعم بأبي أنت وأُمِّي، عَلَيَّ ضمانُها، وعلى اللّه عوني وتوفيقي على أدائها.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): ياعلي! إني أُريد أن أُشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة!!

فقال علي (عليه السّلام): نعم، إشهَد.

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله): إن جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن، وهُما حاضران، معهما الملائكة المقرَّبون، لأُشهِدهم عليك!

فقال: نَعَم، ليشهدوا، وأنا ـ بأبي أنت وأُمّي ـ أُشهدهم!

فأشهَدَهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله).

وكان فيما اشترط عليه النبي ـ بأمر جبرئيل (عليه السّلام) فيما أمر اللّه به (عزّوجلّ) أن قال له:

«يا عليّ! تفي بما فيها من موالاة مَن والى اللّه ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى اللّه ورسوله، والبراءة منهم على الصبر منك [و] على كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقّي، وغصب خُمسك[1] وانتهاك حُرمتك؟

فقال: نعم، يارسول اللّه.

قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): والذي فَلَقَ الحبَّة، وبرأ النَّسمة. لقد سمعتُ جبرئيل (عليه السّلام) يقول للنبي:

«يامحمد! عَرِّفه أنه ينتهك الحُرمة، وهي حرمة اللّه، وحرمة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وعلي أن تُخضَب لحيته من رأسه بِدَم عبيط!».

١ـ وفي نسخة: غصبك.

قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): فصعقت حين فهمتُ الكلمة من الأمين جبرئيل حتى سقطتُ على وجهي، وقلتُ:

«نعم، قبلتُ ورضيتُ، وإن انتهكت الحرمة! وعُطِّلت السُّنن، ومُزِّق الكتاب [القرآن] وهُدِّمت الكعبة، وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط، محتسباً أبداً، حتى أقدم عليك».

ثم دعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): فاطمة والحسن والحسين، وأعلَمَهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين، فقالوا مثل قوله؛

فَخُتِمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسّه النار، ودفعت إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام).

قال الراوي: فقلت لأبي الحسن [الكاظم] (عليه السّلام): بأبي أنت وأُمي! ألا تذكر ما كان في الوصيّة؟

فقال: سُنَن اللّه وسُنن رسوله.

فقلت: أكان في الوصيّة تَوَثُّبهم[1] وخلافهم على أمير المؤمنين (عليه السّلام)؟

فقال: نعم، واللّه، شيئاً شيئاً، وحرفاً حرفاً، أما سمعتَ قول اللّه (عزّوجلّ): «إنا نحن نُحيي الموتى ونكتب ما قدَّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين»؟

واللّه لقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) لأمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السّلام): أليس قد فهمتُما ما تقدَّمت به إليكما وقبلتماه؟

فقالا: بلى، وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا[2].

كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في تلك الساعة الأخيرة

١ـ التوثُّب: الاستيلاء على الشيء ظلماً.

٢ـ الكافي ج١ ص٢٨١.

واضعاً رأسه على صدر علي (عليه السّلام) وقلبه لايطاوعه إلاّ أن يضمّ فاطمة إلى صدره مرة بعد مرة، ودموعه تجري كالمطر حتى ابتلت لحيته الشريفة وابتلّت الملاءة التي كانت عليه، وأقبل الحسن والحسين يقبّلان قدميه ويبكيان بأعلى أصواتهما.

وأراد علي (عليه السّلام) أن يرفعهما، فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): دَعهما يشمّاني وأشمّهما، ويتزودّا مني وأتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدي زلزالاً، وأمراً عضالاً، فلعن اللّه من يحيفهما، اللهم إني أستودعكهما وصالح المؤمنين.

ولاتسأل عن بكاء السيدة فاطمة الزهراء في تلك اللحظات وهي ترى أباها الرسول العظيم ووالدها البارّ العطوف الحنون على أعتاب المنيّة، فكانت تخاطب أباها بدموع جارية: نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء.

يا أبتاه ألا تكلمني كلمة فإني أنظر إليك وأراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً.

فقال لها: بُنيّة إني مفارقكِ، فسلام عليك مني.

وفي كشف الغمة. ثم قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): يا بنيّة انتِ المظلومة بعدي! وأنت المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن جفاكِ فقد جفاني، ومن وصلكِ فقد وصلني، ومن قطعكِ فقد قطعني، ومن أنصفكِ فقد أنصفني، لأنك مني وأنا منكِ، وأنتِ بضعة مني وروحي التي بين جَنبيّ.

ثم قال: إلى اللّه أشكو ظالميكِ من أمتي.

فما مضت سوى فترة قصيرة إذ قام علي (عليه السّلام) قائلاً: أعظم اللّه أُجوركم في نبيكم فقد قبضه اللّه إليه.

فارتفعت الأصوات بالضجة والبكاء، فكان أعظم يوم في تاريخ البشر، وأوجع صدمة على قلوب المسلمين، ولم يُرَ يوم أكثر باكٍ وباكية من ذلك اليوم.

وهكذا مرّت تلك الساعة المُرّة العصيبة التي كانت أصعب ساعة في حياة الزهراء.

فكيف انقضت تلك الدقائق على قلب فاطمة وهي ترى أباها مسجّى لاحراك به؟!

فكانت الزهراء تقول: يا أبتاه من ربه ما أدناه!

واأبتاه جنة الفردوس مأواه!

واأبتاه الى جبرئيل ننعاه!

واأبتاه أجاب ربّاً دعاه[1].

وكان علي يقول: يا رسول اللّه!

والحسنان يبكيان ويقولان: واجداه واجداه[2].

وقام (عليه السّلام) بتغسيل الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وتحنيطه وتكفينه وحضر وقت الصلاة عليه، فكانت السيدة فاطمة الزهراء من جملة المصلّين على جثمان أبيها العظيم في الوجبة الأولى[3].

وإلى أن دفن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان بكاء الزهراء مستمراً متصلاً ورجعت إلى بيتها واجتمعت النساء فقالت: إنا للّه وإنا إليه راجعون، إنقطع عنا خبر السماء.

ثم قالت في مرثية أبيها أبياتاً نذكرها قريباً.

١ـ البخاري ج٥ ص١٥.

٢ـ المنتقى ص١٧٨.

٣ـ الاحتجاج، للطبرسي.

وقالت لأنس بن مالك ـ : أطابت نفوسكم أن تحثّوا على رسول اللّه التراب؟

وفي كشف الغمة عن الإمام الباقر (عليه السّلام): ما رؤيت فاطمة (عليها السّلام) ضاحكة مستبشرة منذ قُبض رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حتى قُبضت.

وفي رواية أخرى: إلاّ يوماً افترت بطرف نابها[1].

وعن عمران بن دينار: إن فاطمة لم تضحك بعد النبي حتى قُبضت لِما لحقها من شدة الحزن على أبيها (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

١ـ أي: ابتسمت ابتسامة خفيفة.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) بعد وفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

في كل يوم من أيام الدنيا آباء يموتون، وبناتهم يُفجعن بهم، ويبكين في مصابهم، ويحزنَّ لفقدهم، إلاّ أن نسبة الحزن والبكاء وألم المصيبة تختلف باختلاف الآباء والبنات، وباختلاف العلاقات الوُدِّيّة بين الأب وابنته، فهناك العدد الكثير من البنات اللاتي لانصيب لهن من الآباء إلاّ الأبوة، فلاعطف ولاحنان ولامحبَّة، فكأنه لامعرفة بينهما ولاصلة.

وهناك آباء يمطرون بناتهم بالعطف والدلال والإحترام، والمحافظة على البنت لئلا تنخدش عواطفها. ولئلا يحدث شيء يمس بكرامتها.

ويجد الأب من ابنته نفس الشعور المتبادل والإحترام والتقدير.

وفي هذه الصورة تكون العلاقات الودِّية بين الأب وابنته وثيقة جدا، وعلى هذا تكون مصيبة الأب على قلب ابنته أليمة وعميقة.

وقد مرَّ عليك موقف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من ابنته الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وسوف يسهل عليك أن تدرك بأن علاقة السيدة فاطمة الزهراء بأبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ومحبتها إياه لم تكن بدافع الأبوَّة والبنوة فقط، بل كانت السيدة فاطمة تعتبره أباً عطوفاً، ووالداً رؤفاً، شفيقاً رحيماً.

وفي الوقت نفسه تعتبره رسول اللّه، وسيد الأنبياء والمرسلين، فهي تحترم أباها كما تحترم المرأة المسلمة المؤمنة العارفة، نبيَّها، وتعظّمه أقصى

أنواع التعظيم، وأعلى درجات التفخيم والتجليل.

والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) أعلم إمرأة في الإسلام، وأعرف أُنثى بعظمة نبي الإسلام.

وبعد هذه المقدمة يتضح لنا أن مصيبة وفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) سلبت عن ابنته البارَّة كل قرار واستقرار، وكل هدوء وسكون.

فالزهراء تعرف عِظَم المصاب، ومدى تأثير الواقعة في الموجودات كلها.

وهنا تُحدّثنا فضّة خادمة الزهراء عن الحزن المسيطر على السيدة فاطمة بسبب وفاة أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قالت:

«ولما توفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) افتجع له الصغير والكبير، وكثر عليه البكاء، وعظُم رزؤه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب، والغرباء والأنساب.

ولم تلق إلاّ كل باكٍ وباكية، ونادب ونادبة، ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأقرباء والأحباب أشدُّ حزناً وأعظم بكاءاً وانتحاباً من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وكان حزنها يتجدد ويزيد، وبكاؤها يشتد، فجلست سبعة أيام لايهدأ لها أنين، ولايسكن منها الحنين، وكل يوم كان بكاؤها أكثر من اليوم الذي قبله.

فلما كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبراً، إذ خرجت وصرخت، وضجَّ الناس بالبكاء، فتبادرت النسوة، وأطفئت المصابيح لكيلا تتبين وجوه النساء.

كانت السيدة فاطمة تنادي وتندب أباها قائلة:

واأبتاه! واصفيّاه! وامحمداه! واأبا القاسماه! واربيع الأرامل واليتامى! مَن للقبلة والمصلَّى؟

ومَن لابنتك الوالهة الثكلى؟

ثم أقبلت تعثر في أذيالها، وهي لاتبصر شيئاً من عبرتها، ومن تواتر دمعتها، حتى دنت من قبر أبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فلما نظرت إلى الحجرة ووقع طرفها على المأذنة أُغمي عليها، فتبادرت النسوة، فنضحن الماء عليها وعلى صدرها، وجبينها حتى أفاقت، فقامت وهي تقول:

رُفعت قوتي، وخانني جَلَدي، وشمت بي عدوي، والكمد قاتلي.

يا أبتاه بقيت والهة وحيدة، وحيرانة فريدة.

فقد انخمد صوتي، وانقطع ظهري، وتنغَّص عيشي، وتكدَّر دهري.

فما أجد ـ يا أبتاه ـ بعدك أنيساً لوحشتي، ولاراداًّ لدمعتي، ولامعيناً لضعفي، فقد فني بعدك محكم التنزيل، ومهبط جبرئيل، ومحل ميكائيل.

انقلبت ـ بعدك ـ يا أبتاه الأسباب.

وتغلَّقت دوني الأبواب.

فأنا للدنيا بعدك قالية، وعليك ـ ما تردَّدت أنفاسي ـ باكية.

لاينفد شوقي إليك، ولاحزني عليك.

إنّ حزني عليك حزن جديد ... وفؤادي واللّه صبّ عنيد

كل يوم يزيد فيه شجوني ... واكتيابي عليك ليس يبيد

جلّ خطبي، فبان عنّي عزائي ... فبكائي في كل وقت جديد

إن قلباً عليك يألف صبراً ... أو عزاء فإنه لجليد

ثم نادت:

يا أبتاه! إنقطعت بك الدنيا بأنوارها، وذوت زهرتها.

وكانت ببهجتك زاهرة.

يا أبتاه! لازلتُ آسفة عليك إلى التلاق.

يا أبتاه! زال غمضي منذ حقَّ الفراق.
يا أبتاه! مَن للأرامل والمساكين؟
ومَن للأمة إلى يوم الدين؟
يا أبتاه! أمسينا بعدك من المستضعفين!
يا أبتاه! أصبحت الناس عنا معرضين!
ولقد كنَّا بك معظَّمين في الناس غير مستضعفين!
فأي دمعة لفراقك لاتنهمل!
وأي حزن بعدك لايتصل؟
وأي جفن بعدك بالنوم يكتحل؟
وأنت ربيع الدين، ونور النبيين
فكيف بالجبال لاتمور؟ وللبحار بعدك لاتغور؟
والأرض كيف لم تتزلزل؟
رُميتُ ـ يا أبتاه ـ بالخطب الجليل
ولم تكن الرزية بالقليل
وطُرِقتُ ـ يا أبتاه ـ بالمصاب العظيم، وبالفادح المهول
بكتك ـ يا أبتاه ـ الأملاك
ووقفتِ الأفلاك
فمنبرك بعدك مستوحش
ومحرابك خال من مناجاتك
وقبرك فرِحٌ بمواراتك
والجنة مشتاقة إليك وإلى دعائك وصلاتك
يا أبتاه ما أعظم ظلمة مجالسك!!
فواأسفاه عليك إلى أن أقدم عاجلاً عليك

وأُثكل أبو الحسن المؤتمن، أبو ولديك الحسن والحسين.
وأخوك ووليك، وحبيبك، ومن ربّيته صغيراً وآخيته كبيراً.
وأحلى أحبابك وأصحابك إليك
من كان منهم سابقاً ومهاجراً وناصراً
والثكل شاملنا! والبكاء قاتلنا! والأسى لازمنا
ثم زفرت، وأنّت أنيناً يخدش القلوب ثم قالت:

قلّ صبري وبان عني عزائي ... بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين يا عين أسكبي الدمع سحّاً ... ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يا رسول الإله يا خيرة الله ... وكهف الأيتام والضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً ... والطيروالأرض بعدبكي السماء
وبكاك الحجون والركن والمشـ ... ـعر ـ يا سيدي ـ مع البطحاء
وبكاك المحراب والدرس ... للقرآن في الصبح معلناً والمساء
وبكاك الإسلام إذ صار في النا ... س غريباً من سائر ا الغرباء
لو ترى المنبر الذي كنت تعلو ... ه علاه الظلام بعد الضياء
يا إلهي عجّل وفاتي سريعاً ... (فلقد عِفتُ الحياة يا مولائي)

وأخذت فاطمة الزهراء (عليها السّلام) شيئاً من تراب قبر أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) وجعلت تشمّه وهي تقول:

ماذا على من شمَّ تربة أحمد ... إن لايشمَّ مدى الزمان غواليا
قل للمغيّب تحت أطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها ... صُبَّت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمىً بظلِّ محمد ... لاأخش من ضيم وكان حمىً ليا
فاليوم أخضع للذليل وأتَّقي ... ضيمي ، وأدفع ظالمي بردائيا

فإذا بكت قمرية في ليلها شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلنّ الحزن بعدك مؤنسي ولأجعلن الدمع فيك وِشاحيا[١]

وروى زيني دحلان في السيرة النبوة هذه الأبيات لها في رثاء أبيها بعد دفنه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم):

إغبرّ آفاق السماء وكوّرت شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها وليبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطود المعظم جوّه والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه صلّى عليك منزّل القرآن

ثم رجعت إلى منزلها، وأخذت بالبكاء والعويل.

وكانت ـ سلام اللّه عليها ـ معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة.

وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟

أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما، فلايدعكما تمشيان على الأرض؟

لا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولايحملكما على عاتقه، كما لم يزل يفعل بكما!!

ولما توفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) امتنع بلال من الأذان قال: لا أُوذن لأحد بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

وإن فاطمة (عليها السّلام) قالت ذات يوم: إني أشتهي أن أسمع

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

صوت مؤذن أبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالأذان.

فبلغ ذلك بلالا فأخذ في الأذان فلما قال: اللّه أكبر اللّه أكبر ذكرت أباها وأيامه، فلم تتمالك من البكاء.

فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول اللّه شهقت فاطمة (عليها السّلام) وسقطت لوجهها وغشي عليها.

فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال فقد فارقت إبنة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت. فقطع أذانه، ولم يتمّه.

فأفاقت فاطمة (عليه السّلام) وسألته أن يتمّ الأذان فلم يفعل وقال لها: يا سيدة النسوان إني أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالأذان. فأعفته عن ذلك[١].

قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): غسلت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في قميصه. فكانت فاطمة تقول: أرني القميص. فإذا شمّته غشي عليها. فلما رأيت ذلك غيَّبته[٢].

وروي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السّلام) انه قال: عاشت فاطمة بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) خمسة وسبعين يوماً، لم تُرَ كاشرةً ولاضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين: الاثنين والخميس، فتقول: ها هنا كان رسول اللّه، وها هنا كان المشركون[٣].

وعن محمود بن لبيد قال: لّما قبض رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كانت فاطمة (عليها السّلام) تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ عن من لايحضره الفقيه.

٢ـ مقتل الحسين للخوارزمي.

٣ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٩٥ عن الكافي.

وتبكي هناك.

فلمّا كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتُها تبكي هناك، فامهلتُها حتى سكنت، فاتيتها وسلّمت عليها وقلت: ياسيدة النسوان قد ـ واللّه ـ قطعتِ نياط قلبي من بكائك.

فقالت: يا أبا عمرو، ويحقّ لي البكاء، فلقد أُصبتُ بخير الآباء: رسول اللّه.

واشوقاه الى رسول اللّه.

ثم انشأت تقول:

اذا مات يوماً ميّتٌ قلَّ ذِكرهُ وذِكر أبي مذ مات ـ واللّه ـ أكثر[1]

أقول: المستفاد من التاريخ والأحاديث ان السيدة فاطمة (عليها السّلام) كانت تبكي ـ علي أبيها ـ في بيتها، فلمّا منعوها عن البكاء، خرجت الى أُحُد، فلمّا اشتدّ بها المرض صعب عليها الخروج الى أُحُد، فكانت تخرج الى البقيع وبيت الأحزان ـ كما ستقرأ ذلك ـ .

١ـ بيت الأحزان للقمي ص١٤١.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في مهب الأعاصير

أيها القارىء:

لقد وصلنا ـ في حديثنا هذا ـ إلى موضع حساس جداً، حساس تاريخياً ودينياً وعقائدياً، ولا أعلم ما يكون صدى هذه الجملات التي سأذكرها هنا؟!

ولا أعلم ردود الفعل التي تنشأُ من مطالعة هذه الكلمات؟!

ولا أعرف نوعية الحكم الذي سيحكم به القارىء عليَّ؟!

وما هي التُّهم التي سيوجِّهها إليَّ؟

الطائفية؟ التفرقة؟ إثارة الفتنة؟ المسّ بكرامة الصحابة؟ وغيرها من الكلمات التي سأحظى بها من حضرات المطالعين!!

ولعلك ـ أيها القارىء ـ لاترضى بهذه الحقائق، وتظنها كذباً وافتراءً ثم تحكم عليَّ حكماً غيابياً بما جاد به لسانك وقلمك.

لايهمّني هذا بمقدار ما يهمّني أن تعلم أنني لا أذكر لك ـ هنا ـ شيئاً من المصادر الشيعية، ولا من كتب الإمامية وإنما أذكر لك بعض القضايا من مصادر سُنِّيَّة بحتة محضة فقط، معتبرة عند أهل السُّنة والجماعة.

فإن كانت هذه الأخبار صحيحة وصادقة فنعم المطلوب.

وإن كانت سقيمة أي غير صحيحة فليست المسؤولية عليَّ.

وإنما المسؤولية على تلك المصادر.

وبعبارة أُخرى: ليس الذنب ذنبي، بل الذنب ذنب التاريخ الذي ذكر

هذه الوقائع.

ولولا ثبوتها عند علماء السنة القدامى لما ذكروها في صحاحهم المعتبرة عندهم، المعتمدة لديهم.

أيها القارىء:

أعود لأقول كلمتي الأخيرة، ثم أدخل في صميم الموضوع:

أقول: انني أذكر لك المصادر والمدارك التاريخية، فالأفضل أن تراجعها كي تتأكد من صحة القول والنقل.

وبعد مطالعة هذا الفصل لك الحرية في اختيار موقفك تجاه هذه الأحداث وتبقى أنت وضميرك الحي، ووجدانك ـ وهو الذي تجده في قرارة نفسك ـ وديانتك التي أنت معتنقها، وإيمانك باللّه الذي أنت لاقيه، والحق الذي هو فوق العاطفة والميول والتقاليد.

وكم يؤسفني أني لاأملك حرية القلم والبيان لأسجِّل على هذه الصفحات الأحداث المؤلمة، والظروف العصيبة، والعواصف الزعازع، والساعات الحرجة التي مرَّت بآل رسول اللّه وعترته الطيبة في أقل من اسبوع من بعد وفاته (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

نعم.. الحرية ممنوحة لكل أحد ولكل فئة إلا لآل رسول اللّه!!

وحرية الصحافة المتعارفة في زماننا، وحرية الدفاع المسموح بها في جميع المحاكم في العالم، وحرية الرأي والفكر المعترف بها في الدول، هذه الحريات بكافة أنواعها موجودة، ولكن التحدّث عن مصائب آل الرسول وتسجيل آلامهم ومآسيهم يعتبر ذنباً لايغفر...

والآن إقرأ ما يلي:

ذكر الأستاذ الفذ عبدالفتاح عبدالمقصود في كتابه (الإمام علي بن أبي طالب) ص٢٢٥:

(... واجتمعت جموعهم ـ آونة في الخفاء وآخرى على ملاء ـ يدعون إلى ابن أبي طالب لأنهم رأوه اولى الناس بأن يلي أُمور الناس، ثم تألّبوا حول داره يهتفون باسمه ويدعونه أن يخرج إليهم ليردّوا عليه تراثه المسلوب... فإذا المسلمون أمام هذا الحدث محالف أو نصير، وإذا بالمدينة حزبان، وإذا بالوحدة المرجوّة شقّان أوشكا على انفصال، ثم لايعرف غير اللّه ما سوف تؤول إليه بعد هذا الحال... فهلاّ كان علي ـ كابن عبادة ـ حريّاً في نظر ابن الخطاب بالقتل حتى لاتكون فتنة ولايكون انقسام؟!

كان هذا أولى بعنف عمر إلى جانب غيرته على وحدة الإسلام، وبه تحدّث الناس ولهجت الألسن كاشفة عن خلجات خواطر جرت فيها الظنون مجرى اليقين، فما كان لرجل أن يجزم أو يعلم سريرة ابن الخطاب، ولكنهم جميعاً ساروا وراء الخيال، ولهم سند مما عرف عن الرجل دائماً من عنف ومن دفعات، ولعل فيهم مَن سبق بذهنه الحوادث على متن الاستقراء، فرأى بعين الخيال قبل رأي العيون، ثبات علي أمام وعيد عمر لو تقدم هذا منه يطلب رضاءه وإقراره لأبي بكر بحقه في الخلافة، ولعله تمادى قليلاً في تصوّر نتائج هذا الموقف وتخيّل عقباه فعاد بنتيجة لازمة لامعدّى عنها، هي خروج عمر عن الجادة، وأخذ هذا المخالف العنيد بالعنف والشدّة!

وكذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلك النهار، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة، وفي باله أن يحمل ابن عمّ رسول اللّه ـ إن طوعاً وإن كرهاً ـ على إقرار ما أباه حتى الآن.

وتحدّث أُناس بأن السيف سيكون وحده متن الطاعة!... وتحدث آخرون بإن السيف سوف يلقى السيف!...

ثم تحدّث غير هؤلاء وهؤلاء بأن «النار» هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة والى «الرضا» والإقرار!.... وهل على ألسنة الناس عقال يمنعها أن

تروى قصة حطب أمر به ابن الخطاب فأحاط بدار فاطمة ـ وفيها علي وصحبه ـ ليكون عدّة الاقناع أو عدة الإيقاع؟....

على أنّ هذه الأحاديث جميعها ومعها الخطط المدبرة أو المرتجلة كانت كمثل الزبد، أسرع إلى ذهاب ومعها دفعة ابن الخطاب!...

أقبل الرجل، محنقاً مندلع الثورة على دار علي وقد ظاهر معاونوه ومن جاء بهم فاقتحموه أو أوشكوا على اقتحام، فإذا وجه كوجه رسول اللّه يبدو بالباب حائلاً من حزن، على قسماته خطوط آلام، وفي عينيه لمعات دمع، وفوق جبينه عبسة غضب فائر وحنق ثائر...

وتوقف عمر من خشية وراحت دفعته شعاعاً. وتوقف خلفه ـ أمام الباب ـ صحبه الذين جاء بهم، إذ رأوا حيالهم صورة الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبته الزهراء، وغضوا الأبصار من خزي أو من استحياء، ثم ولّت عنهم عزمات القلوب، وهم يشهدون فاطمة تتحرك كالخيال، وئيداً وئيداً بخطواتها المحزونة الثكلى، فتقترب من ناحية قبر أبيها... وشخصت منهم الأنظار وأرهفت الأسماع إليها، وهي ترفع صوتها الرقيق الحزين النبرات، تهتف بمحمد الثاوي بقربها، تناديه باكية مريرة البكاء:

يا ابت رسول اللّه!... يا ابت رسول اللّه!...

فكأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغي، من رهبة النداء...

وراحت الزهراء وهي تستقبل المثوى الطاهر، تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «يا ابت يا رسول اللّه!... ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة!؟...».

فما تركت كلماتها إلاّ قلوباً صدعها الحزن، وعيوناً جرت دمعاً، ورجالاً ودّوا لو استطاعوا أن يشقّوا مواطىء أقدامهم ليذهبوا في طوايا الثرى مغيّبين....) الى آخر كلامه.

إقتطفنا هذه الجملات من كتاب الأُستاذ عبدالفتاح الكاتب المصري المعاصر.

وأما ما ذكره المؤرّخون القدامى، والمحدّثون المتقدّمون فهاك بعض أقوالهم حول الموضوع:

في العقد الفريد ج٢ ص٢٥٠ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٦ وأعلام النساء ج٣ ص١٢٠٧: «وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم: فإن أبوا فقاتلهم. وأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمّة».

وفي تاريخ الطبري ج٣ ص١٩٨ والامامة والسياسة ج١ ص١٣ وشرح ابن أبي الحديد ج١ ص١٣٤: دعا بالحطب وقال: واللّه لتحرَقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة ـ أو: لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقنّها على من فيها ـ فيقال للرجل: إنّ فيها فاطمة فيقول: وإن!!

وذكر ابن قتيبة[1] في (الامامة والسياسة) ص١٩:

كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب (كرم اللّه وجهه).

قال: وان أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي (كرم اللّه وجهه) فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأُحرقنّها على مَن فيها.

١ـ هو الامام الفقيه أبو محمد عبداللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من علماء القرن الثالث الهجري، ومن ائمة الأدب والنحو والتاريخ، وُلد ببغداد سنة ٢١٣هـ وتوفي سنة ٢٧٦هـ. له كتب كثيرة، ومن اشهرها هو هذا الكتاب المعروف بتاريخ الخلفاء وقد طُبع عدةً مرات في مصر والعراق ولبنان.

فقيل له: يا أبا حفص ان فيها فاطمة!

قال: وإن!

فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً فإنه زعم انه قال: حلفت أن لاأخرج ولاأضع ثوبي[١] على عاتقي حتى أجمع القرآن.

فوقفت فاطمة (رضي اللّه عنها) على بابها وقالت: لاعهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردوا[٢] لنا حقاً؟!

ويقول محمد حافظ ابراهيم (شاعر النيل) في قصيدته العمرية:

وقولة لعليٍّ قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا ابقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفي فيها

ما كان غير أبي حفصٍ يفوه بها ... أمام فارس عدنان وحاميها

وذكر مصطفى بك الدمياطي في شرحه على هذه القصيدة ص ٣٨:

وفي رواية لابن جرير الطبري قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل عليٍّ وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: واللّه لأُحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة، فخرج عليه الزبير معلناً بالسيف فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه .... الى آخر كلامه.

وقد روى الشهرستاني[٣] عن النظّام قال: إنٍ عمر ضرب بطن فاطمة

---

١ ـ وفي نسخة: ردائي.

٢ـ وفي نسخة: ولم تروا.

٣ـ هو الامام الفقيه محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الشافعي المذهب، من علماء القرن السادس الهجري، وله كتب كثيرة، ومن اشهرها: كتاب الملل والنحل، وقد طبع عدّة مرات في مصر ولبنان والعراق وغيرها.

يوم البيعة حتى ألقت الجنين (المحسن) من بطنها ، وكان يصيح : احرقوا دارها بمن فيها. وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين[1].

وروى مثل ذلك البلاذري في (أنساب الأشراف) ج١ ص٤٠٤، والصفدي الشافعي في كتاب الوافي بالوفيات ج٥ ص٣٤٧.

وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج١ ص٢٦٨: ان عمر رَفَس فاطمة فأسقطت بمحسن.

وذكر مثله الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال ج١ ص١٣٩.

وذكر ابن جذابة ـ أو خرذاذبة ـ : قال زيد بن اسلم: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة، فقال عمر لفاطمة: اخرجي من البيت أو لأحرقنّه ومَن فيه!!!

قال: في البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي.

فقالت فاطمة: أفتحرق عليَّ وُلدي؟

فقال: إي واللّه أو ليخرجنَّ وليبايعنَّ!!

هذا ما ظفرت به من المصادر المذكورة في كتب أهل السُّنَّة والجماعة، ولعل غيري يجد أكثر من هذه المصادر في كتب التواريخ.

بعد استعراض هذه النصوص التاريخية انكشف لنا موقف بعض المسلمين تجاه أهل بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) واتَّضح لنا أنَّ بعض الأفراد لم يراعوا حرمة السيدة فاطمة الزهراء ولاحرمة بيتها، ولاراقبوا كرامة زوجها أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) ولاكرامة ولديها: الحسن والحسين (عليهما السّلام) ولم يحفظوا فيهم حرمة الرسول الأعظم.

١ـ الملل والنحل، الباب الاول، الفرقة النظامية ص٨٣.

فقد عرفنا من هذه النصوص أن العصابة جاءت لإخراج الإمام علي (عليه السّلام) من بيته ليبايع أبا بكر، وقد سمعنا منهم التهديد بإحراق البيت وكل مَن فيه من آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

ما كانت السيدة فاطمة الزهراء تنتظر أن ترى في حياتها يوماً كذلك اليوم، ومأساة كتلك المأساة، وإن كان أبوها الرسول قد أخبرها بذلك إجمالاً أو تفصيلاً، ولكن السماع شيء والرؤية شيء آخر، وتأثير المصيبة يختلف سماعاً ورؤية.

إن كانت السيدة فاطمة قد سمعت من أبيها الرسول أن الأمور سوف تنقلب عليها، وأن الأحقاد سوف تظهر بعد وفاته (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فانها قد شاهدت بعينها تلك الأحداث فقد هجم القوم على عرينها ليخرجوا زوجها من ذلك البيت الذي ما كان الرسول يدخله إلاّ بعد الاستئذان من فاطمة.

لاتستطيع الزهراء أن تسكت وتقف موقف المتفرجة.

وآيّة عائلة تسكت أو تهدأ إذا رأت عصابة تريد الهجوم على بيتها لإخراج رئيس العائلة؟

فالخوف والذعر والاضطراب يبلغ أشدّه، ويسلب من العائلة كل استقرار وهدوء، فالأطفال يصرخون باكين من هول الموقف، والأصوات ترتفع في تلك اللحظات الرهيبة.

كانت السيدة فاطمة ـ قبل هجوم القوم ـ خلف الباب وقد عصّبت رأسها بعصابة، ولم يكن عليها خمار، فلما هجم القوم لاذت السيدة فاطمة خلف الباب لتستتر نفسها عن أُولئك الرجال، فعصروها عصرة شديدة، وكانت حاملاً في الشهر السادس من حملها.

وهنا صرخت السيدة صرخة من شدة الألم، لأن جنينها قُتل من

صدمة الباب، ولاتسأل عن مسمار الباب الذي نبت في صدرها بسبب عصرة الباب.

وفي تلك اللحظات كان القوم قد ألقوا القبض على الإمام علي وهم يريدون إخراجه من البيت، وهنا حالت السيدة فاطمة بين القوم وبين أن يُخرجوا زوجها بالرغم من الألم الشديد واضطراب الجنين في أحشائها.

وهنا صدر الأمر بضرب فاطمة حبيبة رسول اللّه وعزيزته.

إن أولاد فاطمة الزهراء الذين شاهدوا تلك المعركة هكذا يقولون:

لقد خاطب الإمام الحسن (عليه السّلام) المغيرة بن شعبة في مجلس معاوية بقوله: «وأنت ضربت فاطمة بنت رسول اللّه حتى أدميتها، وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول اللّه، ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته، وقد قال لها رسول اللّه: «أنت سيدة نساء أهل الجنة» واللّه مصيّرك إلى النار... الى آخر كلامه[1].

وفي كتاب سليم بن قيس: «... فأقبل عمر وضَرب الباب ونادى: يابن أبي طالب إفتح الباب.

فقالت فاطمة(عليها السّلام): ياعمر مالنا ولك،لاتدعنا وما نحن فيه؟

فقال: افتحي الباب، وإلاّ أحرقنا عليكم!

فقالت (عليها السّلام): يا عمر أما تتّقي اللّه (عزّوجلّ)، تدخل عليَّ بيتي وتهجم على داري؟!

فأبى أن ينصرف، ثم دعى عمر بالنار فاضرمها في الباب، فاحرق الباب ثم دفعه عمر، فاستقبلته فاطمة (عليها السّلام) وصاحت: يا أبتا يا رسول اللّه!!

١ـ الاحتجاج ١٣٧ والبحار ج٤٣.

فرفع عمر السيف ـ وهو في غمده ـ فوجابه جنبها، فصرخت.

فرفع السوط فضرب به ذراعها، فصاحت: يا أبتاه لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر.

فوثب علي بن أبي طالب (عليه السّلام) فأخذ بتلابيب عمر[١] ثم هزَّه فصرعه ووجا أنفه ورقبته[٢] وهمَّ بقتله، فذكر قول رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) وما أوصاه من الصبر والطاعة فقال: «والذي كرَّم محمداً بالنبوة ـ يابن صهاك! ـ لولا كتاب من اللّه سبق، وعهدٌ عهد اليَّ رسول اللّه لعلمتَ انك لاتدخل بيتي...

فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، فكاثروه[٣] والقوا في عنقه حبلاً.

فحالت بينهم وبينه فاطمة (عليها السّلام) عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط، فماتت ـ حين ماتت ـ وانّ في عضدها كمثل الدملج[٤] من ضربته، فالجأها الى عضادة بيتها ودفعها، فكسر ضلعاً من جَنبها، فالقت جنيناً من بطنها.

فلم تزل صاحبة فراش، حتى ماتت من ذلك شهيدة).

وفي كتاب ارشاد القلوب: عن الزهراء (عليها السّلام) قالت: «... فجمعوا الحطب على الباب واتَوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفتُ بعضادة الباب، وناشدتهم اللّه وبأبي، ان يكفّوا عنّا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ

١ـ تلابيب ـ جمع تلبيب ـ وهو موضع الطوق والقلادة من الصدر، يقال: أخذ بتلابيبه أي: أمسكه متمكّناً منه.

٢ـ وجأ: عَصَر وضرب.

٣ـ فكاثروه أي: اجتمعوا على الإمام (عليه السّلام).

٤ـ الدُملجُ: السوار في المعصم.

فضرب به عضدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فردّه عليّ وأنا حامل، فسقطتُ لوجهي والنار تسعر، فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أُذني، وجاءني المخاض، فاسقطت محسناً، بغير جُرم».

وقال الامام الصادق (عليه السّلام) ... وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً... الى آخر كلامه (عليه السّلام).

وهكذا يستفاد أن أكثر من واحد ضرب بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وان الضرب كان بالسوط تارة وبالسيف ـ وهو في غمده ـ تارة أُخرى، مما سبّب إجهاض الجنين.

وترى الشعراء يتألّمون من هذه المأساة المروّعة ويتحدثون عنها.

يقول أحدهم:

فأسقطت بنت الهدى واحَزَنا ... جنينها ذاك المسمّى محسنا

ويقول الآخر:

والداخلين على البتولـة بيتها ... والمسقطين لها أعزَّ جنيـن

ويقول الآخر:

أوتدري ما صدر فاطم ما المسما ... ر ما حـال ضلعهـا المكسـور

مـا سقوط الجنين؟ مـا حمرة ... العين وما بـال قرطها المنثـور

ويقول الآخر:

ولست أدري خبر المسمار ... سل صدرها خزانة الأسرار

استنجدت السيدة فاطمة بخادمتها فضة وصاحت: يا فضة! إليك فَخُذيني وإلى صدرك فاسنديني، واللّه لقد قتلوا ما في أحشائي!!

أسرعت فضة واحتضنت السيدة فاطمة لتحملها إلى الحجرة، ولكن الجنين سقط قبل وصول الزهراء إلى الحجرة.

والمعروف ان آلام الإجهاض أشد من آلام الولادة، فكانت حبيبة رسول اللّه فاطمة تئن أنيناً يوجع كل قلب، ويُبكي كل عين، فالطفل فارق الحياة وأُمه تنظر إليه.

ولكن القوم لم يعيروا اهتماماً بما جرى على سيدة النساء وابنة سيد الأنبياء، بل أخذوا زوجها العظيم، بعد أن نزعوا عنه السلاح، وتركوه أعزلاً وألقوا حبل سيفه في رقبته يقودونه من بيته إلى المسجد بكل عنف وقسوة ليبايع[1].

هنا يقف القلم عن الجري، ويخرس اللسان عن بيان وشرح تلك اللحظات التي مرّت بذلك الرجل الغيور، صاحب الحمية والإباء.

ذلك البطل الإسلامي المجاهد العظيم.

ذلك الإمام الذي كانت الزهراء أغلى عنده من كل غال ونفيس وأعز من كل موجود، وأشرف من كل إنسان بعد الرسول.

وينظر سلمان إلى ذلك المنظر المذهل ويقول: أيُصنع ذا بهذا؟ واللّه لو أقسم على اللّه لانطبقت ذه على ذه[2].

١ـ والعجب: ان معاوية يشمت بالإمام علي (عليه السّلام) بهذه المأساة ويكتب إليه: وتقاد إلى كل منهم كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع كارهاً... الى آخر كلامه/شرح ابن أبي الحديد ج٤.
فأجابه الإمام (عليه السّلام)... وقلتَ: إني كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمرو اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وان تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً، لم يكن شاكاً في دينه، ولا مرتاباً بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها، ولكني أطلقت لك بقدر ما سنح من ذكرها... الى آخر كلامه (عليه السّلام)/نهج البلاغة باب كتبه (عليه السّلام).

٢ـ أي انطبقت السماء على الأرض. والحديث في بحار الأنوار ج٤٣.

قف بنا لنبكي على علي، وهو يسمع صرخات زوجته فاطمة!! ويسمع أصوات ولديه وبنتيه الصغار وهم يولولُون، ينظرون إلى أُمّهم تارة وإلى أبيهم أُخرى، لايدرون ما يصنعون؟ هل يلتفّون حول أُمهم ويسمعون أنينها من صدمة الباب وسقط الجنين؟

أو يرافقون أباهم وقد ازدحم حوله الرجال يدفعونه في ظهره ويقاومون امتناعه.

حيرة وأية حيرة؟!

يريد علي أن يسعف زوجته وهو ينظر إليها وهي في تلك الحالة، ولكن حبل السيف في رقبته، ولكن الرجال يدافعونه، وصرخات الأطفال قد سلبته كل قرار.

ينظر يميناً وشمالاً، ينادي: واحمزتاه، ولاحمزة لي اليوم، واجعفراه ولاجعفر لي اليوم!!

واخيراً.. اخرجوا خليفة رسول اللّه من الدار، بتلك الصورة الفظيعة، المقرونة بالاكراه والاهانة.

ارتفعت أصوات النساء ـ الواقفات في الطريق ـ بالبكاء والعويل، وما الفائدة من صياح النساء أمام القوة؟ وهل تلين تلك القلوب من صرخات النساء وصياحهن.

فتحت السيدة فاطمة عينها حينذاك، ولعلها أفاقت على صراخ أطفالها المذعورين! وقالت: يا فضة! أين علي؟!!

قالت ـ وهي باكية ـ : أخذوه للمسجد!!

نسيت فاطمة آلامها، وقامت وكلها آلام وأوجاع، ولكنها استعادت شجاعتها لهول الموقف ولذلك الظرف العصيب.

فلنترك السيدة فاطمة تستعد للخروج لإنقاذ زوجها من تلك الورطة

ولتدارك ذلك الموقف، ولنذهب إلى المسجد النبوي لنرى ما جرى على الإمام علي؟؟

نعود إلى ما ذكره ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ص١١:

وذكروا أن علياً أُتي به أبو بكر وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله.

فقيل له: بايع أبا بكر.

فقال:

أنا أحق بهذا الأمر منكم.

لاأُبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي.

أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)

وتاخُذونه من أهل البيت غصباً؟؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لمكان محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) منكم؟؟ فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة؟

وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار:

نحن أولى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) حياً وميتاً.

فانصفونا ـ إن كنتم تخافون ـ من أنفسكم.

فقال له عمر: أنت لست متروكاً حتى تبايع.

فقال له علي: إحلب حلباً لك شطره!!

اشدد له اليوم ليردّه عليك غداً.

والله يا عمر لاأقبل قولك ولاأُبايعه.

فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني فلاأُكرهك.

فقال علي: يا معشر المهاجرين الله! الله! لاتُخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعوا أهله عن

مقامه في الناس وحقه.

فواللّه يا معشر المهاجرين! لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب اللّه، الفقيه في دين اللّه، العالم بسنن رسول اللّه...).

هذا ما يرويه ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة).

وأمّا ما يرويه العياشي في تفسيره ٢/٦٧:

«... أخرجوه من منزله ملبّباً، ومرّوا به على قبر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقال: (يابن أُم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) فقال له عمر: بايع.

قال علي: فإن أنا لم أفعل فَمَه؟

قال له عمر: إذن واللّه أضرب عنقك!

قال علي: إذن ـ و اللّه ـ أكون عبداللّه المقتول وأخا رسول اللّه.

وفي رواية: إذن واللّه تقتلون عبداللّه وأخا رسول اللّه.

فقال عمر: أما عبداللّه فنعم، وأما أخو رسول اللّه فلا.

وفي رواية: وأما أخو رسول اللّه فما نقرُّ لك بهذا.

فقال (عليه السّلام): أتجحدون أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) آخى بيني وبينه؟

قال: نعم.

وجرى ـ هناك ـ حوار شديد وكلام طويل بين خليفة رسول اللّه علي (عليه السّلام) وبين تلك الزمرة.

وعند ذلك وصلت فاطمة إلى المسجد، وقد أخذت بيد ولديها: الحسن والحسين، وما بقيت هاشمية إلاّ وخرجت معها، فنظرت السيدة فاطمة إلى زوجها أبي الحسن وهو تحت التهديد بالقتل، فأقبلت تعدو

وتصيح: خلوّا عن ابن عمّي!!

خلوّا عن بعلي!! والله لأكشفن عن رأسي ولأضعنّ قميص أبي على رأسي ولأدعون الله عليكم.

وفي رواية: فوالذي بعث محمداً بالحق لئن لم تخلّوا عنه لأنشرن شعري ولأضعنّ قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) على رأسي، ولأصرخن إلى اللّه تبارك وتعالى، فما ناقة صالح بأكرم على الله مني. ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي[1].

وفي رواية العياشي: قالت: يا أبا بكر أتريد أن ترمّلني من زوجي؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري، ولأشقنّ جيبي، ولآتين قبر أبي، ولأصيحن إلى ربي!!

فأخذت بيد الحسن والحسين وخرجت تريد قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم).

وفي رواية أُخرى: قالت: ما لي ولك يا أبا بكر؟ تريد أن تؤتم ابنيَّ، وترملني من زوجي؟

والله لولا أن تكون سيئة لنشرت شعري ولصرخت إلى ربي.

فقال رجل من القوم ـ لأبي بكر ـ : ما تريد إلى هذا؟ أي ما تقصد بهذا الفعل؟ أتريد أن تنزل العذاب على هذه الأمة؟

فقال علي لسلمان: أدرك ابنة محمد....

أقبل سلمان وقال: يا بنت محمد إن الله بعث أباك رحمة فارجعي!

فقالت: يا سلمان يريدون قتل علي!! ما عليَّ صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فانشر شعري، واشقّ جيبي واصيح إلى ربي.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ / تاريخ اليعقوبي / الاحتجاج للطبرسي.

فقال سلمان: انّي أخاف ان يُخسف بالمدينة، وعليٌّ بعثني إليكِ يأمركِ ان ترجعي الى بيتك وتنصرفي.

فقالت (عليها السّلام): إذَن ارجع واصبر، واسمع له وأُطيع[1].

وفي كتاب (احتجاج الزهراء) للرضوي النجفي ص١٤٠: فأقبل علي مُهَرولاً الى السيدة فاطمة، فلما وصل إليها جعلت فاطمة تقبِّل أكتافه وتقول له ـ بدموع جارية ـ:

«روحي لروحك الفداء، ونفسي لنفسك الوقاء، يا أبا الحسن ان كنتَ في خير كنتُ معك، وانت كنتَ في شرّ كنتُ معك».

وخلاصة الحديث ان السيدة فاطمة ما رجعت إلى البيت إلاَّ وأخذت زوجها معها وأنقذته من تلك الزمرة، وخلَّصته من أخذ البيعة منه.

١ـ بيت الأحزان للقمي ص٨٧.

مدخل خطبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)
مأساة فدك والعوالي

أحسن كلام نفتتح به هذا البحث، وأصدق حديث نبدأُ به هذا الموضوع هو كلام اللّه تعالى، ومَن أصدق من اللّه قيلا؟ ومَن أصدق من اللّه حديثاً؟

قال تعالى: «فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه اللّه وأولئك هم المفلحون»[1].

هذه الآية كما تراها خطاب من اللّه (عزّوجلّ) إلى حبيبه محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يأمره أن يؤتي ذا القربى حقه، فمن ذو القربى؟ وما هو حقه؟

لقد ذكرنا ـ في آية القربى أو آية المودة ـ أن المقصود من القربى هم أقرباءُ الرسول وهم علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السّلام) فيكون المعنى: واعطِ ذوي قرباك حقوقهم.

روي عن أبي سعيد الخدري وغيره أنه لما نزلت هذه الآية على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّمَ) أعطى فاطمة فدكاً وسلّمه إليها، وهو المروي عن الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السّلام) وهو المشهور بين جميع علماء الشيعة.

وقد ذكر ذلك من علماء السنة عدد كثير بطرق عديدة، فمنها:

صرّح في (كنز العمال) وفي مختصره المطبوع في الهامش من كتاب

١ـ الروم: ٣٨.

(المسند) لأحمد بن حنبل في مسألة صلة الرحم من كتاب (الأخلاق) عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت: (فآت ذا القربى حقه) قال النبي (ص): يا فاطمة لك فدك.

قال: رواه الحاكم في تاريخه.

وفي ص١٧٧ من الجزء الرابع من تفسير (الدر المنثور) للسيوطي أنه أخرج البزاز وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت هذه الآية: (فآت ذا القربى حقه) اقطع رسول اللّه (ص) فاطمة فدكاً.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج: وقد روي من طرق مختلفة غير طريق أبي سعيد الذي ذكره صاحب الكتاب: أنه لما نزل قوله تعالى: (فآت ذا القربى حقه) دعا النبي (ص) فاطمة فأعطاها فدك.

ما هي فدك؟

التحدث عن فدك يشمل الموارد الآتية:

١ـ ما هي فدك؟

٢ـ هل كانت فدك لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خاصة أم للمسلمين عامة؟

٣ـ هل دفع الرسول فدكاً إلى ابنته فاطمة الزهراء نحلة و عطية في حياته أم لا؟

٤ـ هل يورِّث رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أم لا؟

٥ـ هل كانت السيدة فاطمة الزهراء تتصرف في فدك في حياة أبيها الرسول أم لا؟

١ـ أماالاجابةعلى السؤال الأول:فقد ذكر اللغويون أقوالهم في فدك:

في القاموس: فدك قرية بخيبر.

وفي المصباح: فدك ـ بفتحتين ـ بلدة بينها وبين مدينة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة، وهي مما أفاء اللّه على رسوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

وفي معجم البلدان للحموي، باب الفاء والدال ـ: فدك: ـ بالتحريك، وآخره كاف ـ قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها اللّه على رسوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في سنة سبع صلحاً، وذلك أن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلاث، واشتد بهم الحصار أرسلوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يسألونه أن ينزلهم على الجلاء، وفعل، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك فهو مما لم يوجف عليه بخيل ولاركاب فكانت خالصة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

٢ـ وأما الاجابة على السؤال الثاني ـ وهو: هل كانت فدك خالصة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟ فقد قال تعالى: (وما أفاء اللّه على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب، ولكنّ اللّه يسلّط رسله على من يشاء واللّه على كل شيء قدير، ما افاء اللّه على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)[1].

قوله تعالى: «أفاء اللّه» أي: ردَّ اللّه ما كان للمشركين على رسوله بتمليك اللّه إياه، «منهم» أي من اليهود الذي أجلاهم.

«فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب» أوجف خيله أي أزعجه في

١ـ الحشر: ٦.

السير، والركاب ـ هنا ـ الإبل، والمعنى ما استوليتم على تلك الأموال بخيولكم أي ما ركبتم خيولكم وإبلكم لأجل الاستيلاء عليها.

«ولكن اللّه يسلّط رسله على من يشاء» أي يمكّن اللّه رسله من عدوهم من غير قتال، بأن يقذف الرعب في قلوبهم، فجعل اللّه أموال بني النضير لرسوله خالصة يفعل بها ما يشاء، وليست من قبيل الغنائم التي توزّع على المقاتلين.

«ما أفاء اللّه على رسوله من أهل القرى» أي من اموال كفار أهل القرى «فلله» «وللرسول» أي جعل اللّه تلك الأموال ملكاً لرسوله «ولذي القربى» يعني قرابة النبي «واليتامى والمساكين وابن السبيل» من القربى.

روى الطبرسي عن ابن عباس قال: نزل قوله: «ما أفاء اللّه على رسوله من أهل القرى...» في أموال كفار أهل القرى، وهم بنو قريظة وبنو النضير وهما بالمدينة، وفدك وهي من المدينة على ثلاثة أميال، وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها اللّه لرسوله، يحكم فيها ما أراد، وأخبر أنها كلها له، فقال أُناس: فهلاّ قسّمها؟ فنزلت الآية.

وقد مر عليك كلام الحموي في معجم البلدان حول فدك أنها مما لم يوجف عليه بخيل ولاركاب فكانت خالصة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

٣ـ وأما الاجابة على السؤال الثالث، فقد مرَّ عليك ما ذكره المحدّثون في تفسير قوله تعالى: «وآت ذا القربى حقه» إن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أعطى فاطمة فَدكاً.

وهاك مزيداً من الأدلة حول الموضوع تأكيداً لهذا البحث:

ذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة، والشيخ السمهودي في تاريخ المدينة أن عمر قال: أني أُحدّثكم عن هذا الأمر: إنَّ اللّه خصَّ نبيّه في هذا

الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره فقال: «ما أفاء اللّه على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن اللّه يسلّط رسله على من يشاء واللّه على كل شيء قدير» فكانت هذه خالصة لرسول اللّه... الى آخره.

اذاً : فالمستفاد من مجموع الآيات والروايات أن فدك كانت لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خالصة، وأن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أعطى فاطمة فدكاً بعنوان النحلة والعطية بأمر اللّه تعالى حيث أمره بقوله: «وآت ذا القربى حقه».

والجواب على السؤال الرابع يأتيك بعد قليل.

٥ـ وأما الاجابة على السؤال الخامس: فيستفاد من تصريحات المؤرخين والمحدّثين أنَّ السيدة فاطمة الزهراء كانت تتصرف في فدك، وأنَّ فدك كانت في يدها.

فمنها: تصريح الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) في الكتاب الذي أرسله إلى عثمان بن حُنيف وهو عامله على البصرة فإنه ذكر فيه «... بلى كانت في أيدينا فدك، من كل ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحَكَم اللّه... الى آخره[١].

وذكر ابن حجر في (الصواعق المحرقة) في الباب الثاني: إن أبا بكر انتزع من فاطمة فدكاً... الى آخر كلامه.

ومعنى كلام ابن حجر أن فدك كانت في يد الزهراء (عليها السّلام) من عهد أبيها الرسول فانتزعها أبو بكر منها.

وقد روى العلامة المجلسي عن كتاب (الخرائج)· فلما دخل رسول

١ـ نهج البلاغة باب المختار من رسائله (عليه السّلام).

اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) المدينة ـ بعد استيلائه على فدك ـ دخل على فاطمة (عليها السّلام) فقال: يابنية ان اللّه قد أفاء على أبيك بِفدك، واختصهُ بها، فهي له خاصة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء، وانه قد كان لأُمّك خديجة على أبيك مهر، وان أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحلكها لك ولولدك بعدك.

قال: فدعا بأديم ودعا بعلي بن أبي طالب فقال: اكتب لفاطمة بفدك نِحلة من رسول اللّه.

فشهد على ذلك علي بن أبي طالب ومولىً لرسول اللّه وام أيمن».

ولما توفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) واستولى أبو بكر على منصة الحكم ومضت عشرة أيام. واستقام له الأمر بعث إلى فدك مَن أخرج وكيل فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

كانت فدك للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: انها كانت ذات اليد، أي كانت متصرفة في فدك، فلايجوز انتزاع فدك من يدها إلا بالدليل والبيّنة، كما قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) «البيّنة على المدعي، واليمين على من أنكر» وما كان على السيدة فاطمة أن تقيم البيّنة لأنها ذات اليد.

الوجه الثاني: انها كانت تملك فدك بالنحلة والعطيّة والهبة من أبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

الوجه الثالث: انها كانت تستحق فدك بالإرث من أبيها الرسول.

ولكن القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثة، فقد طالبوها بالبينة، وطالبوها بالشهود على النحلة، وأنكروا وراثة الأنبياء.

وكان بإمكان السيدة فاطمة أن تطالب بحقها بكل وجه من هذه الوجوه.

ولهذا طالبت بفدك عن طريق النحلة أوّلاً، ثم طالبت بها عن طريق الإرث ثانياً كما صرّح بذلك الحلبي في سيرته ج٣ ص٣٩ قال: ان فاطمة أتت أبا بكر بعد وفاة رسول اللّه (ص) وقالت: ان فدك نحلة أبي، أعطانيها حال حياته. وأنكر عليها أبو بكر وقال: أُريد بذلك شهوداً فشهد لها علي، فطلب شاهداً آخر فشهدت لها أُم أيمن فقال لها: أبِرَجُل وامرأة تستحقينها؟؟

وذكر الطبرسي في الاحتجاج: فجاءت فاطمة (عليها السّلام) إلى أبي بكر ثم قالت: لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول اللّه؟ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بأمر اللّه تعالى؟

فقال: هاتي على ذلك بشهود، فجاءت أُم أيمن فقالت: لاأشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أنشدك باللّه ألست تعلم أن رسول اللّه قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة؟

فقال: بلى.

قالت: فاشهد أن اللّه (عزّوجلّ) أوحى إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) «وآت ذا القربى حقه» فجعل فدك لها طعمة بأمر اللّه تعالى.

فجاء علي (عليه السّلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال: ان فاطمة ادَّعت في فدك وشهدت لها أُم أيمن وعلي، فكتبته لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه فمزّقه، فخرجت فاطمة (عليها السّلام) تبكي.

وفي سيرة الحلبي ج٣ ص٣٩١ أن عمر أخذ الكتاب فشقّه.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السّلام) ان السيدة فاطمة (عليها السّلام) جاءت الى أبي بكر ـ بأمرٍ من الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ـ وقالت له: ادّعيتَ مجلس أبي وانك خليفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك واستوهبتُها منك لوجب عليك ردّها عليٍّ.

فقال: صدقتِ.

ودعا بكتاب فكتب فيه بارجاع فدك، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟

قالت: كتاب كتب لي أبو بكر بردّ فدك.

فقال: هلمّيه اليّ.

فابت ان تدفعه اليه،فرفسها برجله..ثم لطمها،ثم أخذالكتاب فخرَقه[1].

فقالت: بقرتَ كتابي بَقر اللّه بطنك[2].

حوار ساخن بين الامام علي وأبي بكر

نعود إلى ماذكره الطبرسي قال: فلما كان بعد ذلك جاء علي (عليه السّلام) إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقد ملكته في حياة رسول اللّه؟

فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فان أقامت شهوداً أن رسول اللّه جعله لها، وإلا فلاحقَّ لها فيه!

١ـ الاختصاص للشيخ المفيد، الشافي للسيد المرتضى ص٢٣٦/تلخيص الشافي للطوسي ص٤٨، وذكر ابن حجر العسقلاني ـ في لسان الميزان ج١ ص٢٦٨، والذهبي في ميزان الاعتدال ج١ ص١٣٩: إن عمر رفس فاطمة...

٢ـ وفاة الصدِّيقة الزهراء للمقرّم ص٧٨.

فقال علي (عليه السّلام): يا أبا بكر تحكم بيننا بخلاف حكم اللّه في المسلمين؟

قال: لا.

قال (عليه السّلام): فان كان في يد المسلمين شيء يملكونه فادَّعيت أنا فيه مَن تسأل البينة؟

قال: إياك أسأل.

قال (عليه السّلام): فما بال فاطمة سألتها البيّنة على ما في يديها، وقد ملكته في حياة رسول اللّه وبعده، ولم تسأل المسلمين البيّنة على ما ادَّعوها شهوداً كما سألتني على ما ادَّعيت عليهم؟؟

فسكت أبو بكر فقال: يا علي دعنا من كلامك، فانّا لانقوى على حجتك، فان أتيت بشهود عدول، وإلاّ فهي فيء للمسلمين، لاحقَّ لك ولالفاطمة فيه!!

فقال علي (عليه السّلام): يا أبا بكر تقرأ كتاب اللّه؟

قال: نعم.

قال: اخبرني عن قول اللّه (عزّوجلّ): «انّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟

قال: بل فيكم!

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بفاحشة ما كنت صانعاً بها؟

قال: كنت أُقيم عليها الحد كما أُقيم على نساء المسلمين!!!

قال علي: كنتَ إذن عند اللّه من الكافرين!

قال: ولِمَ؟

قال: لأنك رددت شهادة اللّه بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها،

كما رددت حكم اللّه وحكم رسوله أن جعل لها فدك وزعمت انها فيء للمسلمين وقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): البينة على المدعي، واليمين على من ادُّعي عليه.

قال: فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضاً، وقالوا: صدق ـ واللّه ـ علي.

وقد روى العلامة في كشكوله عن المفضَّل بن عمر عن أبي عبداللّه (الصادق) (عليه السّلام) رواية لاتخلو من فائدة أو فوائد نذكرها بصورة موجزة قال:

لما قام أبو بكر بن أبي قحافة بالأمر نادى مناديه: من كان له عند رسول اللّه دَين أو عدة فليأتني حتى أقضيه.

وجاء جابر بن عبداللّه وجرير بن عبداللّه البجلي، وادَّعى كلٌّ منهما على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فأنجز أبو بكر لهما.

فجاءت فاطمة إلى أبي بكر تطالب بفدك والخمس والفيء فقال: هاتي بيِّنة يابنت رسول اللّه.

فاحتجّت فاطمة (عليها السّلام) بالآيات وقالت: قد صدّقتم جابر بن عبداللّه وجرير بن عبداللّه البجلي ولم تسألوهما البينة وبيِّني في كتاب اللّه.

وأخيراً طالبوها بالشهود، فبعثت إلى علي والحسن والحسين وأُم أيمن وأسماء بنت عميس وكانت تحت أبي بكر (اي زوجة أبي بكر) وشهدوا لها بجميع ما قالت.

فقالوا: أما علي فزوجها، وأما الحسن والحسين فابناها وأما أُم أيمن فمولاتها، وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة و كل هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم.

فقال علي: أما فاطمة فبضعة من رسول اللّه ومَن آذاها فقد آذى رسول اللّه، ومن كذّبها فقد كذّب رسول اللّه.

وأما الحسن والحسين فابنا رسول اللّه وسيدا شباب أهل الجنة، من كذّبهما فقد كذّب رسول اللّه، إذ كان أهل الجنة صادقين.

وأما أنا فقد قال رسول اللّه: أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد عليّ، من أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني.

وأما أُم آيمن فقد شهد لها رسول اللّه بالجنة، ودعى لأسماء بنت عميس وذريتها.

فقال عمر: أنتم كما وصفتم به أنفسكم، ولكن شهادة الجارّ إلى نفسه لاتقبل!

فقال علي: إذا كنا نحن كما تعرفون ولاتنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لاتقبل وشهادة رسول اللّه لاتقبل فانا للّه وإنا إليه راجعون، إذا ادّعينا لأنفسنا تسألنا البينة فما من معين يعين، وقد وثبتم على سلطان اللّه وسلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة ولاحجة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ثم قال (عليه السّلام) لفاطمة: إنصرفي حتى يحكم اللّه وهو خير الحاكمين.

ولما رأت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) أن القوم أبطلوا شهودها الذين شهدوا لها بالنحلة ولم تنجح مساعيها، جاءت تطالب حقها عن طريق الإرث، واتخذت التدابير اللازمة لتقوم بأكبر حملة دعائية واسعة النطاق وهي تعلم أن السلطة لاتخضع للدليل الواضح والبرهان القاطع، فقد قال الشاعر: وآية السيف تمحو آية القلم.

وكل قوم تحكم فيهم الدكتاتورية فان المنطق عندهم فاشل ولايجدي أيّة فائدة.

ولكن للسيدة فاطمة هدف آخر، وهو يتحقق قطعاً، وهدفها: تسجيل مظلوميتها في سجل التاريخ، وكشف الغطاء عن أعمال القوم ونواياهم، فقررت أن تذهب إلى المسجد وتخطب خطبة تتحقق بها أهدافها الحكيمة.

السرُّ في مطالبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) بفدك

من الممكن أن يقال: إن السيدة فاطمة الزهراء الزاهدة عن الدنيا وزخارفها، والتي كانت بمعزل عن الدنيا ومغريات الحياة ما الذي دعاها إلى هذه النهضة وإلى هذا السعي المتواصل والجهود المستمرة في طلب حقوقها؟

وما سبب هذا الإصرار والمتابعة بطلب فدك والاهتمام بتلك الأراضي والنخيل مع ما كانت تتمتع به السيدة فاطمة من علوٍّ النفس وسموّ المقام؟

وما الداعي إلى طلب الدنيا التي كانت أزهد عندهم من عفطة عنز، وأحقر من عظم خنزير في فم مجذوم، وأهون من جناح بعوضة؟

وما الدافع بسيدة نساء العالمين أن تتكلف هذا التكلف، وتتجشم هذه الصعوبات المجهدة للمطالبة بأراضيها وهي تعلم أن مساعيها تبوء بالفشل وانها لاتستطيع التغلب على الموقف، ولاتتمكن من انتزاع تلك الأراضي من المغتصبين؟؟

هذه اسئلة يمكن أن تتبادر إلى الأذهان حول الموضوع.

الجواب: أولا: ان السلطة حينما صادرت أموال السيدة فاطمة الزهراء وجعلتها في ميزانية الدولة (بالاصطلاح الحديث) كان هدفهم تضعيف جانب أهل البيت، أرادوا أن يحاربوا علياً محاربة اقتصادية، أرادوا أن يكون علي فقيراً حتى لايلتف الناس حوله، ولايكون له شأن على الصعيد الاقتصادي، وهذه سياسة أراد المنافقون تنفيذها في حق رسول اللّه

(صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حين قالوا: «لاتنفقوا على من عند رسول اللّه حتى ينفضُّوا»[١].

ثانياً: لم تكن أراضي فدك قليلة الإنتاج، ضئيلة الغلات بل كان لها وارد كثير يعبأُ به، بل ذكر ابن أبي الحديد أن نخيلها كانت مثل نخيل الكوفة في زمان بن أبي الحديد.

وذكر الشيخ المجلسي عن كشف المحجة أن وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة، وفي رواية أُخرى سبعين ألف دينار ولعل هذا الاختلاف في واردها بسبب اختلاف السنين.

وعلى كل تقدير فهذه ثروة طائلة واسعة، لايصح التغاضي عنها.

ثالثاً: انها كانت تطالب (من وراء المطالبة بفدك) الخلافة والسلطة لزوجها علي بن أبي طالب، تلك السلطة العامة والولاية الكبرى التي كانت لأبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي، مدرّس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟

قال: نعم

قلت: فلمَ لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟

فتبسم، ثم، قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته قال: لو أعطاها اليوم فدك، بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار، والموافقة بشيء، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدّعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيِّنة وشهود.

١ـ المنافقون: ٧.

رابعاً: الحق يُطلب ولايُعطى، فلابدّ للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه، لأنه حقه، حتى وان كان مستغنياً عن ذلك المال وزاهداً فيه، وذلك لاينافي الزهد وترك الدنيا، ولاينبغي السكوت عن الحق.

خامساً: ان الإنسان وان كان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة فانه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه، ويحفظ به ماء وجهه ويصل به رحمه، ويصرفه في سبيل اللّه كما تقتضيه الحكمة.

أما ترى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهو أزهد الزهاد كيف انتفع بأموال خديجة في سبيل تقوية الإسلام؟ كما مرّ كلامه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حول أموال خديجة.

سادساً: قد تقتضي الحكمة أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب، فان الأمر لايخلو من أحد وجهين:

إما أن يفوز الإنسان ويظفر بما يريد وهو المطلوب وبه يتحقق هدفه من المطالبة.

وإما أن لايفوز في مطالبته فلن يظفر بالمال، فهو إذ ذاك قد أبدى ظلامته، وأعلن للناس أنه مظلوم، وأن أمواله غصبت منه.

هذا وخاصة إذا كان الغاصب ممن يدّعي الصلاح والفلاح، ويتظاهر بالديانة والتقوى، فان المظلوم يعرّفه للأجيال أنه غير صادق في دعواه.

سابعاً: ان حملة المباديء يتشبثون بشتى الوسائل الصحيحة لجلب القلوب إليهم، فهناك من يجلب القلوب بالمال أو بالأخلاق أو بالوعود وأشباه ذلك.

ولكن أفضل الوسائل لجلب القلوب (قلوب كافة الطبقات) هو التظلّم وإظهار المظلومية فان القلوب تعطف على المظلوم كائناً من كان، وتشمئز من الظالم كائناً من كان.

وهذه خطة ناجحة وناجعة لتحقيق أهداف حملة المباديء الذين يريدون إيجاد الوعي في النفوس عن طريق جلب القلوب إليهم.

وهناك أسباب ودواعٍ أُخرى لامجال لذكرها.

لهذه الأسباب قامت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وتوجهت نحو مسجد أبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لأجل المطالبة بحقها.

إنها لم تذهب إلى دار أبي بكر ليقع الحوار بينها وبينه فقط، بل اختارت المكان الأنسب وهو المركز الإسلامي يومذاك، ومجمع المسلمين حينذاك، وهو مسجد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

كما وأنها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصّاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار، ولم تخرج وحدها إلى المسجد، بل خرجت في جماعة من النساء، وكأنها في مسيرة نسائية، وقبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعة رسول اللّه وحبيبته، وعلّقوا ستراً لتجلس السيدة فاطمة خلف الستر، إذ هي فخر المخدرات وسيدة المحجبات.

كانت هذه النقاط مهمة جداً، واستعد أبو بكر لاستماع احتجاج سيدة نساء العالمين، وابنة أفصح من نطق بالضاد وأعلم امرأة في العالم كله.

خطبت السيدة فاطمة الزهراء خطبة ارتجالية، منظمة، منسقَّة، بعيدة عن الاضطراب في الكلام، ومنزَّهة عن المغالطة والمراوغة، والتهريج والتشنيع.

بل وعن كل ما لا يلائم عظمتها وشخصيتها الفذَّة، ومكانتها السامية.

وتُعتبر هذه الخطبة معجزة خالدة للسيدة فاطمةالزهراء(عليها السّلام)

وآية باهرة تدل على جانب عظيم من الثقافة الدينية التي كانت تتمتع بها هذه الصدّيقة.

وأما الفصاحة والبلاغة، وحلاوة البيان، وعذوبة المنطق، وقوة الحجة، ومتانة الدليل، وتنسيق الكلام، وإيراد أنواع الاستعارة بالكناية، وعلو المستوى، والتركيز على الهدف، وتنوّع البحث، فالقلم وحده لايستطيع استيعاب الوصف، بل لابدَّ من الاستعانة بذهن القاريء.

كانت السيدة فاطمة مسلّحة بسلاح الحجة الواضحة والبرهان القاطع، والدليل القوي المقنع، وكان المسلمون الحاضرون في المسجد ينتظرون كلامها، ويتلهّفون إلى نتيجة ذلك الحوار والاحتجاج الذي لم يسبق له مثيل إلى ذلك اليوم.

جلست السيدة في المكان المعد لها خلف الستر، ولعل دخولها يومذاك كان لأول مرة بعد وفاة أبيها الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

فلاعجب إذا هاجت بها الأحزان، وأنَّت أنّة.

انني أعجز عن التعبير عن تحليل تلك الأنّة، ومدى تأثيرها في النفوس.

أنّة واحدة فقط ـ بلا كلام ـ يُهيّج عواطف الناس، فيجهش القوم بالبكاء.

أنا ما أدري ما كانت تحمل تلك الأنة من المعاني؟

ولماذا أجهش الناس بالبكاء؟

وهل الأنَّة الواحدة تُبكي العيون، وتُجري الدموع وتُحرق القلوب؟

هذه ألغازٌ لاأعرف حلها، ولعل غيري يستطيع حل هذه الألغاز!!!

مصادر خطبة الزهراء (عليها السّلام)

قبل أن نذكر خطبة الزهراء (عليها السّلام) لابأس أن نذكر رواة الخطبة ومصادرها من كتب الشيعة وأهل السُنة، لنعلم مدى أهميَّة هذه الخطبة لدى أهل البيت (عليهم السّلام) باعتبارها وثيقة تاريخيّة تثبت مظلوميّة أهل البيت ومدى الاضطهاد والعنف والكبت الذي قام به بعض الافراد تجاه اسرة رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولاندَّعي اننا استوعبنا جميع المصادر، بل ذكرنا ما عثرنا عليه من الوثائق التاريخية:

١ـ السيد المرتضى عَلَم الهدى ـ المتوفى سنة ٤٣٦ هـ في كتاب الشافي، يروي هذه الخطبة باسناده عن عروة عن عائشة.

٢ـ السيد ابن طاووس في كتاب (الطرائف) باسناده عن الزهري عن عائشة.

٣ـ الشيخ الصدوق باسناده عن زينب بنت علي (عليهما السّلام).

٤ـ ويروي بطريق آخر باسناده عن زيد بن علي الشهيد عن عمته زينب بنت علي عن أُمها فاطمة الزهراء (عليهم السّلام).

٥ـ وهكذا يروي باسناده عن أحمد بن محمد بن جابر عن زينب بنت علي (عليهما السّلام).

٦ـ ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة يروي عن كتاب (السقيفة) تأليف أحمد بن عبدالعزيز الجوهري بأربعة طرق:

أـ باسناده عن رجال من أهل البيت عن زينب بنت علي (عليهما السّلام).

ب ـ باسناده عن الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليه السّلام).

ج ـ باسناده عن الإمام الباقر محمد بن علي (عليه السّلام).

د ـ باسناده عن عبداللّه بن الحسن بن الحسن (عليه السّلام).

٧ـ علي بن عيسى الأربلي في كتابه (كشف الغمة) يروي عن كتاب (السقيفة) للجوهري.

٨ـ المسعودي في (مروج الذهب) يشير إلى هذه الخطبة.

٩ـ الطبرسي في كتاب (الاحتجاج).

١٠ـ أحمد بن أبي طاهر في كتاب (بلاغات النساء).

إلى غير هؤلاء ممن يطول الكلام بذكرهم.

وإسناد هذه الخطبة إلى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من الأمور المسلّمة عند أهل العلم من المؤرّخين وغيرهم.

ونقل ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة عن السيد المرتضى أنه قال: وأخبرنا أبو عبداللّه المرزباني عن علي بن هرون عن عبيداللّه بن أحمد عن أبيه قال ذكرت لأبي الحسين زيد (الشهيد) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام) كلام فاطمة عند منع أبي بكر إيّاها فدك وقلت له: إن هؤلاء يزعمون أنه مصنوع وأنه من كلام أبي العيناء، لأن الكلام منسوق البلاغة.

فقال لي: رأيتُ مشائخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلّمونه أولادهم، وقد حدَّثني أبي عن جدي يبلغ بها فاطمة على هذه الحكاية، وقد رواه مشائخ الشيعة وتدارسوه قبل أن يوجد جدُّ أبي العيناء.

وقد حدَّث الحسين بن علوان عن عطية العوفي أنه سمع عبداللّه بن

الحسن بن الحسن يذكر عن أبيه هذا الكلام ثم قال أبو الحسين زيد: وكيف ينكرون هذا من كلام فاطمة وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة ويحققونه؟ لولا عداوتهم لنا أهل البيت!!

هذا بعض ما ظفرنا به من المصادر لخطبة سيدة النساء، ولعل غيرنا من الباحثين يجد المزيد من المصادر لهذه الخطبة.

رؤوس نقاط الخطبة

اختارت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) لخطبتها هذا الأُسلوب للبداية والنهاية

انها لم تكتف بالتركيز على مطالبة حقها فقط، بل انتهزت الفرصة لتفجِّر للمسلمين عيون المعارف الالهية، وتكشف لهم محاسن الدين الإسلامي، وتبيِّن لهم علل الشرائع والأحكام وضمناً تهيء الجو لكلامها المقصود وهدفها المطلوب.

وهذه رؤوس أقلام الخطبة ومواضيعها:

الحمد والثناء على اللّه.

التوحيد الاستدلالي.

النبوة.

التحدث عن العهد الجاهلي.

انجازات الرسول.

توجيه الخطاب إلى الحاضرين.

التحدث عن القرآن.

بيان علل الشرائع وفلسفة الإسلام.

الدخول في صميم الموضوع.

حوادث فترة الرسالة.

موقف زوجها العظيم من تلك الأُحداث.

بيان انقلاب الحكم ضد آل الرسول.

بيان تخاذل المسلمين تجاه أهل البيت.

توجيه الخطاب إلى رئيس الدولة حول الإرث.

إقامة الأدلة والبراهين.

توجيه العتاب إلى الأنصار وتوبيخهم.

جواب رئيس الدولة.

تزييف كلامه وتفنيد مغالطاته.

اعتذار رئيس الدولة.

توجيه الخطاب إلى الحاضرين.

شكوى إلى رسول اللّه.

وسوف نذكر الخطبة في حَلقات يتخللها شرح موجز لها.

الخطبة الخالدة

روى عبدالله بن الحسن باسناده عن آبائه، أنه لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فدك، وبلغها ذلك.

لاثت خمارها على رأسها[1].

واشتملت بجلبابها.

وأقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساء قومها[2].

تطأُ ذيولها[3].

ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[4].

حتى دخلت على أبي بكر.

وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم[5].

فنيطت دونها ملاءة[6].

فجلست ثم أنَّت أنَّةً أجهش القوم بالبكاء فارتجَّ المجلس ثم أمهلت هنيئة[7] حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم[8].

١ـ لاثت: شدّت والخمار: ثوب يغطّى به الرأس.

٢ـ اللّمة ـ بضم اللام وتخفيف الميم ـ : الجماعة، الحفدة، الخدم.

٣ـ كناية عن شدة التستر.

٤ـ ما تنقص مشيتها عن مشية أبيها من حيث الوقار والكيفية.

٥ـ الحشد: الجماعة.

٦ـ نيطت: علّقت والملاءة: الإزار والثوب الليّن الرقيق.

٧ـ وفي شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢١١: ثم أمهلت طويلاً.

٨ـ النشيج: صوت البكاء مع التوجع. والفورة: الشدّة.

افتتحت الكلام بحمد اللّه والثناء عليه، والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها.

فقالت ـ (عليها السّلام):

الحمد للّه على ما أنعم.

وله الشكر على ما ألهم.

والثناءُ بما قدَّم.

من عمومِ نعمٍ ابتداها.

وسبوغ آلاءٍ أسداها[١].

وتمام مننٍ والاها.

جمَّ عن الإحصاء عددُها[٢].

ونأى عن الجزاء أمدها[٣].

وتفاوت عن الإدراك أبدها.

وندبهم لاستزادتها بالشكر لإتصالها[٤].

واستحمد إلى الخلائق بإجزالها.

وثنى بالندب إلى أمثالها[٥].

وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لاشريك له.

كلمة جعل الإخلاص تأويلها.

وضمَّن القلوب موصولها[٦].

١ـ سبوغ النعم: إتساعها.

٢ـ جمّ: كثر.

٣ـ نأى: بَعُد، وهكذا تفاوت.

٤ـ ندبهم: دعاهم والاستزادة: طلب زيادة الشكر. وهكذا استحمد.

٥ـ ثنى بالندب:أي كماانه ندبهم لاستزادتهاكذلك ندبهم إلى أمثالها من موجبات الثواب

٦ـ جعل القلوب محتوية لمعنى كلمة التوحيد.

وأنار في التفكير معقولها.
الممتنع من الأبصار رؤيته.
ومن الألسن صفته.
ومن الأوهام كيفيته.
إبتدع الأشياء لامن شيء كان قبلها[١].
وأنشأها بلااحتذاء أمثلة امتثلها[٢].
كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيئته[٣].
من غير حاجة منه إلى تكوينها.
ولافائدة في تصويرها.
إلا تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً على طاعته.
وإظهاراً لقدرته. وتعبّداً لبريّته.
وإعزازاً لدعوته.
ثم جعل الثواب على طاعته.
ووضع العقاب على معصيته.
ذيادة لعباده من نقمته[٤].
وحياشةً لهم إلى جنّته[٥].
وأشهد أن أبي (محمداً) عبده ورسوله.
إختاره وانتجبه قبل أن إجتبله[٦].

١ـ ابتدع: احدث.
٢ـ الإحتذاء: الاقتداء. وحذو النعل بالنعل أي قطع النعل على مثال النعل وقدرها.
٣ـ ذرأها: خلقها.
٤ـ ذيادة: منعاً.
٥ـ حياشة لهم: سَوقهم.
٦ـ اجتبله: فطره.

واصطفاه قبل أن ابتعثه.

إذ الخلائق بالغيب مكنونة.

وبستر الأهاويل مصونة.

وبنهاية العدم مقرونة.

علماً من اللّه تعالى بمآئل الأُمور[١].

وإحاطةً بحوادث الدهور.

ومعرفة بمواقع المقدور.

ابتعثه اللّه إتماماً لامره.

وعزيمةً على إمضاء حكمه.

وإنفاذاً لمقادير حتمه.

فرأى الأمم فرَقاً في أديانها.

عُكّفا على نيرانها.

وعابدة لأوثانها.

منكرة للّه مع عرفانها.

فأنار اللّه بمحمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ظُلَمها[٢].

وكشف عن القلوب بُهمها[٣].

وجلى عن الأبصار غممها[٤].

وقام في الناس بالهداية.

وأنقذهم من الغواية.

١ـ المآئل: جمع مآل ـ أي المرجع.

٢ـ ظُلم: جمع ظلمة.

٣ـ البُهم: جمع بهمة وهي مشكلات الأمور.

٤ـ الغمم ـ جمع غمّة ـ الشيء الملتبس المستور.

وبصَّرهم من العماية.

وهداهم إلى الدين القويم.

ودعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار، ورغبةٍ وإيثار.

فمحمَّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من تعب هذه الدار في راحة.

قد حفَّ بالملائكة الأبرار.

ورضوان الرب الغفَّار.

ومجاورة الملك الجبَّار.

صلى الله على أبي.

نبيّه، وأمينه على الوحي وصفيّه.

وخيرته من الخلق ورضيّه.

والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

شرح الخطبة

«الحمد للّه على ما أنعم» إن شكر المنعم واجب شرعاً وعقلاً وعرفاً، يستحق الحمد على ما أنعم من النعم الظاهرية كالحياة والصحة ونحوها.

«وله الشكر على مــا ألهم» من النعم الباطنية، كالعلم والمعرفة، والغرائز التي ألهم الإنسان وغير الإنسان إياها، فإن الإلهام إلقاء في القلب والنفس كالتلقين، وهو تعليم على وجه لاسبيل لأحد للوقوف عليه.

«والثناء بما قدّم» للّه تعالى نِعَم قد أخّرها إلى الدار الآخرة، وهي الجنّة ونعيمها وغير ذلك، وللّه تعالى نعم قد قدّمها في هذه الدنيا، قدّمها على بقيّة النعم، وإليك بعض التفصيل:

«من عمـوم نعم ابتداها» النعم العامة التي ابتداها اللّه تعالى كالماء والهواء والتراب والنار، وقبلها نعمة الإيجاد والخلق، والنعم الابتدائية كالجاذبية في الأرض، والمسافة المعينة المحدودة بين الأرض والقمر، وبين الأرض والشمس والغطاء الجوّي المحيط بالكرة الأرضية المسمّى بالطبقة النتروجينية، وغير ذلك مما علم به البشر وما لم يعلمه، ابتداها اللّه قبل أن يستحقها البشر.

«وسبوغ آلاء أسداها» الآلاء السابغة أي النعم الشاملة الكاملة التامة، وأسداها: أعطاها، كنعمة الأعضاء والجوارح والمشاعر والمدارك التي يشعر ويدرك بها الإنسان وغير الإنسان.

«وتمام منن والاها» المنن: جمع منّة. وهي النعمة والعطية والإحسان،

وليس المقصود ـ هنا ـ المنّة بمعنى المنّ وهو عدّ الإحسان الذي نهى اللّه تعالى عنه بقوله: «ولاتمنن تستكثر» وقال: « لاتبطلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى» ووالاها من الموالاة وهي المتابعة في الإعطاء، أي نعمة بعد نعمة، فالنعم الإلهية متواصلة متواترة.

«جمٌّ عن الإحصاء عددُها» أي: كثرت نعم اللّه سبحانه، فعجز الناس عن إحصائها وعدِّها، كما قال سبحانه: «وان تعدّوا نعمة اللّه لاتحصوها».

«ونأى عن الجزاء امَدها» الأمد: الغاية ومنتهى الشيء، فلعلّ المعنى: ان الانسان لايستطيع ان يجازي ربَّه على نعمه واياديه.

«وتفاوت عن الادراك ابدها» كذلك لايمكن للانسان أن يدرك النعم الالهية.

«وندَبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها» ان الشكر يوجب زيادة النعمة ودوامها واتّصالها، كما قال سبحانه: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

«واستحمد الى الخلائق باجزالها» كذلك الحمد يوجب المزيد من الخيرات والبركات الالهية.

«وثنى بالندب الى امثالها» اي: انه تعالى نَدب عباده ودعاهم الى الاستزادة من موجبات الخير والرحمة، كالانفاق في سبيل اللّه والعطف

«وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لاشريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها» المقصود ان كلمة: (لا إله إلاّ اللّه) يعود معناها إلى الإخلاص، كما قال أمير المؤمنين (عليه السّلام): «وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» فقد قيل: إن المقصود من الإخلاص هو جعلهُ خالصاً من النقائص كالجسم والعَرَض، وما شاكلهما من النقائص، «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» أي الصفات الزائدة على ذاته لأن كل موجود متصف بصفة، وصفته غير ذاته، فالإنسان غير العلم، والعلم

غير الإنسان ولكن اللّه تعالى علمُه عين ذاته، وبقية صفاته كلها عين ذاته، ولهذا الموضوع بحث مفصّل عند العلماء مذكور في الكتب الكلامية.

«وضمَّن القلوب موصولها» أي إن اللّه تعالى ألزم القلوبَ المعنى الذي تصل إليه كلمة (لا إله إلاّ اللّه) وهو معنى التوحيد الفطري، أي جعل القلوب على هذه الفطرة، قال تعالى: «فطرة اللّه التي فطر الناس عليها» والفطرة: الملة، وهي الدين والإسلام والتوحيد، وهي التي خُلق الناس عليها ولها وبها، ومعنى ذلك ان اللّه تعالى خلقهم وركَّبهم وصوَّرهم على وجه يدل على أنَّ لهم صانعاً قادراً عالماً حياً قديماً واحداً، لايشبه شيئاً، ولايشبهه شيء.

«وأنار في الفكر معقولها» أي بسبب التفكر والتعقل أوضح اللّه المعنى الذي يوصل إليه بعد التدبر والتعمّق، أي معنى كلمة التوحيد، والمقصود منه التوحيد النظري، وقد مضى الكلام عن التوحيد الفطري، ومعنى التوحيد النظري: التفكّر في الدلائل والبيّنات، والنظر في الآيات، في الآفاق وفي أنفسهم.

«الممتنع عن الأبصار رؤيته» حيث أن اللّه تعالى ليس بجسم، ولاجوهر ولاعرض، والعين لاتدرك ولاترى إلا الأجسام والأعراض، وهي الأمور التي تعرض الجسم، كالألوان والطول والعرض وما شابه ذلك، وبما ان الادراك بالبصر إنما يتحقق بانعكاس صورة المرئي في عدسة العين، أو إتصال أشعة العين إلى ذلك الشيء المرئي، وحيث ان اللّه تعالى ليس بجسم فلايمكن إنعكاسه في العين، ولهذا من المستحيل أن تدركه العيون ولايمكن لأي موجود أن يرى اللّه تعالى ويدركه بالعين لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال تعالى: «لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» وقال سبحانه: «لن تراني» و«لن» لنفي الأبد. وليس هذا الامتناع خاصاً بالرؤية، بل بجميع الحواس الظاهرة كالسامعة والشامة والذائقة واللامسة.

ومن المؤسف جداً أن بعض طوائف المسلمين يعتقدون ان اللّه تعالى جسم، ويصرّحون بهذا الاعتقاد الفاسد الساقط عبر الإذاعات، رافعين أصواتهم: ان اللّه ينزل إلى سماء الدنيا وهو راكب على حمار!!

وليس هذا ببعيد من طائفة أصول دينهم وفروعه محمولة على أكتاف رجل يصفونه بالكذب والتزوير والتلاعب، وإختلاق الروايات وإسنادها إلى الرسول وغيره، ويكتبون ان عمر بن الخطاب ضربه بالدرّة ومنعه عن الحديث لكثرة الأكاذيب التي كان يختلقها ويصوغها في بوتقة الدجل والتزوير.

وسمعت أيضاً من بعض مدّعي العلم ـ عبر الإذاعة ـ : ان الرسول رأى ربه ليلة المعراج رؤية عين.

يا للكفر، يا للالحاد، يا للزندقة، يا للجهل.

القرآن يقول: لاتدركه الأبصار. والجهال يقولون: تدركه الأبصار، يتركون كلام اللّه الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، ويأخذون بقول مخلوق إن لم نقل انه كذاب فهو جاهل يخطىء ويصيب.

وإذا كان بعض المسلمين يجهلون أو ينحرفون عن التوحيد ـ الذي هو أصل الدين ـ فكيف بالنبوة والإمامة والمعاد؟

وكيف بفروع الدين والأحكام الفقهية والأمور الدينية والقضايا الشرعية؟

«ومن الألسن صفته» أي لايمكن وصف اللّه تعالى كما لايمكن رؤيته، وكيف يستطيع الإنسان أن يصف شيئاً لم يره، ولم يحط به إحاطة؟! كما قال علي (عليه السّلام): «ليس لصفته حدٌّ محدود، ولانعت

موجود» لأن صفاته عين ذاته، فكما انه لايمكن إدراك ذاته كذلك لايمكن إدراك صفاته التي هي عين ذاته.

«ومن الأوهام كيفيته» إن اللّه تعالى جعل للإنسان قوى باطنية، وهي الحواس الخمس الباطنية، وهي الذاكرة والحافظة والواهمة والمفكرة والحس المشترك، والواهمة هي القوة التي يدرك بها الأشياء الجزئية، كأن يتصوّر الإنسان إمرأة جميلة، أو قصراً شاهقاً أو حديقة غنّاء، أو ما شابه، وكلما تصوّره الإنسان أو توهّمه فهو مخلوق، ولايستطيع الإنسان أن يتصوّر الخالق تصوّراً صحيحاً حقيقياً، أي لايستطيع أن يعلم كيف هو؟ وهو تعالى لايُكيّف بكيف؟ أي لايمكن تصوّر الكيفية في ذاته.

«ابتدع الأشياء لامن شيء كان قبلها» أي خلق اللّه الكائنات لامن مادة، أي أوجدها وما كانت موجودة.

ويقول الماديّون: لايمكن أن يوجد شيء إلاّ من مادة، والمادة أصل الأشياء.

فإذا سألتهم: والمادة من أي شيء وجدت؟ وأين وجدت؟ ومَن أوجدها؟ تراهم يسكتون ولايحيرون جواباً، لأنهم إذا قالوا: إن المادة وجدت من غير مادة. قلنا لهم: فما المانع أن توجد الموجودات الأخرى من غير مادة؟ وإذا قالوا: إن المادة وجدت من مادة أخرى نسألهم: المادة الأخرى من أي شيء وجدت؟ وهكذا وهلمّ جرّاً.

فالاعتقاد بأن اللّه تعالى خلق الأشياء لا من شيء، أفضل وأسلم من نظريات الماديين.

«وأنشأها بلااحتذاء أمثلة امتثلها» أوجد اللّه تعالى الأشياء لا من مادة ولا من شيء، بلا اقتداء بأحد في تصويرها.

أنظر إلى الاختراعات الحديثة إنما اقتدى مخترعوها بأشياء أخرى، صنعوا الطائرة حينما نظروا إلى الطيور وكيفية طيرانها، وكيف تقبض رجليها إلى بطنها وقت الطيران، وترسل رجليها حين الهبوط.

وصنعوا الغوّاصة البحرية حينما نظروا إلى السمكة تغوص في الماء متى شاءت، وتطفو على الماء متى أرادت.

وهكذا التطورات في المصانع والمعامل كلها من احتذاء أمثالها، والاقتداء بأشباهها ولكن اللّه تعالى أوجد الكائنات بلا احتذاء ولا اقتداء ولا اتباع بموجودات أخرى مماثلة ومشابهة لتلك الكائنات.

«**كونّها بقدرته**» أوجد اللّه تعالى الأشياء بقدرته الجامعة الكاملة، بدون مشاركة من أحد، بقدرته وقوته وتمكّنه على الإيجاد والتكوين، لا باستعمال الأدوات والآلات.

«**وذرأها بمشيئته**» أي خلقها بإرادته دون قوله، وحسب إرادته في الكيفية والصورة والشكل والهيئة والعدد، وبقية الخصوصيات، خلقها بمشيئته بلا إجبار، وبإرادته التي إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

وقد جاء في دعاء الامام زين العابدين (عليه السّلام): «... ومضت على ارادتك الأشياء، فهي بمشيّتك ـ دون قولك ـ مؤتمرة، وبارادتك ـ دون نهيك ـ منزجرة...».

«**من غير حاجة منه إلى تكوينها**» أي إن اللّه تعالى خلق الكائنات بلاحاجة منه إلى إيجادها وتكوينها مثل أن يستأنس بهم، أو يستعين بهم في الأمور، فله تعالى الكمال الكامل بجميع معنى الكلمة، ولاطريق للاحتياج إلى ذاته المقدسة.

«**ولا فائدة له في تصويرها**» أي لم تكن للّه تعالى فائدة في إحداث

تلك الصُوَر والأشكال والهيئات، فإذا نفينا الحاجة والفائدة في التكوين والتصوير ينبغي أن نعلم السبب في ذلك، لأن الفعل بلاسبب لغو، وتعالى اللّه عن ذلك.

«**إلا تثبيتاً لحكمته**» وفي نسخة: (تبييناً) وعلى كل تقدير، فالمعنى ان المقصود من الإنشاء والتكوين والإيجاد هو إظهار الحكمة الإلهية، وهو تعالى يعلم تلك الحكمة البالغة التي اقتضت إيجاد الكائنات، ولعل من تلك الحكمة ان اللّه تعالى خلق الكائنات لكي يُعرّف.

«**وتنبيهاً على طاعته**» أي خلق الخلائق. كي ينبّههم على وجوب طاعته، والانقياد لأوامره، لقوله تعالى: «وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون» والإطاعة والعبادة إنما تحصل بعد المعرفة، وما قيمة العبادة بغير معرفة؟ وما قيمة المعرفة بدون إطاعة وعبادة؟

«**وإظهاراً لقدرته**» قدرة اللّه تعالى كانت موجودة، وإنما أراد إظهار شيء من قدرته فخلق الجمادات والنباتات والحيوانات والإنسان، وأودع في كل واحد من هذه الموجودات آيات من القدرة، فخلق الكواكب والمجرّات، والأفلاك والسماوات، وخلق الكريات الحمر والبيض في الدم، وخلق الذرة وجعل لها قوائم، إلى غير ذلك مما يطول الكلام بذكره.

وملخص القول: إن كل موجود من الموجودات تتجلى وتظهر فيه قدرة اللّه على الإبداع.

«**وتعبداً لبريته**» خلق اللّه الموجودات كي ينقادوا لأوامره، وينزجروا عن نواهيه، والعبادة هي الانقياد والطاعة.

«**وإعزازاً لدعوته**» أي خلق اللّه الأشياء لتكون تقوية للبراهين والحجج التي يستدلّ بها الداعون إلى اللّه تعالى من الأنبياء وغيرهم.

«ثم جعل الثواب على طاعته» الإنسان لايندفع نحو العمل إلاّ بدافعين: دافع الرغبة وهو الطمع لجلب الخير، ودافع الرهبة وهو الخوف من المكروه، فالتاجر يتجر طلباً للمنافع وخوفاً من الفقر، والطالب يتعلم ويدرس طلباً للثقافة أو الوظيفة، وهرباً من الجهل الذي يحول بينه وبين الصعود إلى مدارج الكمال.

والإنسان لاينقاد ولايطيع إلاّ طمعاً في الأجر والثواب، وخوفاً من العذاب والعقاب.

وانطلاقاً من هذه الحكمة جعل اللّه الثواب وهو الأجر مع التقدير والاحترام جزاء للطاعة والانقياد.

«ووضع العقاب على معصيته» أي جعل قانون العقوبة للعاصين، المخالفين لأوامره المتجاوزين لأحكامه.

لماذا؟

«ذيادة لعباده من نقمته» وضع اللّه تعالى قانون العقوبات في الدنيا، والعذاب في الآخرة لأجل ردع العباد ومنعهم عن ارتكاب الأعمال التي توجب نقمته أي عقوبته.

«وحياشة لهم إلى جنته» أي جعل الثواب والعقاب لمنع العباد عن المعاصي، وسوَقهم إلى طريق الجنة، أي الأعمال التي يستحق الإنسان بها الجنة، وقد مرّ معنى الحياشة في شرح الكلمات.

«وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» أقرّت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) بالشهادتين بعد أن شرحت كلامها شرحاً كافياً حول التوحيد، فانتقلت إلى ذكر النبوة وما يدور في هذا الفلك، فاعترفت لأبيها ـ أولاً ـ بالعبودية الكاملة أي الانقياد والخضوع للّه تعالى، وهي درجة يبلغها الإنسان باختياره، مع العلم أن النبوة مرتبة تحصل للنبي بغير سعي

ثم اعترفت له بالرسالة، أي إنه نبي مرسل من عند اللّه تعالى إلى الخلائق بشريعة سماوية.

ومن المؤسف ان كلمة (الرسالة) صارت تستعمل ـ في زماننا ـ في كل مبدأ حق أو باطل، وفي كل فكرة صحيحة أو سقيمة.

«**اختاره وانتجبه قبل أن أرسله**» انتقاه اللّه من أهل العالم كما ينتقي أحدنا الفرد الكامل الممتاز من أفراد عديدة، فالفاكهة الواحدة نختارها من مئات أمثالها بعد أن نرى فيها المزايا المتوفرة المستجمعة فيها، المفقودة في غيرها، من حيث الحجم واللون والنضج والطعم والنوع وما شابه ذلك.

وهكذا إختار اللّه محمداً (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قبل أن يرسله، أي إن أهلية الرسول ـ واستحقاقه لهذا المنصب الخطير وهو النبوة ـ كانت ثابتة ومعلومة عند اللّه تعالى قبل أن ينزل الرسول إلى ساحة العمل والجهاد والدعوة إلى اللّه، وما كانت ـ هناك ـ حاجة للاختبار والامتحان حتى تظهر مواهبه واستعداده وتقبّله للمسؤولية، بل كان اللّه يعلم كفاءة الرسول لهذا العبء الثقيل.

«**وسمّاه قبل أن إجتبله**» أي سماه اللّه محمداً قبل أن يخلقه، أو سمّاه (كالخطيبة) يقال في حقها: «سمّيت لفلان» أيْ تقرّر تزويجها من فلان، فالمعنى ـ ولامناقشة في الأمثال ـ إن اللّه تعالى قد قرّر في سابق علمه أن يكون محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) رسولَ اللّه، أو سمّاه اللّه لأنبيائه قبل أن يخلقه.

«**واصطفاه قبل أن ابتعثه**» أي اختاره اللّه تعالى قبل أن يرسله نبيّاً.

«**إذ الخلائق بالغيب مكنونة**» إن اللّه تعالى اصطفى محمداً واختاره واجتبله في الوقت الذي كانت الخلائق وهم الناس غير موجودين، بل كانوا في الغيب مختفين مستورين، أي كانوا في علم غيب اللّه، وما كان

لهم وجود في الخارج بحيث ما كان يمكن إدراكهم.

«وبستر الأهاويل مصونة» هذه الجملة تفسير لما قبلها، والأهاويل: جمع أهوال وهي جمع هول، وهو الخوف والأمر الشديد والمقصود وحشة ظلمات الغيب.

«وبنهاية العدم مقرونة» نهاية الشيء حدوده وآخره، والمقصود ان الخلائق كانت بعيدة عن الوجود أي كانت معدومة.

«علماً من الله بمآئل الأمور» من ذلك الوقت إختار الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) بسبب علمه بعواقب الأمور وما ترجع إليه الأمور، كان الله يعلم عواقب البشر، وعواقب حالاتهم وشؤونهم، وعواقب رسالة النبي وبعثته، ومواهبه وكفاءته للرسالة بسبب إتصافه بالأخلاق الحميدة والصفات الجميلة، ولهذا اختاره للرسالة من ذلك الوقت.

وقد صرحت أحاديث كثيرة جداً مروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): أن أول ما خلق الله نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهكذا قوله (صلى الله عليه وآله وسلّم): إن الله خلق نوري ونور علي قبل أن يخلق آدم أو قبل أن يخلق السماوات والأرض باثنتي عشر ألف سنة أو أربعة وعشرين ألف سنة، وغيرها من الروايات الواردة في الكتب المعتبرة.

«وإحاطة بحوادث الأمور» وبسبب إدراكه تعالى جميع ما يدرك من الوقائع التي تحدث وتتجدد على مرّ الأعوام والقرون.

«ومعرفة بمواقع المقدور» وبسبب معرفته بأزمنة الأمور وأمكنتها التي قضاها، والمصالح التي رآها تعالى.

«**ابتعثه اللّه إتماماً لأمره**» بعث اللّه محمداً (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إتماماً للحكمة التي خلق اللّه الأشياء لأجلها، ولعل المقصود هو ختم النبوة برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

«**وعزيمة على إمضاء حكمه**» وإرادة قوية أكيدة لإنفاذ حكمه وقضائه، وتقديره في خلقه.

«**وإنفاذاً لمقادير حتمه**» وإجراء لمقدوراته الواجبة التي لايمكن إسقاطها، وهي المقادير المحتومة التي لاتتغير ولاتتبدل.

وهنا تتحدث السيدة فاطمة الزهراء عن الحياة الدينية والتفسّخ العقائدي في ذلك العهد:

«**فرأى الامم فرقاً في أديانها**» رأى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أهل الأرض على أديان متفرقة، من يهود ونصارى ومجوس، وصابئة وملاحدة وزنادقة.

«**عُكّفاً على نيرانها**» ملازمة على عبادة النار، ومواظبة عليها، وهم المجوس الذين كانوا يقدّسون النار إلى حدِّ العبادة، بل ويبنون بيوتاً للنار، ويحافظون على إبقائها كي لاتنطفي.

«**عابدة لأوثانها**» جمع وثن وهو الصنم المصنوع من خشب أو حجارة أو غيرهما من التماثيل في كنائسهم وبيَعهم، ينحنون أمامها، ويركعون ويسجدون لها بقصد العبادة.

«**منكرة للّه مع عرفانها**» جاحدة للّه تعالى مع معرفتهم به تعالى كما قال (عزّوجلّ): (يعرفون نعمة اللّه ثم ينكرونها) والمقصود انهم كانوا يعرفون الخالق والصانع بالفطرة والوجدان والعقل، إذ أنهم كانوا يعلمون ان كل مصنوع لابدَّ له من صانع، ويعلمون ان الكائنات مخلوقة ولم يدَّعِ أحد من المخلوقين انه خلق الشمس والقمر والسماء والأرض، فلابدَّ من

الاعتقاد بوجود صانع لها.

«فأنار اللّه بمحمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ظُلمها» أزال اللّه تعالى ـ بجهود الرسول وجهاده ـ تلك الظلمات، ظلمات تلك الأمم، ظلمات الكفروالشرك والجهل،أي ان الأدلةوالبراهين التي احتج بها الرسول كانت كفيلة للقضاء على تلك النظريات التي تأسست عليها عبادة النيران والأوثان،وليس المقصودان الرسول قضى على جميع الأديان الباطلةوالعقائد الفاسدة بمعنى إزالتهاعن الوجود، بل أثبت ان الإسلام هوالحق وغيره باطل.

«وكشف عن القلوب بُهَمها» كشف اللّه ـ بمحمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عن القلوب مشكلاتها، والأمور المخفية المستورة عنها، كالاعتقاد بالتوحيد والحشر والنشر في القيامة، إذ كانت تلك الأمور من المشاكل الغامضة عندهم، ولكنها انحلّت وانكشفت ببركة الرسول.

«وجلى عن الأبصار غُممها»» وكشف وأوضح عن العيون الظلمة المبهمةالمستوليةعليها،والمقصود من الظلمة ـ هنا ـ الانحرافات العقائدية التي كانت كالظلمةعلى أعينهم ولهذاماكانوايبصرون الحقائق بسبب تلك الظلمة.

«وقام في الناس بالهداية» قام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) باراءة الطريق للناس ونصَب لهم العلامات الدالة على الحق والحقيقة، على التوحيد والنبوة والمعاد.

«وأنقذهم من الغواية» أنقذهم من الضلالة التي كانوا يعيشون فيها، ويموتون عليها، الضلالة في العقائد، في الأخلاق، في الآداب والسلوك، في العادات والتقاليد فكأنهم مغرقون في البحر، فأنقذهم الرسول من الغرق، وأسعفهم من الهلاك.

«وبصّرهم من العماية» جعلهم أصحاب بصر وبصيرة، فالأعمى ـ لغةً ـ هو الذي لايرى شيئاً، والأعمى ـ مجازاً ـ هو الذي لايدرك الحقائق كما هي، فإذا تعلّم صار بصيراً.

«**وهداهم إلى الدين القويم**» للهداية معاني عديدة، منها اراءة الطريق لمن لايعرف الطريق، ومنها الإيصال إلى المطلوب، ولقد قام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالهداية بكلا المعنيين: أراهم طريق السعادة، وأوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

«**ودعاهم إلى الصراط المستقيم**» أي الطريق الذي لااعوجاج فيه، وهو الإسلام.

«**ثم قبضه اللّه إليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وإيثار**» أي توفّاه اللّه وأخذه إلى عالم الآخرة بدافع الرأفة لاالغضب والسخط، وباختيار منه لاإجبار وإكراه أو باختيار من اللّه تعالى له الآخرة وإرادة منه تعالى، وفضَّل له الآخرة على الدنيا كما قال (عزّوجلّ): «وللآخرة خير لك من الأُولى».

«**فمحمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من تعب هذه الدار في راحة**» من مشاكلها ونوائبها، وما كان يرى فيها من أنواع الأذى والمخالفة، فإن الموت راحة لأولياء اللّه، وإن حياة الأنبياء حياة متعبة لأنها جهود وجهاد، ومشقة وعناء.

«**قد حفَّ بالملائكة الأبرار**» الذين حفّوا به والتفوا حوله، ورافقوا روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى إلى أعلى عليين..

«**ورضوان الرب الغفار**» الذي شمله في ذلك العالم بصورة أوسع، لأن الدنيا تضيق عن ظهورجميع آثار رضى اللّه،ولكن الآخرةواسعة المجال.

«**ومجاورةالملك الجبار**»فهوفي حفظ اللّه وذمازه،وقريب من ثوابه وألطافه

«**صلى اللّه على أبي، نبيه وأمينه على الوحْي وصفيّه**» الأمين الذي أُوتمن على الوحي والرسالة وصفيّه الذي اصطفاه من خلقه.

«**والسلام عليه ورحمة اللّه وبركاته**».

وفي نسخة: «فمحمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في راحة من تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائكة الأبرار».

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

ثم التفَتت إلى أهل المجلس وقالت:

أنتم ـ عباد اللّه ـ نصب أمره ونهيه[1].

وحَمَلة دينه ووحيه.

وأُمناؤُ اللّه على أنفسكم[2].

وبلغاؤه إلى الأمم[3].

زعيم حقّ له فيكم.

وعهد قدمه إليكم.

وبقيّة استخلفها عليكم.

كتاب اللّه الناطق.

والقرآن الصادق.

والنور الساطع[4].

والضياء اللامع[5].

بيّنة بصائره، منكشفة سرائره[6].

١ـ منصوبون لأوامره ونواهيه.

٢ـ أمناء: جمع أمين.

٣ـ البلغاء ـ جمع بليغ، والمقصود ـ هنا ـ : المبلّغ.

٤ـ الساطع: المرتفع.

٥ـ اللامع: المضيء.

٦ـ البصائر: جمع بصيرة، والمراد ـ هنا ـ : الحجج والبراهين.

والسرائر: جمع سريرة، والمقصود ـ هنا ـ : الأسرار الخفية واللطائف الدقيقة.

متجلّية ظواهره[١].
مغتبط به أشياعه[٢].
قائد إلى الرضوان إتّباعه.
مؤدٍّ إلى النجاة استماعه.
به تُنال حجج اللّه المنوّرة.
وعزائمه المفسَّرة[٣].
ومحارمه المحذَّرة.
وبيّناته الجالية[٤].
وبراهينه الكافية.
وفضائله المندوبة[٥].
ورُخَصُه الموهوبة.
وشرائعه المكتوبة[٦].
فجعل اللّه الإيمان تطهيراً لكم من الشرك.
والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر.
والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق.
والصيام تثبيتاً للإخلاص.
والحج تشييداً للدين.

١ـ متجلية: منكشفة.
٢ـ الغبطة: أن تتمنى مثل حال المغبوط إذا كان بحالة حسنة.
٣ـ العزائم ـ جمع عزيمة ـ : الفريضة التي افترضها اللّه.
٤ـ الجالية: الواضحة.
٥ـ المندوبة: المدعو إليها.
٦ـ المكتوبة ـ هنا ـ : الواجبة.

والعدل تنسيقاً للقلوب[١].
وإطاعتنا نظاماً للملّة.
وإمامتنا أماناً للفرقة.
والجهاد عزّاً للإسلام.
والصبر معونة على استيجاب الأجر.
والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة.
وبرّ الوالدين وقايةً من السخط.
وصِلَة الأرحام منماةً للعدد[٢].
والقصاص حقناً[٣] للدماء.
والوفاء بالنذر تعريضاً[٤] للمغفرة.
وتوفية المكاييل[٥] والموازين تغييراً للبخس.
والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس.
واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة.
وترك السرقة إيجاباً للعفّة.
وحرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبية.
فاتقوا اللّه حق تقاته، ولاتموتن إلاّ وأنتم مسلمون.
وأطيعوا اللّه فيما أمركم به ونهاكم عنه.
فإنه إنما يخشى اللّه من عباده العلماء.

١ـ التنسيق: التنظيم.

٢ـ منماة ـ على وزن مسحاة ـ : اسم آلة للنموّ، ولعلها مصدر ميمي للنموّ.

٣ـ حقناً: حفظاً.

٤ـ تعريضاً: إذا جعلته في عرضة الشيء.

٥ـ المكاييل ـ جمع مكيال ـ : وهو ما يكال به. والموازين جمع ميزان. والبخس: النقص.

خطابها (عليها السّلام) إلى الحاضرين في المسجد

ثم انتقلت (عليها السّلام) من ذكر النبوة إلى ذكر ما تركه الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من الثقلين: الكتاب والعترة الذَين يقومان مقام النبي فقالت: - وهي مخاطبة للحاضرين في المسجد النبوي حينذاك:

«أنتم - عباد اللّه - نصب أمره ونهيه» كلمة: (عباد اللّه) جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، والمعنى: أخص بالخطاب عباد اللّه أنتم نصب أمره ونهيه، أي أنتم منصوبون لأوامر اللّه تعالى ونواهيه، لأنكم كنتم موجودين عند ورود الأوامر والنواهي، والخطاب موجّه إليكم.

«وحَمَلَة دينه ووحيه» أي الحاملون لأحكام الدين لمشاهدتكم سيرة الرسول والأحكام التي كان (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يصدّرها، وأنتم الحاملون لآيات القرآن حينما كان جبرئيل ينزل بها على الرسول، وكان الرسول يعلّمكم إيّاها.

«وأُمناؤُ اللّه على أنفسكم» أنتم الذين إئتمنكم اللّه على دينه حتى تتلقوا الأحكام من الرسول ثم تلقوها إلى الأفراد الذين لم يتعلّموا تلك الأحكام.

«وبلغاؤُه إلى الأُمم» لاشك أن العلوم تنتقل من جيل إلى جيل على مرّ القرون، وحيث أنكم عاصرتم الرسول وسمعتم أحاديثه وتعلّمتم سُنّته يجب عليكم أن تبلّغوا تلك الأوامر والتعاليم والأحاديث والسنن إلى

الأجيال القادمة، فأنتم مبلّغو الدين الإسلامي إلى الأمم القادمة، فيجب عليكم أداء هذه المسؤولية العظمى تجاه الإسلام والمسلمين، فيجب عليكم أداء الأمانة سليمة من التلاعب، وتبليغ الأحكام كما أنزلها اللّه بدون تحريف أو تغيير، لأنكم الوسائل بين الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وبين بقية المسلمين فإن أحسنتم الأداء فلكم الأجر الجزيل، وإن خنتم في الاداء والتبليغ فعليكم أوزار كل انحراف يحدث في الدين وفي المسلمين.

«زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية إستخلفها عليكم»

هذه الجملات ذكرها أكثر رواة الخطبة، ولكنها لاتخلو من الاضطراب والغموض، ولعل في الكلام سقطاً وحذفاً وقد ذكر شرّاح الخطبة وجوهاً محتملة لهذه الكلمات لاتخلو من تكلّف وتعسّف، ولكن النتيجة والمقصود أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عهد إليكم بما يجب عليكم، وترك فيكم بقية منه جعلها خليفة له عليكم، ومعنى البقية هو ما يخلفه الإنسان في أهله من الآثار واللوازم، والمراد أن الرسول ترك فيكم ما يسدّ الحاجة ويكفي الأمة الإسلامية مهامّها، وفي بعض النسخ: «وبقية إستخلَفَنا عليكم، ومعنا كتاب اللّه» وهذه الجملة تشير إلى الحديث المشهور المعتبر عند المسلمين وهو قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1] وهنا تتحدث السيدة فاطمة الزهراء عن أحد الثقلين وهو القرآن الكريم فقالت: **«كتاب اللّه الناطق»** أي المبيّن الموضّح، كالإنسان الذي يتكلم بكل وضوح.

«والنور الساطع» قد ورد في القرآن الكريم التعبير عن القرآن بالنور

١ـ صحيح مسلم وغيره.

كقوله تعالى: «فآمنوا باللّه ورسوله والنور الذي انزلنا واللّه بما تعملون خبير»[١].

«والضياء اللامع» وهو النور المشرق، لا النور الضئيل الخفي.

«بيّنة بصائره» أي واضحة حججه وبراهينه فأدلّة التوحيد والنبوة والإمامة والبعث في يوم القيامة وغير ذلك من الأدلة والبراهين تجدها واضحة عند أهلها، وعند كل من يعرف منطق القرآن، ويفهم المناسبة بين الدليل والمدلول، والعلّة والمعلول، استمع إلى قوله تعالى:

«لو كان فيهما آلهة إلا اللّه لفسدتا» وقوله: «وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم» وقوله: «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» وقوله: «قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» وغيرها من الآيات التي هي أدلّة وبراهين وحجج على ما ذكره اللّه تعالى.

«منكشفة سرائره» في القرآن آيات واضحة الدلالة، ظاهرة المعنى، وآيات تشتمل على معاني دقيقة وأسرار خفية كأسرار الكيمياء والفيزياء والفلك والنجوم والأنواء الجوية، والملاحم والانباء الغيبيّة، أو الآيات المتشابهات، وهي كلها منكشفة ومعلومة عند أولي الألباب، والراسخين في العلم.

«متجلية ظواهره» ظواهر القرآن واضحة كمال الوضوح.

«مغتبط به أشياعه» أي إن أتباع القرآن يبلغون منزلة عند اللّه بحيث يغبطهم الناس، أي يتمنى الناس الوصول إلى تلك الدرجات التي نالها

١ـ التغابن: ٨

الذين اتبعوا القرآن.

«قائد إلى الرضوان إتّباعه» القرآن يقود أتباعه إلى رضوان اللّه تعالى أو إتّباع القرآن يقود إلى الرضوان والنتيجة واحدة.

«مؤدّ إلى النجاة استماعه» أي الاستماع إلى القرآن يؤدي إلى النجاة كما قال تعالى: «وإذا قُرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون» سيّما إذا كان مع الاستماع تدبّر وتعقّل، لأن الخوف من اللّه يحصل باستماع القرآن، وكذلك الرجاء به، وهكذا ينجو الإنسان من عذاب اللّه تعالى، فكم من كافرٍ أسلم بسبب استماع القرآن؟ وكم من مذنب تاب؟ وكم من منحرف اعتدل؟ وكم من شاكٍ استقام وتيقّن؟

«به تُنال حجج اللّه المنوَّرة» الحجة ما يحتج به الإنسان، ويمكن الاستدلال والاحتجاج به في القضايا العقلية والأحكام الشرعية، والأمور العرفية.

«وعزائمه المفسَّرة» أي الواجبات التي فسَّرها القرآن نفسه، أو النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أو أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) لأن القرآن نزل في بيوتهم، وأهل البيت أدرى بما في البيت، فسّروا أحكام العبادات وكيفيتها والخصوصيات المتعلقة بها من الوضوء إلى الغسل إلى الصلاة إلى الصوم والحج والجهاد وغير ذلك من الواجبات.

«ومحارمه المحذّرة» حذَّر اللّه تعالى في القرآن عباده عن ارتكاب المحرَّمات، حذَّرهم بالعذاب الأليم في الدنيا أو الآخرة.

«وبيّناته الجالية» أي المحكمات الواضحة التي لاتحتاج إلى تأويل.

«وبراهينه الكافية» وفي نسخة: «وجُمَله الكافية» أي المتشابهات المعلومة عند الراسخين في العلم.

«وفضائله المندوبة» وهي الأمور المستحبة التي ندب اللّه تعالى عباده

إليها أي دعاهم إليها بدون إلزام كصلاة الليل وأمثالها.

«ورُخصه الموهوبة» في القرآن أحكام واجبة كما تقدم الكلام عنها، ومخيّرة وهي المستحبات التي يتخير الإنسان فيها.

«وشرائعه المكتوبة» شرائع: جمع شريعة، وهي ماشرّع اللّه أي قرّره لعباده من الدين تشبيهاً بمورد الماء، والمكتوبة هي الواجبة المفروضة.

كلامها حول فلسفة الأحكام

ثم انتقلت (عليها السّلام) إلى ذكر الفلسفة الإسلامية، أو علل الأحكام في الشريعة الإسلامية وما هناك من فوائد وأسرار، وحكَم في التشريع الإسلامي التي هي للوقاية أكثر مما هي للعلاج، وقد قيل: «الوقاية خير من العلاج» وسيتضح لك ذلك، قالت (عليها السّلام):

«فجعل اللّه الإيمان تطهيراً لكم من الشرك» وفي نسخة: «ففرض اللّه الإيمان» الآيات الواردة في القرآن الكريم، الآمرة بالإيمان باللّه وحده، إنما هي لغرض التطهير من ارجاس الشرك باللّه، فالشرك بمنزلة الميكروبات الضارّة، والإيمان تعقيم لها، فالشرك قذارة متعلقة بالاذهان، ملتصقة بالعقول، قد تلوثت بها القلوب، والإيمان تطهير عام لإزالة تلك القذارة.

«والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر» المقصود من تشريع الصلاة هو القضاء على رذيلة الكبر، لأن الصلاة خضوع وخشوع للّه وركوع وسجود وتذلل، وأكثر المصابين بداء الكبرياء هم التاركون للصلاة.

«والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق» وفي نسخة: «والزكاة تزييداً لكم في الرزق» إنّما سُميت الزكاة زكاةً لأنهاتزكي الإنسان، استمع إلى قوله تعالى: «خُذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وقد جعل اللّه تعالى البركة والنمو في إعطاء الزكاة، فيأذن اللّه للأرض أن تجود ببركاتها، فيكثر الزرع ويمتلىء الضرع، وتتراكم الخيرات، وتتضاعف الثمار.

«والصيام تثبيتاً للإخلاص» قد يمكن أن يصلي الأنسان قصد الرياء، ولايمكن أن يصوم ويطوي نهاره جائعاً عطشاناً، ويتحمل المشقة ـ لسبب الإمساك والإمتناع عما يشتهي ـ بقصد الرياء، فالصوم من أظهر العبادات الخالصة لوجه اللّه الكريم.

«والحج تشيـيداً للدين» للحج فوائد ومنافع معنوية لاتتحقق بغير الحج، فالحج عبارة عن اجتماع عدد كبير من المسلمين من بلاد بعيدة وأقطار عديدة، من شرق الأرض وغربها وعن كل قطر يسكن فيه مسلم يستطيع الحج، في أيام محدودة وأماكن معينة، على هيئات خاصة وكيفيات مخصوصة، فيلتقي بعضهم ببعض، ويتعرّف المسلم الأفريقي بالمسلم الآسيوي، ويطّلع المسلم الشرقي على أحوال المسلم الغربي وما هناك من فوائد تحصل من تلك اللقآت، أضف إلى ذلك الفوائد التي تعود إلى نفس الإنسان الحاج من الخضوع والتذلل للّه، والتوبة والاستغفار وغير ذلك مما يطول الكلام بذكره.

«والعدل تنسيـقاً للقلوب» وفي نسخة: وتنسيكاً للقلوب» لاأعرف لتعليل العدل تعريفاً أحسن وأكمل من هذا التعريف، لأن تنسيق القلوب تنظيمها كتنسيق خرز السبحة، وتنظيمها بالخيط، فلو انقطع الخيط لتفرقت الخرز وتشتت، واختل التنظيم وزال التنسيق.

إن العدل في المجتمع بمنزلة الخيط في السبحة، فالعدل الفردي والزوجي والعائلي والاجتماعي والعدل مع الأسرة ومع الناس يكون سبباً لتنظيم القلوب وانسجامها بل واندماجها، وإذا فقد العدل فقد الانسجام، وجاء مكانه التنافر والتباعد والتقاطع، وأخيراً التقاتل.

وليست العدالة من خصائص الحكّام والولاة والقضاة، بل يجب على كل إنسان أن يسير ويعيش تحت ظلال العدالة، ويعاشر زوجته وعائلته

وأسرته ومجتمعه بالعدالة إبقاءً لمحبة القلوب.

«وإطاعتنا نظاماً للملة» وفي نسخة: «وطاعتنا» كل أمة إذا أرادت أن تعيش لابدَّ لها من اختيار نظام حاكم سائد، والنظام كلمة واسعة النطاق، كثيرة المصداق غزيرة المعاني.

فالحكومات، وتشكيل الوزارات، وتنظيم الدوائر، وسنّ القوانين، واصدار التعاليم في شتى المجالات يقال لها: نظام. ولابدّ ـ طبعاً ـ من تنفيذ النظام، والخضوع والانقياد له، ويقال له: التنظيم.

فإذا كان النظام صالحاً انتشر الصلاح في العباد والبلاد، وإذا كان النظام فاسداً ظهر الفساد في البر والبحر.

والأمة الإسلامية التي تعتبر نفسها في طليعة الأمم الراقية المتحضرة لابدّ وان يكون لها نظام، وان اللّه تعالى جعل إطاعة أهل البيت (عليهم السّلام) نظاماً للملة الإسلامية، ومعنى ذلك أن اللّه جعل القيادة العامة المطلقة العليا، والسلطة لأئمة أهل البيت الاثني عشر (عليهم السّلام) وهم عترة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقط، لاكل من يستلم زمام الحكم، أو يجلس على منصة القيادة تجب إطاعته وتنفذ أوامره.

وإنما جعل اللّه إطاعة أئمة أهل البيت نظاماً للمسلمين لأن اللّه تعالى زوَّدهم بالمواهب، ومنحهم الأهلية، وأحاطوا علماً بكل ما ينفع المجتمع ويضرّه، وبكل ما يُصلح الناس ويفسدهم.

وجعلهم الرسول عدل القرآن بقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وإنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.

ولقد سبق أن تحدثت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) عن القرآن وأنه بقية استخلفها عليكم، ثم ذكرت بعض ما يتعلق بعظمة القرآن. ثم

انتقلت إلى ذكر فلسفة الإسلام ثم انتقلت إلى ذكر الثقل الثاني، وهم العترة، وهم أهل البيت، وهم أولو الأمر الذين أوجب اللّه إطاعتهم على العباد بقوله تعالى: «أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم».

فواللّه لو أن المسلمين فسحوا المجال ـ من أول يوم ـ لأهل البيت وأطاعوهم لكانت الدنيا روحاً وريحاناً وجنة و نعيم، وكانت السعادة شاملة لجميع طبقات البشر على مرّ القرون، وما كانت تحدث المفاسد والمجازر والمذابح على وجه الأرض، وما كانت الأموال تسلب، والأعراض تُهتك، والنفوس تزهق ظلماً، وما كان الجهل والأميَّة والتأخر والتفسخ منتشراً بين الأمة الإسلامية. وما كان في الأرض فقر ولاحرمان، ولااضطهاد ولاجوع.

نحن لانزال في شرح كلمات السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وقد طال بنا الكلام هنا، لأن الموضوع يتطلب شيئاً من التفصيل مع العلم أننا لم نؤد حق المقام.

فالبحث عن القيادة الإسلامية أو الإمامة الصحيحة بحث واسع يحتاج إلى موسوعة كبرى، وتحليل وتحقيق شاملين كاملين.

«وإمامتنا أماناً للفرقة» وفي نسخة: «لمّاً للفرقة» إمام على وزن كتاب هو المقتدى، انظر إلى إمام الجماعة كيف يقتدي به المأمومون في أفعال الصلاة من قيام إلى ركوع وسجود وهكذا، فهو مقتدى في أفعال محدودة، ولهذا يقال له: إمام صلاة الجماعة، أو إمام الجماعة في الصلاة.

والإمامة الكبرى التي هي الخلافة العظمى، منصب سماوي، ومنزلة تتعيّن من عند اللّه تعالى، لأنها تالية للنبوة من حيث العظمة والأهمية، انظر إلى أولياء اللّه كيف يسئلون اللّه تعالى أن يبلغهم تلك المنزلة الرفيعة والدرجة السامية.

فهذا ابراهيم الخليل (عليه السّلام) يأتيه النداء من عند اللّه تعالى: «إني جاعلك للناس إماماً» أي المقتدى به في أفعاله وأقواله، وأنه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها والقيام بأمورها، وتأديب جناتها، وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها، وليس المقصود من الإمامة ـ هنا ـ النبوة، لأن ابراهيم كان نبياً حينذاك وإنما أضاف اللّه له الإمامة إلى النبوة.

وأنت إذا أمعنت النظر في قوله تعالى: «إني جاعلك» يتضح لك أن تعيين الإمام يجب أن يكون من عند اللّه، ولايحق للناس أن يعيّنوا لأنفسهم إماماً حسب آرائهم الشخصية وهواياتهم الفردية.

وإذا تدبرت بقية الآية تنكشف لك حقائق أخرى وهي قوله: «ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين» أي لما أخبر اللّه إبراهيم بالإمامة قال ابراهيم: «ومن ذريتي» أي واجعل من ذريتي من يوشّح بالإمامة وبهذه الكرامة. قال تعالى: «لاينال عهدي الظالمين» قال مجاهد: العهد الإمامة، وقد روي ذلك عن الإمامين: الباقر والصادق (عليهما السّلام) أي لايكون الظالم إماماً للناس، وهذا يدل على عصمة الأئمة. لأن اللّه سبحانه نفي أن ينال عهده (الذي هو الإمامة) ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره.

وإذا تأملت في هذه الآيات البينات يتضح لك أن المناصب السماوية والوظائف الإلهية ينبغي أن تكون من عند اللّه تعالى وتعيينه وجعله، تدبّر في قوله تعالى:

يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض[1].

١ـ ص: ٢٦.

وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب[١].

ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً[٢].

وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا[٣].

إني جاعلك للناس إماماً[٤].

واجعلنا للمتقين إماماً[٥].

واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي[٦].

وغيرها من الآيات التي تتجلى فيها كلمة: (جعلنا) و(اجعلنا) و(جعلناهم) وما أشبه ذلك.

وهنا تقول الزهراء (عليها السّلام): «وإمامتنا» انها تقصد إمامة الأئمة الاثني عشر، وشخص زوجها العظيم أبا الأئمة علياً (عليه السّلام).

«والجهاد عزاً للإسلام» العزّة لاتحصل إلا بالقوة، وتظهر القوّة باستعمال السلاح واستعراض الجيش، وإظهار المعدّات الحربية، وتجلّي البطولات، وغير ذلك.

وأحسن استعراض للقوة وإثبات الشخصية هو الجهاد في سبيل اللّه، فالقوة والقدرة والإمكانية والتضحية، ومدى تعلق المسلمين بالمبدأ، والمواهب التي تظهر في جبهات القتال، وتظهر النتيجة بالانتصار والظفر والغلبة على أعداء الدين، واستيلاء الخوف على كل مناوىء للاسلام، والقوي لايخضع إلا للقوّة، لا للإنسانية فقط، ولا للثروة فقط، بل للقوّة، وهكذا تجتمع العزّة للأمة القوية، وللمبدأ الذي يعتنقه الأقوياء.

«والصبر معونة على استيجاب الأجر» الصبر على المكاره من فقر

١ـ العنكبوت: ٢٧.
٢ـ الفرقان: ٣٥.
٣ـ الأنبياء ٧٣.
٤ـ البقرة ١٢٤.
٥ـ الفرقان: ٧٤.
٦ـ طه: ٢٩.

إلى مرض إلى دَين إلى سجن إلى مصيبة يدل على التسليم لإرادة اللّه تعالى، والتسليم فضيلة سامية ومنزلة عالية يستعين بها الإنسان الصابر على تحصيل الأجر الجزيل، والثواب الأوفى، وبالصبر يتم فعل الطاعات وترك السيئات.

«والأمر بالمعروف مصلحة للعامة» فرض اللّه الأمر بالمعروف على كل مكلَّف في حدود القدرة والإمكانية بشروط معينة مذكورة في محلها، ويعتبر نوعاً من الجهاد، ومعنى ذلك أن كل فرد من أفراد المسلمين يعتبر نفسه مسؤولاً عن الدين مرتبطاً به، غير منفصل عنه، وهو تفسير عملي لقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» لأن الإسلام لايؤمن باللامبالاة وبالانعزال عن المجتمع الديني، لأن الإسلام يعتبر المسلمين أسرة واحدة مترابطة، وأمة واحدة يربطها رباط الدين والعقيدة.

«وبرّ الوالدين وقاية من السخط» وفي نسخة: «والبر بالوالدين وقاية من السخطة» ومعنى ذلك أن عقوق الوالدين يُسبب سخط اللّه وغضبه على العاق لوالديه، اذن يكون الإحسان إليهما سبباً للوقاية من غضب اللّه تعالى، وبعد إلقاء نظرة على الآيات التي توصي برعاية حقوق الوالدين تتضح لنا أهمية هذا الجانب الأخلاقي:

«ووصينا الإنسان بوالديه حسناً...[1].

يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين....[2].

واعبدوا اللّه ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً...[3].

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين

١ـ العنكبوت: ٨. ٢ـ البقرة: ٢١٥. ٣ـ النساء: ٣٦.

إحساناً...[١].

وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلاتقل لهما أفٍّ ولاتنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربٌّ ارحمهما كما ربياني صغيراً[٢].

ووصينا الإنسان بوالديه حملته أُمه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً...[٣].

ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أُمه كرهاً ووضعته كرهاً، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة قال رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضيه، وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين، أُولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون[٤].

بعد الانتباه إلى هذه الآيات ينكشف لنا معنى كلامها (عليها السّلام): وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وهذا البحث يتطلب مزيداً من الشرح والتفصيل، ولكننا إكتفينا بما تيسر.

«وصلة الأرحام منماة للعدد» وفي نسخة: «وصلة الأرحام منساة للعمر، ومنماة للعدد» إن للأعمال آثاراً طبيعية ولايمكن التخلف عنها، فالذي يصل رحمه ـ أي أقرباءه الذين تجمعه وإياهم رحم من أرحام

١ـ الانعام: ١٥١.

٢ـ الاسراء: ٢٣ و٢٤.

٣ـ لقمان: ١٤ ـ ١٥.

٤ـ الاحقاف: ١٥ ـ ١٦.

الأمهات ـ باللسان أو باليد أو بالمال لابد وأن يكون طويل العمر، كثير النسل والعدد، كثير المال، ولقد وردت أحاديث كثيرة متواترة جداً حول صلة الرحم، وانها تزيد في الثروة، وتؤخّر الأجل (أجل الموت).

وكذلك قطع الرحم يسبب قصر العمر وزوال المال.

ولقد شاهدنا في عصرنا الكثير من الناس الذين وصلوا أرحامهم فدرّت عليهم الأيام خيرها وبركاتها، وكثر عددهم ونسلهم مع العلم أن مؤهلات التكاثر لم تكن متوفرة فيهم.

كما قد رأينا الكثيرين من أبناء زماننا الذين قطعوا أرحامهم ـ أي قطعوا العلاقات الودية (بجميع أنواعها) مع أقربائهم ـ فكأنهم قطعوا جذور أعمارهم، وهدموا أُسس حياتهم وبقائهم بأيديهم فانقرضوا بعد أن افتقروا.

«والقصاص حقناً للدماء» لايوجد في سجلات القوانين في العالم كله قانون للمحافظة على حياة الناس كقانون القصاص، ولهذا قال تعالى: «ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب لعلكم تتقون»[1].

والعجب أن القضاء على حياة القاتل يعتبر إبقاءً وحفظاً لحياة الآخرين، إذ أن الأنسان ـ حينما يعزم على قتل أحد ظلماً ـ إذا علم أنه سوف يقتص منه، ويُقتل، فانه بالقطع واليقين سيمتنع من الإقدام على الجريمة، ولكنه إذا علم أن جزاءه السجن، وفي السجن الراحة والأكل والشرب، ورجاء شمول العفو، والتخفيف، أو دفع العوض والدية وما شابه ذلك من الرشوة وشفاعة الشافعين لدى السلطة الحاكمة، فعند ذلك تهون عليه الجريمة، ويستسهل الجناية. ويقدم على إراقة الدماء البريئة ظلماً وعدواناً.

ـــــــــــــــ

١ـ البقرة: ١٧٩.

إن قانون الكفار السائد في البلاد الإسلامية لايؤمن بالقصاص من القاتل، ويزعم القانون أن القصاص لايحيي المقتول فلافائدة في تكرار القتل، فوضعوا السجون والأعمال الشاقة عقوبة للقاتل، ومع ذلك تجد السجون في العالم مليئة بالمجرمين المرتكبين لجريمة القتل، وتجد جرائم القتل في التزايد والتكاثر في كل زمان وكل مكان.

والعجب أن اللّه تعالى يخاطب العقلاء بقوله: «يا اولى الألباب» ويعقبه بجملة: «لعلكم تتقون» يخاطب اللّه تعالى العقلاء الذين يفهمون ويعقلون أن القصاص أحسن رادع وأقوى مانع عن القتل، والقصاص أفضل وأحسن من السجن والتعذيب وما شابه ذلك.

ولكن القانون الإلهي أصبح مهجوراً متروكاً، والقانون الغربي هو القانون المفضَّل على أحكام اللّه تعالى، وبذلك فلتقرَّ عيون المسلمين!!

وكيف يرجو المسلمون لأنفسهم السيادة والعزة والاستقلال وهم أذناب وأتباع لليهود والنصارى في أحكامهم وقوانينهم بل وحتى في تاريخهم، فالتاريخ الهجري الإسلامي صار نسياً منسياً، والتاريخ الميلادي هو المعروف المتبع في البلاد الإسلامية حكومات وشعوباً؟!

هذا والكلام طويل يحتاج إلى مجال أوسع وتفصيل أكثر وبعد ذلك ما الفائدة في بث هذه الآلام والمآسي؟

فهل يحصل تغيير في الأنظمة الحكومية والقوانين المستوردة عندهم؟

لا أظن ذلك!!

«والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة» وفي نسخة: «بالنذور» النذر هو المعاهدة مع اللّه تعالى على فعل من الأفعال، فالوفاء بالنذر يعتبر وفاء بالمعاهدة كما قال تعالى: «ومن أوفى بما عاهد عليه اللّه فسيؤتيه أجراً

عظيماً» والانسان يجعل نفسه في معرض المغفرة عن طريق النذر والوفاء بالنذر.

«وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس» أوجب اللّه تعالى على البائع والمشتري أن يراعيا حقوق الناس، وأن لايبخسا الناس أشياءهم، وأن يعاملا الناس بالأمانة والعدالة، لابالظلم والخيانة، وذلك بعدم التلاعب في المكيال الذي يكال به الشيء من طعام وغيره أو الميزان الذي يوزن به الشيء.

«والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس» وفي نسخة: «والانتهاء عن شرب الخمور» لقد ذكرنا حول آية التطهير معاني عديدة للرجس، والخمر تعتبر من أفراد الرجس ومصاديقه كما قال تعالى: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» وقد كتب الكثيرون من المسلمين وغيرهم كتباً ومقالات حول أضرار الخمر، والجرائم المتولدة منها، والويلات التي تتكون منها، ونكتفي ـ هنا ـ أن نقول: بعد مراجعة معاني الرجس يتضح لك جانب كبير من مضار الخمرة من الناحية الصحية والعقلية والاجتماعية وغير ذلك.

«واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة» وفي نسخة: «واجتناب قذف المحصنات» إن الإسلام هو الدين الذي يحافظ على كرامات الناس، ويعتبر الإسلام المسَّ بالكرامة نوعاً من أنواع الجريمة، وقد جعل لهذه الجريمة عقوبة دنيوية، وعذاباً في الآخرة.

إن إسناد الفجور إلى أهل العفة والشرف من رجال أو نساء ليس بالشيء، الهيِّن، ولايسمح الإسلام أن يطلق الإنسان لسانه لهَدر كرامة الناس، وهتك أعراضهم ونواميسهم.

وإذا نسب الإنسان نوعاً من أنواع الفجور إلى من ليس معروفاً

بالفجور فلابدَّ من اثبات ذلك باقامة البينة والشهود، فان عجز عن ذلك فسوف ينفّذ في حقه قانون العقوبات.

قال تعالى: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبداً واولئك هم الفاسقون، إلاّ الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان اللّه غفور رحيم»[1].

وقال أيضاً: «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم»[2].

وهنا يتضح معنى كلامها (عليها السّلام): «واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة» أي أن الذي يجتنب قذف الناس أي إسناد الفجور إليهم فهو محجوب عن اللعنة ومعنى اللعنة: البعد عن رحمة اللّه تعالى.

«وترك السرقة ايجاباً للعفة» وفي نسخة: «ومجانبة السرقة» ان اليد تعتبر ثمينة غالية ما دامت أمينة عفيفة، فاذا سرقت فقد خانت فصارت رخيصة لاكرامة لها، لأنها تجاوزت الحدود.

سأل أبو العلاء المعري من السيد المرتضى علم الهدى (رضوان اللّه عليه):

يدٌ بخمس مئينٍ عسجد أوديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار؟

أي ان اليد التي ديتُها خمسمائة دينار ذهب لماذا تقطع إذا سرقت شيئاً قيمته ربع دينار؟

فأجابه السيد المرتضى قائلاً:

عِزُّ الأمانة أغلاها ، وأرخصها ... ذُلُّ الخيانة، فافهم حكمة الباري

إذن فالسرقة تسلب العفة من اليد، أي من صاحب اليد، وترك السرقة

١ـ النور: ٤ ـ ٥.　　٢ـ النور: ٢٣.

يوجب بقاء العفة والأمانة.

وفي كتاب (كشف الغمة) بعد قولها (عليها السّلام): «ومجانبة السرقة ايجاباً للعفة» هكذا: «والتنزه عن أكل أموال الأيتام والاستيثار بفيئهم إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام إيناساً للرعية» اليتيم هو الذي فقد أحد أبويه أو كليهما وهو صغير، ويرثهما في التركة، ونظراً لصغر سنّه لايستطيع المحافظة على أمواله وتدبير أموره، وهنا يطمع في أمواله ذوو الأطماع لأنهم استضعفوه، ولم يجدوا فيه القوة والقدرة على المقاومة، فهناك الظلم الواضح والاعتداء البغيض، ولكن اللّه تعالى قد قدَّر مصير هؤلاء الظالمين وجزاءهم في الآخرة، فقال تعالى: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» فجعل اللّه الاجتناب عن أكل أموال اليتامى حفظاً من الوقوع في الظلم الذي هذا جزاؤه وعقابه.

وأما جملة: «والاستيثار بفيئهم» فالمقصود من الفيء ـ هنا ـ : الغنيمة، أي خمس الغنائم أو ما أفاء اللّه على رسوله، وقد تقدم الكلام حول ذلك في مدخل الخطبة والآيات الواردة حول فدك.

«وعدل الحكام إيناساً للرعية» لقد تقدم في كلامها (عليها السّلام) شيء حول العدل بصورة عامة كالعدل بين الزوجات وبين الأولاد وبين الناس، وهنا تشير في كلامها إلى عدل الحكام، والمقصود من الحكام ـ هنا ـ السلطة الحاكمة من الملك إلى الوزراء إلى الأمراء إلى رؤساء الدوائر والمحافظين والقضاة والحاكمين، وأمثالهم من ذوي السلطة والقدرة.

ومن الطبيعي: أن أصحاب المناصب الخطيرة يشعرون أو يتصورون بهالة من الكبرياء تحيط بهم، وعلى هذا الأساس يرون أنفسهم أجل قدراً وأعظم شأناً وأرفع مستوى من غيرهم.

وأفراد الرعية يشعرون بشيء من البعد الواسع والبون الشاسع بينهم وبين الطبقة الحاكمة، فلايسمح لكل أحد أن يلتقي برئيس الدولة، أو يقابل موظفاً كبيراً، وخاصة إذا كان صاحب حاجة. وعلى الأخص إذا اعتدى عليه بعض الموظفين، وهذا يسبب التنافر بين الحكومة وبين الشعب. وبين جهاز الحكومة والمواطنين.

ولكن إذا سار الحكام على طريقة العدالة والمحافظة على حقوق الضعفاء تجد أن روح الأمل قد تولدت في نفس المظلوم، بل في نفوس أفراد الرعية، وينظر الإنسان من أفراد الشعب إلى جهاز الحكم كما ينظر الولد إلى أبيه، وكما ينظر الطالب إلى المعلّم، وكما ينظر المريض إلى الطبيب والممرّض، من حيث المحبة والتقدير. وبهذا يحصل الاستئناس بين أفراد الشعب وبين الطبقة الحاكمة، ويحصل التعاون والإخاء والإلفة والمحبة، وهكذا وهلم جرّاً.

ولولا رعاية أسلوب الكتاب لطال بنا الكلام حول هذا الموضوع الذي يشعر به أكثر الناس، وتتلهف إليه النفوس.

«وحرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبية» لأن الشرك نوع من الكفر، والواجب على العباد أن يعبدوا اللّه مخلصين له الدين.

ثم انها ختمت هذا الفصل من كلامها بآيات مناسبة للموضوع، وهي قوله تعالى: **«فاتقوا اللّه حق تقاته، ولاتموتن إلاّ وأنتم مسلمون»**.

«وأطيعوا اللّه فيما أمركم به ونهاكم عنه» فانه **«إنما يخشى اللّه من عباده العلماء»**.

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

ثم قالت: أيّها الناس!

إعلموا أني فاطمة!

وأبي محمد.

أقول عَوداً وبدءاً[1].

ولاأقول ما أقول غلطاً، ولاأفعل ما أفعل شططاً[2].

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنّتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»[3].

فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم[4].

وأخا ابن عمّي دون رجالكم.

ولنعم المعزيُّ إليه[5] (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

فبلّغ بالرسالة، صادعاً بالنذارة[6].

مائلاً عن مدرجة المشركين[7].

١ـ عوداً وبدءاً: آخراً وأولاً.

٢ـ شططاً: ظلماً وجوراً.

٣ـ التوبة: ١٢٨

٤ـ تعزوه: تنسبوه.

٥ـ المعزي إليه: المنسوب إليه.

٦ـ صادعاً: مظهراً. النذارة: الإنذار والتخويف.

٧ـ مدرجة المشركين: طريقهم ومسلكهم.

ضارباً ثَبَجهم[١]، آخذاً بأكظامهم[٢].

داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

يكسر الأصنام.

وينكت الهام[٣].

حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر.

حتى تفرّى الليل عن صبحه[٤].

وأسفر الحق عن محضه[٥].

ونطق زعيم الدين.

وخرست شقاشق الشياطين[٦].

وطاح وشيظ النفاق[٧].

وانحلّت عُقَد الكفر والشقاق[٨].

وفُهتم بكلمة الإخلاص[٩].

ونفرٌ من البيض الخِماص[١٠].

١ـ الثبج ـ بفتح الثاء والباء ـ : الكاهل، ووسط الشيء.

٢ـ الكظم: ـ بفتح الكاف والظاء ـ : الفم أو الحلق أو مخرج النفس.

٣ـ نكته على هامته: إذا ألقاه على رأسه.

٤ـ تفرّى: انشقّ.

٥ـ أسفر: إذا انكشف وأضاء. والمحض: الخالص.

٦ـ شقاشق ـ جمع شقشقة ـ وهي شيء يشبه الرئة يخرج من فم البعير إذا هاج.

٧ـ الوشيظ: الأتباع والخدم.

٨ـ الشقاق: الخلاف.

٩ـ فُهتم: تلفظتم.

١٠ـ البيض ـ جمع ابيض ـ والخماص ـ جمع خميص ـ وهو الجائع. وفي نسخة: «في نفر».

وكنتم على شفا حفرة من النار[١].
مذقة الشارب[٢]، ونهزة الطامع[٣].
وقبسة العجلان[٤].
وموطىء الأقدام.
تشربون الطرق[٥]، وتقتاتون القِدَّ والورق[٦].
أذلّةً خاسئين.
تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم.
فأنقذكم اللّه تعالى بمحمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).
بعد اللتيّا والتي.
بعد أن مُني بِبُهم الرجال[٧].
وذُؤبان العرب.
ومَرَدَة أهل الكتاب[٨].

١ـ شفا حفرة: جانبها المشرف عليها.
٢ـ المذقة ـ بضم الميم ـ شربة من اللبن الممزوج بالماء.
٣ـ النهزة ـ بضم النون ـ : الفرصة.
٤ـ قبسة العجلان: الشعلة من النار التي يأخذها الرجل العاجل.
٥ـ الطرق ـ بفتح الطاء وسكون الراء ـ : الماء الذي خوضته الإبل، وبوّلت فيه.
٦ـ تقتاتون: تجعلون قوتكم. القد ـ بكسر القاف ـ : قطعة جلد غير مدبوغ، ويحتمل أن يكون بمعنى القديد وهو اللحم المجفف في الشمس.
٧ـ مُنيَ ـ فعل ماضي مجهول ـ : ابتلي. والبهم ـ على وزن الغرف ـ جمع بهمة، وهو الشجاع الذي لايُهتدى من أين يؤتى.
٨ـ مردة ـ بفتح الميم والراء والدال ـ : جمع مارد وهو العاتي.

كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللّه.

أو نَجَمَ[١] قرن للشيطان.

أو فَغرت[٢] فاغرة من المشركين.

قَذَف أخاه في لهواتها[٣].

فلاينكفىء حتى يطأ صِماخها بأخمصه[٤].

ويخمد لهبها بسيفه[٥].

مكدوداً في ذات اللّه[٦].

مجتهداً في أمر اللّه.

قريباً من رسول اللّه.

سيداً في أولياء اللّه.

مُشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحا[٧].

وأنتم في رفاهية من العيش[٨].

وادعون فاكهون آمنون[٩].

١ـ نجم ـ فعل ماضي ـ : طلع. وقرن الشيطان: اتباعه.

٢ـ فغر: فتح. فاغرة فاها: أي فاتحة فمها.

٣ـ اللهوات ـ جمع لهاة ـ : لحمة مشرفة على الحلق في أقصى الفم.

٤ـ ينكفىء: يرجع. يطأ: يدوس. صماخها: أذنها. بأخمصه: بباطن قدمه.

٥ـ يخمد: يطفىء. لهبها: إشتعالها.

٦ـ المكدود: المتعب.

٧ـ شمّر ثوبه: رفعه. مجد ـ بضم الميم وكسر الجيم ـ : مجتهد والكادح: الساعي.

٨ـ رفاهية: سعة.

٩ـ وادعون: مرتاحون. فاكهون: ناعمون.

تتربصون بنا الدوائر [١].

وتتوكفون الأخبار [٢].

وتنكصون عند النزال [٣].

وتفِرّون من القتال.

١ـ الدوائر: العواقب المذمومة وحوادث الأيام.

٢ـ تتوكفون: تتوقعون بلوغ الأخبار.

٣ـ تنكصون: ترجعون وتتأخرون. والنزال: القتال.

فاطمة الزهراء تطالب حقها المغصوب

إلى هنا أنهت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) حديثها عن فلسفة الإسلام، وعن علل الشريعة الإسلامية، ثم عرَّجت على كلامها المقصود وهدفها المنشود، وهو المطالبة بحقها والتظلم من السلطة الحاكمة.

وقبل كل شيء وجّهت الخطاب إلى الشعب الحاضر في المسجد، في المؤتمر الإسلامي لأنهم بايعوا رئيس الدولة، ولم توجّه الخطاب إلى رئيس الدولة لأنه هو أحد طرفي المحاكمة، وهو المقصود بالمخاصمة والإدانة، ولهذا عرّفت نفسها للحاضرين كما هي الأصول المتبعة في المحاكمات ولأنها الطرف الآخر للمحاكمة، ولأنها تمثّل آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعترته الطيبين بل هي ملكة الإسلام، والمحاكمة وقعت بمحضر من المهاجرين والأنصار وغيرهم، وهم يومذاك من الشخصيات الإسلامية البارزة المرموقة ومن الوزن الثقيل.

وموضوع المحاكمة هي الأراضي والمقاطعات التي كانت تحت تصرّف السيدة فاطمة الزهراء منذ سنوات، ثم استولى عليها ابو بكر وصادرها بدون مبرر شرعي، ولهذا وجّهت السيدة فاطمة الزهراء كلامها إلى الحاضرين في ذلك المؤتمر، فقالت:

«أيها الناس إعلموا أني فاطمة» ذكرت إسمها للمستمعين، ذلك الإسم الذي لايجهله أحد، ذلك الإسم الذي سمعه الناس مراراً وتكراراً من فم الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) مشفوعاً بالعواطف النبوية،

مقروناً بكل تجليل وتعظيم وتقدير.

وهذه الكلمة: **«اعلموا اني فاطمة»** تشتمل وتحتوي على عشرات الصفحات من الشرح.

«وأبي: محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)» هذا النسب الشريف الأرفع، النسب الذي ليس فوقه نسب، النسب الذي هو مفخرة الكون، ودرّة تاج الوجود، وأشهر من الشمس.

نعم، إن فاطمة هي بنت محمد، سيد الأنبياء، أشرف الخلائق، أطهر الكائنات، أفضل المخلوقين.

نعم، بنت هذا العظيم تتكلم وتخطب. وتحتج وتتظلم.

لقد عرّفت نفسها لئلا يقول قائل: ما عرفناها، ولماذا ما صرّحت باسمها؟ ولماذا لم تعرّف شخصها؟ ولماذا لم تذكر نسبها؟

وبهذا أتمّت الحجة، ولم تُبق لذي مقال مقالاً، ذكرت اسمها الصريح ونسبها الواضح تعريضاً وتوبيخاً لهم.

نعم، ان فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) جاءت تطالب بحقوقها وأموالها التي صودرت وغصبت منها.

«أقول عوداً وبدءاً» أي أتكلم آخراً وأولاً، وأولاً وآخراً، وأنا على يقين بما أقول.

وفي نسخة: «عَوداً على بدء» والمعنى واحد.

«ولاأقول ما أقول غلطاً» وهو الخطأ في الكلام من كذب وخديعة ومغالطة.

«ولا أفعل ما أفعل شططاً» لا أتكلم جوراً وظلماً وتجاوزاً عن الحد.

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم» افتتحت هذا البحث بذكر أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأدمجت كلامها بكلام اللّه تعالى، ومعنى الآية: ان الرسول من العرب، يشق ويعزّ عليه وقوعكم في الشدّة لأجله، حريص على توفير وسائل السعادة لكم، بالمؤمنين من هذه الأمة رؤف رحيم، كلمتان مترادفتان، معناهما العطف واللطف والحنان.

«فإن تعزوه وتعرفوه» أي إن تنسبوه، وتقولوا فيه انه أبو مَن؟ وأخو مَن؟ وفي نسخة: «فإن تعزروه وتوقروه» أي تعظموه.

«تجدوه أبي دون نسائكم» نعم، أنا ابنته الوحيدة، وهو أبي، ولاتشاركني نساؤكم في هذا النسب الطاهر الأعلى.

«وأخا ابن عمي دون رجالكم» نعم، انه أخو زوجي، ولم يشارك أحد من رجالكم أبي في الأخوّة وليس المقصود ـ هنا ـ أخوّة النسب، بل الأخوّة التي حصلت يوم المؤاخاة حينما آخى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بين أصحابه، آخى بينه وبين علي، وكان الرسول ينوّه بهذه الأخوة في شتى المناسبات ومختلف المجالات، ويركّز على كلمة: (أخي) كقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ادعوا لي أخي، وأين أخي؟ وأنت أخي، وانه أخي في الدنيا والآخرة.

وكان علي (عليه السّلام) يعتزّ بهذه الأُخوّة والمؤاخاة، ويذكرها نظماً ونثراً، ومنه قوله (عليه السّلام):

أنا أخو المصطفى لاشك في نسبي ... معه ربيت، وسبطاه هما ولدي

وقوله:

محمد النبي أخي وصنوي ... وحمزة سيد الشهداء عمّي

وقوله:

ومَن حين آخى بين من كان حاضراً ... دعاني وآخاني وبيّن من فضلي

وقوله: أنا عبدالله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم لايقوله غيري إلاّ كذّاب[١].

«ولنعم المعزّي إليه (صلى الله عليه وآله وسلّم)» نِعم المنسوب إليه والمنتمى إليه، انه أشرف من ينتسب إليه، وأطهر من ينتمى إليه، لأنه علة الإيجاد، وبيُمنه رُزق الورى.

«فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة» بلّغ الرسول كل ما أُمر بتبليغه، مظهراً بالانذار والتخويف بعذاب الآخرة.

«مائلاً عن مدرجة المشركين» وفي نسخة: «ناكباً عن سنن مدرجة المشركين» أي عدل عن طريقة المشركين ومسلكهم.

«ضارباً ثبجهم» أي كان الرسول ضارباً كواهل المشركين وظهورهم، والمقصود جهاد الكفار والمشركين.

«آخذاً بأكظامهم» أي ممسكاً على أفواههم، أو مخارج أنفاسهم، وهي كناية عن إيقافهم عند حدّهم، وإحباط مؤامراتهم، وتفنيد أباطيلهم.

«داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة» كان يدعو إلى الله، لا إلى الدنيا، إلى سبيل ربه، لاسبيل غيره، ويراعي في دعوته مستويات الناس، فيدعو بالحكمة وهي المقالة الموضحة للحق والمزيحة للشبهة، هذا بالنسبة للطبقة الواعية المثقفة، ويدعو بالموعظة الحسنة وهي الخطابات المقنعة للنفوس، والعبر النافعة للحياة، وهذا بالنسبة للطبقة العامة.

ويجادلهم بالتي هي أحسن، وهي أحسن طرق المجادلة والتفاهم، وإقامة الأدلة والبراهين بالنسبة للمعاندين.

«يكسر الأصنام» التي كان المشركون يعبدونها ويعتبرونها آلهة من دون الله.

١ـ راجع كتابنا (علي من المهد إلى اللحد) للمزيد من المعلومات حول البحث.

«وينكت الهام» وفي نسخة: «ينكس الهام» إشارة إلى قتال رؤساء الكفر، وأقطاب الشرك وقمعهم وإذلالهم، وهم الذين كانوا يؤججون نيران الحروب، ويثيرون الفتن أمثال: شيبة وعتبة وأبي جهل ونظرائهم، أو إذلال المفسدين والمشاغبين، وفي نسخة: «ينكث الهام» أي يلقي الرجل على رأسه.

«حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر» أي استمر الكفاح والجهاد سنوات عديدة، تتكون خلالها الحروب والغزوات والاضطرابات حتى قضى الرسول على أصول الفتن وجراثيم الفساد فانكسرت شوكة الكفار، وضعفت معنوياتهم، وأخيراً حتى انهزم الجمع، أي جماعة الكفار، وأدبروا فارّين.

«حتى تفرّى الليل عن صبحه» حتى انجلت ظلمات الكفر السوداء، وتجلى صبح الإسلام الأبيض الناصع.

«وأسفر الحق عن محضه» أي ارتفعت الحواجز الباطلة التي حجبت الحق عن الظهور، فأضاء الحق الخالص الذي لايشوبه شيء من الباطل، وكلها كنايات عن تجمّع القوى الدينية.

«ونطق زعيم الدين» تكلم رئيس الدين فيما يتعلق بأمور الدين وأمور المسلمين بكل حرية وصراحة.

«وخرست شقاشق الشياطين» قد ذكرنا في شرح ألفاظ الخطبة أن الشقاشق ـ جمع شقشقة ـ شيء يشبه الرئة يخرج من فم البعير عند هيجانه، والمقصود من (خرست شقاشق الشياطين) هو تبخّر نشاطات المفسدين، واختناق أصواتهم.

«وطاح وشيظ النفاق» المقصود سقوط المنافقين عن الاعتبار، وفشل مساعيهم.

«وانحلت عُقَد الكفـر والشقـاق» أي فشلت المحاولات والمخالفات والاتفاقيات التي قام بها الكفار والمخالفون ضد الإسلام والمسلمين كما في غزوة الأحزاب.

«وفُهتم بكلمة الاخلاص» وتلفظتم بكلمة:(لا إله إلا اللّه) بألسنتكم.

«في نفر من البيض الخماص» أي بيض الوجوه من النور، الضامري البطون من التجوّع بسبب الصوم. أو الزهد.

ويمكن أن يكون المقصودمن هذين الوصفين أُناسامعيّنين،وهم الصفوة من أصحاب النبي(صلى اللّه عليه وآله وسلّم)أو أهل البيت(عليهم السّلام).

«وكنتم على شفـا حفـرة من النار» بسبب الكفر والشرك باللّه العظيم.

ثم أشارت (عليها السّلام) إلى الحياة الاجتماعية التي كان الناس يعيشونها في ذلك الوقت وهي الفوضوية واختلال النظام، والهرج الذي كان مستولياً على كافة جوانب الحياة، فقالت: **«مذقة الشارب»** إذا مرّ الإنسان الضمآن من مكان، ووجد ماءاً ليس له مالك، أو له مالك ولكنه لايستطيع الدفاع والمقاومة فانه يطمع أن يشرب من ذلك الماء ويبرّد غليله.

«ونهزة الطامع» وهكذا إذا مرّ الإنسان من مكان ووجد هناك طعاماً لامالك له، أو مالكه ضعيف فترى الجائع يطمع في ذلك الطعام، فينتهز الفرصة ويستوفي نصيبه من ذلك الطعام.

«وقبسـة العجلان» هي الشعلة أو الجذوة من النار يأخذها الرجل المسرع إذا احتاج إليها.

«وموطـىء الأقدام» وكنتم أذلاّء، مستضعفين تدوسكم الأقوياء بأقدامها.

«تشربون الطرق» الماء الذي كنتم تشربونه هو الماء المجتمع في

المستنقعات والحفائر تدخلها الحيوانات، وتبول فيها الإبل، مع العلم أن النفوس الشريفة تستقذر هذا الماء وتمجّه، ولاترضى به، ولكنه الجهل، ولكنه الاحساس بالنقص، والخضوع للمذلة والهوان، كأنهم لم يعرفوا حفر الآبار، أو تفجير العيون، أو إيجاد القنوات تحت الأرض ولا تسأل عن مضاعفات هذه المياه وتلوثها بأنواع الجراثيم، والميكروبات.

هذا ولاتزال الحياة بهذه الصفة موجودة في بعض البلاد الإسلامية المتأخرة عن ركب الدين والحضارة، كما تقرأ ذلك في بعض الصحف والمجلات.

«وتقتاتون القدّ والورق» أي كان قوتكم وطعامكم من القدّ وهو اللحم أو الجلد اليابس، وأوراق الأشجار، فالأراضي الواسعة الشاسعة قاحلة جرداء، لاضرع فيها ولازرع ومفهوم الزراعة غير موجود عندكم.

«أذلّة خاسئين» الخاسىء هو المنبوذ المطرود الذي لايُترك أن يدنو من الناس لحقارته.

«تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم» إن التفسخ والانحلال يؤدي إلى اختلال الحياة الاجتماعية وإلى الفوضوية وفقدان الأمن والامان، وسلب القرار والاستقرار والطمأنينة في النفوس، فالقوي يطمع في الضعيف، والكثير يأكل القليل، والغني يستعبد الفقير، فلايخاف أحد من القانون، ولايهاب العقاب، ولايخشى السلطة.

ونحن نرى أن حوادث الاختطاف والاغتصاب والإعتداء إنما تكثر في البلاد التي لايطبَّق فيها القانون على الجميع. ولاينفذ إلا في حق الفقير الضعيف، فالدماء تراق والأعراض تهتك، والأموال تسلب، والكرامات تُهدر، وهكذا وهلم جرّاً.

وقد اقتبست السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) هذه الآية من

القرآن[1] وأدمجتها في حديثها عن العهد الجاهلي.

«فأنقذكم الله بأبي (محمد) (صلى الله عليه وآله وسلّم)» انه المنقذ الأعظم والمصلح الأكبر الذي أنقذ العباد من تلك الحياة التي كانت تشبه الجحيم، وأصلح البلاد من تلك المفاسد والويلات والمصائب واحدث انقلاباً في العقائد والنفوس والأخلاق والعادات.

ولم تتحقق أهدافه إلا:

«بعد اللتيّا والتي» هذه الكلمة صارت مثلاً في هذه المناسبة، أي استطاع الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن يطهّر المجتمع، وينقذ الناس من مصائب الجاهلية بعد شقّ الأنفس، بعد أن تحمّل المشاكل وأنواع الاذى، بعد الضغط والكبت والاضطهاد.

«وبعد أن مُني بِبُهم الرجال» استطاع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) إنقاذ الناس بعد أن ابتلي بالرجال الأقوياء، والأبطال الشجعان الذين أججوا نيران الحروب، وحاربوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بكل ما يملكون من حول وقوّة وهم أكثر عدداً من المسلمين، وأكثر عدّة وعتاداً.

«وذُؤبان العرب» إن الإنسان إذا تجرّد عن الإنسانية والأخلاق والفضيلة فانه ينزل إلى مرتبة الحيوانات، فاذا فقد الفهم والعلم فانه يُشبّه بالحمار، وإذا فقد العاطفة والرأفة فانه يشبه بالسباع والحيوانات المفترسة، فيصح أن يقال في حقه: انه ذئب.

وهكذا أولئك السفاكون الذين كانوا يستأنسون بالمذابح والمجازر التي كانوا هم السبب في تكوينها، أولئك الذين كانت هواياتهم إثارة الفتن

١ـ وهي قوله تعالى: «وكنتم على شفا حفرة من النار». آل عمران : ١٠٣

وإيجاد الإضطرابات، أمثال أبي جهل وأبي سفيان ومن يدور في فَلَكهما.

وقيل: المقصود من الذؤبان ـ هنا ـ اللصوص والصعاليك، أي السفلة من الناس الساقطين.

إبتلي الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بهؤلاء المفسدين، إبدأ من غزوة بدر الى غزوة أُحد الى الخندق الى حنين وغيرها، تجد هؤلاء المفسدين كانوا في طليعة أسباب الفتنة والإضطرابات والمشاغبات، وحتى الحروب التي خاضها المسلمون مع اليهود كان هؤلاء هم السبب في إثارتها.

«ومردة أهل الكتاب» إشارة الى الحروب التي شبّ اليهود والنصارى نيرانها، أمثال: بني النضير، وبني قريظة، وبني قينقاع، وبني الأصفر في مؤتة؛

إن أهل الكتاب ـ وهم اليهود والنصارى ـ لو كانوا يتبعون الكتاب السماوي الذي أُنزل عليهم لما حاربوا الرسول، بل كانوا يسلمون على يديه في المرحلة الأولى، لأن أوصاف الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) مذكورة في كتبهم، وكان من السهل عليهم المقارنة بين تلك الصفات والعلائم وبين الرسول، وعند ذلك كانوا يجدون تلك الصفات تنطبق على الرسول مائة بالمائة، ولكن مردة أهل الكتاب وهم العتاة المتجبرون الذين منعهم الكبرياء من الخضوع للحق استمروا على عتوّهم وعنادهم وجحودهم.

«كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها اللّه» كانوا يحيكون المؤامرات ضد الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ويجمعون الجيوش والعساكر ويحضّون القبائل والعشائر على محاربة الرسول، فكانت المساعي فاشلة، وكان الإنتصار والغلبة والظفر حليفاً للرسول.

ولو استعرضنا تاريخ حياة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) منذ

البعثة حتى الوفاة لظهر لنا جانب كبير من إحباط المؤامرات والفشل الذريع الذي أحاط بأعداء الرسول.

«أو نَجَم قرن للشيطان» لو انكسر قرن الحيوان نبت له قرن آخر، وتقول السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام): إذا نهض أحد المفسدين للقيام بالأعمال الشيطانية، وهي المعاكسات والمقاومات التي كان المشركون يقومون بها ضد رسول اللّه.

وهذه الجملة عطفٌ على جملة: «كلما أوقدوا» أي كلما نجم قرن للشيطان أو **«فغرت فاغرة»** أو فتحت حية الكفر فمها لتلسع وتلدغ المجتمع الإسلامي:

«قذف أخاه في لهواتها» أي كان الرسول يقضي على تلك النشاطات الجهنمية، والنعرات الشيطانية، يقضي عليها بأخيه علي بن أبي طالب (عليه السّلام).

كان الرسول يأمر علياً أن يردّ عنه كتائب المشركين وعصابات المنافقين فكان علي (عليه السّلام) يخاطر بحياته، ويغامر بنفسه، ويستقبل أولئك الذئاب المفترسة، كان يقاتلهم وحده، ويخوض غمار الحرب، فيصح التعبير بقولها: «قذف أخاه في لهواتها» في فم الموت بين أنياب السباع تحت سيوف الأعداء، والرماح الشارعة، والسهام الجارحة.

«فلاينكفىء حتى يطأ صماخها بأخمصه» لايرجع علي (عليه السّلام) من جبهة القتال حتى يسحق رؤوس الأعداء، ويدوس هامات الرؤساء بباطن قدمه، كالمصارع الذي ينزل الى ساحة المصارعة فإذا تغلّب على خصمه وصرعه فلابدّ من أن يلصق المصارع ظهر خصمه أو رأسه على الأرض ليثبت أنه أنهى المصارعة بأوفى صورة.

كذلك علي (عليه السّلام) كان يهرول نحو الأعداء لايعرف معنى

للخوف، وكأنه مستميت، وكانّ غريزة حُب الحياة قد سُلبت عنه، وبيده صحيفة يقطر منها الموت، تراها راكعة ساجدة، على الرؤوس، والخواصر وكان يقدّ الأبدان نصفين طولاً أو عرضاً، ويفرى ويكسر ويهشم في طرفة عين، وقبل أن تنفجر الدماء من العروق كانت العملية قد انتهت.

«ويخمد لهبها بسيفه» كان يقضي على جراثيم الفساد، ويقلع الأشواك عن طريق المجتمع البشري، ويطفىء لهيب الحروب بسيفه السماوي، ويمهّد الطريق لكلمة: (لا اله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه).

«مكدوداً في ذات اللّه» قد أخذ التعب والعناء منه كل مأخذ، كل ذلك للّه وفي اللّه ولوجه اللّه وفي سبيل اللّه.

«مجتهداً في أمر اللّه» المجتهد ـ في اللغة ـ الذي يجهد نفسه أي يتعبها، كان علي (عليه السّلام) يبذل ما في وسعه وطاقته وجميع إمكانياته لتحقيق أهدافه السامية، وتحصيل أمنياته، وهي إعلاء كلمة اللّه.

«قريباً من رسول اللّه» ليس المقصود القرب المكاني، بل القرب المعنوي، من حيث قرابة النسب، وانسجام الروح، واندماج النفس واتحاد الإتجاه، ووحدة النفس، فعلي (عليه السّلام) نفس الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: «وأنفسنا وأنفسكم» وهل هناك قرابة أو نسب أقوى وأقرب من هذا؟

«سيداً في أولياء اللّه» وفي نسخة: «سيد أولياء اللّه» فيكون المقصود هو رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

«مشمّراً ناصحاً، مجداً كادحاً» هكذا تصف السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام زوجها العظيم، كأنه يشمّر عن ثيابه نشاطاً واستعداداً للعمل للاسلام ولصالح الإسلام، في سبيل إسعاد المسلمين. وبذل النصح، وهو حب الخير لهم، كان مجداً في العمل، ساعياً فيه، لايمنعه التعب عن

استمرار العمل.

نعم، كانت حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) كلها جهوداً وجهاداً، ونشاطاً وانتاجاً وإنجازاً وخدمة للاسلام والمسلمين، فمواقفه في جبهات القتال مشهورة، وأعماله الفدائية في سبيل الإسلام مذكورة، وتفانيه وتضحياته في سبيل اللّه معروفة.

«وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون» كان علي (عليه السّلام) يستقبل الأخطار والأهوال في الوقت الذي كان المسلمون بعيدين عن تلك الأخطار، مشغولين بأنفسهم يتمتعون بالراحة، ويتفكرون في تحصيل الملذات، وإشباع الرغبات، لايعرفون معنى الخوف.

أين كان المسلمون ليلة المبيت؟ تلك الليلة التي طوّق المشركون دار رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهم يريدون الهجوم عليه ليقتلوه؟

أما بات علي (عليه السّلام) على فراش رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يفديه بنفسه وحياته وشبابه؟!

أين كان المسلمون يوم أُحد حين انهزموا وتركوا الرسول في جبهة القتال، تحمل عليه عصابات الكفار والمشركين؟ وبقي علي (عليه السّلام) يقاوم الأعداء حتى ضرب الرقم القياسي في المواساة والتضحية، حتى هتف جبرئيل بفتوّته وبسالته، يوم هتف بين الأرض والسماء: لافتى إلاّ علي لاسيف إلاّ ذو الفقار.

وهكذا يوم حُنين، وهكذا يوم الخندق، وهكذا يوم خيبر وهكذا وهلمّ جرا.

قال علي (عليه السّلام): «ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال، وتتأخّر فيها الاقدام، نجدة أكرمني اللّه بها...».

«تتربصون بنا الدوائر» كان بعض أولئك الأفراد مندسّين في صفوف

المسلمين يتوقعون هلاك الرسول، وينتظرون نزول المكاره وحلول الكوارث برسول اللّه، والدوائر صروف الزمان، والعواقب السيئة، وتحوّل النعمة وزوالها، ونزول البلاء.

«وتتوكفون الأخبار» تتوقعون وصول الأخبار الدالة على هلاكنا.

«وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال» ففي يوم أُحد كانت المأساة من فرار المسلمين، ويوم حنين كانت الفضيحة ويوم خيبر كان العار منطبعاً على جبهات المنهزمين.

ولاتسأل عن يوم الخندق حين استولى الرعب على القلوب، والفزع على النفوس حينما برز عمرو بن عبد ودّ، فكفى اللّه المؤمنين القتال بعلي (عليه السّلام).

هذا ولو أردنا استعراض الأحداث التاريخية بهذا الشأن لطال بنا الكلام وخرج الكتاب عن أسلوبه.

وخلاصة القول: هذا موقف علي (عليه السّلام) تجاه الإسلام والرسول،وهذه مواقف غيره من أولئك الشخصيات التي ظهرت شجاعتهم بعد وفاة الرسول!وبرزت مواهبهم حين خلا لهم الجو،وساعدتهم الظروف على ما يحبون!.

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

فلمّا اختار اللّه لنبيّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) دار أنبيائه.
ومأوى أصفيائه.
ظهر فيكم حسكة النفاق[1].
وسمل جلباب الدين[1].
ونطق كاظم الغاوين[3].
ونَبَغَ خامل الأقلّين[4].
وهدَرَ فنيق المبطلين[5].
فخطر في عرصاتكم[6].
وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه[7] هاتفاً بكم.
فألفاكم لدعوته مستجيبين.
وللغرّة فيه ملاحظين[8].

١ـ الحسكة والحسيكة: الشوكة.
٢ـ سمل الثوب: صار خلقاً. والجلباب. ثوب واسع.
٣ـ كاظم الغاوين: الساكت الضال الجاهل.
٤ـ ظهر من خفي صوته واسمه من الأذلاّء.
٥ـ هدر البعير: ردد صوته في حنجرته. والفنيق: الفحل من الإبل.
٦ـ خطر: إذا حرّك ذنبه.
٧ـ المغرز ـ بكسر الراء ـ : ما يختفى فيه.
٨ـ الغِرة ـ بكسر الغين ـ : الانخداع. وملاحظين: ناظرين ومراعين.

ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً.

وأحمشكم فألفاكم غضابا[١].

فوسمتم غير إبلكم[٢].

وأوردتم غير شربكم[٣].

هذا والعهد قريب.

والكلم رحيب[٤].

والجرح لمّا يندمل[٥].

والرسول لمّا يُقبَر[٦].

إبتداراً زعمتم خوف الفتنة[٧].

ألا: في الفتنة سقطوا وإن جهنّم لمَحيطة بالكافرين.

فهيهات منكم!

وكيف بكم؟

وأنَّى تؤفكون[٨].

وكتاب اللّه بين أظهركم.

أُموره ظاهرة.

١ـ أحمشكم: أغضبكم.

٢ـ الوسم: الكي، وسمه: كواه.

٣ـ الشرب ـ بكسر الشين ـ : النصيب من الماء.

٤ـ الكلم: الجرح. ورحيب: واسع.

٥ـ اندمل: تراجع إلى البرء.

٦ـ يقبر: يدفن.

٧ـ ابتداراً: معاجلةً.

٨ـ تؤفكون: أي تُصرفون.

وأحكامه زاهرة.

وأعلامه باهرة.

وزواجره لائحة.

وأوامره واضحة.

وقد خلَّفتموه وراء ظهوركم.

أرَغبةً عنه تريدون؟

أم بغيره تحكمون؟

بئس للظالمين بدلاً.

ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

ثم لم تلبثوا إِلاَّ ريث أن تسكن نفرتها[١].

ويسلس قيادها[٢].

ثم أخذتم تُورون وقدتها، وتُهيّجون جمرتها[٣].

وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ.

وإِطفاء أنوار الدين الجلي.

وإِخماد سنن النبي الصفي.

تسرّون حسواً في ارتغاء[٤].

وتمشون لأهله وولُده في الخَمَر والضراء[٥].

٩ـ ريث: قدر.

٢ـ يسلس: يسهل.

٣ـ تورون: تخرجون نارها. تهيّجون: تثيرون.

٤ـ يأتي المعنى في شرح الخطبة.

٥ـ الخمر ـ بفتح الخاء والميم ـ : ما يسترك من الشجر وغيره.

ونصبر منكم على مثل حزّ المدى[1].

ووخز السنان في الحشى[2].

وأنتم ـ الآن ـ تزعمون أن لا إِرث لنا.

أفحكم الجاهلية يبغون؟

ومَن أحسنُ من اللّه حكماً لقوم يوقنون؟

أفلا تعلمون؟ بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.

أيها المسلمون! أأُغلب على إرثيه.

١ـ المدى ـ بضم الميم ـ : جمع مدية وهي الشفرة.

٢ـ الوخز: الطعن. والسنان: رأس الرمح.

التحدث عن فترة الانقلاب

ثم انتقلت الى التحدث عن فترة الإنقلاب الذي قام به الأفراد بعد وفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقالت:

«فلما اختار اللّه لنبيه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) دار انبيائه».

ما أروع هذه الكلمة!

وما أحسن هذا التعبير الراقي!

إذ أنها ما قالت: فلما مات النبي. بل قالت: «فلما اختار اللّه لنبيه دار أنبيائه» وهي الدرجات العلى في الجنة، فهناك الأنبياء، وهناك «مأوى أصفيائه».

«ظهرت فيكم حسكة النفاق» وفي نسخة: «حسيكة» وهي الشوكة، ويراد بها العداوة وهي عداوة النفاق، أي العداوة الحاصلة بسبب النفاق.

«وسمل جلباب الدين» وفي نسخة: «أسمل» وفي بعض النسخ: «جلباب الإسلام» أي ظهرت آثار الإندراس على ثياب الإسلام، بعد أن كانت في غاية الحسن والجمال والطراوة.

«ونطق كاظم الغاوين» وفي نسخة: «فنطق كاظم، ونبغ خامل» أي تكلم الذي ما كان يتجرأ أن يتكلم من جهة الخوف.

«ونبغ خامل الاقلّين» وفي نسخة: «الآفلين» والمقصود بروز الأفراد الساقطين غير النابهين.

«وهدر فنيق المبطلين» وفي نسخة: «فنيق الكفر» أي رفع البعير ـ الفحل الذي لايركب ـ صوته.

«فخطر في عرصاتكم» أي مشى ذلك البعير مشية المعجب بنفسه، مشية الكبرياء والغرور، وكلها كنايات عن ظهور النفاق الكامن في الصدور، وبروز النزعات والإتجاهات التي كانت مختفية في عصر الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وانقلاب الضعفاء العجزة أقوياء.

«وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم» تعتبر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تلك الأحداث نوعاً من التجاوب مع الشيطان الرجيم الذي حلف بقوله: «فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين، إلاَّ عِبادك منهم المخلصين» فالشيطان الذي كان فاشلاً في عهد الرسول يوم كان الإسلام في التقدم والقوة، الشيطان أخرج رأسه بعد أن كان مختفياً، أخرج رأسه كالقنفذ الذي يخرج رأسه عند زوال الخوف، وهتف بكم ودعاكم الى نقض البيعة التي تمت يوم الغدير، وسلب الحقوق عن أهلها وأصحابها الشرعيين.

«فألفاكم لدعوته مستجيبين» وفي نسخة: «فوجدكم لدعوته التي دعا إليها مجيبين» أي حينما هتف بكم الشيطان وجدكم كما يحب، وصدق عليكم ظنه.

«وللغرّة فيه ملاحظين» أي وجد الشيطان فيكم تجاوباً شديداً، وقبولاً للانخداع كالانسان الذي يقبل كل شيء يقال له، ويعمل كل شيء يؤمر به، بلاتفكر ولاتعقّل في الأمور.

«ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً» أمركم بالقيام معه فوجدكم مسرعين بدون تثاقل.

«وأحمشكم فألفاكم غضاباً» وفي نسخة: «فوجدكم غضاباً» أي

حملكم على الغضب ، وحرّضكم عليه فوجدكم تغضبون لغضبه ، أو تندفعون نحو الغضب على حسابه ولمصلحته، والمقصود:وجدكم الشيطان منقادين لأوامره، مطيعين له في كل الأحوال.

«**فوسمتم غير إبلكم**» فكانت النتيجة أنكم عملتم ما لايجوز لكم أن تفعلوه، وانتخبتم من ليس بأهل للانتخاب، واعطيتم مقاليد الأُمور الى غير أهلها، وخولّتم القيادة الى غير أكفائها.

«**وأوردتم غير شربكم**» وفي نسخة: «واوردتموها شرباً ليس لكم» كالراعي الذي ينزل إبله في عين ماء ليست له، والمقصود: انكم أخذتم ما ليس لكم بحق من الخلافة، والمراد التصرفات الشاذة التي قام بها الناس في تعيين الخليفة، وصرف الخلافة عن أهلها وأصحابها الشرعيين، لأن هذه التصرفات ليست من حقّ الناس، بل هي حقٌ خاص للّه سبحانه.

«**هذا والعهد قريب**» حَدَث كل هذا التغيير والحال أن العهد قريب، أي لم يمضِ زمن بعيد عن أيام الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذ من الممكن أن الدين يتغير، أو المسلمين ينسون الأوامر والتعاليم بسبب مرور الزمان، ولكن ـ هنا ـ ليس الأمر كذلك فإنه لم يمضِ على وفاة الرسول أسبوعان.

«**والكلم رحيب**» وجراحة القلب بسبب وفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لايزال فمها واسعاً، وهذا تعبير عن سعة الجراحة، والمقصود عِظَم المصيبة، وفظاعة الخطب.

«**والجرح لما يندمل**» أي لم يلتئم جرح مصاب وفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

«**والرسول لمّا يقبر**» أي ظهرت بوادر الإنقلاب قبل دفن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)، بل في تلك الساعات التي كان علي (عليه السّلام)

يغسّل الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ويكفنه، فاجتمعتم وصنعتم ما صنعتم.

«**ابتداراً زعمتم خوف الفتنة**» وفي نسخة: «بداراً» أي أسرعتم الى تلك الأعمال بكل استعجال، وتزعمون أنكم إنما فعلتم ما فعلتم وقاية عن وقوع الفتنة، ومعنى زعم: إدّعى شيئاً وهو يعلم كذبه، ومعنى زعمتم ـ هنا ـ : إدّعيتم أنكم فعلتم تلك الأفعال لئلا تقع الفتنة، وكنتم تعلمون أنكم كاذبون في هذا الإدعاء.

«**ألا: في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**» الفتنة أنتم، وأنتم الفتنة، وعملكم هو الفتنة المفسدة، غصبتم الحقوق عن أهلها لأجل الوقاية من الفتنة حسب ادعائكم، وأيّ محنة أعظم من تغيير مجرى الإسلام، وتبديل أحكامه، وغصب حقوق أهل البيت، ومعاملتهم بتلك القساوة والخشونة؟؟

وكان المناسب أن تقول السيدة فاطمة: إلاّ في الفتنة سقطتم. ولكنها ذكرت الآية الشريفة كما هي.

«**فهيهات منكم**» كلمة: (هيهات) معناها.البُعد، وكأنّها تستبعد تلك الأعمال منهم استبعاداً ممزوجاً بالتعجب من أنهم كيف أقدموا على تلك الأعمال، ومَن الذي يصدّق أن تلك الحثالة من الناس يقومون بتلك الجرائم العظيمة بالرغم من تصريح القرآن، وتصريحات الرسول الأكرم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وتوصياته في حق عترته وأهل بيته؟

«**وكيف بكم؟!**» تتعجب السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من ذلك التبدل في العقائد والسلوك، أي كيف فعلتم هذه الأعمال؟ وكيف تليق بكم تلك الجنايات؟!

«وأنّى تؤفكون؟!» أي الى أين صَرَفكم الشيطان عن طريقتكم المثلى، وحدا بكم إلى هذه الأعمال.

«وكتاب اللّه بين أظهركم» أي والحال أن القرآن لايزال موجوداً فيما بينكم، محفوفاً بكم، وفي نسخة: «وكتاب اللّه ـ عزّوجلّ ـ بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلائله، نيّرة شرائعه».

«أُموره ظاهرة» أي لايوجد في القرآن ما يوجب الشك والإرتياب، لأن أموره ظاهرة.

«وأحكامه زاهرة» متلألأة مشرقة.

«وأعلامه باهرة» أي العلامات التي يستدل بها على القرآن غالبة النور والضياء.

«وزواجره لائحة»أي نواهيه التي تزجركم عن اتباع الهوى واضحة.

«وأوامره واضحة» الأوامر التي تأمركم باطاعتنا، وتعلّم الأحكام منا، والإنقياد لنا ظاهرة.

«وقد خلّفتموه وراء ظهوركم» يا للأسف! أن القرآن الموصوف بهذه الأوصاف صار اليوم منبوذاً وراء ظهوركم، لاتعملون به ولاتأخذون بقوله.

«أرَغبة عنه تريدون؟» هذا استفهام توبيخي، لأن الإنسان إذا ألقى الشيء وراءه فمعناه أنه لايرغب اليه لهذا يدبر عنه.

تقول (عليها السّلام) كأنكم رفضتم العمل بالقرآن، أو لايعجبكم القرآن وأحكامه التي تزاحم هواياتكم وأهدافكم.

«أم بغيره تحكمون؟» أي تحكمون بغير القرآن من القوانين؟ إذ القرآن لايصلح للعمل عندكم؟

«بئس للظالمين بدلاً» بئس ذلك البدل الذي أخذتم به بدل القرآن،

وهو الحكم الباطل.

«ثم لم تلبثوا إلاّ ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها» وهنا شبهت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) الفتنة بالناقة أو الدابة الشاردة التي يصعب قيادها، أي الإستيلاء عليها بالركوب تقول (عليها السّلام) بعد استيلائكم على المقام الأسمى الأرفع الأعلى وهو مقام الخلافة لم تلبثوا حتي استتمت لكم الأمور، وهدأ الإضطراب، ثم شرعتم بالأعمال التخريبية.

«ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها» أي شرعتم بإثارة الفتن كالذي ينفخ في الجمرة حتى تلتهب، أو يحرك الجمرة حتى تشتعل وتظهر نارها، وتحرق الرطب واليابس، والمقصود من ذلك تلك المآسي التي قام بها أولئك الأفراد من سلب الإمكانيات من امير المؤمنين (عليه السّلام) وهجومهم على الدار، وما جرى على السيدة فاطمة وزوجها وولديها، ثم مصادرة أملاكها ومنعها عن الخمس والفيء، وغير ذلك مما ذكره المؤرخون وما لم يذكروه...

وخلاصة القول: أنكم قمتم بجرائم متسلسلة ومتعددة، بعضها أفجع وأفظع من بعض.

«وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي» لأن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير، ويحدثنا القرآن الكريم عن كلام الشيطان الغوي: «وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي»[1] نعم إن الأعمال التي قامت بها رجال السلطة ضد آل الرسول لم تكن إجابة واستجابة للّه ولرسوله، بل كانت استجابة للشيطان الغوي، وقد تقدم كلام

١ـ إبراهيم: ٢٢.

شبيه بهذا فيما سبق.

«وإطفاء أنوار الدين الجلي» للدين الإسلامي أنوار يهتدي بها الناس، وهي محاسن الأحكام والقوانين والروحانية التي يتمتع بها الدين، وهؤلاء يسعون لاطفاء تلك الأنوار.

«وإخماد سنن النبي الصفي» وفي نسخة: «إهماد» إي القضاء على طريقة الرسول وهنا تشبيه السنّة النبوية بالنور ، وتشبيه القضاء عليه بالإخماد.

«تسرّون حسواً في ارتغاء» هذه الجملة تشير الى قضية معروفة وهي إن اللبن ـ حينما يُحلب ـ تعلوه رغوة فيأتي الرجل فيُظهر أنه يريد شرب الرغوة فقط، ولكنه يشرب اللبن سرّاً، وبهذا يضرب المثل لمن يدّعي شيئاً ويريد غيره.

فهو يشرب اللبن سراً ولكنه يدّعي أنه يحسو الرغوة، فيقال: فلان يسرّ حسواً في ارتغاء. والإرتغاء شرب الرغوة.

هكذا تخبر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) عن الهدف الحقيقي لهؤلاء، أنهم يدّعون شيئاً ولكنهم يريدون شيئاً آخر، يدّعون الوقاية من وقوع الفتنة ولكنهم يريدون غلق بيت آل محمد، والقضاء على كيان أهل البيت.

«وتمشون لأهله وولُده في السراء والضراء» وفي نسخة: «في الخَمَر والضراء» والخَمَرَ ـ بفتح الخاء والميم ـ هو ما يسترك من الشجر وغيره، والضراء ـ بفتح الضاد وتخفيف الراء ـ : الشجر الملتف، أو الأرض المنخفضة، والمقصود: أنكم تؤذون أهل رسول اللّه وأولاده بالمكر والخديعة وبصورة سرية غير مكشوفة، ولهذه الغاية قطعتم عنهم موارد الرزق ليكونوا فقراء ضعفاء مسلوبي الإمكانيات كي لايميل إليهم أحد.

«ونصبر منكم على مثل حزّ المدى» نحن نصبر منكم على الأذى والمكاره التي تصلنا منكم كمن يصبر على تقطع أعضائه بالسكّين.

«ووخز السنان في الحشى» ومثل مَن طعنوه بسنان الرمح في أحشائه، أي ليست القضية سهلة حتى يمكن التغاضي عنها والتناسي، بل هي مأساة كبيرة، وجريمة عظيمة.

«وأنتم الآن تزعمون ان لا إرث لنا» وبعد هذا كله لتبرير موقفكم العدائي، وتغطية أعمالكم تزعمون أي تدّعون كذباً: أن لا إرث لنا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) تنكرون أهم الأُمور وأوضح الأشياء في الدين الإسلامي، وهو قانون الوراثة الثابت في القرآن والسنّة.

«أفحكم الجاهلية يبغون» وفي نسخة: «تبغون» أدمجت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) هذه الآية في حديثها كما هي عادتها بسبب استئناسها بتلاوة القرآن، تقول: إن إنكار الوراثة ليس في الحكم الإسلامي، فهل أعجبكم أن تحكموا بأحكام الجاهلية التي كانت تبعاً للأهواء الفردية، منبعثة عن أغراض شخصية، وهي حرمان البنات من الإرث، وتخصيص الإرث للذكور فقط.

«ومن أحسن من اللّه حُكماً لقوم يوقنون» آية أخرى أدمجتها في حديثها، وهل يوجد حكم أو قانون أحسن من الحكم الصادر من اللّه تعالى عند الذين يوقنون باللّه الحكيم؟ ويعتقدون بالإسلام؟

أليس القانون الإسلامي قد قضى على قوانين الجاهلية، فجعل الإرث للبنات والبنين؟

«بلى، تجلّى لكم كالشمس الضاحية اني ابنته» بلى.. الأمر واضح عندكم كالشمس التي تظهر في ضحوة النهار، في سماء صافية لاسحاب فيها ولاضباب، هكذا اتضح عندكم اني ابنته قطعاً وبلاشك.

«أفلا تعلمون؟» هذه الأمور وهذه الحقائق؟ أو: أفلا تعلمون أنّي ابنته.

«أيها المسلمون» الحاضرون المستمعون إلى خطابي، يا من رشحتم أبا بكر للخلافة!

يا أمة محمد، أنا بنت محمد، أنا ابنة رسول الإسلام.

«ءَ أُغلب على إرثيه؟» يغلبونني على أخذ ارثي وحقي؟ وفي نسخة: «ءَ أُبتز إرث أبيه» أيسلبونني إرث أبي؟ والهاء ـ هنا ـ للوقف والسكون.

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

يا ابن أبي قحافة!
أفي كتاب اللّه أن ترث أباك ولاأرث أبي؟؟
لقد جئت شيئاً فريّاً!![1].
أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه ونبذتموه وراء ظهوركم؟
إذ يقول:
«وورث سليمان داود»[2].
وقال ـ فيما اقتص من خبر زكريا ـ إذ قال:
«فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب»[3].
وقال:
«وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه»[4].
وقال:
«يوصيكم اللّه في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين»[5].
وقال:
«إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين»[6].

١ـ فريّا: أمراً عظيماً أو منكراً قبيحاً.
٢ـ النمل: ١٦.
٣ـ مريم: ٥ ـ ٦
٤ـ الأنفال: ٧٥.
٥ـ النساء: ١١.
٦ـ البقرة: ١٨٠.

وزعمتم أن لاحظوة لي؟[١]

ولا إرث من أبي!

أفخصَّكم اللّه بآية اخرج أبي منها؟

أم تقولون: إن أهل ملّتين لايتوارثان؟

أوَلستُ أنا وأبي من أهل ملَّة واحدة؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟

فدونكها مخطومة مرحولة[٢].

تلقاك يوم حشرك.

فَنِعم الحكَم اللّه.

والزعيم محمد.

والموعد القيامة.

وعند الساعة يخسر المبطلون.

ولاينفعكم إذ تندمون.

ولكل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يُخزيه، ويحلّ عليه عذاب مقيم.

ثم رَمَت بِطَرفها نحو الأنصار فقالت:

يامعشر النقيبة.

وأعضاد الملَّة.

وحَضَنَة الإسلام[٣].

١ـ الحظوة: النصيب.

٢ـ ناقة مخطومة ومرحولة، الخطام ـ بكسر الخاء ـ : الزمام ومرحولة من الرحل وهو للناقة كالسرج للفرس.

٣ـ حضنة: جمع حاضن بمعنى الحافظ.

ما هذه الغَميزة في حقّي؟[١].

والسِّنَة عن ظلامتي؟

أما كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أبي يقول:

«المرء يُحفظ في وُلده»؟

سرعان ما أحدثتم.

وعجلان ذا إهالة.

ولكم طاقة بما أحاول.

وقوّة على ما أطلب وأزاول[٢].

أتقولون: مات محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

فخطب جليل.

استوسع وهنه[٣].

واستنهر فتقه[٤].

وانفتق رتقه.

واظلمت الأرض لغيبته.

وكسفت النجوم لمصيبته.

واكدت الآمال[٥].

وخشعت الجبال.

وأُضيع الحريم[٦].

١ـ الغميزة: الضعف أو الغفلة.

٢ـ أُزوال: أقصد.

٣ـ استوسع وهنه: اتسع غاية الاتساع وهنه وفي نسخة: وهيه أي شقّه وخرقه.

٤ـ كالمعنى المتقدم.

٥ـ أكدت: انقطعت.

٦ـ الحريم: ما يحميه الرجل ويقاتل عنه.

وأُزيلت الحرمة عند مماته.

فتلك ـ واللّه ـ النازلة الكبرى[١].

والمصيبة العظمى.

لامثلها نازلة.

ولابائقة عاجلة[٢].

اعلن بها كتاب اللّه ـ جل ثناؤُه ـ في أفنيتكم[٣].

في ممساكم ومصبحكم.

هتافاً وصراخاً.

وتلاوة وألحاناً.

ولَقبلَه ما حلَّ بأنبيائه ورُسله.

حكم فصل، وقضاء حتم.

«وما محمد إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ اللّه شيئاً وسيجزي اللّه الشاكرين»[٤].

١ـ النازلة: الشديدة.

٢ـ البائقة: الداهية.

٣ـ أفنيتكم: جمع فناء ـ بكسر الفاء ـ جوانب الدار من الخارج أوالعرصة المتسعة أمام الدار.

٤ـ آل عمران: ١٤٤.

فاطمة الزهراء تخاصم الرئيس

«يابن أبي قحافة» هنا وجّهت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) خطابها إلى رئيس الدولة، ولم تقل له: يا خليفة رسول اللّه لأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يستخلفه، ولم تخاطبه بالكنية (يا أبا بكر) لأنه تعظيم له، وانما قالت له: يابن أبي قحافة. وسيتضح لك وجه هذا النسب،في المستقبل في شرح كلماتها مع زوجهاأميرالمؤمنين(عليه السّلام).

«أفي كتـاب اللّه ان ترث أباك ولا أرث أبي؟» بأي قانون ترث أباك إذا مات ولاارث أبي إذا مات؟؟ هل تعتمد على كتاب اللّه في منعي عن إرث أبي؟

«لقد جئت شيئاً فرياً» لقد جئتَ بافتراء عظيم، وكذب مختلق على القرآن.

لقد ذكرنا ـ فيما مضى ـ أن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) كانت تستحق فدكاً عن طريق النحلة وعن طريق الإرث، فلما طالبت بفدك عن طريق النحلة وأقامت الشهود على ذلك صنعوا ما صنعوا والآن جاءت تطالب بفدك عن طريق الميراث.

«أفعلى عمد تركتم كتاب اللّه ونبذتموه وراء ظهوركم؟» أليس هذا القرآن موجوداً عندكم؟ فلماذا تركتم العمل به وطرحتموه وراءكم؟

«إذ يقول: وورث سليمان داود» أليس هذا تصريحاً بقانون التوارث والوراثة بين الأنبياء؟ أما كان سليمان وابنه داود من الأنبياء؟

ان السيدة فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فهمت من الآية أن معنى: «وورث سليمان داود» هو إرث المال، وهكذا فهم أبو بكر وهكذا جميع المسلمين الحاضرين يومذاك وهم يستمعون إلى كلام السيدة فاطمة، هؤلاء كلهم قد فهموا أن المقصود من الإرث في هذه الآية هو إرث المال، ومعنى ذلك أن سليمان ورث أموال أبيه داود، ولم يفهموا غير هذا.

وهكذا الكلام في قوله تعالى ـ فيما اقتص من خبر زكريا ـ : «فهب لي من لدنك وليّاً يرثني ويرث من آل يعقوب» ان زكريا (عليه السّلام) سأل من اللّه تعالى أن يرزقه ولداً يرثه المال.

ولكن بعد قرون عديدة جاء المدافعون عن السلطة، فقالوا: في تفسير الآيتين: ورث سليمان داود العلم لا المال، وهكذا: ولياً يرثني العلم لا المال، وهم يقصدون بهذا التفسير تأييد الذين حرموا السيدة فاطمة من ميراث أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولابأس أن نتحدّث ـ بما تيسر ـ حول الآيتين لعلّنا نصل إلى نتيجة مطلوبة:

أولا: لفظ الإرث والميراث يستعمل شرعاً وعرفاً ولغة في المال، فاذا قلنا: فلان وارث فلان. فالظاهر أنه وارثه في المال. لا أنه وارثة في العلم أو المعرفة، إلا إذا كانت هناك قرينة أي دليل يدل على ارث العلم والمعرفة كقوله تعالى: «وأورثنا بني اسرائيل الكتاب» وقوله: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

فأما قوله: **«وورث سليمان داود»** فالمقصود ارث المال لا إرث العلم والملك وما شابه، لأن سليمان كان نبياً في حياة أبيه داود، كما قال تعالى ـ في قصة الزرع الذي نفشت فيه غنم القوم ـ «ففهّمناها سليمان، وكلاًّ آتينا

حكماً وعلماً...»[1] وقد ذكر الزمخشري في الكشاف ج٢٣ في تفسير قوله تعالى: «إذ عُرض عليه بالعشي الصافنات الجياد» روي أن سليمان غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس، وقيل: ورثها من أبيه، وأصابها أبوه من العمالقة، وقال البيضاوي: وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها... الى آخره.

فانك تجد أن سليمان ورث أباه داود تلك الخيول والأفراس، وورثه غيرها من التركة والأموال التي تركها داود، وبهذين القولين ثبت أن سليمان لم يرث العلم والنبوة من أبيه داود لأن سليمان كان نبياً في زمان أبيه داود كما كان هارون نبياً في زمان أخيه موسى بن عمران (عليهما السّلام) وثبت أيضاً أن سليمان ورث أباه داود المال.

وأما ما يتعلق بدعاء زكريا (عليه السّلام) ربه: «فهب لي من لدنك ولياً يرثني» فقد قال بعض الشواذ: يرثني نبوتي، فهو يريد نفي الوراثة عن الأنبياء، ولكن الآية الكريمة بنفسها تكشف الحقيقة عن مراد زكريا. فقوله: «واجعله رب رضياً» يدل على أنه ليس المقصود إرث النبوة لأنه يكون المعنى أن زكريا سأل ربه أن يهب له ولياً يرثه النبوة ويكون ذلك الولي مرضياً عند اللّه، وهذا كقول القائل: اللهم ابعث لنا نبياً واجعله عاقلا مرضياً في أخلاقه. وهذا لغو وعبث، ولايستحسن من زكريا أن يسأل ربه أن يجعل ذلك النبي رضياً أي مرضياً في أخلاقه، لأن النبوة أعظم من هذه الصفات، وجميع هذه الصفات تندرج تحت النبوة، وقد قال فخر الدين الرازي: إن المراد بالميراث في الموضعين (الآيتين) هو وراثة المال.

وللمفسرين كلام حول دعاء زكريا (عليه السّلام) لابأس بذكره ملخصاً:

١ـ الأنبياء: ٧٩.

قال الطبرسي في (مجمع البيان) في تفسير الآية: ويقوّي ما قلنا أن زكريا صرّح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله: «واني خفت الموالي من ورائي» وإنما يطلب وارثاً لأجل خوفه، ولايليق خوفه منهم إلاّ بالمال دون النبوة والعلم، لأنه (عليه السّلام) كان أعلم باللّه تعالى من أن يخاف أن يبعث اللّه نبياً ليس بأهل للنبوة، وأن يورث علمه وحكمته من ليس لهما بأهل، ولأنه إنما بُعث لإذاعة العلم ونشره في الناس، فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته؟

فان قيل: ان هذا يرجع في وراثة المال، لأن في ذلك إضافة الضن والبخل إليه.

قلنا: معاذ اللّه أن يستوي الأمران، فان المال قد يُرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح، ولايمتنع أن يأسى على بني عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لاينبغي، بل في ذلك غاية الحكمة، فان تقوية الفسّاق وإعانتهم على أفعالهم المذمومة محظورة في الدين، فمن عدّ ذلك بخلاً وضناً فهو غير منصف وقوله: «خفت الموالي من ورائي» يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم وأفعالهم ومعاني فيهم لا من أعيانهم..) انتهى كلامه.

لقد تلخص من مجموع الأقوال أن المقصود من الوراثة في آية سليمان بن داود وآية زكريا هو وراثة المال، والنتيجة أن الوراثة كانت بين الأنبياء.

«وقال: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه» أي وذووا الأرحام والقرابة بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم، وهذه الآية عامة في التوارث بين الأرحام والأقارب.

«وقال: يوصيكم اللّه في أولادكم للذكر مثل حظ الأُنثيين» أي

يأمركم اللّه ويفرض عليكم في توريث أولادكم إذا متّم للإبن مثل نصيب البنتين وهذه الآية أيضاً عامة في جميع المسلمين بلاتخصيص للأنبياء انهم لايورّثون أولادهم.

«وقال: ان ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين» إن الآية هكذا: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً...» أي ان ترك مالاً، وهذه آية ثالثة عامة في الوراثة وليس فيها تخصيص للأنبياء، أو نفي الوراثة بين الأنبياء.

«وزعمتم أن لاحظوة لي» أي ادَّعيتم، وفي نفس الوقت تعلمون أنكم كاذبون، إدَّعيتم أن لا نصيب ولا منزلة لي **«ولا إرث من أبي»** رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) «ولارحم بيننا» ولاقرابة ولاصلة، لأنكم أنكرتم الوراثة الثابتة بيني وبين أبي،فقدأنكرتم كل صلةوعلاقةوقرابةبيني وبين أبي.

«أفخصكّم اللّه بآية أخرج منها أبي؟» وفي نسخة: «أفَحكَم اللّه بآية» إن آيات الإرث عامة وشاملة لجميع المسلمين، فهل استثنى اللّه أبي من آيات الإرث فلاوراثة بين النبي وأهله؟

«أم تقولون: إن أهل ملّتين لايتوارثان؟» فالكافر لايرث المسلم؟

«أو لست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟» هل تشكّون في إسلامي وكوني مسلمة، وعلى شريعة الإسلام؟

يا للمصيبة!

لقد بلغ الأمر ببضعة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وابنته الوحيدة وسيدة نساء العالمين أن تتكلم هكذا، وتحتج بهذا المنطق؟ فانا للّه وإنا إليه راجعون.

«أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟» إنّ آيات الإرث عامة فان كانت مخصِّصة للرسول كان الرسول يعلم ذلك،

ويخبر ابنته، مع العلم انه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم يخبر ابنته ولا غيرها من الناس بهذا الحكم الخاص، وهل من المعقول أن يُخفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) هذا الحكم من ابنته مع شدة اتصالها به وكثرة تعلّقه بها، وشدة الحاجة إلى بيان الحكم لها لئلا تطالب بالإرث بعد وفاة ابيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

تقول السيدة فاطمة: أم تقولون: أنكم أنتم أعلم بالقرآن وآياته الخاصة والعامة من أبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي نزل القرآن على قلبه؟

أم أنتم أعلم من ابن عمي علي بن أبي طالب باب مدينة علم الرسول؟

إذ لو كان الأمر هكذالكان زوجي يخبرني، وما كان يأمرني أن أحضر في المسجد وأطالب بحقوقي وإرث أبي.

هذه جميع الصور التي يمكن أن يتصورها الإنسان في هذه المسألة، وكلها منتفية، إذن فالقضية سياسية، وليست دينية، بل هي مؤامرة ضد آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ومحاربة اقتصادية لتضعيف جانبهم الاقتصادي.

«فدونكها مخطومة مرحولة» إلى هنا كان الخطاب عاماً لجميع المسلمين الحاضرين في المسجد وهنا وجّهت خطابها إلى رئيس الدولة وحده، وقالت: «فدونكها» أي خذها، خذ فدك وشبّهت فدك بالناقة التي عليها رحلها وخطامها، والرحل للناقة كالسرج للفرس، والخطام: الزمام، والمقصود: خذ فدك جاهزة مهيَّأة، وفي هذا الكلام تهديد، وهذا كما يقال للمعتدي: افعل ما شئت، وانهب ما شئت هنيئاً مريئاً.

ولهذا أردفت كلامها بقولها: **«تلقاك يوم حشرك»** إشارة إلى أن الإنسان يرى أعماله يوم القيامة قال تعالى: «ووجدوا ما عملوا حاضراً».

«فنِعم الحَكم اللّه» في ذلك اليوم الحكم للّه الواحد القهار، لالك، للّه الذي لايجور، الذي لايخفى عليه شيء من مظالم العباد.

«والزعيم محمد» المحامي الذي يخاصمك هو سيد الأنبياء، وهو أبي، يطالبك بحق ابنته فاطمة.

«والموعد القيامة» وهو يوم الفصل الذي كان ميقاتاً، وعند اللّه تجتمع الخصوم.

«وعند الساعة يخسر المبطلون» يخسر الذين ادّعوا الباطل، وادّعوا ما ليس لهم.

«ولاينفعكم إذ تندمون» لاينفع الندم في ذلك اليوم، اذ الانسان قد يندم في الدنيا على عمله فينفعه الندم إذ انه لايعود إلى ذلك العمل، ولكن في القيامة لاينفع الندم إذ لاعمل هناك وانما هو الحساب.

«ولكل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم» وهذا تهديد بعذاب الآخرة. الدائم المستمر.

« ثم رَمَت بطرفها نحو الأنصار» وهم أهل المدينة الذين نصروا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لما هاجر من مكة إلى المدينة، واستنصرتهم بعد أن ذكّرتهم بسوابقهم المشرقة في عهد الرسول.

«وقالت: يا معشر النقيبة» أيتها الطائفة النجيبة، وفي نسخة: «يا معاشر الفتية» نسبت إليهم الفتوة والشهامة كي تهيّج عزائمهم وعواطفهم.

«وأعضاد الملة» أعوان الدين.

«وحضَنَة الإسلام» أيها الحافظون على الإسلام، احتضنتم الإسلام كما تحتضن المرأة ولدها أو كما يحتضن الطائر بيضه.

«ما هذه الغميزة في حقي؟» ما هذا التغافل والسكوت عن حقي؟

«والسِنة عن ظلامتي؟» السنة ـ بكسر السين ـ الفتور في أول النوم.

والظلامة: ما أخذه الظالم منك فتطلبه عنده، وتصف السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) سكوتهم عن إسعافهم بالسِّنة التي هي مقدمة للنوم الذي يفقد النائم فيه الشعور.

نعم، انه موت الضمير، وتعطيل الإحساس، وركود العاطفة، وفقد الإنسانية.

«أما كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أبي يقول: «المرء يُحفَظ في ولده؟» أي تحفظ كرامة الإنسان بحفظ كرامة أولاده ورعاية حقوقهم، كما قيل: «لأجل عين ألف عين تُكرم» أليس رسول اللّه أبي؟ ألستُ ابنته؟ أما ينبغي لكم أن تحترموا مكانتي لأجل رسول اللّه؟ (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

وفي نسخة: «أما كان لرسول اللّه أن يُحفَظ في وُلده؟» أما كان يستحق رسول اللّه أن تحفظ الأمة كرامته في أولاده وذريته؟

«سرعان ما أحدثتم» تتعجب السيدة فاطمة الزهراء من إسراعهم في إحداث الأمور، والاعتداء على آل الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

«وعجلان ذا إهالة» هذه الكلمة تشير إلى قضية ويضرب بها المَثَل، وهي أن رجلاً كان له نعجة عجفاء هزيلة، يسيل مخاطها من منخريها، فقيل له: ما هذا؟ قال: سرعان ذا إهالة. والإهالة: الشحم، أو الشحم المذاب، وتستعمل هذه الكلمة لمن يخبر بالشيء قبل وقته، والمقصود: انكم دبَّرتم الأمور ضدّنا بكل استعجال وبكل سرعة.

«ولكم طاقة بما أحاول» عندكم قدرة وإمكانية لإسعافي ومساعدتي ونُصرتي في استرجاع حقوقي المغصوبة التي أقصد استردادها.

«وقوة على ما أطلب وأُزاول» لستم ضعفاء عاجزين عن حمايتي والدفاع عني، فما عذركم؟ ما سبب سكوتكم؟ ما هذا التخاذل؟

«أتقولون: مات محمد» ومات دينه،وماتت كرامته وحرمته، وماتت المفاهيم المثلى، وخلى الجو؟

أهذا جزآكم علينا أهل البيت؟

«فخطب جليل» فأمر عظيم شديد، لأن موت العظماء عظيم، وفي نسخة: «أتزعمون مات رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أيتم دينه، ها ان موته لعمري خطب جليل».

ثم جعلت (عليها السّلام) تصف فظاعة المصيبة ومدى عظمتها، وتأثيرها في النفوس، فقالت:

«استوسع وهنه» وفي نسخة: «استوسع وهيه» كالحصن الذي اتّسع شقه «واستنهر فتقه» كالطعنة التي توسع الشق في البدن.

«وانفتق رتقه» انشق المكان الملتئم منه، والضمائر الثلاثة ـ في وهنه وفتقه ورتقه ـ تعود إلى الخطب.

«وأظلمت الأرض لغيبته» من الطبيعي أنه كان نوراً تستضيء به الأرض ومن عليها، وبوفاته أظلمت الأرض، وتجد في القرآن آيات كثيرة تعبّر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالنور كقوله تعالى: (قد جاءكم من اللّه نور وكتاب مبين»[1].

«وكسفت النجوم لمصيبته» ان الضوء الذي تراه على وجه القمر وعلى بقية النجوم ما هو إلا انعكاس لنور الشمس على القمر والنجوم، فاذا زال نور الشمس انكسفت النجوم وزال عنها الضوء.

«وأكدت الآمال» أي أنقطعت الأمال التي كانت منوطة برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بسبب وفاته، وذلك كما يقال: خابت الظنون

١ـ المائدة: ١٥.

وانقطعت الآمال.

«وخشعت الجبال» من هول الفاجعة، وعظم الواقعة، حتى الجمادات تتأثّر بالحوادث العظيمة، كما قال تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية اللّه»[1].

«وأُضيع الحريم» الحريم: ما يحميه الرجل ويقاتل عنه، والمقصود ـ هنا ـ حريم آل الرسول وهم عترته الطيبة.

نعم، ضاع حريمه أيّ ضياع! وانتهكت حرمته أي انتهاك!

«وأُزيلت الحرمة عند مماته» وفي نسخة: «أُديلت الحرمة عند مماته» أي غُلبت (بضم الغين وكسر اللام).

«فتلك ـ واللّه ـ النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى» ان مصيبة وفاة العظماء تكون عظيمة، فكلما كانت عظمة المتوفى أكثر كانت مصيبة وفاته أعظم وأفجع، ولقد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أشرف مخلوق وأعظم إنسان، وأطهر كائن فبالطبع تكون وفاته نازلة كبرى ومصيبة عظمى.

«لامثلها نازلة» لاتوجد في العالم مصيبة كبيرة كمصيبة وفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لأنه لايوجد في العالم موجود كرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

«ولابائقة عاجلة» أي لامثلها داهية في القريب العاجل، إذ من الممكن أن تحدث في العالم حادثة أعظم وقعاً من وفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهي حادثة قيام الساعة وقيام القيامة.

ولقد وصف الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السّلام) مصيبة وفاة

١ـ الحشر: ٢١.

الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بقوله: «فنزل بي من وفاة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتي ما بين جازع لايملك جزعه، ولايضبط نفسه، ولايقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، وأذهل عقله، وحال بينه وبين الفهم والإفهام، والقول والاستماع».

«أعلن بها كتاب اللّه ـ جل ثناؤه ـ في أفنيتكم» أعلن القرآن الكريم بوفاة الرسول في جوانبكم ونواحيكم، أي كان القرآن يُتلى آناء الليل واطراف النهار، وأصوات التلاوة مرتفعة من المسجد ومن البيوت والمساكن، وفي نسخة: «في قبلتكم» والمقصود المسجد أو المصلّى الذي يتلى فيه القرآن.

«في ممساكم ومصبحكم» مساءً وصباحاً كنتم تسمعون الآيات التي تخبر عن وفاة الرسول **«هتافاً وصراخاً»** كان الإعلان بوفاة الرسول بأنواع مختلفة: بالهتاف وهو القراءة مع الصوت، وبالصراخ وهو القراءة بالصوت الشديد.

«وتلاوةً وألحاناً» بالتلاوة إذا كانت القراءة سريعة وبالإلحان إذا كانت بتأمّل وتأنّي **«ولقبله ما حلَّ بانبيائه ورسله حكم فصل، وقضاء حتم»** ان الموت الذي حلّ بالأنبياء الذين كانوا قبل الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان من الأحكام المقطوع بها، التي لاشك فيها، والقضاء الذي لايقبل التغيير، والمقصود: ان الموت هو سنّة اللّه في عباده من انبياء وغيرهم.

ثم استدلّت على كلامها بقول اللّه تعالى: **«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللّه شيئاً وسيجزي اللّه الشاكرين»** ووجه

الاستدلال بالآية ان محمداً رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقد مضت من قبله الأنبياء، ومات قبله المرسلون، إذاً : فالموت ليس بشيء عجيب بالنسبة للرسول، بل على هذا جرت سُنَّة اللّه في انبيائه، انهم يذوقون الموت كبقية الخلائق، وهذا لايعني أنه إذا مات ماتت شريعته ومات دينه، وذهبت كرامته وحرمته.

«أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» اي فان أماته اللّه أو قتله الكفار ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم، فسمّى الإرتداد انقلاباً على العقب، والرجوع الى القهقرى.

«ومن ينقلب على عقبيه» أي: يرتدًّ عن دينه **«فلن يضرّ اللّه شيئاً»** بل المضرّة عائدة على المرتد **«وسيجزي اللّه الشاكرين»** المطيعين.

خطبة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

إيهاً بني قيلة![1].
أ أُهضم تراث أبيه؟
وأنتم بمرأى منّي ومسمع.
ومنتدى ومجمع[2].
تلبسكم الدعوة.
وتشملكم الخبرة[3].
وأنتم ذوو العدد والعُدّة.
والأداة والقوة.
وعندكم السلاح والجُنّة.
توافيكم الدعوة فلاتجيبون؟
وتأتيكم الصرخة فلاتعينون؟
وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت[4].
قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب[5].

١ـ إيهاً: بمعنى هيهات أو مزيداً من الكلام.

٢ـ منتدى: مجلس القوم.

٣ـ الخبرة: العلم بالشيء.

٤ـ الخيرة ـ بكسر الخاء وسكون الياء ـ المفضّل من القوم.

٥ـ الكد: الشدة.

وناطحتم الأُمم.

وكافحتم البُهَم[١].

لانبرح أو تبرحون.

نأمركم فتأتمرون.

حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام.

ودَرَّ حلب الأيام[٢].

وخضعت ثغرة الشرك.

وسكنت فورة الإفك[٣].

وخمدت نيران الكفر[٤].

وهدأت دعوة الهرج.

واستوسق نظام الدين.

فأنّى حِرتم بعد البيان؟[٥].

وأسررتم بعد الإعلان؟

ونكصتم بعد الإقدام؟[٦].

وأشركتم بعد الإيمان؟

«ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا باخراج الرسول، وهم بدؤكم أوّل مرة، أتخشونهم فاللّه أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين»[٧].

١ـ البهم ـ جمع بهمة: الشجاع.

٢ـ وفي نسخة: حلب البلاد.

٣ـ وفي نسخة: فورة الشرك.

٤ـ وفي نسخة: خبت نيران الحرب.

٥ـ وفي نسخة: أفتأخرتم بعد الاقدام.

٦ـ وفي نسخة: وناكصتم بعد الشدة، وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا أيمانهم.

٧ـ التوبة: ١٣.

ألا: قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض[١].

وأبعدتم مَن هو أحقُّ بالبسط والقبض.

وخلوتم إلى الدعة[٢].

ونجوتم من الضيق بالسعة[٣].

فمججتم ما وعيتم[٤].

ودسعتم الذي تسوّغتم[٥].

فان تكفروا أنتم ومَن في الأرض جميعاً فان اللّه لغني حميد ألا: قد قلتُ ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم[٦] والغدرة التي استشعرتها قلوبكم[٧].

ولكنها فيضة النفس[٨].

ونفثة الغيظ[٩].

وخَوَر القنا[١٠].

وبثّة الصدر.

وتقدمة الحجة.

١ـ الخفض: الراحة.

٢ـ الدعة: خفض العيش.

٣ـ وفي نسخة: إلى السعة.

٤ـ مججتم: رميتم. ووعيتم: حفظتم.

٥ـ دسعتم: تقيّأتم وتسوّغتم: شربتم بشهولة.

٦ـ خامرتكم: خالطتكم.

٧ـ استشعرتها: لبستها.

٨ـ فاض صدره بالسر: باح به.

٩ـ كالدم الذي يرمى به من الفم ويدل على القرحة.

١٠ـ ضعف النفس عن التحمل.

فدونكموها، فاحتقبوها دَبِرَةَ الظَّهر [١].

نقبة الخُف [٢].

باقية العار.

موسومة بغضب اللّه.

وشنار الأبد [٣].

موصولة بنار اللّه الموقدة التي تطّلع على الأفئدة.

فبعين اللّه ما تفعلون.

وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فاعملوا إِنا عاملون، وانتظروا إِنا منتظرون.

١ـ دونكموها: خذوها: دبرة: مقروحة.

٢ـ نقبة الحف: رقيقة.

٣ـ شنار: العيب والعار.

عتاب وخطاب مع المسلمين

«إيهاً! بني قيلة» إيها بمعنى هيهات، وبمعنى الأمر بالسكوت، أو بمعنى طلب الزيادة من التحدث. يا أولاد قيلة، وهم الأوس والخزرج، وقد تقدم الكلام عن شرحها.

«ءَ أُهضم تراث أبي؟» وفي نسخة: «أبيه» وقد تقدم أن الهاء ـ هنا ـ للوقوف والسكون، والمعنى: هل يظلمونني في إرث أبي؟

«وأنتم بمرأى مني ومسمع» والحال انتم في مجلس ومكان يجمع بيني وبينكم، والمقصود: أنتم حاضرون وتسمعون كلامي وشكايتي، وترون حالي ومظلوميتي.

«تلبسكم الدعوة» تحيط بكم دعوتي وندائي.

«وتشملكم الخبرة» ويشملكم العلم وتعلمون الخبر، وفي نسخة: «الحيرة» أي متحيرون أمام هذه المخاصمة.

«وأنتم ذوو العدد والعدة» وأنتم أصحاب العدد الكثير والتأهب والإستعداد، أي لستم قليلين حتى تعتذروا بقلّة العدد، بل أنتم ذو العدد الكامل.

«والأداة والقوة» عندكم الوسائل والقدرة والإمكانية لإسعافي ونصرتي.

«وعندكم السلاح والجُنَّة» وعندكم الأسلحة التي حاربتم بها وجاهدتم في سبيل اللّه، وعندكم وسائل الدفاع.

«**توافيكم الدعوة فلاتجيبون**» تبلغكم دعوتي واستغاثتي فلاتجيبوني؟

«**وتأتيكم الصرخة فلاتعينون**» تأتيكم صرختي، صرخة المظلومية والإضطهاد فلاتعينوني؟

«**وأنتم موصوفون بالكفاح**» والجهاد في سبيل اللّه، واستقبال العدو ومباشرة الحرب.

«**معروفون بالخير والصلاح**» والأعمال الحسنة.

«**والنخبة التي انتخبت**» إن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) انتخب المدينة وانتخبكم لهذه الغايات والصفات.

«**والخيرة التي اختيرت**» واختاركم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لنصرته، ولهذا هاجر اليكم.

«**قاتلتم العرب**» لأجل نصرة النبي، وإعلاء كلمة الإسلام.

«**وتحملتم الكد والتعب**» في الحروب والغزوات، ومضاعفاتها من الحرّ والبرد، والتضحية وتحمّل الجراح.

«**وناطحتم الأمم**» قاتلتم الملل المختلفة من يهود ونصارى وغيرهم، كل ذلك دفاعاً عن الرسول.

«**وكافحتم البُهم**» قاتلتم الشجعان بدون ضعف وتواني.

«**لانبرح أو تبرحون**» أي لانبرح ولاتبرحون «**نأمركم فتأتمرون**» أي كنّا لم نزل آمرين وكنتم لأوامرنا مطيعين.

«**حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام**» أي قاتلتم وتحملتم وناطحتم وكافحتم بصورة مستمرة حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، حتى إذا انتظم أمر الإسلام بمساعينا وسببنا،ودارت رحى الإسلام دوراناً صحيحاً منتظماً.

«**ودرَّ حلب الأيام**» وكثرت الخيرات والغنائم بسبب الفتوحات كاللبن الذي يدرّ أي يسيل بكثرة من الثدي.

«وخضعت ثغرة الشرك» ذلّت رقاب المشركين وخياشيمهم للإسلام وسقطوا عن الإعتبار.

«وسكنت فورة الافك» وهي غليان الكذب وهيجانه.

«وخمدت نيران الكفر» أي نيران الحرب التي كان الكفار يؤججونها.

«وهدأت دعوة الهرج» سكنت دعوة الفتنة والباطل ، وهدأت الإضطرابات.

«واستوسق نظام الدين» أي اجتمع وانتظم أمر الدين بعدما كان متشتتاً.

«فأنّى حرتم بعد البيان؟» والآن بعد هذه المقدمات كيف تحيرتم بعد بيان الحالة ووضوحه عندكم، وكيف وقعتم في وادي الحيرة؟

«واسررتم بعد الإعلان؟» وكيف اخفيتم أشياء كانت معلنة، أو كنتم تتجاهرون بها.

«ونكصتم بعد الإقدام؟» وكيف رجعتم القهقري بعد إقدامكم على الإسلام.

«وأشركتم بعد الإيمان؟» أشركتم باللّه بمخالفتكم للرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في أمر عترته.

«ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة، أتخشونهم فاللّه أحق ان تخشوه إن كنتم مؤمنين»

أدمجت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) هذه الآية في حديثها، وإن كانت الآية نزلت في مشركي مكة الذين أرادوا إخراج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) من مكة أو نزلت في اليهود والنصارى الذين نقضوا عهدهم وهمّوا بإخراج الرسول من المدينة. وعلى كل تقدير فإن السيدة

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تستنفرهم وتستنهضهم لنصرتها، ولاتقصد بكلامها هذا إثارة الفتنة، ولاإراقة الدماء، ولاتريد أن تقود جيشاً، أو تتزعم حزباً، بل هي عارفة بأحوال الناس وإتجاهاتهم، عالمة بأن الأمر دُبّر بليل، ولهذا قالت:

«ألا: قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض» أي أعلم أنكم قد اقمتم على الراحة وسعة العيش.

«وأبعدتم مَن هو أحق بالبسط والقبض» أبعدتم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) الذي هو أحق وأولى بولاية الأمور، والتصرف في قضايا الإسلام من غيره.

«وخلوتم بالدعة» أي إنفردتم بالراحة والسكون.

«ونجوتم من الضيق بالسعة» لأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) لايهادن، ولايصانع، ولايفضّل أحداً على أحد بالعطاء، وهذا ضيق بالنسبة لكم، ولهذا نجوتم من هذا الضيق، وانتقلتم إلى مَن هو طوع أمركم، سلس القياد، يفعل ما تشاؤون، ويحكم بما تريدون.

«فمججتم ما وعيتم» أي رميتم من أفواهكم ما حفظتم.

«ودسعتم الذي تسوّغتم» أي تقيأتم الشيء الذي شربتموه بسهولة ولذة، والمقصود الانسحاب عن الدين، ورفض الإيمان، ولهذا أردفت كلامها هذا بهذه الآية:

«فان تكفروا أنتم ومَن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد» ولاتضرون إلاّ أنفسكم، ولاتخسرون إلاّ دينكم.

«ألا: قد قلتُ ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم» تقول (عليها السّلام أنا أعلم اتجاهاتكم، وأعرف نفسياتكم، وحينما خطبت فيكم واستنهضتكم كنت أعلم بأنكم لاتنصرونني ولاتسعفونني.

«والغدرة التي استشعرتها قلوبكم» استشعر الثوب إذا جعله شعاراً أي جعله متصلاً لجسده، ملاصقاً لبدنه، تقول (عليها السّلام) أنا أعرف الغدر الملاصق بقلوبكم، الغدر الذي جعلتها قلوبكم شعاراً لها، والغدر ضد الوفاء، أي لا أنتظر منكم الوفاء، لمعرفتي بالغدرة الموجودة في قلوبكم.

«ولكنها فيضة النفس» أي تعبير عن الآلام في النفس، فكما أن الإناء يفيض إذا امتلأ بالماء كذلك النفس تفيض من كثرة الحزن واستيلاء الهم.

«ونفثة الغيظ» ظهور آثار الغضب الموجود كالنزيف الذي يدل على القرحة في الباطن **«وخور القنا»** أي ضعف الرمح، والمقصود عدم تحمّل النفس لأكثر من هذه.

«وبثّة الصدر» قال يعقوب (عليه السّلام): «انما اشكو بثّي» أي همّي، وهو الهم الذي لايقدر صاحبه على كتمانه فيظهره.

«وتقدمة الحجة» اني خطبتُ فيكم، وقلتُ ما قلت لاطمعاً في نصرتكم، ولارجاءً في حمايتكم، وإنما كان ذلك لأسباب نفسية ودينية، أما الأسباب النفسية فقد ذكرتها، وأما الأسباب الدينية فهي تقدمة الحجة، أي إعلامكم بكل ما يلزم، وذكر كل دليل وبرهان وحجة على ما أقول، لئلا تعتذروا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين أو ناسين، أو جاهلين، ما أبقيتُ لذي عذر عذراً، ولا لذي مقالٍ مقالاً، عرَّفت نفسي ونسبي لكم، وذكرت ما يتعلق بالإمامة، وذكرت حقي من فدك، واستشهدت بالآيات البينات الثابتة عندكم حول الميراث بصورة عامة وحول ميراث الأنبياء بصورة خاصة، واستنهضتكم لنصرتي والطلب بحقي، فلم أجد فيكم مجيباً ولامُعيناً.

«فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر» خذوا السلطة، وشدّوا عليها حقائبكم، وكأنها ناقة مجروحة الظهر، **«نقبة الخف»** رقيقة الخف.

«باقية العار» دائمة الخزي في الدنيا على مرّ التاريخ، وفي الآخرة وإلى الأبد.

«موسومة بغضب اللّه وشنار الأبد» على تلك الناقة علامة غضب اللّه وسخطه، وعليها علامة العار الأبدي الذي ينتهي بكم إلى:

«موصولة بنار اللّه الموقدة التي تطلع على الأفئدة» التي تتوقد، وتؤجج نارها بصورة دائمة، النار التي تحرق الظاهر والباطن، وتصل إلى الأفئدة والقلوب.

«فبعين اللّه ما تفعلون» إن اللّه تعالى يرى أعمالكم وأفعالكم، ولايغيب عنه ولايخفى عليه شيء فكأنّ أفعالكم هذه بمحضر من اللّه تعالى.

«وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» وأي جزاء سيجازون وأي جحيم وعذاب سيصيرون إليه.!!

«وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد» إشارة إلى قوله تعالى: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» أنا ابنة محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الذي أنذركم بعذاب اللّه الذي أعدّه للظالمين.

«فاعملوا انا عاملون» اعملوا ما شئتم من ظلمنا فانا عاملون ما يجب علينا من الصبر والتحمل **«وانتظروا انا منتظرون»** انتظروا عواقب أفعالكم ونحن ننتظر عواقب الصبر على المحن.

جواب أبي بكر

فأجابها أبو بكر (عبداللّه بن عثمان) وقال:
يابنة رسول اللّه!
لقد كان أبوكِ بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤُفاً رحيماً.
وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً.
إن عزوناه وجدناه أباكِ دون النساء[1].
وأخا إلفِكِ دون الأخلاَّء[2].
آثره على كل حميم[3].
وساعده في كل أمر جسيم.
لايحبّكم إلاَّ كل سعيد.
ولايبغضكم إلاَّ كل شقي.
فأنتم عترة رسول اللّه الطيبون.
والخيرَة المنتجبون.
على الخير أدِلّتنا.
وإلى الجنة مسالكنا.
وأنتِ ياخيرة النساء.
وابنة خير الأنبياء.

١ـ عزوناه: نسبناه.

٢ـ وفي نسخة: وأخا بعلك. والمعنى واحد.

٣ـ حميم: قريب.

صادقة في قولك.

سابقة في وفور عقلكِ.

غير مردودة عن حقكِ.

ولامصدودة عن صدقك[١].

واللّه ما عدوتُ رأي رسول اللّه!!![٢].

ولا عملتُ إلاّ بإذنه.

وإن الرائد لايكذب أهله[٣].

وإني أشهد اللّه وكفى به شهيداً.

أني سمعت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول:

«نحن معاشر الأنبياء لانورّث ذهباً ولافضّةً ولاداراً ولاعقاراً وإنما نورّث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلوالي الأمر بعدنا، أن يحكم فيه بحكمه».

وقد جعلنا ما حاولتهِ في الكراع والسلاح[٤].

يقاتل بها المسلمون.

ويجاهدون الكفار.

ويجالدون المردة الفجّار[٥].

وذلك بإجماع من المسلمين!!

لم أنفرد به وحدي.

١ـ مصدودة: ممنوعة.

٢ـ عدوت: جاوزت.

٣ـ الرائد: الذي يتقدم القوم، يبصر لهم الكلأ ومساقط الثمار.

٤ـ الكراع ـ بضم الكاف ـ : جماعة الخيل.

٥ـ يجالدون: يضاربون.

ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي[١].

وهذه حالي ومالي.

هي لكِ، وبين يديك.

لاتزوى عنكِ[٢].

ولاتدّخر دونكِ.

وأنت سيدة أُمّة أبيكِ.

والشجرة الطيبة لبنيك.

لايُدفع مالَكِ من فضلكِ.

ولايوضع في فرعك وأصلكِ.

حكمك نافذ فيما ملكت يداي.

فهل ترينّ أن أُخالف في ذلك أباكِ (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

١ـ استبد: انفرد بالأمر من غير مشارك فيه.

٢ـ تزوى عنك: تقبض عنك.

الاعتراف بفضائل الامام علي (عليه السّلام)

إلى هنا ذكرت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ما كان ينبغي لها أن تذكر، وأدّت ما يجب على أتم وأكمل ما يمكن، وهنا تصدّى رئيس الدولة ليجيبها:

«فأجابها أبو بكر (عبداللّه بن عثمان) وقال: يابنة رسول اللّه» سبحان اللّه! يعرفها ومع ذلك يكون موقفه ذلك الموقف.

«لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤُفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً وعقاباً عظيماً» هذا كله واضح، وما المقصود من هذا الكلام؟

«إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفكِ دون الاخلاّء» هذا تصديق لكلامها في أول الخطبة حيث قالت: «فان تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نسائكم واخا ابن عمي دون رجالكم».

«آثره على كل حميم» أي فضّل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) علياً على كل قريب.

«وساعده في كل أمر جسيم» إن علياً ساعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في كل أمر عظيم.

«لايحبكم إلاّ كل سعيد، ولايبغضكم إلاّ كل شقي» اعتراف عجيب من قائله، ان صح إسناد هذا الكلام إليه.

«فأنتم عترة رسول اللّه الطيبون، والخيرة المنتجبون» العترة التي لايقبل كلامها ولاتمضي شهادتها في قطعة من الأرض، والخيرة التي تحمّلت أشد

أنواع الأذى من الناس!!

«على الخير أدلّتنا» جمع دليل وهو الهادي أي أنتم الهداة المرشدون إلى الخير.

«وإلى الجنة مسالكنا» أنتم طرق النجاة والفوز بالجنة.

«وأنتِ ـ ياخيرة النساء، وابنة خير الأنبياء ـ صادقة في قولك» لو كنتَ تعتبرها صادقة في قولها فلماذا لم ترد إليها حقها؟ لماذا سلبتها أموالها التي جعلها اللّه ورسوله لها؟

«سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك ولامصدودة عن صدقك» فلماذا رددتها عن حقها أيها الرجل؟ ولماذا صددتها عن صدقها؟ ما هذا التناقض بين القول والفعل.

«واللّه ما عدوتُ رأي رسول اللّه» نعم، واللّه لقد عدوتَ رأي رسول اللّه.

«ولاعملتُ إلا بإذنه» لا واللّه ما عملتَ بإذنه، لم يأذن لك رسول اللّه أن تغصب النحلة التي أنحلها ابنته فاطمة، أو تمنعها إرثها من أبيها.

«وان الرائد لايكذب أهله» هذا المثل في غير مورده.

«واني أُشهد اللّه وكفى به شهيداً» عجباً لحلم اللّه!!

هكذا يستشهد به في الباطل؟

هكذا يتجرأ عليه؟

«اني سمعت رسول اللّه يقول: نحن معاشر الأنبياء لانورّث ذهباً ولافضة ولاداراً ولاعقاراً، وانما نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، ما كان لنا من طعمة فلوالي الأمر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه».

اللّه يقول: الأنبياء يورّثون. ورسول اللّه يقول: الأنبياء لايورثون؟

أيهما الصحيح؟

وبعد هذا: أنت المدعي وأنت الشاهد وأنت الحاكم؟

وهل يوجد في العالم حكم هكذا؟ أو قانون كهذا القانون؟!

أنت سمعت رسولَ اللّه يقول هكذا وابنته لم تسمع ذلك منه؟!

الرسول أخبرك وما أخبر ابنته التي كانت أراضي فدك بيدها وتحت تصرّفها؟!

وأي كتاب ورثّه الرسول؟

القرآن؟ القرآن كان ملكاً للرسول حتى يورّثه؟ وهل النبوة تورث؟!

وهل كل نبي إذا مات تنتقل النبوة إلى أولاده وورثته؟!

ومن الذي ورث النبوة من رسول اللّه؟!

وهل أنت ولي الأمر أم الذي ولاّه اللّه بقوله: «إنما وليكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» من ولي الأمر بعد الرسول؟!

أنت ولي الأمر أم الذي بايعته أنت يوم غدير خم بأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وسلّمتَ عليه بإمرة المؤمنين وهو علي بن أبي طالب؟!

أترى أنك تعلم هذا الحديث وعلي بن أبي طالب لايعلم؟ وهو أكثر التصاقاً وأشد اتصالاً والتزاماً بالرسول، حسب اعترافاتك، وهو باب مدينة علم الرسول.

وإن كان النبي لايورّث فلماذا بقيت حجراته تحت تصرّف زوجاته؟ ولماذا لم تصادر تلك الحجرات؟

مع العلم أن تلك الحجرات كانت ملكاً لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بصريح قوله تعالى: «لاتدخلوا بيوت النبي» فيتبين أن البيوت كانت للرسول، فبأي قانون شرعي وبأي مبرر ديني سكنت زوجات

الرسول في تلك الحجرات إلى آخر حياتهن؟

ولماذا شمل التأميم السيدة فاطمة عزيزة رسول اللّه وبضعته ولم تشمل زوجاته؟؟

«وقد جعلنا ما حاولتهِ في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجّار» وهل يجوز صرف الأموال المغصوبة، في سبيل اللّه لتقوية المسلمين.

وهل كانت جيوش المسلمين بحاجة إلى هذه الأموال التي أُخذت ظلماً؟

«وذلك بإجماع من المسلمين» ما قيمة هذا الإجماع المناقض لكتاب اللّه؟

وأي إجماع هذا وآل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعترته لايعترفون بهذا الأمر ولايوافقون على هذه التصرفات؟

وهل ينفع الإجماع على الظلم وعلى مخالفة كتاب اللّه وسُنَّة النبي؟

وكأن أبا بكر أراد بكلامه هذا استمالة قلوب المسلمين كي لايخالفه أحد، وإلا فقد ثبت أن أبا بكر هو المدّعي الوحيد لحديث: «نحن معاشر الأنبياء لانورّث» ولم يجمع المسلمون على صحة هذا الحديث المخالف لصريح كلام اللّه تعالى.

نعم في كتاب (كشف الغمة): انه لما ولّي عثمان قالت عائشة: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر.

فقال عثمان: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السُّنة، ولكن كان أبو بكر وعمر يعطيانك من طيبة أنفسهما، وأنا لاأفعل.

فقالت: فاعطني ميراثي من النبي (ص).

قال: أليس جئتِ وشهدتِ أنتِ ومالك بن أوس النضري أن رسول

اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) قال: لانورّث؟ فأبطلتِ حق فاطمة، وجئتِ تطلبينه. ـ الى آخره[١].

أقول: العجب أن شهادة عائشة بنت أبي بكر تقبل وشهادة فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لاتقبل؟

وشهادة مالك بن أوس النضري البوّال على عقبيه تقبل وشهادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نفس رسول اللّه وأعز الخلق إليه لاتقبل!

اقرأ ثم احكم.

وبهذا اتضح لنا كلامه: «لم انفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي فيه عندي» نعم، لم ينفرد به وحده، بل ساندته وشهدت له ابنته عائشة صاحبة المواقف المشهورة تجاه فاطمة وزوجها علي.

«هذه حالي ومالي، هي لك وبين يديك، لاتزوى عنك ولاتدّخر دونك» مجاملات فارغة لاحقيقة لها أصلاً، وما أكثر هذه المجاملات عند رجال السياسة.

«أنتِ سيدة أُمّة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لايُدفع مالك من فضلك، ولايوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي» هذه الكلمات وإن كانت حقائق، إلاّ أنها أُستعملت للخداع، والتلوّن في الكلام، وسيأتيك ـ في المستقبل ـ كلام حول آراء السياسيين، والأساليب التي يستعملونها حسب الظروف.

«فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباك (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟».

أيها الناس! إن أبا بكر يجتنب مخالفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ولكن سيدة نساء العالمين وبضعة رسول اللّه التي أذهب اللّه عنها

١ـ كشف الغمّة ج١/٤٧٨.

الرجس وطهّرها تطهيراً تخالف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟

هل يقبل عقلك؟

هل يرضى وجدانك بهذا؟

وأية مخالفة لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) إذا خضع المسلم للقرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه؟

هل العمل بآيات المواريث بين الأنبياء يعتبر مخالفة لرسول اللّه؟

وهل تصديق كلام بعت رسول اللّه ـ المعصومة بصريح القرآن ـ وتصديق كلام زوجها علي الذي كان نفس رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يكون مخالفة لرسول اللّه؟

ماذا أقول إذا انقلبت المفاهيم، وانعكست الحقائق، وتبدّلت المقاييس وتغيّرت الموازين؟ وصار المنكر معروفاً والمعروف منكراً؟

الرجل يدّعي على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كلاماً مخالفاً للقرآن، مناقضاً للشريعة الإسلامية، وآل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعترته الطيبة لايعترفون بهذا الكلام، بل يكذّبونه على ضوء القرآن، ثم يتورّع الرجل (على زعمه) من مخالفة ذلك الكلام المفترى على الرسول.

والآن استمع إلى ردّ السيدةفاطمةالزهراء لهذه المفتريات والأكاذيب:

جواب فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

فقالت (عليها السّلام):

سبحان اللّه.

ماكان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) عن كتاب اللّه صادفاً[1].

ولا لأحكامه مخالفاً.

بل كان يتّبع اثره.

ويقفو سُوَره[2].

أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور.

وهذه بعد وفاته شبيهٌ بما بُغي له من الغوائل في حياته[3].

هذا كتاب اللّه حكَماً عدلاً.

وناطقاً فصلاً.

يقول:

«يرثني ويرث من آل يعقوب».

«وورث سليمان داود».

فبيَّن (عزّوجلّ) فيما وزَّع عليه من الأقساط.

١ـ صادفاً: معرضاً. يقال: صدف عن الحق اذا أعرض عنه.

٢ـ يقفو: يتبع.

٣ـ الغوائل ـ جمع غائلة ـ: الحادثة المهلكة.

وشرع من الفرائض والميراث.

وأباح من حظ الذكران والاناث.

ما أزاح علّة المبطلين.

وأزال التظني والشبهات في الغابرين[١].

كلاَّ، «بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل، واللّه المستعان على ما تصفون».

---

١ ـ التظني: إعمال الظن. الغابرين: الباقين.

مطابقة كلمات الرسول مع القرآن

قالت: **«سبحان اللّه»** في مقام التعجّب، استعظاماً لهذا الافتراء على رسول اللّه الصادق المصدّق الذي ماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

«ما كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عن كتاب اللّه صادفاً» ما كان الرسول معرضاً عن كتاب اللّه المجيد.

«ولا لأحكامه مخالفاً» بأن يقول شيئاً يخالف القرآن، وحديث: «نحن معاشر الأنبياء لانورّث» مخالف للآيات التي تصرّح بوراثة الأنبياء، وانهم يرثون ويورثون.

حاشا نبي اللّه أن يخالف كلام اللّه **«بل كان يتبع أثره»** يسير مع القرآن وعلى ضوء القرآن وتحت ظلاله.

«ويقفو سوره» أي سور القرآن، ويتبعها سورة بعد سورة فكيف يقول شيئاً يخالف كلام اللّه، ويناقض أحكام اللّه؟

«أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور» تقول السيدة فاطمة (عليها السّلام) قد جمعتم بين جريمتين: جريمة الغدر وهي غصب فدك، وجريمة الكذب على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أي هل تضيفون إلى الغدر اعتذاركم على العذر بالكذب، وهذا كمن يقتل إنساناً ظلماً ثم يعتذر من عمله بأن المقتول كان سارقاً، فهو قد جمع بين جريمة القتل وجريمة الكذب والافتراء.

«وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته» تقول (عليها السّلام) ليس هذا بشيء جديد، فان القيام ضد آل الرسول بعد وفاة الرسول يشبه المؤامرات والنشاطات المسعورة التي كانت تُحاك ضدّه في حياته، فلقد أراد المنافقون أن يقتلوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ليلة العقبة، ويُنفروا ناقته على شفير الوادي لتسقط ناقة النبي في الوادي فيهلك رسول اللّه، والتفصيل مذكور في محله، راجع تفسير قوله تعالى: «يحلفون باللّه ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا.... الآية»[1].

«هذا كتاب اللّه حكَماً عدلاً، وناطقاً فصلاً» هذا القرآن حال كونه حاكماً عادلاً، ناطقاً قاطعاً للخصومات، نجعله مرجعاً نتحاكم إليه، هذا القرآن يقول: **«يرثني ويرث من آل يعقوب»** في قصة زكريا وقد مرَّ الكلام حول الآية.

«وورث سليمان داود» قد ذكرنا ما تيسر أيضاً حول وراثة سليمان من داود (عليهما السّلام).

وأنتم تقولون: إن رسول اللّه قال: «نحن معاشر الأنبياء لانورِّث» كيف يخالف رسول اللّه القرآن؟ وكيف يعرض عن حُكم وراثة الأنبياء.

«فبيَّن (عزّوجلّ) فيما وزَّع عليه من الأقساط».

لقد بين اللّه تعالى فيما قسّم من نصيب كلٍ من الورثة.

«وشرع من الفرائض والميراث» الفرائض: هي الحصص المفروضة المقدّرة للورثة كالنصف والثُلث والرُبع والسُدس والثُمن كما هو مذكور في الكتب الفقهية.

١ـ التوبة: ٧٤.

«وأباح من حظ الذكــران والإناث» في شتى مراتب الورثة من الزوج والزوجة والأب والأم والأولاد والبنات والمراتب المتأخرة عنهم.

«ما أزاح علّة المبطلين» لقد بيّن اللّه في القرآن وشرع وأباح ما فيه الكفاية لإزالة أمراض أهل الباطل، وكل من جاء بالباطل.

«وأزال التظني والشبهات في الغابرين» لم يبق مجال للشك والشبهة لأحدٍ من الأجيال الموجودة أو الآتية.

«كلاّ» ليس الأمر كما تقولون، أو كما تدّعون، وليس الأمر ملتبساً عليكم.

«بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً» بل زيّنت لكم أنفسكم حُبُّ الرئاسة وكرسي الحكم، ومنصّة القدرة، فنسبتم إلى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) هذا الحديث حتى يتحقق هدفكم، وتنالوا غايتكم.

«فصبر جميل واللّه المستعان على ما تصفون» نصبر ونستعين اللّه تعالى على تحمّل هذه المآسي والمصائب.

والآن استمع إلى دفاع أبي بكر عن نفسه، وانتبه إلى تبدّل الكلام، وتذبذب المنطق، وتغيّر الأسلوب، وعدم الاهتمام بالتناقض في الكلام.

جواب أبي بكر

فقال أبو بكر:
صدق اللّه وصدق رسوله
وصدقت ابنته
أنتِ معدن الحكمة
وموطن الهدى والرحمة
وركن الدين
وعين الحجة
لاأُبعدُ صوابكِ
ولا أنكر خطابكِ
هؤلاء المسلمون بيني وبينك
قلَّدوني ما تقلّدت
وباتفاق منهم أخذتُ ما أخذت
غير مكابر ولامستبد
ولامستأثر
وهم بذلك شهود

إنهيار الباطل أمام حُجَّة الحق

لما زيّفت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) الحديث الذي اختلقه أبو بكر ونسبه إلى الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأبطلت ذلك الادّعاء بالأدلة القاطعة والحجج الساطعة. عجز أبو بكر عن تفنيد الحجج والبراهين التي استدلت بها السيدة فاطمة، ولهذا دخل من باب آخر، كي لايتحمّل المسؤولية هو وحده، بل تكون المسؤولية على المسلمين الذين وافقوا على تصرفاته، فقال: «صدق اللّه وصدق رسوله وصدقت ابنته» تصديق لآيات المواريث بين الأنبياء، وتصديق للرسول الذي لايخالف القرآن وكأنه ينسحب عن الحديث الذي نسبه إلى النبي «نحن معاشر الأنبياءلانورث»وتصديق لكلام بنت رسول اللّه(صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

«أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين وعين الحجة» اعترافات عجيبة تدل على التنازل والانسحاب «لاأُبعدُ صوابك ولاأُنكر خطابكِ» اقرار بصواب قولها، واعتراف بصدق خطابها وكلامها، ولكن كله صوريّ أي باللسان لا بالعمل فالزهراء صادقة القول في ادّعائها فدك، لايشك أحد في ذلك ولكن السلطة المعترفة بصدق كلامها لاتردّ إليها حقوقها، لماذا؟ وكيف؟

«هؤلاء المسلمون بيني وبينكِ قلّدوني ما تقلدتُ» يقول: هؤلاء المسلمون الحاضرون بيني وبينك هم قلدوني الخلافة، وهذا اعتراف صريح منه أنه لم يصل إلى الخلافة بالنص والتعيين من رسول اللّه (صلى اللّه عليه

وآله وسلّم) وإن رسول اللّه لم يستخلفه، بل المسلمون قلّدوه الخلافة.

«وباتفاق منهم أخذت ما أخذت» أنظر إلى تبدّل المنطق فقد قال أولاً: إنه إستولى على فدك عملاً بقول الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) نحن معاشر الأنبياء.... الى آخره، وبعد أن أبطلت السيدة فاطمة هذا الكلام تشبث بوسيلة أخرى، وهي اتفاق المسلمين على غصب فدك.

مَن هم المسلمون الذي اتفقوا على أخذ أبي بكر فدك؟

بنو هاشم؟ أهل بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟ رؤساء الصحابة أمثال: سلمان والمقداد وعمار وابي ذر ونظرائهم؟

إن كلمة: «وباتفاق منهم أخذت ما أخذت» هي عبارة أخرى عن كلمته السابقة: «وذلك بإجماع من المسلمين» وقد ذكرنا قيمة ذلك الإجماع وقس عليها قيمة هذا الإتفاق منهم على أخذ فدك فاطمة.

«غير مكابر ولامستبد ولامستأثر وهم بذلك شهود» حينما استشهد أبو بكر بالمسلمين كان لزاماً على السيدة فاطمة أن توجّه عتاباً لاذعاً إليهم:

فاطمة الزهراء توجه الخطاب إلى الحاضرين

فالتفتت فاطمة (عليها السّلام) إلى الناس وقالت:

معاشر الناس.

المُسرعة إلى قيل الباطل.

المُغضية على الفعل القبيح الخاسر[1].

أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟

كلا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم.

فأخذ بسمعكم وأبصاركم.

ولبئس ما تأوّلتم.

وساء ما به أشرتم.

وشرّ ما منه اعتضتم[2].

لتجدنّ ـ والله ـ محمله ثقيلا.

وغبّه وبيلاً[3].

إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضرّاء.

وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون،وخسر هنالك المبطلون.

١ـ المغضية: الساكتة الراضية.

٢ـ اعتضتّم: من الإعتياض وهو أخذ العوض.

٣ـ الغبّ ـ بكسر الغين ـ : العاقبة.. الوبيل: الشديد الثقيل.

فاطمة الزهراء في عتابها مع المتخاذلين

وجّهت السيدة فاطمة عتابها الأخير إلى تلك الجماهير المتجمهرة التي كانت تستمع إلى ذلك الحوار الحادّ وقالت:

«معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل» أي القول الباطل، أي أسرعتم إلى قول باطل إذ أنكم قلّدتم هذا الرجل ما قلّدتم، واتفقتم معه - حسب ادعائه - على غصب حقوقي.

«المغضية على الفعل القبيح الخاسر» الإغضاء هو إدناء الجفون على العين، كالذي ينظر إلى الأرض أو ينظر في حِجرِه، كناية عن السكوت والرضا بالفعل القبيح، الخاسر الذي هو سبب خسران صاحبه.

«أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟» هل نسيتم الآيات النازلة فينا؟ أو لم تفهموا الآيات التي تلوتها في وراثة الأنبياء؟ أم قلوبكم مقفلة مغلقة فلاتنفتح لكلام اللّه وأحكامه في القرآن؟

«كلاّ» ليس السبب عدم التدبر في القرآن **«بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم»**أي غلب على قلوبكم وغطّاها سوءأعمالكم كالحجاب الكثيف، كما تغطّي الخمرة عقل شاربها فلايفهم ولايشعر، وتختل عنده الأمور.

«فأخذ بسمعكم وأبصاركم» كالغفلة المستولية على القلب، المؤثّرة على السمع والبصر، فلايسمع الغافل الصوت ولايبصر الشيء بسبب إنشغال قلبه وغفلته.

«ولبئس ما تأوَّلتم» في آيات القرآن وأحكام الإسلام وتغييرها عن مجراها الحقيقي **«وساء ما به أشرتم»** تقصد التعاون والإتفاق على غصب حقوق آل محمد (عليهم السّلام).

«وشرّ ما منه اعتضتم» أي ساء ما أخذتم به عوضاً عما تركتم أي بئس الباطل الذي أخذتموه عوضاً عن الحق، وكلها كنايات وإشارات يفهمها الأذكياء.

«لتجدنَّ ـ والله ـ محمله ثقيلا وغبّه وبيلاً» إشارة إلى المسؤولية الكبرى يوم القيامة، والحمل الثقيل والأمر الشديد الذي يعاقَبون عليه أشد العقاب، ويعذّبون عليه أشد العذاب.

«إذا كشف لكم الغطاء» إذا متّم وانتقلتم إلى عالم الجزاء.

«وبان ما وراءه الضرّاء» وظهر لكم الشيء الذي وراءه الشدّة.

«وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون» وهكذا أدمجت السيدة فاطمة حديثها وخطابها مع الآيات المناسبة للمقام.

لقد أتمت السيدة فاطمة الحجة على الجميع، وأدّت ما عليها من الواجبات، وسجلت آلامها في سجلّ التاريخ والآن:

شكوى الى رسول الله

ثم عطفت على قبر أبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة[1] لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ[2]

١ـ الهنبثة: الأمر الشديد المختلف.

٢ـ الخطب ـ بضم الخاء والطاء ـ جمع خطب ـ بفتح الخاء ـ وهي المصائب الشديدة.

إنّا فقدناك فقدَ الأرض وابلها[١] واختلّ قومك فاشهدهم وقدنكبوا[٢]

وكل أهلٍ له قُربى ومنزلة عند الإله على الأدنين مقتربُ

أبدَت رجال لنا نجوى صدورهم[٣] لّما مضيتَ وحالت دونك التُّربُ

تجهّمتنا رجال واستُخفّ بنا لما فُقدتَ، وكل الإرث مغتصَبُ[٤]

وكنتَ بدراً ونوراً يُستضاء به عليك تنزل من ذي العزّة الكتبُ

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فُقدتَ، فكلّ الخير مُحتجبُ

فليتَ قبلك كان الموت صادَفَنا لّمامضيت وحالت دونك الكُثُبُ[٥]

إنا رُزينا بما لم يُرزَ ذو شَجَن[٦] مِن البرية لا عجم ولا عربُ

وفي ناسخ التواريخ زيادة هذه الأبيات:

سيعلم المتولي ظلم حامتنا يوم القيمة أنّى سوف ينقلبُ

وسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت له العيون بتهمال له سكبُ

وقد رُزينا به محضا خليقته صافي الضرائب والاعراق والنسبُ

فأنت خير عباد اللّه كلهم وأصدق الناسحين الصدق والكذبُ

وكان جبريل روح القدس زائرنا فغاب عنا فكُلّ الخير محتجبُ

ضاقت عليّ بلادٌ بعدما رحبت وسيم سِبطاك خسفاً فيه لي نَصَبُ

وفي كشف الغمة وغيره: ثم عطفت على قبر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فتمثّلت بقول هند بنت أثاثة: قد كان بعدك... الى آخره.

١ـ الوابل: المطر الغزير الكثير.

٢ـ نكبوا: عدلوا عن الطريق.

٣ـ نجوى ـ هنا ـ: الأحقاد.

٤ـ مغتصب: مغصوب.

٥ـ الكثب ـ بضم الكاف والثاء ـ جمع كثيب وهو الرمل.

٦ـ رزينا: من الرزية وهي المصيبة. والشجن: الحزن.

وقيل: هذه الأبيات لهند بنت ابان بن عبدالمطلب تمثلت بها السيدة فاطمة، وعلى كلٍ فقد ألقت السيدة فاطمة نفسها على قبر أبيها وهي تنشد هذه الأبيات.

وفي كشف الغمة: فما رأينا أكثر باك ولاباكية من ذلك اليوم.

ولّما أيّست السيدة الزهراء (عليها السّلام) من أبي بكر واستعادة حقوقها المغتصبة منه رجعت الى دارها وهي تقول: «اللهم انهما ظلما بنت نبيّك حقّها، فاشدد وطأتك عليهما»[1].

وفي صحيح البخاري ـ كتاب الخمس ـ : ... فغضبت فاطمة بنت رسول اللّه، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت.

وفي صحيح البخاري أيضاً ـ كتاب بدأ الخلق ـ : ... فأبى أبو بكر أن يدفع الى فاطمة منها شيئاً، فوجدت[2] فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتى توفيت.

وروى مثله مسلم في صحيحه ـ كتاب الجهاد والسير في باب قول النبي: لانورّث ـ ورواه البيهقي في السنن ج٦ ص٣٠٠، وأحمد بن حنبل في مسنده ج١ ص٦،وابن سعد في طبقات الصحابة ج٨ص١٨، وغيرهم.

١ـ وفاة الصدّيقة الزهراء للمقرّم ص٧٨.

٢ـ أي غضبت.

التجاسر على أهل بيت الرسول

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة: لما سمع أبو بكر خطبتها المذكورة وما وقع بين الناس من الإختلاف والهمهمة في سوء تلك المقدمة وخاف أن تنعكس القضية شق عليه ذلك فصعد المنبر فقال:

أيها الناس! ما هذه الرعة إلى كل قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول اللّه؟ ألا! من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة، شهيده ذَنَبه، مربّ لكل فتنة، هو الذي يقول: كرّوها جذعة بعد ما هرمت. يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء، كَأُمِّ طحال أحبّ أهلها إليها البغيّ ألا: إني لو أشاء لقلت، ولو قلت لَبُحتُ، إني ساكت ما تُركت:

ثم التفت إلى الأنصار فقال: يا معشر الأنصار قد بلغني مقالة سفهائكم، وأحق من لزم عهد رسول اللّه أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا: إني لست باسطاً يداً ولساناً على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل.

ثم قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعترض؟

فقال: بل يصرّح.

قلت: لو صرّح لم أسئلك.

فضحك فقال: لعلي بن أبي طالب!!

قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟

قال: نعم إنه المُلك يابني.

قلت: فما مقالة الأنصار؟

قال: هتفوا بقول علي، فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم. فسألتُه عن غريبه (أي شرح الكلمات) فقال:

أما الرعة ـ بالتخفيف ـ أي الإستماع والإصغاء. والقالة: القول. وثعالة: إسم الثعلب، مثل ذؤالة للذئب. وشهيده ذَنَبه: أي لاشاهد له على ما يدّعيه إلاّ بعضه وجزء منه، وأصله مَثَل: قالوا: إن الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب فقال له: إنه قد أكل الشاة التي كنت أعددتها لنفسك، وكنت حاضراً. قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذَنَبه وعليه دم. وكان الأسد قد افتقد الشاة، فقبل شهادته، وقتل الذئب. و(مربّ): اي: ملازم، من: اربّ بالمكان و(كروها جذعة): أعيدوها إلى الحال الأولى يعني الفتنة والهرج و(أم طحال) امرأة بغيّ في الجاهلية يضرب بها المثل، فيقال: أزنى من أُم طحال. انتهى كلامه.

أقول: نحن لانقول شيئاً على هذه الكلمات التي استعملها أبو بكر في آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وعترته الطاهرة الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ولانعاتبه على أدبه في المنطق وتعبيره في الكلام!.

ولكن نقول: قرّت عينك ـ يارسول اللّه ـ فهكذا يقال في حق ابنتك وعزيزتك وحبيبتك فاطمة الزهراء!! وهكذا يقال في حق أخيك وخليفتك ووزيرك وحامل لوائك: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب!!

وكل هذا على منبرك وفي مسجدك وفي جوار مرقدك.

قرّت عيناك يا أبا فاطمة الزهراء وبشراك بل بشريان!! فهذه كرامة أهل بيتك، وعترتك عند أبي بكر وأشباهه!

السيدة أم سلمة تستنكر

وفي الدر النظيم للشيخ جمال الدين الشامي قال ـ بعد خطبة فاطمة (عليها السّلام) في المسجد وكلام أبي بكر ـ : فقالت أُم سلمة (رضي الله عنها) حين سمعت ما جرى لفاطمة (عليها السّلام):

المِثل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) يقال هذا القول؟!!

هي و الله الحوراء بين الإنس، والنَفَس للنفس، رُبّيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمَت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نشأة، وربّيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حرّم عليها ميراثه ولم يُعلمها؟ وقد قال الله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين» أفأنذرها وخالفت متطلبه؟!!

وهي خَيرة النسوان وأمّ سادة الشبّان، وعديلة مريم، تمّت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرّ والقرّ، ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله.

رويداً ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) بمرآى منكم، وعلى الله تردون واهاً لكم، فسوف تعملون).

قال: فَحُرمت عطاءها تلك السنة!

رجوعها إلى الدار وكلامها مع زوجها

ثم انكفأت (عليها السّلام)[1].

وأمير المؤمنين (عليه السّلام) يتوقع رجوعها إليه[1].

ويتطلع طلوعها عليه.

فلما استقرت بها الدار قالت لأمير المؤمنين (عليه السّلام):

يا بن أبي طالب.

إشتملتَ شَمَلَةَ الجنين[3].

وقعدتَ حجرة الظنين[4].

نقضتَ قادمةَ الأجدل[5].

فخانك ريش الأعزل[6].

هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي[7].

١ـ انكفأت: رجعت.

٢ـ يتوقع: ينتظر.

٣ـ اشتمل الثوب: إذا أداره على الجسد. والشملة ـ بكسر الشين ـ : هيئة الإشتمال.. والشملة ـ بفتح الشين ـ : ما يشتمل به، والمقصود هنا: مشيمة الجنين، وهي محل الولد في الرحم.

٤ـ الحجرة ـ بضم الحاء ـ : البيت. وبضم الحاء وسكون الجيم ثم الراء: هو المكان الذي يحتجز فيه. والظنين: المتهم.

٥ـ نقضت: ضد أبرمت. والقادمة ـ واحدة القوادم ـ وهي مقاديم ريش الطائر. والأجدل: الصقر.

٦ـ خانك من الخيانة. وفي نسخة: خاتكَ: أي انقضَّ عليك.

٧ـ يبتزني: يسلبني بالقهر والغلبة. والنحلة ـ بكسر النون ـ : العطية، والنحيلة تصغيرها.

وبُلغةَ إبنيّ[١].
لقد أجهر في خصامي[٢].
وألفيته الألدَّ في كلامي[٣].
حتى حبستني قيلةُ نصرها[٤].
والمهاجِرة وصلها[٥].
وغضّت الجماعة دوني طرفها.
فلادافع ولامانع.
خرجت كاظمة، وعدتُ راغمة[٦].
أضرعتَ خدَّك يوم أضعت حدَّك[٧].
إفترستَ الذئاب وافترشتَ التراب.
ما كففتَ قائلاً ولاأغنيتَ باطلاً[٨].
ولاخيار لي[٩].
ليتني متُّ قبل هينتي[١٠].

١ـ البلغة: ما يتبلغ به من العيش ويكتفى به.
٢ـ أجهر: أعلن بكل وضوح. وفي نسخة: أجهد: أي جدّ وبالغ.
٣ـ ألفيته: وجدته. والألد: شديد الخصومة، وفي نسخة: أجهد في ظلامي وألدَّ في خصامتي.
٤ـ حبستني: منعتني. وقيلة: اسم أُمِّ الأوس والخزرج. وهما قبيلتان من الأنصار.
٥ـ المهاجرة: المهاجرون. وصلها: عونها. أي حبسني.
٦ـ كاظمة: متجرعة الغيظ مع الصبر.
٧ـ اضرعت: اذللتَ، وأضعت حدك: أهملت قدرك وفي نسخة: جدّك وهو الحظ.
٨ـ ما كففت: ما منعت.
٩ـ لاخيار لي: لااختيار لي.
١٠ـ هينتي ـ بكسر الهاء ـ مهانتي.

ودون ذلّتي.
عذيري اللّه منك عادياً ومنك حامياً.
ويلاي في كل شارق.
مات العَمَد ووهن العَضُد.
شكواي إِلى أبي.
وعدواي إِلى ربي.
اللهم أنت أشدُّ قوةً وحولا.
وأحدُّ بأساً وتنكيلا.
فقال أمير المؤمنين (عليه السّلام):
لاويل عليكِ.
بل الويل لشانئكِ.
نهنهي عن وَجدكِ يابنة الصفوة[1].
وبقيّة النبوّة.
فما وَنيتُ عن ديني[2].
ولا أخطأت مقدوري.
فإِن كنتِ تريدين البُلغة فرزقك مضمون[3].
وكفيلكِ مأمون.
وما أُعدَّ لكِ خير مما قُطع عنكِ.
فاحتسبي اللّه.
فقالت: حسبي اللّه. وأمسكت.

١ـ نهنهي: كُفّي، وجدك: حزنك.
٢ـ ونيت: عجزت.
٣ـ البُلغة ـ بضم الباء ـ : الكفاية.

الامام علي في انتظار فاطمة الزهراء

كان الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) ينتظر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) زميلته في الجهاد، وشريكته في الآلام والآمال.

ينتظر رجوعها من ساحة الجهاد، من مسجد أبيها.

من المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في أكبر مركز إسلامي يومذاك.

رجعت وهي مرهقة بأتعاب الجهاد المتواصل. وحياتها كلها جهاد.

رجعت وهي منتصرة، وإن كانت ـ في الوقت نفسه ـ مغلوبة على أمرها مظلومة مهضومة، منكسرة القلب، متعبة الأعصاب. حزينة.

إنتصرت لأنها أعلنت للجماهير، للأجيال، للتاريخ أنها مظلومة، مغصوب حقها أنها أدانت السلطة بالخطأ المكشوف، بالإعتداء المقصود.

إنتصرت لأنها عرّفت الإسلام كما ينبغي.

تحدثت عن النقاط الرئيسية في الإسلام، عن التوحيد عن النبوة و الإمامة، وعلل الأحكام، وفلسفة الشريعة الإسلامية، وبكل ما يدور في هذا الفلك الواسع الشاسع.

ووصلت إلى بيتها، وقد بقي الشوط الأخير من أشواط الجهاد.

رجعت لتكشف حقيقة أخرى لأهل العالم. للتاريخ.

واختارت ـ لكشف الحقيقة ـ هذه الطريقة وهذا الأسلوب أسلوب الحوار مع زوجها.

الحوار الذي يشبه العتاب.

وفي الوقت نفسه تتحدث عن الأحداث،عن موقف السلطة يومذاك.

عن موقف المسلمين الذين استولت عليهم الحيرة والدهشة والذهول.

الضمائر تؤنّبهم، والإحساس بالألم يجري دموعهم، الخوف من السلطة يخرسهم، فهم في ذهول.

يرون شيئاً، ويسمعون أشياء:

يرون رئيس الدولة، وهو يدَّعي أنه يمثّل صاحب الشريعة الإسلامية.

ويسمعون من إبنة صاحب الشريعة (فاطمة) الآهات، وكلمات التظلّم والسخط على الحكام.

شكوى من فاطمة الى علي (عليهما السّلام)

رجعت إلى الدار لتكشف موقف زوجها العظيم تجاه تلك الأحداث، فقالت: «**يابن أبي طالب**».

ربما يتصور بعض أهل العلم ـ من الخطباء وغيرهم ـ أن الزهراء تحدَّت زوجها العظيم بهذا التحدّي الصريح اللاذع.

إذ انها لم تخاطبه بكلمة: (يا بن العم) أو (يا أبا الحسن) أو (ياعلي) أو ما أشبه ذلك من الكلمات التي تناسب للزوجة أن تخاطب بها زوجها.

فيحملون هذا التحدي على مدى تأثرها من الأحداث، وتألّمها مما جرى.

أقول: سبحان اللّه! وأي منقصة في هذا الخطاب؟!

وأي عارٍ في هذا النسب؟!

أبو طالب:

شيخ الأباطح، سيد أهل مكة، حامي الرسول، مفخرة التاريخ، عظيم

قريش، كبير بني هاشم في عصره.

أبو طالب:

الشجاع الذي هابه المشركون، البطل الذي ظلَّ الرسول يدعو إلى اللّه، تحت حماية ذلك البطل.

أبو طالب:

رجل الحميّة، مثال الفتوة والشهامة، بطل الغيرة والعاطفة.

فما المانع أن يقال لشبله البارّ ونجله العظيم: يابن أبي طالب؟!!

أليس معنى: (يا بن أبي طالب) يا بن العظمة والسيادة؟

يابن الشرف والمجد؟

يابن البطولة والبسالة؟

يابن الحميّة والحفاظ؟

يابن الفضيلة، بل الفضائل كلها؟

أليس معناه هذا؟؟؟

نعم، انها قالت: (يا بن أبي طالب) وكأنها تهيّج عزائمه.

وكأنها تستنهضه للنجدة، وتذكّره بنسبه الشريف الأرفع.

تذكّره أنه ابن أبيه.

كأنها تقول له: ان أباك أسعف أبي، ووقف له وقفة المدافع المستميت فلماذا لاتدافع عنّي؟ لاتسعفني؟

ثم ذكّرته بسوابقه البطولية، ومواقفه العظيمة، وإقدامه في جبهات القتال، وتحطيمه الأُسود، وطحنه الأبطال طحن الرحى. ثم قارنت بين ماضيه وحاضره، وقالت:

«اشتملت شملة الجنين» الجنين المحبوس في غشاء المشيمة، لايستطيع أن يعمل شيئاً.

«وقعدت حجرة الظنين» المتّهم، الذي يجلس في بيته فراراً من الناس، وخوفاً أن يلتقي به أحد، وفي نسخة: «حجزة الظنين».

«نقضت قادمة الأجدل» كنت ـ فيما مضى ـ تكسّر أجنحة الصقور، وهي بمنزلة العمود الفقري في الطائر.

«وخانك ريش الأعزل» صرت ـ في الحال ـ أعزلاً، لاسلاح لك، ضعيفاً حتى اعتدى عليك أفراد ليسوا في العير ولا في النفير، وكأنها تتعجب من سكوته في أول الأمر وعدم قيامه بطلب الحق، وفي نسخة: «خاتك» أي انقضّ عليك.

ثم وضعت النقاط على الحروف, وشرحت الموضوع بالتفصيل، فقالت:

«هذا ابن أبي قحافة».

كلمة (ابن أبي قحافة) معاكسة ومغايرة تماماً لكلمة (ابن أبي طالب) من حيث المغزى والمفهوم.

أما كان عبدالله بن جذعان صاحب المضيف في الطائف؟

أما كان أبو قحافة يحمل أواني الطعام من المطبخ إلى المضيف؟

أما كان يدعو الناس للطعام بأمر عبدالله بن جذعان؟

ابن أبي قحافة **«يبتزّني نحلة أبي»** يسلبني عطية والدي.

«وبُلغة ابنيَّ» وهي ما يكتفي به ولداي: الحسن والحسين لمعيشتهما من غلاّت فدك والعوالي، أو من الخمس والفيء.

«لقد أجهر في خصامي» أعلن في مخاصمتي، وتجاوز الكلام حدّ التفاهم والاستدلال، وبلغ حدّ العناد والخصومة، فالحجة والدليل في المنطق غير مقبول، والتفاهم غير ممكن، لأنه أنكر قانون الميراث، والتوارث بين الأب وابنته.

«وألفيته الألدَّ في كلامي» لأنه افترى على الرسول بحديث ينافي القرآن، وهو المدّعي، وهو الشاهد،وهو الحاكم، وجعل ذلك الحديث حجة له ودليلا على ما يدّعي.

«حتى حبستني قيلة نصرها» ان الأنصار وهم الأوس والخزرج إبنا قيلة، وهي أمهما قد تركوا نصرتي بعد مواقفهم في نصرة الدين، تركوا نصرتي لأن الناس على دين ملوكهم.

«والمهاجرة وصلها» أي امتنع المهاجرون (وهم أهل مكة) عن وصلي وإسعافي وهنا نكتة لطيفة: في استعمال الوصل في مقابل الهجر.

«وغضَّت الجماعة دوني طرفها» يا للرزية، ياللهضيمة! إن بقية الناس الحاضرين في المسجد أيضاً أعرضوا عني واتّبعوا غيرهم في التخاذل وكأنهم لايعرفونني.

«فلا دافع ولا مانع» كي يدافع عني، ويضمُّ صوته إلى صوتي، أو يدفع عني اعتداء المعتدين، ويمنعهم عن ذلك، وفي نسخة: «ولا شافع».

«خرجت كاظمة، وعُدتُ راغمة» خرجت من البيت إلى المسجد كاظمة للغيظ متجرعة للألم، ورجعت إلى الدار وقد عجزت عن الانتصار.

«أضرعت خدَّك يوم أضعت حدك» كأنّها تعتبر سكوت علي (عليه السّلام) أمام تلك الأحداث نوعاً من التذلل بسبب كبت النفس، وعدم استعمال القوة، وعدم إظهار القدرة.

«أفترست الذئاب وافترشت التراب» هذه الجملة تفسير وتفصيل للجملة السابقة، لأن الرجل البطل المقدام الذي يفترس الذئاب أي يجدّل الأبطال ويقتل الشجعان كيف يبلغ به الأمر إلى درجة أنه يفترش التراب للجلوس أو النوم، أي ليس له فراش يجلس عليه سوى التراب، وهو منتهى الفاقة والبؤس، وفي بعض النسخ: «افترست الذئاب وافترستك الذباب» أي

صرت فريسة للضعفاء.

«ما كففت قائلاً ولا أغنيت باطلاً» يمكن أن يكون قولها: «ما كففت ولا أغنيت» بصيغة المتكلم أي ما كففت أنا، ويمكن أن يكون بصيغة الخطاب أي ما كففت أنت.

وعلى الوجه الأول فالمعنى: لم أستطع أن أمنع قائلاً عن قوله، وان أصرف باطلاً، وفي بعض النسخ: «ولا أغنيت طائلاً» أي ما فعلت شيئاً نافعاً، أي ما ينفعك السكوت والقعود.

وعلى الوجه الثاني: «إنك لم تدفع عني قائلا، ولم تصرف عني باطلا».

«ولا خيار لي» أي لاقدرة لي على الدفاع واسترجاع الحق، أو لا اختيار لي في المقاومة والمكافحة أكثر من هذا، لأنني امرأة، والمرأة محدودة في تصرفاتها وامكانياتها.

«ليتني متُّ قبل هينتي ودون ذلّتي» حقّ لها أن تتمنى الموت قبل أن ترى ذلك الجفاء من أمة أبيها، من اولئك الأفراد الذين كوّنهم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ومنحهم العز والسيادة، وأنقذهم من شفا جرف الهلكات.

قبل أن تشاهد الذل والهوان من ذلك المجتمع الجاف الذي لايؤمن بالقيم ولا بالكرامة.

«عذيري اللّه منك عادياً ومنك محامياً» لهذه الجملة احتمالات:

الأول: اللّه يعتذر منك بسبب إسائتي إليك أو إيذائك بهذا النوع من الكلام.

الثاني: عذري انك قصّرت في إعانتي وحمايتي. وهناك احتمالات أخرى بعيدة جداً.

«ويلاي في كل شارق» ويلاي: كلمة تقال عند الشدة والمصيبة فهي اذن تدل على شدّة حال قائلها من حيث التألّم والتوجّع، تقول (عليها السّلام): ويلاي في كل صباح تشرق فيه الشمس.

وفي نسخة: «ويلاي في كل شارق ويلاي في كل غارب» أي في كل صباح ومساء وعند كل شروق وكل غروب، بسبب المصيبة، وهي:

«مات العمد ووهن العضد» أي مات الذي كان يسند به ويعتمد عليه في الأمور وبِموت العماد ضعف العضد، أي: بموت الرسول ضعف الإمام أمير المومنين (عليهما السّلام) وفي نسخة: «وذلّ العضد».

«شكواي إلى أبي» أي: ليس لي أحد أشكو إليه ما جرى عليّ سوى أبي (ص).

«وعدواي إلى ربي» أي: من اللّه أطلب النصرة والانتقام.

«اللهم أنت أشد قوة وحولا» في الدفع والمنع، ولاحول ولاقوة إلاّ باللّه.

«وأحدُّ بأساً وتنكيلا» أي: أشد عذاباً وعقوبة.

انتهى كلام الصدّيقة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) حول الأحداث وموقف السلطة والناس منها.

وكان الإمام يستمع إلى شكواها... إلى آلامها... إلى كلماتها المنبعثة من قلب ملتهب ونفس متألمة!..

الامام علي يخفّف عنها الآلام

والآن: آن للإمام أن يجيبها على كلامها، ويذكر موقفه تجاه تلك القضايا والوقائع التي ألّمت بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)،

فقال لها:

«لا ويل عليكِ» هذا جواب من الإمام على كلامها حيث قالت: «ويلاي» فيقول الإمام لها «لا ويل عليك» أي لاينبغي أن تقولي «ويلاي».

«بل الويل لشانئكِ» لمبغضك الذي خسر الدنيا والآخرة، الويل لعدوّك الذي ظلمك، وكسر قلبك وآذاك.

«نهنهي عن وجدكِ يابنة الصفوة» أي: كُفّي وامنعي نفسك عن الحزن والغضب يا ابنة الذي اصطفاه اللّه واختاره على العالمين.

«وبقية النبوة» أنت بضعة النبي، وقد أوذي النبي من أمته، كما قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): ما أُوذي نبي بمثل ما أوذيت.

أنت ـ يا فاطمة ـ بعض من ذلك الكل، وجزء من سيد الرسل. فاصبري على ما أصابكِ.

ثم انه (عليه السّلام) ذكر موقفه، وبيّن تكليفه الشرعي تجاه تلك الأحداث فقال:

«فما ونيتُ عن ديني» أي: ما عجزت عن القيام بما يجب، وما ضعف ديني واعتقادي، أي لم أصنع شيئاً أستحق عليه اللوم والعتاب، لأنني مأمور بالصبر والسكوت، لأن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قد أمرني بالصبر إن لم أجد أعواناً، وليس غصب فدك والعوالي بأعظم من غصب الخلافة والاستيلاء على منصة الحكم، والجلوس على مسند السلطة.

«ولا أخطأت مقدوري» أي: ما تركت ما دخل تحت قدرتي وإمكانيتي، كأنه (عليه السّلام) يعتذر عن سبب تقاعده عن نصرتها.

والمقدور ـ هنا ـ ليس المقدور العقلي بل المقدور الشرعي، ولنضرب لذلك مثلا: المريض الذي يضره استعمال الماء للاغتسال والوضوء قادر على استعمال الماء عقلاً وعاجز شرعاً، وأمير المؤمنين (عليه السّلام) كان يستطيع

أن ينهض ويحمل سيفه ويهاجم المغتصبين، ويقتل منهم أفراداً لايتجاوزون العشرة ويستولي على فدك والعوالي، وعلى الحكم.

أما قتل علي (عليه السّلام) يوم بدر حوالي خمسة وثلاثين رجلاً من الشجعان؟ مع العلم أن رجال السلطة يومذاك لم يكونوا بأشجع من الذين حضروا يوم بدر لمحاربة رسول اللّه.

هذه القدرة العقلية المتوفرة للإمام (عليه السّلام).

وأما القدرة الشرعية: فان علياً إذا نهض لأجل القضاء على اولئك الأفراد فمعنى ذلك وقوع الفتن والمصائب والاضطرابات الداخلية واتساع نطاق الفتنة وخاصة وأن هناك أفراداً يتربصون بالإسلام وينتهزون الفرصة للإطاحة بذلك الدين الذي كان غضاً جديداً لم تستقر أركانه بعد، ولم يضرب بجرانه الأرض.

أضف إلى ذلك وصية النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لعلي (عليه السّلام) بالصبر والسكوت.

إذن: فالأفضل التضحية بفدك والعوالي، والسكوت عن المغتصبين رعاية للإسلام وحفظاً للدين من الضياع والانهيار.

«فان كنتِ تريدين البلغة» أي: ان كان هدفك من مطالبة الأراضي هو البلغة وهي ما يتبلغ به من العيش بمقدار الكفاف لك ولأولادك.

«فرزقكِ مضمون» والضامن هو اللّه الذي تكفّل رزق كل ذي روح.

«وكفيلكِ مأمون» وهو اللّه تعالى لايخلف وعده فيما تكفّله وضمنه.

«وما أُعدّ لكِ» من الأجر، وتهيأ لك من الثواب في الآخرة والعظمة يوم القيامة والدرجات العالية التي أحرزتيها في مقابل هذه المصائب

والاضطهاد والمظلومية.

«**أفضل مما قطع عنكِ**» من الأراضي، وأفضل مما منعوكِ من حقوقكِ.

«**فاحتسبي اللّه**» اصبري طلباً لرضاه.

«**فقالت: حسبي اللّه. وأمسكت**» امتثلت أمر إمامها، وأطاعت زوجها، وقالت: حسبي اللّه. أي: اللّه كافئي، وعليه أعتمد في أموري. وسكتت ورضيت (سلام اللّه عليها).

خطبة الزهراء في نساء المهاجرين والانصار

قال سويد بن غفلة:

لما مرضت فاطمة (عليها السّلام) المرضة التي توفّيت فيها

اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار يَعُدنَها

فقلن لها: كيف أصبحتِ من علّتكِ يا ابنة رسول اللّه؟

فحمدت اللّه، وصلّت على أبيها، ثم قالت:

أصبحتُ - واللّه - عائفةً لدنياكنّ[١]

قاليةً لرجالكن[٢]

لفظتُهم بعد أن عجمتهم[٣]

وشنئتهم بعد أن سبَرتهم[٤]

فقبحاً لفلول الحد[٥]

واللعب بعد الجدّ[٦]

وقرع الصفاة، وصدع القناة[٧]

١ـ عائفة: كارهة.

٢ـ قالية: مبغضة.

٣ـ لفظتهم: رميت بهم. عجمتهم: مضغتهم.

٤ـ شنئتهم: أبغضتهم. سبرتهم: عرفت عمقهم، أي تأمّلتهم.

٥ـ فلول الحد: ثلمة حدّ السيف.

٦ـ الجد ـ بكسر الجيم ـ ضد الهزل واللعب.

٧ـ قرع الصفاة: ضرب الصخرة الملساء، وصدع القناة: استرخاء الرمح. وقيل: الصدع: الشق.

وخطل الآراء، وزلل الأهواء[١]

وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم.

أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون[٢]

لا جرَمَ لقد قلّدتهم ربقتها[٣]

وحمّلتهم أوقتها[٤]

وشننت عليهم عارها[٥]

فجدعاً وعَقراً وسُحقاً للقوم الظالمين[٦]

ويحهم!

أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة[٧]

وقواعدِ النبوة والدلالة[٨]

ومَهبطِ الروح الأمين[٩]

والطبين بأمور الدنيا والدين[١٠]

ألا: ذلك هو الخسران المبين

١ـ خطل الآراء: فسادها. وزلل الأهواء: إنحراف الميول والرغبات.

٢ـ المائدة: ٨٠.

٣ـ قلّدتهم: جعلت في أعناقهم، ربقتها: حبلها.

٤ـ حمّلتهم أوقتها: حمّلتهم الثقل والمسؤولية.

٥ـ شننت: أرسلت. والعار: السبة والعيب.

٦ـ الجدع ـ بفتح الجيم ـ: قطع الأنف. والعقر ـ بفتح العين ـ: الجرح. والسحق: البعد، وكلها في مقام الدعاء عليهم.

٧ـ زحزحوها: نحّوها. والرواسي: الثوابت.

٨ـ قواعد البيت: أسسه.

٩ـ مهبط الروح الأمين: محل نزول جبرئيل.

١٠ـ الطبين: الحاذق الفطن العارف.

وما الذي نقموا من أبي الحسن؟[١]
نقموا منه ـ واللّه ـ نكير سيفه[٢]
وقلّة مبالاته بحتفه[٣]
وشدّة وطأته ونكال وقعته[٤]
وتنمّره في ذات اللّه (عزّوجلّ)[٥]
واللّه لو تكافّوا عن زمامٍ نَبَذَه رسول اللّه إليه لاعتلقه[٦].
ولَسارَ بِهم سيراً سُجُحاً[٧]
لايكلم خشاشُه[٨]
ولايتعتع راكبه[٩]
وأوردهم منهلاً، صافياً رويّاً، فضفاضاً تطفح ضفّتاه، ولايترنق جانباه[١٠]
ولأصدرهم بِطاناً[١١]

١ـ نقموا منه: عابوا وكرهوا.
٢ـ نكير سيفه: لايعرف سيفه أحداً ولايفرّق بين الشجاع وغيره.
٣ـ الحتف: الهلاك.
٤ـ وطأته: أخذته. ونكال وقعته: إصابة صدمته.
٥ـ التنمّر: الغضب، والمقصود من ذات اللّه أي لوجه اللّه.
٦ـ تكافّوا: صرف بعضهم بعضاً. والزمام: مقود البعير. أو الخيط الذي يُشدّ في ثقب أنف البعير.
٧ـ السير السجح: السهل اللين.
٨ـ لايكلم: لايجرح. والخشاش ـ بكسر الخاء ـ الخيط الذي يدخل في عظم أنف البعير.
٩ـ يتعتع راكِبه: يقلق ويتحرك حركة عنيفة.
١٠ـ المنهل: محل ورود الماء. والنمير: الماء العذب السائغ النامي للجسد، والروي: الكثير. والفضفاض: الواسع. تطفح: تمتلىء حتى تفيض. ضفّتاه: جانباه. يترنّق: يتكدّر.
١١ـ بطاناً: عظام البطون من كثرة الشرب.

ونصح لهم سراً وإعلانا

ولم يكن يحلى من الغنى بطائل[١]

ولايحظى من الدنيا بنائل[٢]

غير ريّ الناهل[٣]

وشبعة الكافل[٤]

ولَبَانَ لهم الزاهد من الراغب

والصادق من الكاذب

«ولو أنَّ أهل القرى أمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذَّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»[٥].

والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين[٦]

ألا: هلمَّ واستمع

وما عشتَ أراك الدهر عجباً!

وإن تعجب فعجبٌ قولهم!!

ليت شِعري إلى أيّ سِناد استندوا؟[٧]

وعلى أي عِماد اعتمدوا؟

١ـ يحلى: يصيب ويستفيد. والطائل: كثير الفائدة.

٢ـ يحظى: يظفر. والنائل: العطاء.

٣ـ الناهل: العطشان.

٤ـ الكافل ـ هنا ـ : المحتاج إلى الطعام.

٥ـ سورة الاعراف:٩٦.

٦ـ سورة الزمر: ٥١.

٧ـ ليت شعري: ليتني علمت.والسناد ـ بكسر السين ـ :ماستندت إليه من حائط أو غيره.

وبأيَّة عروة تمسَّكوا؟
وعلى أيَّة ذريَّة أقدموا واحتنكوا؟[١]
لبئس المولى ولبئس العشير
وبئس للظالمين بَدَلاً
إستبدلوا ـ والله ـ الذُّنابا بالقوادم[٢]
والعَجُز بالكاهل[٣]
فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً[٤]
«ألا: إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون».
ويحهم!!
«أفمن يهدي إلى الحق أحقُّ أن يُتَّبع أم من لايَهدّي إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون»؟[٥]
أما: لعمري! لقد لقحت[٦]
فَنَظِرة ريثما تُنتج[٧]
ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطا[٨]
وذعافاً مبيداً[٩]

١ـ احتنكوا: استولوا.
٢ـ الذناب: ذنب الطائر. القوادم: ريشات في مقدم الجناح.
٣ـ العجز ـ بفتح العين وضم الجيم ـ : المؤخر من كل شيء، والكاهل: ما بين الكتفين.
٤ـ رغماً: كناية عن الذل. والمعاطس: جمع معطس (مكان العطسة) وهو الأنف.
٥ـ سورة يونس: ٣٥.
٦ـ لقحت: حملت.
٧ـ فنظرة: فمهلة. ريثما: مقدار ما. وتنتج: تلد.
٨ـ القعب: إناء ضخم. والدم العبيط: الطري.
٩ـ الذعاف: السم السريع الفناء. والمبيد: المهلك.

هنالك يخسر المبطلون

ويعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأولون[١]

ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا[٢]

واطمأنّوا للفتنة جاشا[٣]

وأبشروا بسيف صارم

وسطوةِ معتد غاشم[٤]

وهرج شامل[٥]

واستبداد من الظالمين[٦]

يَدَعُ فيئكم زهيداً[٧]

وجمعكم حصيداً[٨]

فيا حسرةً لكم[٩]

وأنّى بكم؟[١٠]

وقد عميت عليكم[١١]

١ـ التالون: التابعون. والغب: العاقبة.

٢ـ طابت نفسه عن كذا: رضيت به من غير كراهة.

٣ـ الجاش: القلب.

٤ـ المعتدي: الجائر. والغاشم: الظالم.

٥ـ الهرج: الفوضى، والقتل، واختلاط الأمور.

٦ـ الاستبداد: التفرد بالشيء من غير منازع.

٧ـ الفيء: الخراج والغنيمة. وزهيداً: قليلاً.

٨ـ جمعكم: زرعكم.

٩ـ الحسرة: التلهف على الشيء الفائت.

١٠ـ كيف يصنع بكم.

١١ـ عميت: التبست.

أنُلزِمكموها وأنتم لها كارهون؟؟

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها على رجالهن

فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا:

يا سيدة النساء

لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد[١]

ونُحكِم العقد لما عَدَلنا إلى غيره!!!

فقالت:

إليكم عني!

فلاعذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم[٢].

١ـ نبرم العهد: نبايع لأبي بكر.

٢ـ التعذير: هو التقصير ثم الاعتذار. والتقصير: التواني عن الشيء.

عيادة النساء لفاطمة الزهراء (عليها السّلام)

لانعلم ـ بالضبط ـ السبب الحقيقي والدافع الأصلي الذي دعا نساء المهاجرين والأنصار لعيادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)، فهل كان ذلك بإيعاز من رجالهن؟ فما الذي دعا أولئك الرجال لإرسال نسائهم إلى دار السيدة فاطمة؟

أو هل حصل الوعي عند النساء وشعرن بالتقصير بل الخذلان لبنت رسول اللّه، فانتشر هذا الشعور بين النساء فأنتج ذلك حضورهن للعيادة، للمجاملة أو إرضاءً لضمائرهن المتألمة مما حدث وجرى على سيدة النساء؟؟

أو كانت هناك أسباب سياسية فرضت عليهن ذلك فحضرن لتلطيف الجو وتخفيف توتر العلاقات بين السيدة فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وبين السلطة الحاكمة في ذلك اليوم؟

خاصة وأن الموقف الإعتزالي الذي اختارته السيدة فاطمة لنفسها، وانسحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خالياً عن التأثير، بل كان جالباً لإنتباه الناس، وبالأخص حين خرج الإمام أميرالمؤمنين بالسيدة فاطمة يطوف بها على بيوت المهاجرين والأنصار، تستنجد بهم وتستنهضهم فلم تجد منهم الإسعاف بل وجدت منهم التخاذل، وقد مرّت عليك نتيجة الحوار الذي جرى بين السيدة فاطمة الزهراء وبين معاذ بن جبل، وعرفت موقف ابنه من ذلك الرد السيء.

وعلى كل تقدير فلايعلم ـ أيضاً ـ عدد النساء اللاتي حضرن عند السيدة فاطمة وهي طريحة الفراش، ولكن المستفاد أن العدد لم يكن قليلاً

بل كان العدد كثيراً يعبأ به.

فانتهزت السيدةفاطمةالزهراء(عليهاالسّلام)الفرصة،واستغلّت اجتماع النساء عندها لأن تضع النقاط على الحروف، وتكتب في سجل التاريخ الأعمال البشعة التي قام بها بعض المسلمين تجاه عترة نبيهم وذريته الطاهرة.

والنساء يشكّلن نصف المجتمع أو أكثر من النصف، وكل امرأة مرتبطة برجلٍ من زوج أو أب أو أخ أو إبن، فهي بإمكانها أن تقوم بِدورٍ فعّال في المجتمع وخاصة في حقل الدعاية والإعلام والنشر.

فلماذا تسكت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في هذا الإجتماع ولماذا لاتذكر إستياءَها من أولئك المتطرفين؟

«قلن لها: كيف أصبحتِ من علّتكِ يا ابنة رسول اللّه؟».

هكذا جرت العادة والآداب أن العائد يسأل المريض عن صحته وعلّته، فيجيبه المريض عما يشعر به من المرض والألم.

ولكن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) لم تجبهن عن مرضها وتدهور صحتها، بل أجابتهن عن آلامها النفسية، ومصائبها الشخصية، فالتحدّث عن هذه الأمورأولى وأوجب من التحدث عن أحوالها الصحية، لأن تلك المصائب هي التي جرّت العلّة والمرض على السيدة فاطمة وسلبتها العافية والصحة، فالتحدث عن السبب أولى من التحدث عن المسبب، والإخبار عن العلة أفضل من الإخبار عن المعلول.

وهنا أجابت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) على أسئلة النسوة كما تقتضي الحال.

ولاتعجب إن كانت السيدة فاطمة لم تنس أصول الفصاحة والبلاغة والأدب الرفيع والمستوى الأعلى في الكلام بسبب إنحراف صحتها، بل قالت:

فاطمة الزهراء تضع النقاط على الحروف

«أصبحتُ - واللّه - عائفة لدنياكن» نعم، إنها تبدي تنفّرها عن حياة الدنيا وكراهتها لذلك المجتمع الذي لايؤمن بالقيم.

«قالية لرجالكن» ويحقّ لها أن تبدي إشمئزازها وغضبها على رجال المدينة، الذين كان موقفهم تجاه السيدة فاطمة الزهراء موقفاً سلبيّاً للغاية، فلقد مرَّ عليك أنهم أبدوا إنزعاجهم من بكاء السيدة فاطمة الزهراء على فقد أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ولم يتجاوبوا معها في إسعافها والوقوف معها.

«لفظتهم بعد أن عجمتهم» أي رميتهم من فمي بعد أن عضضتهم، كما يرمي أحدنا اللقمة من فمه ويشمئز منها.

«وشنئتهم بعد أن سبرتهم» أي أبغضتهم ومللتهم بعد أن أختبرتهم، وكرهتهم بقلبي بسبب سوء تصرفاتهم.

«فقبحاً لفلول الحد» شبّهت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) رجال أهل المدينة بالسيف الذي إنثلم حدّه فلايقطع، إشارة إلى قعودهم عن نصرتها، وخذلانهم إياها، فكأنها (عليها السّلام) تستقبح فيهم سكوتهم عما جرى على بنت نبيهم من الظلم والإضطهاد.

«واللعب بعد الجد» والمقصود: عدم المبالاة بالحق بعد اهتمامهم بذلك، فإنهم كانوا جادّين في نصرة الإسلام، ولكن الآن صاروا وكأنهم يلعبون ألعاباً سياسية.

«وقرع الصفاة» والمراد: التذلل والإنقياد لكل مَن قادهم.

«وصدع القناة» وفي نسخة: «خور القناة» إشارة إلى استرخاء الرمح بسبب إنشقاقه، وينبغي أن يكون الرمح صلباً حتى يمكن الطعن به، وإذا كان الرمح رخواً لايمكن أن يُطعن به.

«وخطل الآراء» وفي نسخة: «أفون الرأي» وفي نسخة أخرى: «خطل القول» وعلى كل تقدير فهو إشارة إلى انحراف آرائهم وفسادها، وشذوذ مواقفهم السلبية، والإيجابية.

أما مواقفهم السلبية فهي تجاه أهل بيت نبيهم (عليهم السّلام) وعدولهم عن أهل البيت إلى غيرهم، وأما الإيجابية فاعترافهم بالسلطة المناوءَة لآل الرسول.

«وزلل الأهواء» ما أقبح تلك الرغبات المنحرفة التي لعبت بمقدرات المسلمين على مرّ التاريخ وعلى مر القرون، وتلك العثرات المنبعثة عن إتباع الأهواء الضالة المضلة، ومن مشتهيات الأنفس.

«وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون» هذه الآية من سورة المائدة آية (٨٠) وقبلها: «لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولَّون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون».

انها (عليها السّلام) أدمجت هذه الآية في حديثها للمناسبة بين الموردين، ويظهر وجه المناسبة بالمقارنة بين الآيات وبين موقف أولئك المتخاذلين.

«لاجرم لقد قلّدتهم ربقتها» انها (عليها السّلام) تلقي المسؤولية -

مسؤولية الأجيال كلها ـ على أعناق أولئك الأفراد، إذ أنها لما حضرت في المسجد وخطبت، وأتمت الحجة على الحاضرين واستنجدت بالمهاجرين والأنصار ثَبَت التكليف الشرعي في حقهم، وحيث أنهم لم ينصروها فهم مسؤولون عن مضاعفات ذلك الخذلان أمام اللّه وأمام التاريخ.

«وحمّلتهم أوقتها» أي حمّلتهم ثقل المسؤولية وشومها.

«وشننت عليهم عارها» شننت الماء على التراب: أرسلته وصببته بصورة متفرقة، وفي نسخة: «سننت» أي صببت بصورة متصلة غير متفرقة، وعلى كل تقدير فالمعنى: أن عليهم سبّة التاريخ وعار الأبد بسبب ذلك الجفاء الذي أبدوه تجاه أهل البيت.

«فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين» وفي نسخة: «فجدعاً ورغماً» وفي نسخة أخرى: «فجدعاً وعقراً وبُعداً» هذه كلمات دعاءٍ عليهم بسبب ظلمهم لآل الرسول، والظلم: وضع الشيء في غير ما وُضع له، والظلم على درجات ومراتب، فهناك الظلم بالنملة، وهناك الظلم بالأمة الإسلامية عبر التاريخ، والظلم بأولياء اللّه الذين يرضى اللّه لرضاهم، ويغضب لغضبهم.

ويستحق الظالمون أن يدعى عليهم بالجدع والعقر والبُعد، فيقال: جدعهم اللّه جدعاً وعقرهم اللّه عقراً، ومعناهما: قطع اللّه أيديهم وآذانهم وشفاههم وجرح اللّه أبدانهم.

«ويحهم» ويح: كلمة تستعمل في مقام التعجب، وقد يكون معناها الويل.

«أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة؟» وفي نسخة: «زعزعوها» تتعجب (عليها السّلام) من سوء اختيارهم، أي كيف نحّوا خلافة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عن مواضعها الثابتة التي هي بمنزلة الجبال

لحركة الأرض وسيرها بصورة منظمة وحفظها من الاضطراب؟!

«وقواعد النبوة» القواعد: جمع قاعدة وهي ـ هنا ـ الأساس للبناء، فكما أن البناء إذا بني على غير أساس ينهدم، فكذلك الخلافة إذا وُضعت في غير موضعها اللائق بها تنهار معنوياً، ويختل نظامها، وتضطرب أركانها.

«ومهبط الروح الأمين» كان جبرئيل يهبط في بيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وبيوت أهل بيته، وبيت فاطمة مهبط الروح الأمين.

«والطبين بأمر الدنيا والدين» الفطن الحاذق بالامور المتعلقة بالحياة الدنيا، وكذلك القضايا المتعلقة بالدين في جميع المجالات وشتى الأحكام، وتقصد بذلك أهل بيت الرسول (عليهم السّلام) وتخص زوجها الحكيم العظيم الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام).

«ألا: ذلك هو الخسران المبين» إي واللّه، خسران واضح خسرته الأمة الإسلامية في جميع مجالات حياتها من الحياة الفردية والزوجية والعائلية والاجتماعية والاقتصادية والصحية والسياسية والعمرانية والدينية والدنيوية والأخروية.

كل ذلك حين سلبت الأمةُ السلطةَ والقدرةَ من أهل بيت الرسول، وتصرّف في القيادة الإسلامية أفراد كانوا هم والإسلام على طرفي نقيض، إذ كان الإسلام شيئاً، وهم كانوا شيئاً آخر.

فكانت إراقة الدماء البريئة أسهل وأهون عندهم من إراقة الماء.

والتلاعب بالأحكام الإلهيّة والقوانين الإسلامية كالتلاعب بالكرة وغيرها من الألاعيب.

إن المآسي التي شملت الأمة الإسلامية (عبر التاريخ) مما تقشعرّ منها

الجلود، وتضطرب منها القلوب، كل ذلك من جرّاء القيادة غير الرشيدة التي تسلّمها أفراد من هذه الأمة.

وليس في هذا الكتاب مجال لاستعراض تلك المجازر الجماعية، والمذابح المؤلمة التي قام بها بعض حكام المسلمين على مر التاريخ الإسلامي.

فقد ستروا الكرة الأرضية بقشرة من المقابر التي ضمّت الآلاف المؤلفة من النفوس البريئة التي كانت ضحايا لأهواء أفراد، وفداءً لكراسيّهم ومناصبهم وملذاتهم، وأما الكبت والاضطهاد والحرمان والجوع والبؤس الذي ساد العباد والبلاد فحدّث ولاحرج.

نعم، هذا هو الخسران المبين، ولايزال الحبل ممدوداً حتى اليوم وبعد اليوم.

«وما الذي نقموا من أبي الحسن؟» أي: أيّ شيء عابوه من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى نحوّه عن السلطة، وقدّموا غيره عليه؟

نقصاً في العلم؟

أو جهلاً في الفتيا؟

أو سوءاً في الخُلق؟

أو عاراً في الحسب؟

أو ضعفاً في الدين؟

أو عدم كفاءة في الأمور؟

أو جبناً في النفس؟

أو خسّة في النسب؟

أو قلّة في الشرف؟

أو بخلاً بالمال؟

أو أي عيب في مؤهلاته وكفاءاته؟

كل ذلك لم يكن، بل كان علي (عليه السّلام) أعلم هذه الأمة جمعاء، وهو باب مدينة علم الرسول وأقضاهم في الفتوى.

وأشبه الناس خُلقاً بالرسول الذي كان على خلق عظيم.

وابن شيخ الأباطح: أبي طالب، مؤمن قريش

وأعبد الناس في هذه الأمة

وأشجعهم نفساً، وأقواهم قلباً، وأكثرهم جهاداً

وكتلة من الفضائل

وفي أوج الشرف والعظمة

وأسخاهم كفاً، وأبذلهم للمال

إذن: فما هو السبب في صرف الخلافة عنه إلى غيره؟

إن السيدة فاطمة (عليها السّلام) تجيب على هذه السؤال، وتقول: **«نقموا منه ـ والله ـ نكير سيفه»** أي عابوا شدّة سيفه، والمقصود أن علياً كان قد قتل في الحروب والغزوات رجالات هؤلاء وأسلافهم، وحطّم شخصياتهم، فكانوا يكرهونه بسبب سيفه الخاطف للأرواح.

«وقلة مبالاته بحتفه» أي عدم اهتمامه واكتراثه بالموت، فالمجاهد الذي ينزل إلى جبهة القتال ينبغي أن يكون قليل المبالات بالموت، فكما أنه يَقتل كذلك يُقتل، وكان علي (عليه السّلام) يقول: والله لايبالي ابن أبي طالب أوَقع على الموت أم وقع الموت عليه.

«وشدّة وطأته ونكال وقعته» يقال: فلان شديد الوطأة أي شديد الأخذ وشديد القبض، والمقصود قوة العضلات ومعرفة القتال.

«ونكال الوقعة» أي: كان يصنع صنيعاً يحذّر غيره ويجعله عبرة له، فكانت ضربته وصدمته للأعداء نكالاً، أي يورث الحذر والعبرة للآخرين.

«وتنمّره في ذات الله (عزّوجلّ)» النمر شديد الغضب، إذا غضب

لنفسه لم يبال: قلّ الناس أم كثروا، ولايردّه شيء، ولايحول دون هدفه حائل ولايمنعه مانع، والرجل الشجاع ـ الذي يجاهد بلامبالاة ولاخوف، بل بكل غضب وشجاعة ـ يقال في حقه: تنمّر، أي صار شبيهاً بالنمر في الاقتحام.

لقد تلخص من كلامها (عليها السّلام) أن سبب انحراف الناس عن علي (عليه السّلام) كان لأغراض شخصية، وأمراض نفسية متأصلة في قلوبهم.

فلقد قتل علي (عليه السّلام) يوم بدر وأُحد وحنين والخندق وغيرها عدداً كبيراً لايستهان به من أقطاب الشرك، ورجالات الكفر، وشخصيات الجاهلية، أمثال: عتبة وشيبة والوليد وعمرو بن عبد ودّ وعقبة بن الوليد وغيرهم، وأكثر قبائل العرب كانت موتورة بسيف علي (عليه السّلام).

وحتى بعد أن أسلمت تلك القبائل كانت رواسب الحقد والعداء كامنة في نفوسهم.

والنجاح الكبير الذي أحرزه علي (عليه السّلام) في جميع المجالات من الطبيعي أن يهيّج الحسد في القلوب، والتقدم الباهر الذي كان حليف الإمام علي (عليه السّلام) في شتى الميادين كان في قمّة فضائله.

فالآيات القرآنية التي نزلت في حقه

والأحاديث النبوية التي شملته دون غيره

والموفّقية التي حازها علي (عليه السّلام) وحده

وخصائصه التي إمتاز بهاعن غيره من العالمين

كان لها أسوأ الأثر، في النفوس المريضة

وكانت تلك الرواسب والآثار كامنة في الصدور، كأنها نار تحت رماد، حتى توفي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وخلا الجو،

وارتفع المانع فعند ذلك زال الرماد، وظهرت النار،وجعلت تلتهب وتشتعل.

باللّه عليك انظر:

لقد مرّ عليك أن جماعة من الصحابة خطبوا السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فرفضهم النبي، وحينما خطبها علي من الرسول وجد الترحيب والتجاوب على أحسن ما يمكن.

أليس هذا مما يهيج الحسد في النفوس؟

ويأمر الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أبا بكر أن يذهب إلى مكة بسورة براءة، ليقرأها على أهل مكة، ويخرج أبو بكر بالسورة متوجهاً نحو مكة، فينزل جبرئيل على الرسول قائلاً: إن ربك يأمرك أن تبلّغ هذه السورة بنفسك، أو يُبلّغها رجل منك. فيأمر النبي علياً أن يتوجه نحو مكة، ويتولى قراءة السورة على أهل مكة، ويأمر أبا بكر بالرجوع.

أليس هذا الأمر يهيج الحسد في القلوب؟

وهكذا وهلم جرّاً، سِر مع علي (عليه السّلام) عبر تاريخ حياته، تجده المقدَّم على غيره في كافة المجالات.

ويمطره جبرئيل بآيات من الذكر الحكيْم تقديراً لبطولاته، وتنويهاً لانجازاته، وتقبّلاً لصدقاته، ومدحاً لخدماته.

والمسلمون يقرؤن تلك الآيات آناء الليل وأطراف النهار، راضين أو مرغمين.

ومن العجيب: أن علياً كان يخوض غمار الحروب بأمر الرسول، ولأجل التحفظ على حياة الرسول، الرسول الذي كان الإسلام متمثلاً ومتجسّداً فيه وقائماً به، فكيف كان الناس يكرهون علياً وهو الجندي ولايكرهون الرسول وهو القائد للجيش؟!

في البحار عن أبي زيد النحوي قال : سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت: لِمَ هجر الناس علياً (عليه السّلام) وقُرباه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قرباه، وموضعه من المسلمين موضعه، وعناؤه في الإسلام عناؤه؟؟

فقال: بَهَر ـ واللّه ـ نورُه أنوارهم، وغلبهم على صفو كل منهل، والناس إلى أشكالهم أميَل، أما سمعت الأول يقول:

وكل شكلٍ لشكله ألفُ ... أما ترى الفيل يألف الفيلا

وأنشدنا الرياشي عن العباس بن الأحنف:

وقائل كيف تهاجرتما؟ ... فقلت قولاً فيه إنصاف :

لم يك من شكلي فهاجرته ... والناس أشكال وأُلآف

وقال ابن عمر لعلي (عليه السّلام): كيف تحبك قريش وقد قتلت في يوم بدر وأُحد من ساداتهم سبعين سيداً، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم؟

فقال أمير المؤمنين (عليه السّلام):

ما تركت بدر لنا مذيقا ... ولا لنا من خلقنا طريقاً

ومن الواضح أن هذه الأمور ليست عيوباً ونقائص حتى يكره الناس علياً بسببها.

ومعنى كلام الزهراء (عليها السّلام): «نقموا منه ـ واللّه ـ نكير سيفه» من باب قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أنَّ سيوفهم ... بهنَّ فلول من قراع الكتائب

والمقصود: أنهم عابوا الامام علياً على فضائله ومناقبه، وعلى إنجازاته وخدماته، وعلى شجاعته وتضحياته، وجهاده وبطولاته، وليست هذه عيوباً حتى يُعاب الامام علي عليها.

هذا ومن المؤسف أن الموضوع يناسب الشرح والتفصيل أكثر من

هذا، ولكن رعاية لأسلوب الكتاب نرجيء البحث إلى فرصة أخرى أو كتاب آخر.

«واللّه لو تكافّوا عن زمام نبذه رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) إليه لاعتلقه».

شبّهت السيدة فاطمة (عليها السّلام) المجتمع الإسلامي أو الأمة الإسلامية بالقافلة، وشبّهت الخلافة والقيادة الإسلامية بالزمام وهو المقود، أي الحبل الذي يقاد به البعير، وشبّهت علياً (عليه السّلام) بالدليل الذي يتقدم القافلة، ويأخذ بزمام البعير ليقود المسيرة.

ولم تنس السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) أن تركّز على أن الامامة نصٌ من اللّه ورسوله، فتقول: «نبذه رسول اللّه إليه» أي إن القيادة الإسلامية إنما صارت لعلي (عليه السّلام) بأمر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حين قام في الناس رافعاً صوته: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وبعد هذا تقسم باللّه قائلة: **«واللّه»** فالمسألة مهمة وعظيمة جداً جداً وتستحق أن يقسم الإنسان باللّه لأجلها.

«لو تكافّوا» أي كفّوا أيديهم، أي منع بعضهم بعضاً، بحيث لو أراد أحدهم تناوله منعه الآخرون «لاعتلقه» أي اعتلق علي (عليه السّلام) الزمام، أي قام بالواجب كما ينبغي وقاد المسيرة على أحسن ما يتصور، وأفضل ما يرام.

ثم وصفت (عليها السّلام) نتائج تلك القيادة الرشيدة لو كان يفسح لها المجال، وذكرت الفوائد والمنافع والخيرات والبركات التي كانت تعمّ الأمة الإسلامية على مرّ القرون والأجيال فقالت:

«ثم لسارَ بِهم سيراً سجحاً» أي سار القائد بالمسيرة سيراً ليناً سهلاً، بكل هدوء وطمأنينة، فإن البعير إذا سار بالراكب سيراً عنيفاً فلابدّ وان

الراكب يتأذى من الحركة العنيفة، وتتحطم أعصابه لما في ذلك من الازعاج والقلق.

ثم البعير نفسه يتألم حينما يجاذبه الراكب الحبل الذي قد دخل في ثقب أنفه وربما يجرح أنفه أيضاً، فيتأذى الراكب والمركوب، ولكن السيدة فاطمة تقول:

«لا يكلم خشاشه، ولايتعتع راكبه» وفي نسخة: «ولا يكل سائره ولا يمل راكبه» أي الحبل أو الخشب الذي يجعل في أنف البعير ويقال له (الخشاش) لايجرح أنف البعير، ولاينزعج راكب البعير، والمقصود: سلامة الراكب عن كل مشقة حال السير.

«ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً» وفي نسخة: «منهلاً روياً» ان الدليل الذي يتقدم القافلة لابد وأن ينزل بهم منزلاً حسناً، ومكاناً لائقاً للراحة، على شاطىء نهرٍ أو عين ماء، ليأخذوا حاجتهم من الماء، ويسقوا دوابهم وغير ذلك.

تقول السيدة فاطمة (عليها السّلام): كان علي (عليه السّلام) يقود المسيرة إلى منهل نمير والمنهل: المورد أي محل ورود الإبل. والنمير: العذب، النابع من عين لاينقطع ماؤها. والفضفاض: الواسع.

«تطفح ضفّتاه، ولايترنق جانباه» النهر إذا كان ممتلأً يفيض جانباه وإذا كان عذباً لايتكدر جانباه بالطين كما هو المشاهد من تكدر الماء بالطين على جوانب النهر، بل وحتى البحر.

فالكثرة والسعة في المجرى والعذوبة والنظافة وعدم التلوث بالطين وغيره من صفات ذلك الماء.

وكلها إشارات وكنايات إلى الحياة السعيدة التي كان الناس يعيشونها لو كان الأمر بيد الإمام أمير المؤمنين، فالخيرات كانت تشمل أهل الأرض،

والعدل كان يسود المجتمع،والسلامة كانت تعمّ الجميع،والرفاهية والاستقرار والطمأنينة والأمان والحرية ـ بمعناها المعقول ـ والسعادة في الدنيا، والنعيم في الآخرة كان من نصيب الجميع.

«ولأصدرهم بطاناً» وكانت نتيجة ذلك الورود هو الصدور من المنهل، والخروج من ذلك المورد بالشبع والإرتواء، فلاجوع ولاحرمان، ولافقر ولامسكنة.

«ونصح لهم سراً وإعلانا» النصح: حُب الخير، وعدم الغش، والمعنى: ان علياً كان يسعى في إسعادهم وجلب الخير لهم بصورة سرية وعلنية، أي ما كان يطلب من وراء تلك القيادة إلاَّ الخير للناس لا لنفسه.

«ولم يكن يحلَّى من الغنى بطائل، ولايحظى من الدنيا بنائل، غير ريّ الناهل وشبعة الكافل» وهنا تذكر السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) موقف زوجها من تلك القيادة والزعامة العامة:

قبل كل شيء: ينبغي أن لاننسى أن في العالم أفراداً يحبون القيادة والرئاسة لأنفسهم، أي يحبون أن يحكموا على الناس، ويتصرفوا كما يشاؤن وكما يريدون، يحبون الرئاسة لأنها وسيلة إلى تحقيق أهدافهم وأُمنياتهم الشخصية فهم يتنعمون من وراء تلك الرئاسة بشتى أنواع النعم، ويختارون لأنفسهم أفضل حياة.

وهناك أفراد ـ وقليل ما هم ـ يحبون الرئاسة والقيادة ليخدموا الناس، ويصلحوا المجتمع، ويجلبوا الخير والسعادة للشعوب، ليعيش الناس آمنين مطمئنين، ولتكون لهم حياة مشفوعة بالراحة والخير والنعيم.

إن هذه الطائفة من أولياء اللّه لايشعرون بالنقص في أنفسهم كي يكملوا أو يستروا ذلك النقص بالفخفخة والجبروت بل انهم يشعرون بالكمال في أنفسهم، فهم في غنى عن الناس، والناس بحاجة إليهم، إن

هؤلاء لو حكموا لنفعوا الناس واصلحوهم، وأمّنوا حياتهم من جميع نواحيها.

وفي الوقت نفسه لايستفيدون ولاينتفعون من حطام الدنيا، ولاتطيب نفوسهم أن يتنعموا بأموال الفقراء، ويبنوا قصورهم على عظام الضعفاء، إنهم يحملون نفوساً أبيّة وأنوفاً حميّة، وأرواحاً طيبة تستنكف التنازل إلى هذا المستوى السافل.

بعد هذا يتضح لنا كلام السيدة فاطمة (عليها السّلام) حول موقف زوجها تجاه القيادة لو كان يفسح له المجال، ولايغلق عليه الطريق.

تقول: «ولم يكن يحلى من الغنى بطائل» أي لو كان علي (عليه السّلام) يتسلّم زمام الحكم ما كان يستفيد من أموال الناس لنفسه شيئاً، وما كان يصيب من بيوت الأموال وكنوز الثروة لنفسه خيراً.

«ولايحظى من الدنيا بنائل» ما كان ينال من ثروات الدنيا سوى مقدار إرواء نفسه من العطش، وإشباع عائلته من الجوع.

إحفظ هذه الجملة وانظر إلى حياة الحكام والسلاطين في العالم، تجدهم يسكنون أفخم المساكن، ويلبسون أفخر الملابس، ويأكلون ألذّ المآكل، ويركبون أحسن المراكب ويؤثثون بيوتهم بأغلى الأثاث، ويعيشون أفضل المعيشة.

ولاتسأل عن الذخائر التي يدّخرونها ليوم ما!؟؟

كل ذلك من بيت المال، وكل ذلك من أموال الدولة وأموال الشعب!!

نعم، إن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) هكذ تعرّف زوجها، والتاريخ الصحيح يصدّق كلامها والواقع يؤيد إدعاءها.

فلقد حكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) أربع

سنوات وشهوراً، فكانت حياته هكذا مائة بالمائة.

فلقد كتب (عليه السّلام) إلى عثمان بن حنيف كتاباً يقول فيه: «ألا: وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه. ومن طعمه بِقُرصيه... فواللّه ما كنزت من دنياكم تبراً. ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولاحزت من أرضكم شبراً، بلى، كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّتها الخضراء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين... الى آخر كلامه (عليه السّلام).

وهنا سؤال لابد من الاجابة عليه وهو: اذا كان الامام علي (عليه السّلام) بهذه الاوصاف التي ذكرتها الزهراء (عليها السّلام) ووصفته بها.. فلماذا ـ حينما حكم على الناس، وتسلّم القيادة وجلس على منصة الخلافة ـ حدثت الاضطرابات الداخلية، والحروب الأهلية الدامية، والمشاكل والمصائب والمذابح التي شملت الأمة الإسلامية في عهده؟؟

نجيب على هذا بما يلي:

لاشك أن المجتمع الإسلامي في عهد الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) كان مجتمعاً صالحاً من جميع النواحي، ولكن الذين حكموا المجتمع بعد وفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) خلال ربع قرن قد غيّروا وبدّلوا وتصرّفوا تصرفات غير مرضية.

ولو ألقيت نظرة إمعان على تاريخ الحكام الذين تسلّموا السلطة بعد الرسول مباشرة ـ خلال خمسة وعشرين عاماً ـ لرأيت كمية وافرة من الأوامر والفتاوى والأحكام المضادّة للشريعة الإسلامية والكتاب والسنة، من تغيير الوضوء والأذان وكيفية الصلاة وعدد ركعاتها إلى الحج إلى الجهاد إلى النكاح وإلى الطلاق وهكذا وهلمَّ جرّا.

ولو أردنا أن نذكر الشواهد والأمثلة لهذه المواضيع لطال بنا الكلام،

ولكننا نكتفي ـ هنا ـ بمثال واحد كنموذج، ولك أن تقتبس من هذا المثال بقية الأمثلة:

مجزرة خالد بن الوليد

خرج خالد بن الوليد بجيشه إلى قبيلة من قبائل المسلمين تسمّى: بني اليربوع. وكان في تلك القبيلة رجل من المسلمين إسمه: مالك بن نويرة، قد أسلم على يد النبي وشهد له رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بالجنة، وشهد عمر بن الخطاب بإسلامه، فقتله خالد بن الوليد بغير ذنب، سوى ذنب واحد، وهو أن زوجته كانت من أجمل نساء قومها وقد رآها خالد بن الوليد وطمع فيها، ولم يجد طريقة للاستيلاء عليها سوى قتل زوجها البريء فقتله خالد، وفي نفس الليلة زنى بزوجته.

وحينما رجع خالد إلى المدينة لم يجد أي عقاب أو عتاب من رئيس الدولة يومذاك.

هذا هو المتفق عليه بين المؤرخين بلااستثناء، مع العلم أن الإسلام لا يسمح بنكاح المعتدة ما دامت في العدة، والرجل لم يتزوج بها وإنما زنى بها.

هذه المأساة التي تجدها مذكورة في أكثر التواريخ، تُرى كم تشتمل هذه الفاجعة على إهدار الدماء البريئة وهتك الأعراض، وارتكاب الجرائم، والتلاعب بكرامات الناس ومقدراتهم؟

وكم تتبدل نظرة الناس إلى الدين وإلى الدولة الإسلامية؟

وقد مرَّ عليك موقف هؤلاء تجاه بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الوحيدة العزيزة وتجاه زوجها العظيم، وولديها الحسن والحسين (عليهم السّلام)؟

القيادة الإسلامية المفكّكة

إن الإسلام والقيادة الإسلامية وصلت إلى يد علي (عليه السّلام) وهي مفككة العرى، محطمة الجوانب، مُشوَّهة السمعة.

وأراد الإمام علي (عليه السّلام) أن يصلح تلك المفاسد، وأن يعيد الإسلام إلى طريقه السوي ويلبسه حلّة القداسة والجمال، وإذا به يجد أصحاب المطامع يقومون ضدّه، ويشهرون سيوفهم في وجهه، فتكوّنت الحروب الداخلية وقامت المجازر على قدم وساق.

واعلم ان الذين اقاموا الحروب الداخلية ووضعوا نواتها الأساسية هم اربعة فقط: طلحة والزبير وعائشة ومعاوية.

وكان الزبير وطلحة يهدفان الوصول الى الحكم من خلال اثارة الاضطرابات في حكومة خليفة رسول اللّه، وقد اتّخذا عائشة ذريعة لذلك.

أمّا معاوية فكان يهدف المحافظة على كرسيّه في الشام، كما صرّح هو بذلك فيما بعد.

وقد ذكرنا الشيء اليسير من تلك المآسي في الجزء الأول والثاني والثالث من شرح نهج البلاغة.

وأنت إذا راجعت وقارنت فسوف تنكشف لك أمور، وتتضح لك أسرار.

نحن لازلنا في شرح الخطبة:

«ولَبانَ لهم الزاهد من الراغب» إن السيدة فاطمة (عليها السّلام) لاتزال توالي حديثها عن زوجها الإمام أمير المؤمنين (عليه السّلام) وانه لو كان يستلم القيادة لكان يقنع من الدنيا بالشيء اليسير اليسير، وذلك بمقدار

إرواء عطشه وإشباع عائلته، وعند ذلك كان يظهر للناس الزاهد الحقيقي الذي لايطمع في أموال الناس، كما يظهر الراغب الطامع الذي كان يخضم مال اللّه خضم الإبل نبتة الربيع وأمثاله.

«والصادق من الكاذب» وظهر لهم الصادق الذي يصدق في أقواله وأفعاله وتصدّق افعالُه اقواله من الكاذب الذي يكذب في ادعاءاته وتصرفاته، وتكذّب افعاله اقواله وشعاراته.

ثم انها (عليها السّلام) ختمت هذه المقطوعة من حديثها بالآية الكريمة، وطبّقتها على هذه الأمة، فقالت: **«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون»**[1].

ما أنسب هذه الآية بهذا المقام وما أجمل هذا التشبيه في هذا الكلام؟

وتقصد السيدة فاطمة أن الناس لو كانوا يقبلون كلام الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في تعيين علي (عليه السّلام) بالخلافة وكانوا ينقادون له، لكانت الدنيا لهم روحاً وريحاناً وجنة نعيم، ولكنهم خالفوه واختاروا غيره، وبعملهم هذا كذّبوا رسولَ اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) تكذيباً عملياً، فسوف يشاهدون الويلات تنصبُّ عليهم.

وأردفت هذه الآية بمثلها، فقالت: **«والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين»**[2].

وسيأتيك القول بالتفصيل عن الويلات والمآسي التي انصبَّت على الأمة الإسلامية من جرّاء تلك القيادة الشاذة ومضاعفاتها.

«ألا: هلم واستمع» وفي نسخة: «هلممن واستمعن» فعلى النسخة

١ـ الأعراف: ٩٦.

٢ـ الزمر: ٥١.

الأولى يكون الخطاب عاماً للجميع، وعلى النسخة الثانية يكون الخطاب خاصاً بالنساء اللاتي حضرن عيادتها.

«وما عشت أراك الدهر عـجباً» أي كلما عشتَ أو مدة عيشك في الدنيا رأيت العجائب التي لا بالبال ولا بالخاطر.

«وإن تعجب فعـجب قولهم» هذه الجملة من آية في سورة الرعد وهي: **«وان تعـجب فـعجـب قولهـم ءَإذا كنا تراباً ءَإنّا لفي خلق جـديد»** اقتبست السيدة فاطمة (عليها السلام) هذه الجملة من الآية وأدمجتها في حديثها، والمقصود أن الناس يتعجبون من بعض الأمور وليست بعجيبة، ولا تستحق التعجب، وهناك أمور وقضايا عجيبة ينبغي أن يتعجب منها، لأنها أمور لاتنسجم مع الشرع ولا مع العقل ولا الوجدان ولا الضمير، ولاتدخل تحت أي مقياس من المقاييس الصحيحة.

والأمر العجيب هو ما يلي:

«ليت شعري إلى أي سناد استندوا؟

وعلى أي عماد اعتمدوا؟

وبأية عروة تمسكوا؟

وعلى أية ذريّة اقدموا واحتنكوا؟»

ان الناس كانوا يستندون على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وينقادون له، ويعتمدون على أقواله، ويطيعون أوامره، لأنه مرسل من عند اللّه، ومتصل بالعالم الأعلى، قد توفرت فيه الأهلية بجميع معنى الكلمة، فلاعجب في ذلك إذا خضع له الناس، وقدّموه على كل شيء، ولكن العجب كل العجب أن بعض الناس بعد وفاة الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) تنازلوا إلى مستوى هابط جداً فسلّموا القيادة إلى أفراد لاتوجد فيهم المؤهلات.

فالذي كان يستند ويعتمد على الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ويتمسك به كيف تطيب نفسه أو يرضى ضميره أن يعترف بالقيادة الإسلامية لأفراد ليسوا في تلك المرتبة وتلك الدرجة؟!

تتعجب السيدة فاطمة (عليها السّلام) ويتعجب معها عقلاء العالم وأصحاب الضمائر الحيَّة والنفوس المعتدلة والقلوب السليمة من تلك الانتخابات المخالفة لجميع المقاييس والنواميس والموازين.

«وبأية عروة تمسكوا؟» لقد ثبت عند المسلمين كلام رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «اني تارك فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، وانكم لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما» ومعنى الحديث: أن الرسول أمر المسلمين أن يتمسكوا بالقرآن وبالعترة معاً، ولكن هؤلاء بأية عروة تمسكوا وتعلقوا واعتصموا؟!

«وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا؟» أيعلم هؤلاء مَن هي فاطمة الزهراء؟!

أيعلم هؤلاء ما منزلة هذه الذرية الطاهرة الشريفة التي هي أشرف أسرة على وجه الأرض؟!

أيعلم هؤلاء ما صنعوا تجاه أهل البيت:

الذين أمرهم اللّه بمودتهم بقوله: «قل لاأسألكم عليه اجراً إلاّ المودة في القربى»؟!

الذين فرض اللّه طاعتهم على كل مسلم بقوله: «أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم»؟!

الذين مَثَلهم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها هوى وغوى وهلك؟!

الذين مَن أحبّهم فقد أحب اللّه، ومن آذاهم فقد آذى اللّه ومن

أبغضهم فقد أبغض اللّه؟!

فواللّه الذي لا إله إلاّ هو: انهم آذوا ذرية رسول اللّه وعترته وأهل بيته، وظلموهم واغضبوهم واعتدوا عليهم، وهتكوا حرمتهم، وجرّئوا الناس على إيذائهم.

بأي دين؟!

وبأية شريعة؟!

وبأي مجوّز شرعي صنعوا ذلك الصنيع تجاه آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟!

أنا لا أدري، ولعل القوم ينحتون الأعذار التي تبيح لهم هتك تلك الحرمات، وإهدار تلك الكرامات.

«لبئس المولى ولبئس العشير».

إقتبست السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) هذه الجملة من قوله تعالى «يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير»[١] أي ان الذي اختاروه للولاية بئس المولى وبئس العشير، والعشير هو الصديق الذي ينتخب للمعاشرة.

«وبئس للظالمين بدلاً» هذه الجملة من قوله تعالى «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمرربّه افتتّخذونه وذريته أولياء من دوني، وهم لكم عدو، بئس للظالمين بدلاً»[٢].

«استبدلوا ـ واللّه ـ الذنابا بالقوادم، والعجز بالكاهل».

إن من جملة العلوم ـ التي لها الصدارة على بقية العلوم ـ هو علم الاجتماع، وهو علم يبحث عن تقدم الأمم أو تأخّرها، وأسباب ضعفها أو

١ـ الحج: ١٣.
٢ـ الكهف: ٥٠.

قونها، وصلاحها وفسادها، ونتائج الصلاح ومضاعفات الفساد.

ومن الوسائل التي كان لها كل التأثير في توعية المجتمع نحو الخير أو الشر، ونحو الصلاح أو الفساد، وتقرير مصير الشعوب: هو جهاز الدولة وجهاز الدين، وقد قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «طائفتان من أُمتي إذا صلحتا صلح الناس، وإذا فسدتا فسد الناس: العلماء والأُمراء».

وفي ذلك اليوم كان جهاز الدولة وجهاز الدين جهازاً واحداً، فالخليفة يُعتبر رئيس الدولة ورئيس الدين، ويدير دفّة الحكم على الصعيدين: الدولي والديني.

واننا نجد الشعوب المتحضرة، المثقفة المتقدمة إنما وصلوا إلى القمّة وحازوا التقدم في كافة المجالات بسبب الأسرة الحاكمة التي مهّدت لهم السبل، وهيأت لهم الوسائل وزوّدتهم بالتعليمات، وشجعتهم على العمل.

وهكذا نجد الشعوب المتأخرة والمتفسخة ـ التي استولى عليها الجهل والفقر والمرض والذل والهوان والخلاعة والمجون ـ هم ضحايا إهمال الحكام وأصحاب القيادة، وقد قيل: «الناس على دين ملوكهم».

وهنا تنتقل السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) إلى حديثها عن علم الاجتماع، فتقول:

«استبدلوا ـ واللّه ـ الذنابا بالقوادم».

إن التشبيه في الكلام له تأثير عجيب في النفس، وتقريب المعنى إلى الذهن بصورة واضحة.

لقد شبّهت السيدة فاطمة (عليها السّلام) الأمة الإسلامية بالطائر، وشبهت القائد أو القيادة بأجنحة الطائر، لأن الطائر لايستطيع أن يطير إلاّ بجناحيه،والجناح مركّب من عشر ريشات كبار،ويقال لها «القوادم» وتحت تلك الريشات الكبار عشر ريشات صغار يقال لها (الخوافي) وعلى موضع

ذنب الطائر ريشات يقال لها: «الذنابا».

فالقوادم هي قوام الطيران، ولايمكن الطيران بغير القوادم، لأنها بمنزلة المحرّكات القوية في جناح الطائرة التي تقلع بالطائرة وترتفع بها عن الأرض وتحلّق في الفضاء.

فالطائر إذا قطعت قوادمه لايستطيع الطيران بالخوافي وهي الريشات الصغار، ولا بالذنابا، لأن الذنابا لاتستطيع حمل جسد الطائر وإقلاعه عن الأرض لعجزها وضعفها.

«والعجز بالكاهل» العجز ـ بفتح العين وضم الجيم ـ : من كل شيء مؤخّره، ومن الإنسان ما بين الوركين، والكاهل ما بين الكتفين، والكاهل أقوى موضع في البدن لحمل الأثقال، وبالعكس: العَجُز لايليق ولايستطيع حمل الأثقال.

والمقصود من هذين المثالين أو التشبيهين هو: أن القوم سلّموا الأمور العظيمة، والمناصب الخطيرة ـ وهي القيادة ـ إلى من لايليق بها، ولايستطيع القيام بأمورها، لعدم توفر الإمكانيات فيه، وعجزه عما يتطلبه الأمر من العلم والعقل والتدبير، وذلك بعد أن سلبوا تلك الإمكانيات من أصحابها الأكفاء ذوي اللياقة والخبرة والبصيرة.

انهم بايعوا علياً (عليه السّلام) يوم الغدير بأمر من اللّه تعالى ورسوله (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وباختيار منهما، ولكنهم نكثوا عهدهم، ونقضوا بيعتهم، وبايعوا غيره الذي لايقاس بعلي (عليه السّلام) علماً وشرفاً وفضلاً وسابقة وجهاداً وشجاعة وزهداً وجوداً وكرماً، وغير ذلك من المرجّحات.

«فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً».

إن الزهراء (عليها السّلام) تدعو على هؤلاء بالذل والهوان، وهو

إرغام أنوفهم، وهم الذين يظنون أنهم مهتدون في أعمالهم، ومصلحون في تصرفاتهم.

والحال: **«ألا انهم هم المفسـدون ولكن لايشعرون»** وهل يشعر المنحرف أنه منحرف شاذ؟

بل بالعكس، يتصور أنه هو المهتدي المعتدل المستقيم، وأنه على الحق وأن غيره على الباطل، ولايؤثر فيه المنطق ولاينفع فيه الدليل والبرهان.

وهاتان الجملتان مقتبستان من قوله تعالى:

«قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً»[١] ومن قوله تعالى: «وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون إلا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون»[٢].

ثم ادمجت آية أخرى في كلامها بالمناسبة فقالت:

«ويحـهم! «أفـمن يهـدي إلـى الحق أحق أن يتّبع أم لايهـدّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»[٣].

هذه الآية الشريفة تشير إلى بحث الهداية، والمقارنة بين الذي يهدي إلى الحق، ويرشد الناس إلى الطريق وبين الذي لايهتدي ولايعرف الطريق إلاّ أن يُهدى، أي يهديه غيره، أيهما أحق بالإتّباع؟ وأيّهما يستحق أن يكون قائداً للأمة؟

وهنا تقصد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من هذه المقارنة ان علياً (عليه السّلام) هو الرجل الكامل علماً وفضلاً وعقلاً، ومواهب، فهو أولى بالقيادة، وأحرى بالاتباع من أفراد ليسوا في المستوى المطلوب في

١ـ الكهف: ١٠٤. ٢ـ البقرة: ١١، ١٢. ٣ـ يونس: ٣٥.

العلم والعقل والتدبير وما شابه ذلك من لوازم القيادة.

والتاريخ يثبت كلا الجانبين: جانب الكمال في الامام علي (عليه السّلام)، وجانب النقص في غيره.

«أما: لعمري! لقد لقحت» إن الميكروبات ـ التي تتكون في البدن، وتنتج أمراضاً صعبة العلاج ـ إنما تبدأ من الجرثومة التي تدخل في الدم، وهناك تتلاقح، وبمرور الزمان تنتشر الميكروبات في الدم، وتؤثر على الكريات البيض والحمر، وهناك الويلات، وهناك الملاريا والكوليرا، وهناك السرطان، وهناك المرض الذي يعمّ البدن ويشمل الجسد كله.

تقول السيدة فاطمة الزهراء: «أما: لعمري! لقد لقحت» لقحت جرثومة الفتنة في الأمة الإسلامية، والفتنة في طريقها إلى التوسع والانتشار.

«فنظرة ريثما تنتج» أي انتظروا حتى تنتشر الميكروبات في هيكل المجتمع الإسلامي، فبعد أن كانت القيادة الصالحة اللائقة تقود المسلمين وإذا بقيادة معاكسة ومغايرة لها تماماً تزاحمها وتحل محلها.

وبعد أن كانت الأحكام الإسلامية الممتازة المعتدلة تسود المجتمع الإسلامي وإذا بأحكام منبعثة عن الهوى وعن آراء شخصية متطرفة تقوم مقام تلك الأحكام.

وهكذا تتبدل المفاهيم، وتتغير المقاييس.

«ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً».

إن الناقة إذا ولدت يُحلب منها اللبن، ولكن الفتنة إذا لقحت وانتجت يحلب منها الدم لا اللبن، أي تتكون المجازر والمذابح، فبعد أن كان الدين الإسلامي دين الأمن والحياة والسلام في الواقع وإذا به ينقلب مفهومه لدى هؤلاء فيصبح دين الإبادة والهلاك، والدمار والفناء.

انظر إلى التاريخ الإسلامي الذي شوّهه هؤلاء

تجد أنهاراً من الدماء التي جرت من أجساد المسلمين!

وتجد التلال التي تكونت من جثثهم!

فمثلاً: ذكر المؤرخون أن عثمان بن عفان قام بأعمال منافية للقرآن والسنّة، فعاتبه المسلمون على ذلك، ولكنه لم يرتدع بل استعمل العنف والقوة معهم ضرباً وسباً وتبعيداً وتهديداً.

وأخيراً اثارت أعماله في المسلمين هياجاً عاماً، وكانت عائشة تهيّج الناس ضدّه وتقول: اقتلوا نعثلاً فقد كفر، اقتلوا نعثلاً قتله اللّه. ونعثل اسم يهودي كانت عائشة تشبّه عثمان به. وهكذا طلحة وابن العاص.

وأخيراً قتلوا عثمان.

وإذا بالذين كانوا يحرّضون الناس ضده خرجوا يطلبون بدمه!! وقد قُتل عثمان في المدينة، وذهب هؤلاء إلى البصرة يطلبون بدمه، وبين المدينة والبصرة أكثر من ألف كيلومتر، فأجّجوا نيران الحرب هناك، فقتل في حرب البصرة خمسة وعشرون ألف إنسان!

ثم نهض معاوية زاعماً أنه يطلب بدم عثمان، فقامت الحرب في منطقة في سوريا بالقرب من مدينة حلب يقال لها (صفين) وهدأ القتال وعلى الأرض تسعون ألف قتيل!

ثم حدثت واقعة النهروان فقتل فيها أربعة آلاف إنسان.

ثم خرج بسر بن أرطاة ـ بأمر معاوية ـ من الشام وقصد المدينة ومكة واليمن وفي طريقه كان يقتل الناس، حتى قتل من شيعة علي (عليه السّلام) في اليمن وغيره ثلاثين ألف انسان!.

خذ القلم بيدك واحسب مجموع القتلى:

٢٥/٠٠٠ + ٩٠/٠٠٠ + ٤/٠٠٠ + ٣٠/٠٠٠ = ١٤٩/٠٠٠

هؤلاء القتلى، ولاتسأل عن الجرحى، ولاتسأل عن أرامل هؤلاء،

وأيتامهم، ومضاعفات تلك المآسي، ولاتسأل عن الدموع الجارية، والعيون الباكية، والقلوب الملتهبة، والآهات والأحزان التي جعلت تلك الحياة جحيماً على ذلك المجتمع بكافة جوانبه ونواحيه، كل ذلك في خلال أربع سنوات!!

وهل انتهت المأساة هنا؟

لا، بل هناك مآسي ومجازر ومذابح تقشعر منها الجلود، وسوف نذكر بعضها في هذا الكتاب.

نعم، لاتزال السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تخبر عن الفجائع والفظائع التي هي في طريق الأمة الإسلامية، وكامنة لها بالمرصاد.

ليس هذا التنبوء إخباراً عن الغيب، بل إخبار عن نتائج الأعمال ومضاعفاتها، فالطبيب الحاذق إذا نظر إلى إنسان لايراعي أصول الصحة في مأكله ومشربه وتنفّسه ويستعمل الأشياء الضارة له، فانه يخبره بمصيره المظلم، والأمراض الفتاكة التي تقضي على حياته من جرّاء تلك الأعمال المنافية لأصول الصحة العامة.

وكذلك السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تنظر إلى ذلك المجتمع وسوء اختيار الأمة للقيادة غير الصالحة، فتنكشف لها العواقب السيئة التي يؤول إليها أمر الأمة الإسلامية ببركات تلك القيادة!!

تقول: **«ثم احتلبوا ملأ القعب دماً عبيطاً»** وفي نسخة: **«طلاع القعب»** أي القدح الكبير الضخم الذي يتفايض بالدم حتى يسيل منه، والمقصود كثرة الدماء التي تُراق.

«وذعافاً ممقراً مبيداً» أي احتلبوا الدم، واحتلبوا السمّ المرّ المهلك، والمقصود منه: النتائج السيئة التي عمّ شؤمها الإسلام والمسلمين من الويلات والمصائب التي إنصبّت على المسلمين.

«هنالك يخسر المبطلون» أي عند ذلك يظهر خسران المبطلين.

«ويعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأولون» يعرف الآخرون عاقبة الأعمال التي أسّسها الأوّلون.

«ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً» يقال: طب نفساً: أي أسكن وأهدأ عن القلق وهذا كما يقال للظالم: قرَّت عينك، أو بشراك، وأمثالها من الكلمات التي يراد بها العكس في الكلام لا الحقيقة.

«واطمأنوا للفتنة جاشاً» أي فلتسكن للفتنة قلوبكم، وهذا أيضاً يراد به العكس، فإن القلب لايسكن للفتنة وإنما يسكن للأمان والسلامة.

«وابشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم» هذه الكلمة على غرار قوله تعالى: «فبشّرهم بعذاب اليم» وهذه الكلمة أو الجملة أيضاً على العكس.

«وهرج شامل» وفي نسخة: «وهرج دائم شامل» الهرج: الفتنة والفوضى واختلال الأمور.

«واستبداد من الظالمين» الاستبداد: الدكتاتورية، والعمل على خلاف المقاييس والموازين، لاتحت نظام أو قانون أو شريعة أو دين.

«يَدَع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً» أي ذلك الاستبداد، أو المقصود من ذلك جميع ما تقدم من قولها: سيف صارم وسطوة معتد غاشم وهرج واستبداد ومجموع هذه الأشياء يدع فيئكم زهيداً أي يجعل الغنائم والخراج وحقوقكم المالية زهيداً قليلاً «وجمعكم حصيداً» وفي نسخة: «وزرعكم حصيداً» أي محصوداً، والمقصود ان رجال السلطة التي تحكم عليكم يتصرفون في غنائمكم حسب مشتهياتهم ويجرّونها إلى أنفسهم فلاترون منها إلاّ القليل، ويحصدون جمعكم أي جماعتكم بسيوفهم.

وكلها إخبارات عن المستقبل المظلم الذي كان بالمرصاد للمسلمين، والمآسي والكوارث التي تنزل بهم، والويلات التي تنصبّ عليهم!

ولقد تحقّق كل هذا: وهذا كله، فلقد ابتلي المسلمون بفجائع ومذابح ومآسي لايستطيع أحد أن يتصوّرها، فواللّه انّهم سوّدوا تاريخ الإسلام، وشوّهوا سمعة هذا الدين، واليك بعض تلك الحوادث شاهداً على مانقول:

لقد ذكرنا ـ فيما مضى ـ بعض المجازر التي قام بها أصحاب الجمل ومعاوية والخوارج وبعض عملاء معاوية، والآن استمع إلى غيرها:

لو أردنا أن نذكر ـ هنا ـ ما جرى على الأمة الإسلامية من الظلم والجور والضغط والكبت والعنف والقسوة، والاستبداد بالأموال، وإراقة الدماء البريئة على أيدي حكام الجور لطال بنا الكلام جداً جداً، فإن التحدّث عن هذه المصائب والفجائع يحتاج إلى موسوعة وموسوعة.

ولكننا رعاية لأسلوب الكتاب ـ وبمناسبة التحدث عما أخبرت به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من الويلات التي كانت بالمرصاد على طريق المسلمين الذين اختاروا تلك القيادة التي ما أنزل اللّه بها من سلطان، ونبذوا وراءهم ولاية آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وسلبوهم القدرة والإمكانية ـ .

نختار من بين المئات من الفجائع التي انصبت على أهل المدينة فجيعة واحدة تقشعرّ منها الجلود، وتشمئز منها النفوس.

وقبل أن أذكر الواقعة لابأس بذكر مقدمة تمهيدية كي تظهر نتائج تغيير القيادة الإسلامية عن مجراها وأُسُسها:

من الصحيح أن نقول:إن حكام الجورالذين جلسواعلى كرسي الحكم، وقبضوا بأيديهم أزمّة الأمور واستولوا على رقاب البشر عن طريق السيف قد رفضوا العمل بالإسلام الذي جاء به محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)

فكانت تصرّفاتهم لاتتفق مع القرآن الكريم ولا السنّة النبوية ولا منطق العقل ولا قانون الإنسانية ولانظام العدالة ولا تعاليم الإسلام.

بل كانوا يحكمون على أموال الناس ودمائهم حسب رغباتهم الشخصية وشهواتهم النفسية، وإجابة للحرص والجشع، وإطاعة لأهوائهم.

فالناس لا كرامة لهم ولاقيمة لحياتهم عند هؤلاء، وليس المهم عند اولئك الحكام أن يعيش الناس برخاء ورفاه أو يموتوا جوعاً وفقراً وإنما المهم المحافظة على عرش الحاكم وإبقاء جبروته وإشباع شهواته ورغباته وترفه وبذخه ولو كان مستلزماً لإراقة دماء الشعب المسلم البريء المسكين، وما قيمة المسلم وما حرمة الإسلام أمام أهواء الحاكم الدكتاتور الظالم السفّاك الذي لو كان يؤمن باللّه واليوم الآخر لكان سلوكه على خلاف تلك الأعمال المناقضة للدين الإسلامي.

ولعلك ـ أيها القارىء ـ تتصور وتظن أنّ في كلامي هذا شيئاً من المبالغة والإسراف، ولكنك لو اطلعت على تاريخ الأمويين والعباسيين والمجازر والمذابح الجماعية التي قاموا بها لصدّقت كلامي بل واعتبرت كلامي هذ أقل من القليل عن الواقع الذي مرّت به الأمة الإسلامية عبر القرون!

إنهم جعلوا الحياة جحيماً وعذاباً أليماً على المجتمع الإسلامي الذي كان يعيش تحت سياطهم وسيوفهم!

وهاك مثالاً واحداً على بعض ما نقول:

واقعة الحَرَّة

بعث يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة ـ وكان أحد جبابرة العرب

وشياطينهم ـ بعثه إلى المدينة ومعه ثلاثون ألف رجل[1]، وأوصى يزيدُ بن معاوية مسلم بن عقبة فقال: إذا ظهرتَ على أهل المدينة فَأبحها ثلاثاً، وكلٌّ ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند.

خرج الجيش نحو مدينة الرسول(صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وتصدّى أهل المدينة لمقابلة الجيش خارج المدينة، والتقى العسكران خارج البلدة في منطقة يقال لها: (الحَرّة) وهناك وقعت الحرب. وقُتل من أهل المدينة المئات من أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم، وانهزم الباقون متجهين نحو المدينة، إلا أن جيش الشام طاردهم ولاحقهم حتى وصلوا المدينة ولاذ المسلمون بالحرم النبوي فجعل جيش الشام يقتل أهل المدينة عند قبر الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حتى ساوى الدم قبر رسول اللّه!!

وبعد ذلك نادى المنادي في جيش الشام بأمر قائدهم مسلم بن عقبة: هذه المدينة قد أبحتُها لكم!!!

فما تظن بالجيش الفاتح الذي تُعطى له الحرية الكاملة، ويرفع عنه كل مسؤولية؟؟

لقد عمد الجيش إلى نهب الأموال وهتك الأعراض، وافتضّوا أكثر من ثلثمائة عذراء، ووُلد في تلك السنة ألف مولود لم يُعرف لهم أب.

وأستأذن القارىء لأقول له: حتى ان الرجل منهم كان يزني بالمرأة المسلمة في مسجد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)[2].

وكان أفراد الجيش يدخلون بيوت أهل المدينة وينهبون كل ما وجدوا فيها، وهجم أفراد منهم على دار أبي سعيد الخدري ـ الذي كان من مشاهير أصحاب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وكان شيخاً كبيراً

١ـ الامامة والسياسة ج٢ ص٧.

٢ـ كتاب تتمة المنتهى للقمي.

قد كفّ بصره ـ فوجدوه جالساً على التراب، لأن طائفة من الجيش كانت قد نهبت داره قبل ذاك، ولما فتش الأفراد داره ولم يجدوا شيئاً ما أحبّوا أن يخرجوا من داره بلافائدة فعمدوا إلى الشيخ الأعمى المسكين ونتفوا لحيته وشعر حاجبيه وهو يصرخ ويقول لهم: أنا أبو سعيد الخدري!! أنا صاحب رسول اللّه.

ولكنهم لم يعبأوا بهذه الأسماء، ووجدوا في بيته عدداً من الحمام فذبحوها وطرحوها في البئر وخرجوا من داره.

ودخل أحدهم دار إمرأة قد نُهب كلّ ما فيها، فوجد تلك المرأة جالسة على الأرض وفي حجرها طفلها يرتضع، فمدّ الرجل يده وأخذ برجل الطفل وجذبه من حجر أمه والثدي في فمه وضرب برأس الطفل الجدار فسال دماغه على الأرض وأمه تنظر إليه.

ثم جمع مسلم بن عقبة أهل المدينة وأخذ منهم الإقرار والاعتراف بأنهم عبيد مملوكون ليزيد بن معاوية.

وبعد ذلك خرج الجيش من المدينة تاركاً وراءه الجثث وآلاف اليتامى والأرامل، طعامهم البكاء وشرابهم الدموع، وفراشهم التراب، ومتاعهم الآلام والآهات والذعر والعويل.

وتوجّه الجيش نحو مكة ليحرقوا الكعبة ويقتلوا الناس في المسجد الحرام لأجل القضاء على عبداللّه بن الزبير المتحصّن في المسجد الحرام الذي من دخله كان آمناً.

ولاتسأل عن الفجائع التي انصبت على أهل المدينة، فجيعة بعد فجيعة ومصيبة تلو الأخرى.

وأمّا ما قام به الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق فإنه يشيّب الطفل وهو في المهد، ويورث الدهشة والذعر في القارىء الذي يقرأ تلك

الإضبارة السوداء الشوهاء، وتستولي عليه حالة التهوّع والتقيؤ.

حتى قال عمر بن عبدالعزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم.

وقال عاصم: ما بقيت للّه (عزّوجلّ) حُرمة إلاّ وقد إرتكبها الحجاج!

تطبيق الخبر مع الواقع

هذه نماذج قليلة وضئيلة بالنسبة لما جرى وحدث، وبعد استعراض تلك الفجائع ـ التي يملّ الإنسان الحياة حين قراءتها ـ تتضح لنا صحة ما أنذرت به السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) الجماعة التي استبدلت تلك القيادة بقيادة آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

ويظهر لنا صدق كلامها حين المطابقة والمقارنة بين قولها: «وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين يَدَع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً» وبين الحوادث والمآسي التي مرّت بها الأمة الإسلامية.

وأخيراً ختمت السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) خطابها للنساء بهذه الجملات: «فيا حسرة لكم» هذه الكلمة مأخوذة من قوله تعالى: «يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزئون» فالمعنى: يالكم من حسرة وندامة على ما فاتكم من الخير والهداية، والأمن والأمان والأجر والثواب في الدنيا وفي الآخرة.

«وأنّى بكم؟» أي ما أدري إلى ما يصير أمركم وقد انحرفتم عن طريق الهداية، ووقعتم في موارد الهلكة والخسران.

«وقد عميت عليكم» خفيت عليكم الحقائق بسبب قلّة تدبّركم فيها.

«أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» هذه الجملة من قوله تعالى: «قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» أي أتريدون مني أن أكرهكم على المعرفة وألجأكم إليها على كره منكم؟

هذا غير مقدور لي وإنّما الواجب عليّ أن أدلّكم بالبيّنة على الطريق وليس عليّ أن اضطركم على معرفتها.

قطعت السيدة فاطمة الزهراء كلامها مع النساء ـ هنا ـ ، وقامت النساء وخرجن.

قال سويد بن غفلة: «فأعادت النساء قولها على رجالهن، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين».

من المؤسف ان القضية مجملة مبهمة، فليس هنا تصريح بأسماء النساء ولابأسماء الرجال الذين هم من وجوه المهاجرين والأنصار.

وإنما المستفاد من مجموع الأحداث ان النساء ما كنّ يعرفن الألعاب السياسية وما كنّ يعرفن اتجاه رجالهن في تلك الفترة العاصفة، فحضرن عند السيدة فاطمة الزهراء لعيادتها، فخطبت فيهن السيدة الزهراء الخطبة التي مرت عليك، وصبّت جام غضبها على رجالهن، وبعد انتهاء الخطبة قامت كل امرأة وكأنها كانت نائمة فاستيقظت، أو كانت غافلة فانتبهت، وحصل عندهن شيء من الوعي والانتباه.

ويعلم اللّه ما جرى بين تلك النساء ورجالهن من الصياح والنزاع بعد رجوعهن من عيادة السيدة فاطمة (عليها السّلام) بحيث جاء رجالهن إلى دار السيدة فاطمة معتذرين.

معتذرين عن أي شيء؟!

معتذرين عن تخاذلهم وتقاعدهم عن نصرة آل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)؟!

كأنهم لايعلمون شيئاً، كأنهم لايعرفون عن الأحداث شيئاً.

كأنهم لم يبايعوا علياً (عليه السّلام) يوم الغدير، وذلك قبل وفاة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بسبعين يوماً.

كأنهم لم يسمعوا خطبة الزهراء في المسجد واحتجاجها مع رئيس الدولة ومع المهاجرين والأنصار!!

كأنهم لم يسمعوا صرختها عند باب البيت.

وكأنهم ما كانوا بالمدينة ولم يعلموا شيئاً أبداً.

وكأنهم الآن عرفوا الحق فجاؤا معتذرين باعذار تافهة تائهة باردة:

«وقالوا: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل ان نُبرم العهد ونُحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره».

إستمع إلى هذا الاعتذار البعيد عن المنطق وعن كل مقياس.

ما أدري أي شيء كان مفروضاً على أبي الحسن أن يذكره لهؤلاء؟

أما ذكر لهم اللّهُ تعالى قوله: «إنما وليُكم اللّه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»؟

أما سمعوا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) رافعاً صوته يوم الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله؟

إلى غيرهما من الآيات التي نزلت في حق علي (عليه السّلام) وكلمات الثناء والنصوص الصريحة التي سمعوها من فم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) الدالة على خلافة علي بعده (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

أي شيء يذكره علي لهم؟

فهل كان هناك شيء مستور أو غير معلوم عند أولئك الرجال فيحتاجوا إلى مَن يذكر لهم ذلك؟ أو يخبرهم به؟

وبعد هذا كله ، أما إحتج الإمام أمير المؤمنين عليهم - بأنواع الاحتجاج - يوم أخذوه من بيته إلى المسجد ليبايع أبا بكر؟

أما سمعوا؟!

أما علموا؟!

أما فهموا؟!

ثم انظر إلى كيفية الاعتذار وسخافة القول: «لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد ونحكم العقد لماعدلنا عنه إلى غيره».

سبحان اللّه! أما أبرمتم العهد؟!

أما أحكمتم العقد يوم الغدير؟ يوم بايعتم علياً بالخلافة بأمر اللّه وأمر رسوله؟!

فهل كنتم تلعبون يومذاك أو تستهزؤن باللّه ورسوله؟

فالعجب انه جاز لكم أن تنقضوا ذلك العهد وتنكثوا ذلك العقد ولكن اليوم لايجوز لكم النكث والنقض لتلك البيعة التي كانت هي نقضاً ونكثاً للبيعة السابقة التي بايعتم علياً يوم الغدير!!

نعم، هكذا إعتذروا، اعتذروا بهذه الأعذار المزيّفة، ولهذا طردتهم السيدة فاطمة من بيتها، وقالت لهم:

«إليكم عني» تباعدوا عني، أمسكوا كلامكم عني.

«فلاعذر بعد تعذيركم» التعذير: التقصير في الإعتذار، والمعذّر: المقصّر الذي يريك انه معذور ولاعذر له، قال تعالى: «وجاء المعذرون من

الأعراب ليؤذن لهم»[1].

لعل المقصود ليس لكم عذر صحيح بعد تعذيركم وتقصيركم.

«ولا أمر بعد تقصيركم» أي ليس لنا أمر معكم بعد هذه المواقف التي كانت لكم.

وهكذا طردتهم السيدة فاطمة من بيتها بعد أن زيّفت أعذارهم.

١ـ سورة التوبة: ٩٠.

مصادر الخطبة في النساء

أيها القارىء الكريم! لقد قضينا معك برهة من الزمان في رحاب كلمات السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) التي خطبت بها في المسجد وفي بيتها وفي فراش العلّة والمرض، وقد تبين لك الكثير من الحقائق التي اشتملت عليها خُطب السيدة الزهراء.

وقد ذكرنا لك بعض المصادر لخطبتها التي خطبت بها في المسجد، ولابأس أن نذكر ـ هنا ـ بعض مصادر خطبتها التي خطبت بها في النساء:

١ـ معاني الأخبار للشيخ ابن بابويه المتوفى سنة (٣٨١) ينتهي سند الخطبة إلى فاطمة بنت الحسين (عليهما السّلام).

٢ـ ويروي أيضاً بأسناده عن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يروي عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السّلام).

٣ـ الطبرسي في الاحتجاج عن سويد بن غفلة كما تقدم الكلام في أول الخطبة.

٤ـ أمالي الشيخ الطوسي يروى باسناده عن ابن عباس.

٥ـ دلائل الامامة للطبري يروي بأسناده عن الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السّلام).

٦ـ بلاغات النساء لأبي الفضل بن أبي طاهر يروي باسناده عن عطية العوفي.

٧ـ كشف الغمة للاربلي ص١٤٧ يروي عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبدالعزيز الجوهري.

٨ـ ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة يروي أيضاً عن الجوهري.

٩ـ أعلام النساء تأليف عمر رضا كحّالة ج٤ ص١٢٣.

١٠ـ الشيخ المجلسي في كتاب بحار الأنوار ج٤٣.

إتمام الحجة على المهاجرين والأنصار

كان الأنسب أن يكون هذا البحث قبل خطبتها التي خطبت بها للنساء، ولكن رعايةً لتوالي خُطَبها ذكرنا كما سلف.

كان الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) يسير على خطة حكيمة تتفق مع العقل والمنطق والدين، وينتهز الفرص لإحقاق حقه وإثبات مظلوميته وإتمام الحجة على ذلك المجتمع، بل وتسجيلها في سجل التاريخ، كي يعلم ذلك الشعوب التي جاءت بعد ذلك اليوم وإلى يومنا هذا وإلى ما شاء اللّه.

من الصحيح أن نقول: ان الامام علياً (عليه السّلام) كان يرى لزاماً عليه أن يتم الحجة على الناس، ويبيّن لهم ان الخلافة من حقه الذي جعله اللّه ورسوله له، حتى إذا كان يعلم أن الناس سوف لايتجاوبون معه، وهكذا يبين لهم أن فدك من حق السيدة فاطمة الزهراء.

فهو ـ شرعاً ـ خليفة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) سواءً أذعن له الناس أم لم يذعنوا، وسواءً خضع له المجتمع أم لم يخضع ، كما أن فدك مِلكٌ للسيدة فاطمة الزهراء سواءً أعطوها حقها أم لا.

والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) لها المكانة المرموقة والشخصية المشهورة في ذلك المجتمع، فلابأس لو أن السيدة الزهراء تتكلف وتتجشم تأييد زوجها في إثبات الحق والحقيقة والمطالبة بحقها، فلاعجب إذا كانت ترافق زوجها العظيم، وولديها: سيدي شباب أهل الجنة، وتستنجد بالصحابة لئلا يكون للناس على اللّه حجة، لئلا يقولوا: كنا غافلين ناسين أو

جاهلين. ولماذا ما جاءنا عليٌّ ليذكّرنا، ليخبرنا، ليعرّفنا الحق والحقيقة؟

ولهذا كان علي (عليه السّلام) يحمل السيدة فاطمة الزهراء على أتان[١]، فيدور بها أربعين صباحاً على بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين معها، وهي تقول:

«يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا اللّه وابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول اللّه يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم.

فَفُوا لرسول اللّه ببيعتكم»!

فما أعانها أحد، ولا أجابها ولا نصرها.

فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل! إني قد جئتك مستنصرة، وقد بايعتَ رسولَ اللّه على أن تنصره وذريته، وتمنعه مما تمنع منه نفسك وذرّيتك، وإن أبا بكر قد غصبني على فدك، وأخرج وكيلي منها.

قال: فَمعي غيري؟

قالت: لا، ما أجابني أحد.

قال: فأين أبلغ أنا من نصرك؟

خرجت السيدة من دار معاذ وهي تقول له: واللّه لا أنازعنّك الفصيح من رأسي حتى أرِدَ على رسول اللّه.

ودخل ابن معاذ فقال لأبيه: ما جاء بابنة محمد إليك؟

قال: جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر، فانه أخذ منها فدكاً.

قال: فما أجبتها؟

قال: قلت: وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي؟

قال: فأبيت أن تنصرها؟

١ـ الأتان: الحمارة.

قال: نعم!!

قال: فأي شيء قالت لك؟

قال: قالت لي: واللّه لأُنازعنّك الفصيح من رأسي حتى أرِدَ على رسول اللّه.

فقال: أنا واللّه لا أُنازعنّك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول اللّه.

وذكر ابن قتيبة الدينوري في (الامامة والسياسة) ص١٩: قال: وخرج علي (كرم اللّه وجهه) يحمل فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول اللّه قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به.

فيقول علي (كرم اللّه وجهه): أفكنت أدَعُ رسولَ اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟

فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما اللّه حسيبهم وطالبهم.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في بيت الأحزان

لا أعلم ماذا كان تأثير بكاء السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في النفوس المريضة حتى شعروا بالإنزعاج؟!

وهل بكاء إمرأة جالسة في بيتها يسلب الراحة من تلك الشخصيات الفذة!!؟

لقد اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) وقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلاأحد منّا يتهنأ بالنوم في الليل على فُرشنا، ولابالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً.

فأقبل الامام علي حتى دخل على فاطمة الزهراء وهي لاتفيق من البكاء، ولاينفع فيها العزاء، فلما رأته سكنت هنيئة فقال لها: يا بنت رسول اللّه إن شيوخ المدينة يسألونني أن أسألك إما أن تبكي أباك ليلاً وإمّا نهاراً.

فقالت: يا أبا الحسن ما أقلّ مكثي بينهم! وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فواللّه لا أسكت ليلاً ولا نهاراً، أو أُلحق بأبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

فقال (عليه السّلام): إفعلي يا بنت رسول اللّه ما بدا لكِ![1].

نعم، إن شيوخ المدينة لايعرفون حق رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقدره ومنزلته، فلو كانوا يعرفون ذلك لكانوا يشاركون ابنته

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

الوحيدة في البكاء ويساعدونها في ذرف الدموع على أشرف ميت وأعز فقيد.

ويا ليتهم ـ حين لم يشاركوها ولم يساعدوها ـ كانوا يسكتون ولايمنعونها عن البكاء على مصائبها العظيمة.

ولكنهم معذورون، لأن السياسة فرضت عليهم أن يمنعوا حبيبة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) عن البكاء على سيد الأنبياء.

يحق للسيدة فاطمة أن تواصل البكاء على تلك الفاجعة العظمى والكارثةالكبرى ولاتلبّي طلب أُناس لهم غايات وأهداف يعلمها اللّه تعالى.

فبنى لها الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بيتاً نازحاً عن المدينة سُمّي «بيت الأحزان»[1] وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية فلاتزال بين القبور باكية، فاذا جاء اللّيل أقبل أمير المؤمنين إليها وساقها بين يديه إلى منزلها.

فليتَهنّأ أُولئك المنزعجون عن بكاء فاطمة!! ولترتاح ضمائرهم، ولينام على فُرشهم ليلاً نومة عميقة هنيئة بدون أن يشعروا بالأذى من بكاء فاطمة العزيزة.

ونرى ـ هنا ـ الشعراء يشيرون إلى هذه المأساة التي يظهر فيها الجفاء بأسوء منظر.

يقول أحدهم:

منعوا البتول عن النياحة إذ غدت ... تبكي أباها ليلها ونهارها
قالوا لها: قَرّي فقد آذيتنا ... أنّى؟ وقد سلب المصاب قرارها

ـــــــــــ

١ـ قال السمهودي في تاريخ المدينة ج٢ ص٩٥: ان الغزالي ذكر استحباب الصلاة في مسجد فاطمة (عليها السّلام) بالبقيع، وقال غيره: انه المعروف بـ «بيت الحزن» لأن فاطمة (عليها السّلام) اقامت فيه أيام حزنها على أبيها.

ويقول الآخر:

والقـائلين لفـاطـم : آذيتنـا   من طول نَوح دائمٍ وحنين

وقد رأى أحد علمائنا ـ وهو السيد باقر الهندي ـ في المنام الامام المهدي المنتظر (عليه السّلام) فقال له الامام مشيراً إلى هذه المأساة:

أتراني اتخذتُ لا وعلاها   بعدبيت الأحزان بيت سرور؟

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) طريحة الفراش

أسفي عليها.

أسفي على شبابها.

أسفي على آلامها.

أسفي على قلبها المتوقد الملتهب.

أسفي على خاطرها المنكسر.

صارت طريحة الفراش، أخذ المرض والهزال منها كل مأخذ.

واستولى الذبول على تلك الزهرة الزهراء.

إنها لاترجو العلاج والدواء، ولا تأمل في البقاء.

انها تنتظر الموت، تنتظر التخلّص من هذه الحياة.

تتمنى أن تلتحق بابيها الرسول.

لقد اقتربت شمسها نحو ا لغروب.

لقد كادت شمعة الرسول أن تنطفيء.

لقد ضاقت الدنيا وضيقت عليها.

تنظر إلى زوجها العظيم ، جليس الدار ، مسلوب الإمكانيات ، مغصوباً حقه.

وتنظر إلى أملاكها قد صودرت، وإلى أموالها قد غصبت.

استغاثت فلم يغثها أحد، واستنصرت فلم ينصرها أحد.

منعوها عن البكاء على أبيها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أشرف الأباء.

وعن الامام الباقر (عليه السّلام) انه كان من دعائها في شكواها: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأغثني، أللهم زحزحني عن النار وأدخلني الجنة وألحقني بأبي محمد.

فاذا قال لها أمير المؤمنين: عافاكِ اللّه وأبقاكِ. تقول: يا أبا الحسن ما أسرع اللحاق برسول اللّه[1].

وعن الامام زين العابدين عن أبيه الحسين (عليهما السّلام) قال: لما مرضت فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وصّت إلى علي بن أبي طالب (عليه السّلام) أن يكتم أمرها ويخفي خبرها، ولايؤذن أحداً بمرضها، ففعل ذلك، وكان يمرّضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك.... الى آخر الحديث[2].

يستفاد من هذا الحديث مدى تألُّم السيدة فاطمة الزهراء من ذلك المجتمع الذي عرفت موقفه تجاه بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فقد يكون الاستياء عميقاً، في النفس كالجرح الغائر في البدن الذي يطول بُرؤه أو لايبرأ على مرّ الزمان.

وهكذا يزهد الإنسان المتألّم في المجتمع، ويختار الاعتزال عنهم، وبعد أن كان يستأنس بهم صار لايحب الالتقاء بهم والتحدث معهم.

وإنما يدرك هذه الحالة كل من رأى الجفاء والقساوة من أقاربه أو أصدقائه أو مجتمعه، فانه ينزعج حتى من رؤيتهم فكيف بالتحدث والمجالسة معهم، وقد يبلغ الأمر بالأنسان أن يملّ الحياة ويفضّل الموت كي يستريح من الحياة التي يعيشها مع أهل الجفاء والقسوة.

١ـ دلائل الإمامة لابن جرير ص٤٣، بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٧.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٣ عن مجالس المفيد.

إختارت السيدة فاطمة زوجها العظيم ليقوم بتمريضها، ولا أعلم كيفية تمريض الامام إياها، فهل كان الامام يصنع لها طعاماً يليق بالمرضى، أو يتولى هو أُمور بيته بنفسه؟

وعلى كل تقدير، فقد كانت لأسماء بنت عميس شرف التعاون في تمريض السيدة فاطمة، ولعل السبب في انتخابها لهذه المهمة هو أنّه كانت العلاقات بين السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وبين أسماء بنت عميس وُدّية وطيبة للغاية، إلى درجة أنها كانت تعتبر نفسها من أُسرة بني هاشم، وخاصة وأنها كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب.

وكانت هي بالذات إمرأة عاطفية، تؤمن بالوفاء والإنسانية، وتقدّر الحقوق لأهلها، وتلتزم بالقيم والمفاهيم العليا.

ويستفاد من مطاوي التاريخ أنها كانت ـ بالإضافة إلى ذكائها الوافر وعقلها الوقاد ـ حسنة الأخلاق، طيبة المعاشرة، وكانت السيدة فاطمة الزهراء تبادلها نفس الحب والمودة والشعور.

ولما قُتل جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة وبلغ رسولَ اللّه الخبر بكى (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وبكت الصحابة، ووصل الخبر إلى حجرات الرسول فبكت الهاشميات، وأقبل الرسول ودخل على أسماء فدعى بأولاد جعفر وجعل يمسح على رؤُوسهم، ويشمهم ويضمّهم إلى صدره، فأحسّت أسماء بالشر وقالت: يا رسول اللّه هل بلغك شيء عن جعفر؟

فبكى الرسول وقال لها: احتسبي جعفراً فقد قُتل. فبكت وصاحت.

وأقبل رسول اللّه إلى دار ابنته فاطمة و قال لها: إصنعي طعاماً لآل جعفر فانهم مشغولون بالعزاء.

فعمدت السيدةفاطمةإلى الدقيق وعجنته وخبزت خبزاكثيراً وعمدت

إلى مقدار من التمر وأرسلت بالخبز والتمر إلى دار آل جعفر.

والجدير بالذكر أن الرسول لم يأمر إحدى زوجاته ولاسائر الهاشميات بذلك فلعل السبب في ذلك ان الرسول أراد أن يكون هذا الثواب الجزيل من نصيب ابنته فاطمة.

أو أن الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) اختار لها هذا العمل نظراً للعلاقات الطيبة والسوابق الحسنة والخدمات الجمَّة التي أسدتها أسماء بنت عميس إلى أهل بيت الرسول.

فلقد مرّ عليك أن أسماء حضرت عند السيدة خديجة ساعة وفاتها، وأنها ساهمت في التدابير التي اتُخذت في زواج السيدة فاطمة الزهراء، بل وحضرت أسماء عند السيدة فاطمة ساعة ولادة الامام الحسين، وقامت بدور القابلة المولِّدة وساعدنها بعض النساء أيضاً.

وبالرغم من أنها تزوجت بأبي بكر بعد مقتل زوجها جعفر فانها استمرّت على ولائها، ولم تتغير قيد شعرة، حتى بعد وفاة الرسول.

وموقف أبي بكر تجاه أهل البيت كان موقفاً معروفاً.

وبالرغم من الحرب الباردة بين أهل البيت وبين السلطة المتمثلة في أبي بكر فان أسماء بنت عميس لم تتأثر بعواطف زوجها، وتحدّت السلطة تحدّياً لاتنقضي عجائبه.

فكيف كان أبو بكر يسمح لها بالذهاب إلى دار علي (عليه السّلام) لخدمة الزهراء وخدمة أولادها؟

وكيف لم يأمرها بقطع علاقاتها مع أهل البيت في تلك الظروف الخاصة؟

وعلى كل حال، فقد كانت السيدة فاطمة الزهراء تستأنس بأسماء وتنسجم معها وتسكن إليها، وتبثُّ إليها آلامها، وكأنها أُختها، وكأنها

أحب الناس إليها، وأقربهن إلى قلبها.

قالت لها السيدة فاطمةفي أواخر أيام حياتها: كيف أصنع وقد صرت عظماً وقد يبس الجلد على العظم؟

وفي رواية التهذيب عن أبي عبدالله (الصادق) (عليه السّلام) قال...... وقالت (فاطمة) لأسماء: اني نحلت وذهب لحمي، ألا تجعلين لي شيئاً يسترني؟

قالت أسماء: اني كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لكِ، فإن أعجبكِ أصنع لكِ؟

قالت: نعم.

فدعت (أسماء) بِسَرير فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد فشدَّتها على قوائمه ثم جلَّلته ثوباً فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون.

فقالت: اصنعي لي مثله، إستريني سترك اللّه من النار.

وفي رواية الاستيعاب: فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله لاتُعرف به المرأة من الرجل.

وروي انها (عليها السّلام) ـ لمّا رأت ما صوَّرته اسماء ـ تبسَّمت، وما رؤيت مبتسمة ـ بعد أبيها ـ إلاّ يومئذٍ.

أسباب انحراف صحتها

إنتشر خبر مرض السيدة فاطمة الزهراء في المدينة ، وسمع الناس بانحراف صحتها.

ولم تكن تشكو السيدة فاطمة الزهراء من داء عضال، بل الهموم والمصائب والآلام هي التي ادّت الى استيلاء الهزال والذبول عليها.

وكثرة البكاء على أبيها الرسول وعلى حياتها ساعدت على زوال الطراوة والنضارة عن وجهها.

والجفاء والخشونة والمواقف غير المشرفة التي شاهدتها من بعض المسلمين، وإنقلاب الأمور، وتبدّل الأحوال وتغيّر الأوضاع السياسية والاجتماعية كان لها أكبر الأثر عليها.

ولقد حدث لها بين حائط دارها والباب حوادث أدّت إلى سقوط جنينها.

والسياط التي أدمت جسمها الطاهر، وتركت في بدنها آثاراً عميقة.

والضرب المبرّح الذي ألّم جسمها ونفسها وروحها.

كل هذه الأمور ساهمت في انحراف صحتها، وقعودها عن ممارسة أعمالها المنزلية.

عيادة الشيخين للسيدة الزهراء (عليها السّلام)

انتشر خبر استياء السيدة فاطمة (عليها السّلام) من السلطة، ونقمتها على الذين آزروا تلك السلطة، ونبذوا وراءهم كل المفاهيم والقيم، وتناسوا كلّ آية في القرآن نزلت في آل الرسول.

وأعرضوا عن كل حديث سمعوه من شفتي الرسول في حق السيدة فاطمة الزهراء وزوجها وولديها.

وأخيراً تولَّد شيء من الوعي عند الناس، وعرفوا أنهم مخطئون في تدعيم السلطة الحاكمة التي لاتعترف بها أُسرة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

تلك السلطة التي كان موقفها تجاه بنت الرسول موقفاً غير حسن.

وأخيراً انتبه أفراد السلطة للإستياء العام المستولي على القلوب من سوء تصرفاتهم.

فارادوا تغطية أعمالهم واستدراك ما فات، لذلك قرَّروا أن يعودوا السيدة فاطمة الزهراء لإسترضائها، وعند ذلك ينتهي كل شيء، وتكون المأساة نسياً منسياً.

هكذا تفكروا وتدبروا.

وقد رأينا في زماننا هذا الكثير من المجرمين الذين يعتدون على الأبرياء بالإهانة والتحقير والاستخفاف وأنواع الظلم والتعذيب، ثم يأتون إلى المظلوم ويعتذرون منه سرّاً، وهم يحسبون أنّهم يغسلون أعمالهم بالإعتذار.

ولكن السيدة الزهراء كانت تعرف هذه الأساليب، وتعلم كل هذه الأمور.

وإليك الواقعة ـ كما ذكرها ابن قتيبة في (الامامة والسياسية ج١ ص٤) وعمر كحالة في (أعلام النساء) ٣ ص٣١٤:

«إن عمر قال لأبي بكر (رضي اللّه عنه): إنطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد ـ عليهما ـ السّلام.

فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول اللّه! واللّه إن قرابة رسول اللّه أحبُّ إليّ من قرابتي وإنكِ لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولَوَددت يوم مات أبوكِ أني متُّ ولاأبقى بعده، أفتراني أعرفكِ وأعرف فضلك وشرفكِ، وأمنعك حقك وميراثك من رسول اللّه؟

إلاّ أني سمعت أباك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: لانورّث، ما تركناه فهو صدقة.

فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) تعرفانه وتفعلان به؟

فقالا: نعم.

فقالت: نشدتكما اللّه: ألم تسمعا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟

قالا: نعم، سمعناه من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

قالت: فاني أُشهد اللّه وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني،

ولئن لقيت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لأشكونكما إليه.

فقال أبو بكر: أنا عائذ باللّه تعالى من سخطه ومن سخطك يا فاطمة.

ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي (فاطمة) تقول: واللّه لأدعونَّ عليك في كل صلاة أصليها.

ثم خرج باكياً، فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقاً حليلته، مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لاحاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي».

العيادة بصورة أخرى

في علل الشرائع: لما مرضت فاطمة (عليها السّلام) مرضها الذي ماتت فيه أتاها أبو بكر وعمر عائدين، واستأذنا عليها، فأبت أن تأذن لهما، فلما رأى ذلك أبو بكر أعطى اللّه عهداً أن لايظلّه سقف بيت حتى يدخل على فاطمة ويترضّاها، فبات في الصقيع، ما أظلّه شيء، ثم إن عمر أتى عليّاً (عليه السّلام) فقال له: قد أتيناها (فاطمة) غير هذه المرة مراراً نريد الإذن عليها وهي تأبى أن تأذن لنا حتى ندخل عليها فنترضّى، فان رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل.

قال: نعم، فدخل علي (عليه السّلام) على فاطمة فقال: يا بنت رسول اللّه قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت، وقد تردّدا مراراً كثيرة ورددتِهما ولم تأذني لهما، وقد سألاني أن أستأذن لهما عليك.

فقالت: واللّه لا آذن لهما، ولاأُكلّمهما كلمة من رأسي حتى ألقى أبي فأشكوهما إليه بما صنعاه وارتكباه مني؛

قال علي: فإني ضمنت لهما ذلك.

قالت: إن كنت قد ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتك، والنساء تتبع

الرجال، لا أُخالفك عليك بشيء، فأذن لمن أحببت.

فخرج علي فأذن لهما، فلما وقع بصرهما على فاطمة سلّما عليها، فلم تردّ عليهما، وحوّلت وجهها عنهما، فتحوّلا واستقبلا وجهها، حتى فعلت مراراً وقالت: يا علي جافِ الثوب وقالت ـ لنسوة حولها ـ : حَوّلن وجهي!! فلما حوّلن وجهها حوّلا إليها فقال أبو بكر: يا بنت رسول اللّه إنّما آتيناك إبتغاءَ مرضاتك واجتناب سخطك، نسألكِ أن تغفري لنا وتصفحي عما كان منا إليك.

قالت: لا أُكلّمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى أبي وأشكوكما إليه، وأشكو صنيعكما وفعالكما ما ارتكبتما مني.

ثم التفتت إلى علي وقالت: إني لا أُكلمهما من رأسي حتى اسألهما عن شيء سمعاه من رسول اللّه، فإن صدقا رأيت رأيي.

قالا: أللهم ذلك لها، وإنا لانقول إلاَّ حقاً ولانشهد إلاَّ صدقا.

فقالت: أُنشدكما باللّه: أتذكران أن رسول اللّه استخرجكما في جوف اللّيل بشيء كان حدث من أمر علي؟

فقالا: أللهم نعم.

فقالت: أُنشدكما باللّه هل سمعتما النبي يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟

قالا: أللهم نعم.

فقالت: الحمد للّه. ثم قالت:

أللّهم إني أُشهدك فاشهدوا يا من حضرني: أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي. واللّه لاأُكلّمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكو كما

إليه بما صنعتما به وبي، وارتكبتما مني.

فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال: ليت أُمي لم تلدني!!

فقال عمر: عجباً للناس كيف ولَّوك أُمورهم وأنت شيخ قد خرفت!! تجزع لغضب إمرأة وتفرح برضاها؟ وما لمن أغضب امرأة؟ وقاما وخرجا.

وفي كتاب بيت الأحزان: فلمّا خرجا قالت فاطمة لأمير المؤمنين (عليهما السّلام): قد صنعتُ ما اردتَ؟

قال: نعم.

قالت: فهل انت صانع ما آمرك؟

قال: نعم.

قالت: فاني أُنشدك اللّه أن لايصلّيا عليَّ ولايقوما على قبري[١].

أقول: لاحاجة إلى هذا البكاء المرّ الذي أوشك على إزهاق الروح ـ على حد تعبير رواية ابن قتيبة ـ ولاداعي بأن ينادي أبو بكر بالويل والثبور وبإمكانه أن يُرضي السيدة فاطمة بأن يردّ إليها حقوقها، ويرفع يده عن أراضيها، ويعتذر عن أعماله.

ولكن الرجل يريد أن يبقى على اعتدائه وعلى موقفه ـ الذي عرفته ـ بدون أي تنازل، وفي نفس الوقت يريد أن ترضى عنه فاطمة الزهراء!؟.

لا أظن أن أيَّ إنسان أو مسلم أو قانون أو شعب يرضى بهذا، ولاأظن أن شريعة أو ديناً أو ضميراً أو وجداناً أو منطقاً يقول بهذا، سوى منطق العنف والضغط، ومنطق القوة والقدرة.

ولكن السيدة فاطمة أقوى نفساً وروحاً من أن تخضع لهذا المنطق أو بالأحرى: أن تنخدع بهذه المظاهر!؟

١ـ بيت الأحزان ص١٤٥.

وهنا سؤال قد يتبادر الى ذهن القارىء وهو: ما الذي دعا أبا بكر أن يلين ويخضع هكذا؟

وما الذي دعا الزهراء أن تثبت على رأيها، ولاتتضعضع عن موقفها؟

لقد أجاب الجاحظ على هذا السؤال، وكفانا مؤونة الجواب قال في رسائله ص٣٠٠ «... فإن قالوا: كيف تظن به ظلمها والتعدي عليها، وكلما ازدادت عليه غلظة إزداد لها ليناً ورقّة حيث تقول له: واللّه لا أُكلمك أبداً، فيقول: واللّه لاأهجرك أبداً، ثم تقول: واللّه لأدعونّ اللّه عليك، فيقول: واللّه لأدعونّ اللّه لكِ، ثم يتحمّل منها هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة مع حاجة الخلافة إلى البهاء والتنزيه، وما يجب لها من الرفعة والهيبة، ثم لمن يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرباً كلام المعظّم لحقها، المكبِر لمقامها، الصائن لوجهها، المتحنّن عليها: «ما أحد أعز عليَّ منك فقراً ولا أحب إلي منك غنى، ولكن سمعت رسول اللّه يقول: إنا معاشر الأنبياء لانورّث ما تركناه صدقة»؟؟

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم، والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم وذلّة المنتصف، وحدب الوامق ومقت المحقّ... الى آخر كلامه».

عيادة أُم سلمة للسيدة فاطمة الزهراء

تُعتبر السيدة أُم سلمة من خيرة زوجات رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في حياته وبعد مماته.. فلم تؤذ النبي بكلامها أو تصرفاتها، ولم تتآمر عليه مع ضرّاتها ـ كما حدث من بعضهن في قصة المغافير ونزول قوله تعالى: «يا أيها النبي لِمَ تحرِّم ما أحلَّ اللّه لك تبتغي مرضات أزواجك» ـ .

بل احسنت صحبته ومعاشرته في حياته.

وبعد وفاته (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) كانت لها مواقف مشرّفة ومشكورة تجاه آل رسول اللّه، ولم تنحرف عنهم في خضمّ الأحداث التي عصفت بهذه الذريّة الطاهرة، بل وقفت موقف المدافع والمحامي والناصر، وشاركتهم في الآلام والأحزان.

ولّما مرضت السيدة فاطمة (عليها السّلام) دخلت عليها أُم سلمة عائدةً لها فقالت: كيف اصبحتِ عن ليلتك[1] يابنت رسول اللّه؟

قالت (عليها السّلام): اصبحت بين كَمد وكرب، فُقد النبي وظُلم الوصي.

هُتك ـ واللّهِ ـ حجاب من اصبحت امامته مقتضية، على غير ما شَرَع اللّه في التنزيل، وسنّها النبي في التأويل، ولكنها احقاد بدريَّة، وتِرات أُحُدية[2] كانت عليهاقلوب النفاق متمكّنة...»الى آخر كلامها(عليهاالسّلام)[3].

١ـ وفي نسخة: علّتك.

٢ـ ترات: جمع ترة ـ كعِدة ـ : الانتقام.

٣ـ المناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٠٥.

والجدير بالذكر: ان السيدة أُم سلمة هي الوحيدة ـ من بين زوجات النبي ـ التي جاءت لزيارة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وعيادتها والسؤال عن صحتها.

فأين كانت غيرها من الزَوجات؟!

ولماذا لم يشاركنَها في الآلام ـ وهي البنت الوحيدة لرسول اللّه ـ ؟!

هذا... وسوف تقرأ أن السيدة فاطمة أوصت الى أمير المؤمنين (عليهما السّلام) أن يخبر أُمّ سلمة بوفاتها.

عيادة عائشة بنت طلحة
للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

ودخلت عليهاعائشةبنت طلحةفقالت:بأبي أنتِ وأُمي:ماالذي يبكيك؟

فقالت (عليها السّلام) لها: أَسائلتي عن هنة حلّق بها الطائر وحفى بها السائر، ورَفع الى السماء امرا، ورُزئتُ في الأرض خبرا؟!

إن قُحيف تيم، وأُحيول عدى[1] جازيا أبا الحسن في السباق، حتى اذا تفرّيا بالخناق اسرّا له الشنان[2] وطوياه الاعلان.

فلمّا خبا نور الدين، وقُبض النبي الأمين، نَطقا بِفَورهما، ونفثا بسَورهما[3] وادالا بفدك[4] فيالها لمن ملك.

انها عطيّة الرب الأعلى للنجيّ الأوفى، ولقد نَحلَنيها (صلّى اللّه عليه وآله) للصِبية السواغب مِن نجله ونسلي، وانها لبعلم اللّه وشهادة امينه.

فان انتزعا مني البُلغة، ومنعاني اللمظة، احتسبتُها يوم الحشر زلفة، وليجدنّها آكلوها ساعرةَ حميم في لظى جحيم[5].

١ـ قحيف تصغير قحف، باعتبار أن أبا بكر هو ابن قحافة، وقحافة مشتق من القحف وهو جرف ما في الاناء من ثريد وغيره ، فهو كناية عن الجشع والاكل والشرب بنَهَم شديد/لسان العرب ـ حرف الفاء.

أُحَيول: تصغير احول، وهو الذي في عينه حَوَل أي: تغيير.

٢ـ الشنآن: البغضاء.

٣ـ الفَور: الغليان والاضطراب. نفث: تكلّم، ومنه: نفث الشيطان على لسانه. السَور ـ بفتح السين والواو ـ : حدّة الشيء وشدّته.

٤ـ ادالا: غَلبا.

٥ـ كتاب الأمالي للشيخ الطوسي ج١ ص٢٠٧.

العباس يحاول عيادة السيدة فاطمة

اشتد المرض بسيدة نساءالعالمين،وثقلت،فجاءهاالعباس بن عبدالمطلب عائداً، فقيل له: إنها ثقيلة، وليس يدخل عليها أحد. فانصرف إلى داره وأرسل إلى علي (عليه السّلام) فقال لرسوله: قل له: يا ابن أخ! عمُّك يقرؤك السلام ويقول لك: للّه قد فاجأني من الغم بشكاة حبيبة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وقرة عينه وعيني: فاطمة ما هدَّني، وإني لأظنُّها أوَّلنا لحوقاً برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يختار لها ويحبوها ويزلفها لربه.

فإن كان من أمرها ما لا بدَّ منه فاجمع ـ أنا لك الفداء ـ المهاجرين والأنصار حتى يصيبوا الأجر في حضورها والصلاة عليها، وفي ذلك جمال للدين.

فقال علي (عليه السّلام) لرسوله ـ وهو عمّار ـ : أبلغ عمِّي السلام وقل: لاعدمتُ إشفاقك وتحيتك، وقد عرفت مشورتك، ولرأيك فضله، إن فاطمة بنت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لم تزل مظلومة، من حقها ممنوعة، وعن ميراثها مدفوعة، ولم تُحفظ فيها وصية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ولارُعي فيها حقه ولاحق اللّه (عزّوجلّ)، وكفى باللّه حاكماً ومن الظالمين منتقماً وأنا أسألك ياعم أن تسمح لي بترك ما أشرت به، فإنها وصّتني بستر أمرها.

فلما بلّغ الرسول كلام علي إلى العباس قال: يغفر اللّه لابن أخي فإنه

لمغفور له، إنَّ رأي ابن أخي لايُطعن فيه، إنه لم يولد لعبدالمطلب مولود أعظم بركة من علي إلاً النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

إن علياً لم يزل أسبقهم إلى كل مكرمة، وأعلمهم بكل فضيلة، وأشجعهم في الكريهة، وأشدَّهم جهاداً للأعداء في نصرة الحنيفية، وأول من آمن باللّه ورسوله[١].

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

فاطمة الزهراء على أعتاب الآخرة

كانت السيدة فاطمة الزهراء في ذلك اليوم ـ اليوم الأخير من حياتها ـ طريحة على فراشها المتواضع، وقد أخذ الهزال منها كل مأخذ، وما بقي منها سوى الهيكل العظمي فقط.

نامت السيدة فاطمة في ساعة من ساعات ذلك اليوم، وإذا بها ترى أباها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في المنام، ولعل تلك المرَّة هي الأُولى والأخيرة التي رأت الزهراء أباها الرسول في المنام.

رأت أباها في قصر من الدر الأبيض، فلما رآها قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): هلمّي إليَّ يابُنَيَّة، فإنّي إليكِ مشتاق!!

فقالت: واللّه إني لأشد شوقاً منك إلى لقائك.

فقال لها: أنت الليلة عندي!!

انتبهت من غفوتها، واستعدت للرحيل إلى الآخرة، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدَّق الذي قال: «من رآني فقد رآني» سمعت منه نبأ ارتحالها فلامجال للشك والتردد في صدق الخبر.

فتحت عينها، واستعادت نشاطها، ولعلها كانت في صحوة الموت وقامت لاتخاذ التدابير اللازمة، واغتنمت تلك السويعات الأخيرة من حياتها.

ويعلم اللّه مدى إنشغال قلبها وتشتّت فكرها في تلك اللحظات، فهي مسرورة بالموت الذي سوف يحلّ بها، فإنها تستريح من هموم الدنيا

وغمومها، وتلتحق بأبيها الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حيث الرفيع الأعلى والدرجات العلى في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر، وتتحقق في حقها البُشرى التي زّفها إليها رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يوم قال لها: أنت أوّل أهل بيتي لحوقاً بي.

ولكنها من ناحية اخرى: يضطرم قلبها لأنها سوف تترك زوجها العظيم وكفوها الكريم وحيدا غريباً في هذه الحياة القاسية، بلا ناصر ولا معين سوى اللّه تعالى، فلقد كانت الزهراء خير محامية ومدافعة وناصرة لزوجها في تلك الأحداث، فمن الذي يقوم مقامها إذا هي فارقت الحياة؟

ومما كان يؤلمها في تلك السويعات أكثر وأكثر ـ وكان يضغط على قلبها ـ أنها تفارق أطفالها الصغار، وكأنهم أفراخ لم تنبت أجنحتهم بعد، وقد ذكرنا (فيما مضى) أن من جملة أسمائها: الحانية. لأنها ضربت الرقم القياسي في الحنان والعطف على أولادها، وكانت أكثر أُمهات العالم حباً وشفقة على أطفالها الأعزاء.

إنها ستترك أفلاذ كبدها أهدافاً لسهام هذا الدهر الخؤن الذي لايرحم كبيراً ولاصغيراً، ولاوضيعاً ولاشريفاً، وخاصة وانها قد سمعت من أبيها (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) مرات عديدة: أن آل رسول اللّه هم المستضعفون وانهم سوف يرون أنواع الإضطهاد وألوان المصائب والذل والهوان، كما شاهدت هي ذلك بعد وفاة أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

ويعلم اللّه كيف كانت هذه الهواجس والأفكار تهاجم قلبها المنكسر المتألم.

وعلى كل حال:فالحزن ـ هنا ـ لايجدي ولاينفع،ولابد من الاستسلام للواقع المر، والتسليم لأمر اللّه وقضائه ولابدّ من انتهاز هذه الفرصة القصيرة

التي تمر مرّ السحاب.

أقبلت الزهراء تزحف أو تمشي مُتّكأة على الجدار نحو الموضع الذي يوجد فيه الماء من بيتها، وشرعت تغسل ثياب أطفالها بيديها المرتعشتين، ثم دعت أطفالها وطفقت تغسل رؤوسهم بالماء والطين، لأنها لم تجد غسيلاً غير الطين.

قف بنا لحظة!! لنبكي على هذه السيدة التي قد اقترب أجلها، وهي تلمس رؤُوس أطفالها وأبدانهم النحيفة، وكأنها تودعهم، وما يدريك أنها ـ حينذاك ـ كانت تبكي بصوت خافت، وتتقاطر الدموع من جوانب عينيها الغائرتين، وتسيل على وجهها المنكسف، لتغسل الذبول المستولي عليه.

ودخل الإمام علي (عليه السّلام) البيت، وإذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العلة وهي تمارس أعمالها المنزلية.

رقَّ لها قلب الإمام حين نظر إليها وقد عادت إلى أعمالها المتعبة التي كانت تجهدها أيام صحتها، فلاعجب إذا سألها عن سبب قيامها بتلك الأعمال بالرغم من انحراف صحتها؟

أجابته بكل صراحة: لأن هذا اليوم آخر يوم من أيام حياتي، قمت لأغسل رؤُوس أطفالي وثيابهم لأنهم سيصبحون يتامى بلا أُم!!

سألها الإمام عن مصدر هذا النبأ فأخبرته بالرؤيا، فهي بذلك قد نعت نفسها إلى زوجها بما لايقبل الشك.

وصايا فاطمة الزهراء

إذن: فالسيدة فاطمة في أواخرساعات الحياة،وقدحان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته في صدرها (طيلة هذه المدة) من الوصايا التي يجب

تنفيذها ولو بأغلى الأثمان ولايمكن التسامح فيها أبداً،لأنَّ لها غاية الأهمية.

كأنّي بها وقد فرغت من أعمالها المنزلية وعادت إلى فراشها وقالت:

يا ابن عم!! إنه قد نُعيت إليَّ نفسي، وإنني لأرى ما بي إلاَّ أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها علي (عليه السّلام): اوصيني بما أحببت يا بنت رسول اللّه، فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت:

يا ابن عم! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة.

ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال علي (عليه السّلام): معاذ اللّه!! أنتِ أعلم باللّهِ، وأبرُّ وأتقى وأكرم، وأشدُّ خوفاً من اللّه من أن أُوبّخك بمخالفتي.

وقد عزَّ عليَّ مفارقتك وفقدِك.

إلاَّ انه أمر لابدَّ منه.

واللّه لقد جددتِ عليَّ مصيبة رسول اللّه، وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنا للّه وإنا إليه راجعون.

من مصيبة ما أفجعها وآلمها، وأمضّها وأحزنها.

هذه مصيبة لا عزاء منها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ الإمام رأسها وضمّه إلى صدره ثم قال:

أوصيني بما شئت، فإنك تجديني وفياً أُمضي كلما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري.

فقالت: جزاك اللّه عني خير الجزاء.

يا ابن عم! أوصيك أولاً:

أن تتزوج بعدي بابنة أُختي أُمامة، فإنها تكون لوُلدي مثلي، فإن الرجال لابدَّ لهم من النساء.

ثم قالت: أُوصيك أن لايشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، فإنهم عدوي وعدو رسول اللّه، ولا تترك أن يصلي عليّ أحد منهم ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذ هدأت العيون ونامت الأبصار[١].

الوصية بصورة أُخرى:

قالت: يابن العم! إذا قضيت نحبي فغسّلني ولاتكشف عني، فإني طاهرة مطهَّرة، وحنّطني بفاضل حنوط أبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

وصَلِّ عليَّ، وليصلِّ معك الأدنى فالأدنى من أهل بيتي وادفني ليلاً لانهاراً، وسراً لاجهاراً، وعَفِّ موضع قبري، ولاتُشهد جنازتي أحداً ممن ظلمني.

يا ابن العم! أنا أعلم أنك لاتقدر على عدم التزويج من بعدي فإن أنت تزوّجت إمرأة إجعل لها يوماً وليلة، واجعل لأولادي يوماً وليلة.

يا أبا الحسن! ولاتصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدا جدَّهما واليوم يفقدان أُمَّهما، فالويل لأُمَّة تقتلهما وتبغضهما، ثم أنشأت تقول:

إبكني إن بكيت يا خير هادي — واسبل الدمع فهو يوم الفراق
يا قرين البتول أوصيك با — لنسل فقد أصبح حليف اشتياق
ابكني وابك لليتامى، ولاتنـ — ـس قتيل العدى بطَف العراق

وعن الامام الباقر (عليه السّلام) ان فاطمة (عليها السّلام) ـ لمّا أرادت الوصيَّة ـ قالت لأمير المؤمنين (عليه السّلام):

يا أبا الحسن: ان رسول اللّه عهِد اليَّ وحدَّثني انّي أول أهله لحوقاً به،

١ـ روضة الواعظين/بحار الأنوار ج٤٣.

ولابدّ ممّا لابدّ منه، فاصبر لأمر اللّه وأرض بقضائه[١].

وروي عن الامام الصادق (عليه السّلام) قال: لما حضرت فاطمة الوفاة، بكت، فقال لها أمير المؤمنين: يا سيّدتي ما يبكيك؟

قالت: ابكي لما تلقى بعدي.

قال لها: لاتبكي، فواللّه ان ذلك لصغير عندي في ذات اللّه[٢].

وفي رواية: قالت لأمير المؤمنين (عليه السّلام): إن لي اليك حاجة يا أبا الحسن؟

قال: تقضى يا بنت رسول اللّه.

قالت: نشدتك باللّه وبحقّ محمد رسول اللّه أن لايصلّي عليَّ أبو بكر وعمر[٣].

وفي رواية عن علي (عليه السّلام) قال: «ان فاطمة (عليها السّلام) أوصت اليَّ وقالت:

إن هما صلّيا عليَّ، شكوتك الى أبي، بمثل الذي أشكوهما[٤].

هذه بعض وصايا السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) التي يتجلى فيها مدى تألمها من ذلك المجتمع، ومدى تذمّرها من الجفاة القساة.

إنها اختارت أن تسجّل اسمها في طليعة أسماء المضطهدين المحرومين وأن تدوّن إسمها في سجلّ المظلومين، حتى يكون اسمها رمزاً للمظلومية

١ـ بيت الأحزان للقمي ص١٤٢.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٣ـ بيت الأحزان للقمي ص١٤٢.

٤ـ كتاب كامل البهائي لعماد الدين الطبري ص٣١٣ هو من علماء القرن السابع الهجري وله مؤلّفات كثيرة في اصول الدين وفروعه وفضائل الأئمّة الطاهرين (عليهم السّلام) وكان معاصراً للعلاّمة الحلّي والمحقّق الحلّي (رضوان اللّه عليهم أجمعين).

والحرمان، وليكون تشييع جثمانها تعبيراً عن سخطها على السلطة وعلى كل من أيَّد تلك السلطة واعترف بها وتعاون معها.

وإعلاناً عن غضبها على كل مَن وقف من الزهراء موقفاً سلبياً.

أوصَت أن يُشيَّع جثمانها ليلاً وتجري مراسيم التشييع ـ من التغسيل والتكفين والصلاة والدفن ـ في جوٍّ من الكتمان.

وأن لايشترك في تشييع جنازتها إلاَّ أفراد لم تتلوَّث ضمائرهم بالإنحراف ولم تسوَّد صفحاتهم بالإنجراف.

أفراد كان موقفهم تجاه السيدة فاطمة ـ خلال فترة الإنقلاب ـ موقفاً إيجابياً مشرفاً.

حنوط الجنة

ولها وصايا أُخرى لزوجها بأن يتعهد قبرها، ويقرأ القرآن عند مرقدها وغير ذلك مما ليست لها أهمية البنود السابقة من وصاياها.

ثم طلبت السيدة فاطمة من أسماء بنت عميس الحنوط الذي جاء به جبرئيل من الجنة وقالت: يا أسماء إئتني ببقية حنوط والدي من موضع كذا وكذا، فضعيه عند رأسي[1].

وأما الحنوط وهو السدر والكافور فقد روي عن علي (عليه السّلام) أنه قال: كان في الوصية أن يدفع إليّ الحنوط فدعاني رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قبل وفاته بقليل. فقال: يا علي ويا فاطمة هذا حنوطي من الجنة دفعه إليّ جبرئيل وهو يقرؤكما السلام ويقول لكما: اقسماه، واعزلا منه لي ولكما.

فقالت فاطمة (عليها السّلام): يا أبتاه لك ثُلثه. وليكن الناظر في الباقي علي بن أبي طالب.

فبكى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وضمّها إليه وقال: موفّقة، رشيدة، مهدية، ملهَمة.

يا علي قل في الباقي.

قال: نصف ما بقي، لها؛ والنصف الآخر لمن ترى يا رسول اللّه!!

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): هو لك[2].

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٢ـ مستدرك الوسائل في أحكام الكفن.

ثم دعت السيدة فاطمة سلمى امرأة أبي رافع وقالت لها: هيئي لي ماءً.

وفي رواية: «اسكبي لي غسلاً» ثم دعت بثيابها الجدد فاغتسلت أحسن ما يكون، ثم قالت: إفرشي فراشي وسط البيت[١].

أقول: لا أعرف السبب في اغتسال السيدة فاطمة وتبديل ثيابها وهي في أواخر ساعات الحياة، بل على أعتاب المنية.

ولعل السبب في ذلك (واللّه العالم) أنها (عليه السّلام) أرادت أن تغسل آثار الجروح الموجودة على عضدها وعلى ضلعها، تلك الجروح التي حدثت لها عند باب بيتها من الضرب، كما تقدم الكلام عنه.

وهكذا نزعت الثياب الملطخة بالدماء والقيح، ولعلها (عليها السّلام) أرادت أن تخفي ذلك عن ذويها الذين يحضرون ساعة تغسيلها.

وزعم البعض أنها اغتسلت عوضاً عن غسل الميت بعد الموت، وأنها أوصت أن لاتُغسَل بعد الموت.

وهذا عجيب من المحدِّثين كيف يذكرون هذه الأُسطورة أو الأُكذوبة؟ مع العلم أن غسل الميت إنما يجب بعد الموت لاقبل الموت.

نعم، بالنسبة للمحكوم عليهم بالقتل يغتسلون قبل تنفيذ حكم الإعدام عليهم، وليس هذا المورد من تلك الموارد.

ثم إن الفقهاء إنما استدلوا على جواز تغسيل الزوج زوجته بعد الموت بتغسيل الإمام أمير المؤمنين زوجته السيدة فاطمة (عليهما السّلام) بعد وفاتها بحيث صار هذا الأمر أوضح من الشمس، وأشهر من أمس، فما فائدة ذكر هذا القول الشاذ الذي لايعبأ به أحد؟

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تفارق الحياة

انتقلت السيدة فاطمة (عليها السّلام) إلى فراشها المفروش في وسط البيت، واضطجعت مستقبلة القبلة، واضعة يدها تحت خدّها بعد أن هيأت طعاماً لأطفالها.

وقيل: أنها أرسلت بنتيها: زينب وأُم كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلا تشاهدا موت أُمهما، كل ذلك من باب الشفقة والرأفة، والتحفّظ عليهما من صدمة مشاهدة المصيبة.

ويستفاد من بعض الأحاديث أن الإمام علياً والحسن والحسين (عليهم السّلام) كانوا خارج البيت في تلك الساعة، ولعل خروجهم كان لأسباب قاهرة وظروف معيّنة.

وعلى كلٍّ حال... فانهم لم يحضروا تلك الدقائق الأخيرة من حياة السيدة فاطمة، وإنما كانت أسماء حاضرة وملازمة لها، ويُستفاد من بعض الأحاديث أن خادمتها فضة أيضاً كانت حاضرة.

حانت ساعة الإحتضار، وحالة النزع، وانكشف الغطاء، ونظرت السيدة فاطمة نظراً حاداً ثم قالت:

السلام على جبرئيل.

السلام على رسول الله.

أللّهم مع رسولك.

أللهم في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام.

ثم قالت: أترون ما أرى؟

فقيل لها: ما ترين؟

قالت: هذه مواكب أهل السموات وهذا جبرئيل، وهذا رسول اللّه يقول: يا بنية أقدمي، فما أمامك خير لك.

وفتحت عينيها.... ثم قالت: وعليك السلام يا قابض الأرواح عجّل بي ولا تعذبني.

ثم قالت: إليك ربي لا إلى النار.

ثم غمّضت عينيها، ومدّت يديها ورجليها وفارقت الحياة.

فشقّت أسماء جيبها، ووقعت عليها تقبّلها وهي تقول: يا فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول اللّه فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

ودخل الحسن والحسين فوجدا أُمهما مسجّاة فقالا: يا أسماء ما يُنيم أُمّنا في هذه الساعة؟

قالت: يا بني رسول اللّه ليست أُمّكما نائمة، قد فارقت الدنيا.

فقال الحسين: يا أخاه آجرك اللّه في الوالدة.

فألقى الحسن نفسه عليها يقبّل رجلها ويقول: يا أُماه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني.

وهكذا الحسين كان يقبل رجلها ويقول: يا أُمهاه! أنا ابنك الحسين!! كلّميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت.

قالت لهما أسماء: يا بنيّ رسول اللّه إنطلقا إلى أبيكما فأخبراه بموت أُمكما. فخرجا يناديان: يا محمداه!

يا احمداه!

اليوم جُدّد لنا موتك إذ ماتت أُمّنا.

حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء.

فابتدر إليهما جمع من الصحابة وسألوهما عن سبب بكائهما؟

فقالا: أوليس قد ماتت أُمنا فاطمة!

فوقع الإمام علي (عليه السّلام) على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنتُ بكِ اتعزّى ففيم العزاء من بعدكِ؟

قال الراوي: ثم حمل علي (عليه السّلام) الحسنين، حتى ادخلهما بيت فاطمة (عليها السّلام) وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وايتامى محمد!

فلمّا نظر (عليه السّلام) الى سيدة النساء ميتة، مدَّ يده ورمى العمامة من على رأسه، والرداء من على منكبيه، وبكى بكاءاً شديداً.

ثم كشف (عليه السّلام) عن وجهها، فاذا برقعة عند رأسها، جاء فيها:

«.... يا علي أنا فاطمة بنت محمد، زوَّجني اللّه منك، لأكون لك في الدنيا والآخرة.

انت اولى بي من غيري.

حنّطني وغسّلني وكفنّي بالليل، وصلِّ عليّ، وادفنّي بالليل، ولاتُعلم احدا.

واَستودعك اللّه وأقرأ على ولديَّ السلام الى يوم القيامة»[1].

١ـ بيت الأحزان ص١٥٢ عن بحار الأنوار ج٤٣.

ما بعد الوفاة

ارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قُبض فيه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء أهل المدينة في دار السيدة فاطمة، فرأينها مسجّاة في حجرتها، وحولها أيتامها يبكون على أُمهم التي فقدوها في عنفوان شبابها، صرخت النساء صرخة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن وهن يصحن: يا سيدتاه، يا بنت رسول اللّه[1].

وأقبل الناس مسرعين وازدحموا ـ مثل عُرف الفرس ـ على باب البيت، وعلي جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما.

وكانت أُم كلثوم تبكي وتقول: يا ابتاه يا رسول اللّه!

الآن حقاً فقدناك.

فقداً لا لقاء بعده أبداً.

وجاءت عائشة لتدخل فقالت أسماء: لا تدخلي. فكلّمت عائشة أبا بكر فقالت: إن الخثعمية تحول بيننا وبين ابنة رسول اللّه وقد جعلت لها هودج العروس.

فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال: يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي أن يدخلن على بنت رسول اللّه؟ وجعلتِ لها مثل

١ـ المجالس السنية ج٥.

هودج العروس؟

فقالت أسماء: إن فاطمة أمرتني أن لايدخل عليها أحد، وأريتُها هذا الذي صنعت وهي حية، فأمرتني أن أصنع لها ذلك.

قال أبو بكر: فاصنعي ما أمَرتكِ. ثم انصرف.

وأقبل أبو بكر وعمر إلى علي (عليه السّلام) يعزّيانه، ويقولان له: يا أبا الحسن لاتسبقنا بالصلاة على ابنة رسول اللّه.

فلم يجبهما علي (عليه السّلام).

فقال عمر لأبي بكر: إن علياً لايُجيبنا لشدَّة حزنه[١].

كان الناس ينتظرون خروج الجنازة فأمر علي (عليه السّلام) أبا ذر ـ وقيل: سلمان ـ فنادى: إنصرفوا، فإن ابنة رسول اللّه قد أُخّر اخراجها في هذه العشية[٢].

فقال عمر لأبي بكر:انهم يريدون دفنها سرّاً،حتى لانشهد جنازتها[٣].

وهكذا تفرّق الناس، وهم يظنون أن تشييع الجنازة سيكون صباح غدٍ، إذ أنّ السيدة فاطمة الزهراء فارقت الحياة بعد صلاة العصر، أو أوائل الليل[٤].

مراسم التغسيل والتكفين

مضى من الليل شطره، وهدأت الأصوات، ونامت العيون، ثم قام

١ـ كامل البهائي لعمادالدين الطبري ج١ ص٣١١.

٢ـ أي: ان تشييع الجنازة سيتم في وقت متأخّر من الليل، ولهذا قال: قد أُخّر اخراجها في هذه العشيّة، ولم يقل: عن هذه العشيّة. إلا أن الناس فهموا من كلامه غير ما قصده.

٣ـ كامل البهائي لعمادالدين الطبري ج١ ص٣١١.

٤ـ بحار الأنوار ج٤٣.

الامام لينفّذ وصايا السيدة فاطمة.

حمل ذلك الجسد النحيف الذي أذابته المصائب حتى صار كالهلال.

حمل ذلك البدن الطاهر كي يُجري عليه مراسم السُّنة الاسلامية.

وضع ذلك الجثمان المطهّر على المغتسل، ولم يجرّد فاطمة من ثيابها تلبيةً لطلبها، إذ لا حاجة إلى نزع الثوب عن ذلك البدن الذي طهره اللّه تطهيراً، ويكفي صب الماء على البدن، كما صنع ذلك في تغسيل النبي الطاهر.

وهناك أسماء بنت عميس ـ تلك السيدة الوفيّة الطيبة التي استقامت على علاقاتها الحسنة مع أهل البيت ـ فهي تناول عليّاً الماء لتغسيل السيدة فاطمة.

يقول الامام الحسين (عليه السّلام): غسّلها ثلاثاً وخمساً، وجعل في الغسلة الأخيرة شيئاً من الكافور، وأشعرها مئزراً سابغاً دون الكفن[1] وهو يقول:

اللهم إنها أمَتك، وابنة رسولك وصفيك، وخيرتك من خلقك اللهم لقّنها حجّتها، وأعظم برهانها، وأعلِ درجتها، واجمع بينها وبين أبيها محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم)[2].

وبعد الفراغ من التغسيل حملها ووضعها على أكفانها، ثم نشّفها بالبردة التي نشف بها رسول اللّه[3] وحنّطها بحنوط السماء الذي يمتاز عن حنوط الدنيا.

ثم لفّها في أكفانها، وكفّنها في سبعة أثواب[4].

١ـ الشعار: ماولي شعر جسد الانسان دون ما سواه / لسان العرب ج٤ ص٤١٢.

٢ و٣ـ مستدرك الوسائل باب تغسيل الميّت ج٢ ص١٩٩ الطبعة الحديثة.

٤ـ مستدرك الوسائل، باب تغسيل الميت.

وإنما قام علي (عليه السّلام) بتغسيلها، ولم يكلف أحداً من النساء بذلك لأسباب:

١ـ تلبية لطلبها، وتنفيذاً لوصيتها.

٢ـ إثباتاً لعصمتها وطهارتها، فان تغسيل الميت يعتبر تطهيراً له، وأما بالنسبة للمعصومين فلايسمح للأيدي الخاطئة أن تمتدّ لتغسيلهم، وإنما هو من واجبات المعصوم الخاصة أن يقوم بعملية التطهير، وقد مرّ عليك الحديث عن الامام الصادق(عليه السّلام) حول كونها صدّيقة،وان الصدّيقة لايغسلها إلاّ صدّيق.

فكان الغرض من تلك الوصية وتنفيذها إثبات عصمتها، والتنويه بذلك في شتى المجالات وكافة المناسبات.

ويصرّح الامام (عليه السّلام) بذلك حيث يقول: فغسّلتها في قميصها ولم أكشفه عنها فواللّه لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة... الى آخر كلامه (عليه السّلام)[1].

وهناك أحاديث شاذة بلغت القمة في الشذوذ، فمنها الحديث الذي يذكره الدولابي وغيره ان الزهراء (عليها السّلام) اغتسلت قبل وفاتها، وأوصت أن لايغسلها أحد بعد موتها، وانها دفنت بلاتغسيل!!

ويأتي بعض علمائنا القدامى ليصحح هذا الخطأ، فيقول: فلعل ذلك كان من خصائصها (عليها السّلام).

أقول: وهل تثبت أمثال هذه الامور بـ (لعل) و(ليت) وخاصة مع تصريح الروايات المعتبرة وتواتر الأحاديث الصحيحة: أن علياً هو الذي تولّى تغسيلها؟

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

أضف إلى ذلك: ان تغسيل الميت المسلم واجب شرعاً.

وداعاً يا امّاه

رأى الامام ان يتامى فاطمة ينظرون إلى أُمّهم البارّة الحانية، وهي تُلفّ في أثواب الكفن.

انها لحظة فريدة في الحياة، لايستطيع القلم وصفها.

إنها لحظة يهيج فيها الشوق الممزوج بالحزن.

انه الوداع الأخير الأخير!!

هاجت عواطف الأب العطوف على أطفاله المنكسرة قلوبهم، فلم يعقد الخيوط على الكفن، بل نادى: ـ بصوت مختنق بالبكاء ـ : يا حسن يا حسين يا زينب يا أُم كلثوم... هلمّوا وتزوّدوا من أُمّكم، فهذا الفراق واللقاء في الجنة!!

كان الأطفال ينتظرون هذه الفرصة وهذا السماح لهم كي يودّعوا تلك الحوراء، ويعبّروا عن آلامهم وأصواتهم ودموعهم المكبوتة المحبوسة، فأقبلوا مسرعين، وجعلوا يتساقطون على ذلك الجثمان الطاهر كما يتساقط الفَراش على السراج.

ونادى الحسنان: واحسرةً لاتنطفىء ابداً، من فقد جدّنا محمد المصطفى وأُمّنا فاطمة الزهراء، يا أُم الحسن يا أُم الحسين اذا لقيت جدّنا محمداً المصطفى فاقرأيه منّا السلام وقولي له: انّا بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

كانوا يبكون بأصوات خافتة، ويغسلون كفن أُمّهم الحانية بالدموع، فتجففها الآهات والزفرات.

كان المنظر مشجياً مثيراً للحزن، فالقلوب ملتهبة، والأحاسيس مشتعلة والعواطف هائجة، والأحزان ثائرة.

وهنا حدث شيء يعجز القلم عن تحليله وشرحه، وينهار أمامه قانون الطبيعة، ويأتي دور ما وراء الطبيعة، فالقضية عجيبة في حد ذاتها، لأنها تحدّت الطبيعة والعادة:

يقول علي (عليه السّلام) ـ وهو إذ ذاك يشاطر أيتام فاطمة في بكائهم وآلامهم ـ

يقول: «أُشهد اللّه أنها حنَّت وأنَّت وأخرجت يديها من الكفن، وضمّتهما إلى صدرها مليّاً».

إن كانت حياة السيدة فاطمة الزهراء قد تعطّلت فان أحاسيسها وإدراكها لم تتعطل، وإن كانت روحها الطاهرة قد فارقت جسدها المطهَّر فان علاقة الروح لم تنقطع عن البدن بعد، فلروحها القوية أن تتصرف في جسمها في ظروف خاصة وموارد معينة.

كان ذلك المنظر المؤلم مثيراً لأهل السموات الذين كانت أبصارهم شاخصة نحو تلك النقطة من بيت علي (عليه السّلام) فلاعجب إذا ضجت الملائكة وشاركت أهل البيت في بكائهم.

فلاغرو إذا سمع الامام علي صوت أحدهم يهتف قائلاً: يا علي! إرفعهما فلقد أبكيا ملائكة السموات وقد اشتاق الحبيب إلى حبيبه.

يتقدم الامام ليرفع طفليه عن صدر أُمهما، وعيناه تذرفان بالدموع.

الصلاة على الجنازة

وانتهت مراسيم التكفين والتحنيط،وجاء دورالصلاة عليها ثم الدفن. لقد حضر الأفراد الذين تقرر أن يشتركوا في تشييع الجثمان ومراسم

الصلاة وغيرها، وهم الذين لم يظلموا فاطمة، ولم يسكتوا أمام تلك الأحداث، ولم يكن موقفهم موقف المتفرج الذي لم يتأثر بالحوادث.

لقد حضروا في تلك الساعة المتأخرة من تلك الليلة خائفين مترقبين، إذ قد تقرر إجراء تلك المراسم ليلاً وسرّاً، واستغلال ظلمة الليل مع رعاية الهدوء والسكوت، كل ذلك لأجل تنفيذ وصايا السيدة فاطمة الحكيمة.

لقد حضروا، وهم: سلمان، عمار بن ياسر، أبو ذر الغفاري، المقداد، حذيفة، عبدالله بن مسعود، العباس بن عبدالمطلب، الفضل بن العباس، عقيل، الزبير، بريدة ونفر من بني هاشم، وشيّعوا جثمان فاطمة الزهراء ـ البنت الوحيدة التي تركها الرسول الأقدس بين أُمته ـ وكأنها امرأة غريبة خاملة فقيرة في المدينة، لايعرفها أحد.

وكأنها لم تكن لها تلك المنزلة الرفيعة والشخصية المثالية.

هؤلاء هم المشتركون في تشييع جنازة سيدة نساء العالمين.

وتقدم الامام علي (عليه السّلام) ومعه الحسن والحسين وصلّى بهم على حبيبة رسول الله، قائلاً: اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك، اللهم إنها قد أُوحشت فآنسها، اللهم إنها قد هُجِرت فَصِلها، اللهم إنها قد ظُلِمت فاحكم لها وأنت خير الحاكمين[١].

ثم صلّى ركعتين ورفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيّك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلى النور. فأضاءت الأرض ميلاً في ميل.

صلى الامام علي (عليه السّلام) عليها، إذ أنها كانت معصومة، فيجب أن يصلي عليها المعصوم، فالصلاة على الميت دعاء له بالرحمة، وأما بالنسبةللمعصوم فالدعاء له ـ أي الصلاة على جثمانه ـ من واجب المعصوم.

١ـ الخصال للصدوق، عن الإمام الباقر (عليه السّلام).

هذا من الناحية الشرعية، وأما من ناحية العقل والحكمة فان السيدة فاطمة الزهراء مع جلالة قدرها، وعظم شأنها ذهبت الى دار رئيس الدولة يومذاك مطالبة بحقها، فكان موقف الرئيس معها كما عرفت.

ثم حضرت في المسجد وخطبت تلك الخطبة فلم تجد الإسعاف لا من الحاضرين في المسجد، ولا من رئيس الدولة، وقد مرّ عليك أن علياً (عليه السّلام) كان يحملها إلى بيوت المهاجرين والأنصار يستنجدهم لنصرة الزهراء فلم يجد منهم إلاَّ الجفاء.

والكارثة التي حدثت عند باب بيتها تركت في جسمها آثاراً تدوم وتدوم ولا تزول.

ومواقف المسلمين تجاه ابنة الرسول كان لها أثر عميق في نفس السيدة فاطمة لكونها اهانة صريحة لها، وظلماً مكشوفاً واعتداءاً مقصوداً، وإهداراً لكرامتها، وتضييعاً لمقامها الأسمى.

وليست هذه الامور من القضايا التي تنسى أو تضيع، فلابد من تنبيه المعتدين على فظاعة عملهم وتسجيل ذلك في سجل التاريخ، وذلك عن طريق الاستنكار والتعبير عن الاستياء العميق من تلك الأعمال.

وإن بنود الوصية ترمز إلى أن الزهراء عاشت بعد أبيها ناقمة وغاضبة على اولئك الأفراد، واستمرت النقمة والغضب حتى الموت وبعد الموت إلى يوم يبعثون.

فلاترضى السيدة فاطمة أن يشيّعها تلك العصابة، ولا أن يصلُّوا على جنازتها ولايشهدوا دفنها، ولايعرفوا قبرها.

فاطمة الزهراء في مثواها الأخير

لقد قرأت أن السيدة فاطمة (عليها السّلام) اوصت الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) بأن يدفنها ليلاً، وأن لايُعلم احداً بموضع قبرها، بل يبقى قبرها مخفياً من يوم وفاتها إلى يوم الفصل الذي كان ميقاتاً، ليجلب هذا العمل إنتباه المسلمين وعلى الأخص الحُجّاج والمعتمرين الذين يزورون قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) في المدينة المنورة، ومراقد الأئمة (عليهم السّلام) في البقيع، ويتساءلون عن قبرها فلايجدون لذلك أثراً ولاخبراً.

فالقبر كان ولا زال مجهولاً عند المسلمين، بسبب إختلاف المؤرخين والمحدثين، فهناك أحاديث تصرّح بدفنها في البقيع، وهناك روايات أنها دفنت في حجرتها وعند توسيع المسجد النبوي الشريف صار قبرها في المسجد.

فإن صح هذا القول فإن صُوَر القبور التي صوَّرها الإمام في البقيع كان لغرض المغالطة، وصرف الأنظار عن مدفنها الحقيقي.

وإن كان الإمام قد دفنها في البقيع فالقبر كان ولا يزال مجهولاً.

وعلى كل تقدير: لقد حفروا القبر للسيدة فاطمة،

حفروا مرقداً لتلك الزهرة الزهراء، واللؤلؤة النوراء، وتقدّم أربعة رجال ـ وهم علي والعباس والفضل بن العباس ورابع[1] ـ يحملون ذلك الجسد النحيف[2].

---

١ و٢ـ مستدرك الوسائل باب الدفن.

ونزل علي (عليه السّلام) إلى القبر لأنه وليّ أمرها، وأولى الناس باموره‌ا، واستلم بضعة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وأضجعها في لحدها، ووضع ذلك الخد الذي طالما تعفّر بين يدي اللّه تعالى في حال السجود، ذلك الخد الذي كان يقبّله رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) في كل ليلة قبل أن ينام.

وضع ذلك الخد على تراب القبر وقال: يا أرض أستودعكِ وديعتي، هذه بنت رسول اللّه.

وعن الامام الصادق (عليه السّلام) قال:ان امير المؤمنين (عليه السّلام) لّما وضع فاطمة بنت رسول اللّه في القبر قال: بسم اللّه الرحمن الرحيم، بسم اللّه وباللّه وعلى ملة رسول اللّه محمد بن عبداللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

سلّمتك أيتها الصّدّيقة إلى مَن هو أولى بك مني، ورضيت لك ما رضي اللّه تعالى لك.

ثم قرأ: منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى[1].

لايستطيع العقل أن يدرك، ولايستطيع القلم أن يصف الحالة التي كان علي (عليه السّلام) يعيشها تلك اللحظات، ومدى تاثير الأحزان على قلبـه.

ثم خرج من القبر، بعد أن أشرج اللّبن، وتقدم الحاضرون ليهيلوا التراب على تلك الدرة النبوية.

دفنوها، ودفنوا أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

١ـ مصباح الأنوار/بيت الأحزان ص١٥٦.

دفنوا أول شهيدة من آل محمد.

لقد دفنوا كتلة من المواهب والفضائل.

لقد أخفوا في بطون التراب الحوراء الإنسية.

وسوّى علي (عليه السّلام) قبرها، وكأنه في تلك المراحل كان جرحه حاراً، فلايشعر بالألم، والإنسان قد يصاب بجراح أو كسر فلايشعر بالألم في وقته، وبعد مضي لحظات يشتد به الوجع، ويتركه يصرخ ويصيح.

كان جثمان السيدة فاطمة نصب عين علي في تغسيلها وتكفينها والصلاة عليها ودفنها، والآن قد غابت الزهراء عن الأبصار، واختفت عن الأعين.

لقد حان أن يشعر الإمام علي بألم المصاب، ويشتد به الوجع أشد ما يمكن.

كانت تلك اللحظات الحرجة من تلك الليلة مؤلمة ومشجية، فلقد كان قلب الإمام مضغوطاً عليه بسبب المصيبة.

لقد ماتت فاطمة الزهراء شهيدة الاضطهاد، قتيلة الظلم والاعتداء.

وفَقَدَ الإمام بفقدها شريكة حياته، وأحبّ الناس إليه وإلى رسول اللّه.

فَقَدَ سيدةً في ريعان شبابها، ومقتبل عمرها، ونضارة حياتها.

فَقَدَ سيدةً انسجمت معه ديناً ودنيا وآخرة.

فَقَدَ زوجةً شاركته في مصائب حياته ومرارتها بكل صبر.

فَقَدَ حوراء ليست من مستويات نساء الدنيا.

سوف لايجد الإمام على وجه الأرض مثلها عصمة ونزاهة وتقوى وعلماً وكمالاً وشرفاً، وفضائل ومكارم وغيرها.

فلايمكن له أن يتسلى بامرأة أُخرى.

ومما زاد في المصيبة، وضاعف في أبعاد الكارثة أن السيدة أوصت إلى زوجها أن يكون تشييع جثمانها ليلا وسرّاً، وبإخفاء قبرها بحيث لايكون لقبرها أثر ولا علامة.

شكوى الى رسول اللّه

ولهذا هاجت به الأحزان لمّا نفض يده من تراب القبر فأرسل دموعه على خديه وحوّل وجهه إلى قبر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ثم قال:

السلام عليك يا رسول اللّه عني[1]

السلام عليك عن ابنتك وزائرتك[2]

والبائتة في الثرى ببقعتك

والمختار اللّه لها سرعة اللحاق بك

قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبري

وعفى عن سيدة نساء العالمين تجلّدي[3]

إلاّ أن في التأسي لي بسنّتك في فرقتك موضع تعز[4]

فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك

بعد أن فاضت نفسك[5] بين نحري وصدري

وغمّضتك بيدي

١ـ وفي نسخة: السلام عليك يا رسول اللّه عني وعن ابنتك.

٢ـ وفي نسخة: السلام عليك من ابنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك.

٣ـ وفي نسخة: وضعف عن سيدة النساء.

٤ـ وفي نسخة: بسنّتك، والحزن الذي حلّ بي لفراقك موضع التعزّي.

٥ـ وفي نسخة: على صدري.

وتولّيت أمرك بنفسي

بلى[١] وفي كتاب اللّه لي أنعم القبول

إنا للّه وإنا إليه راجعون

قد أُسترجعتِ الوديعة وأُخذت الرهينة

واختلست الزهراء[٢]

فما أقبح الخضراء والغبراء

يا رسول اللّه!!

أمّا حزني فَسَرمد

وأمّا ليلي فمسهّد

وهمٌّ لايبرح من قلبي[٣]

أو[٤] يختار اللّه لي دارك التي أنت فيها[٥] مقيم

كمدٌ مقيّح، وهمٌّ مهيّج

سرعان ما فَرّق اللّه بيننا

وإلى اللّه أشكو

وستنبؤك ابنتك بتضافر[٦] أُمّتك عليَّ

وعلى هضمها حقها

فاحفها السؤال

١ـ وفي نسخة: نعم.

٢ـ وفي نسخة: اختلصت واخلست.

٣ـ وفي نسخة: لايبرح الحزن من قلبي.

٤ـ وفي نسخة: إلى أن يختار.

٥ـ وفي نسخة: بها.

٦ـ وفي نسخة: بتظاهر.

واستخبرها الحال

فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا

وستقول، ويحكم اللّه وهو خير الحاكمين

والسلام عليكما[١] يا رسول اللّه

سلام مودّع

لا سئم ولا قالٍ[٢]

فإن أنصرف فلا عن ملالة

وإن أُقم فلا عن سوء ظن[٣] بما وعد اللّه الصابرين

واهاً واها!!

والصبر أيمن وأجمل

ولولا غلبة المستولين علينا

لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً

والتلبث عنده عكوفاً[٤]

ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية

فبعين اللّه تدفن ابنتك سرّاً؟!!

ويهتضم حقها قهراً؟!!

ويُمنع إرثها جهراً؟!!

ولم يَطُل منك العهد[٥]

١ـ وفي نسخة: سلام عليك.

٢ـ وفي نسخة: لا قالٍ ولا سئم.

٣ـ وفي نسخة: ظني.

٤ـ وفي نسخة: لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً.

٥ـ وفي نسخة: ولم يتباعد العهد.

ولم يخلِق منك الذكر
فالى اللّه ـ يا رسول اللّه ـ المشتكى
وفيك ـ يا رسول اللّه ـ أجمل العزاء
فصلوات اللّه عليها وعليك ورحمة اللّه وبركاته[1]

وروي ان علياً (عليه السّلام) ـ لمّا ماتت فاطمة (عليها السّلام) وفرغ من جهازها ودفنها ـ رجع الى البيت فاستوحش فيه وجزع جزعاً شديداً، ثم انشأ يقول:

اری عِلل الدنيا عليّ كثيرةً　　وصاحبها حتى الممات عليل
لكلّ اجتماع من خليلين فرقةٌ　　وكلّ الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطماً بعد احمدٍ　　دليل على أن لايدوم خليل[2]

وروي عن الامام جعفر بن محمد (عليهما السّلام) قال: لمّا ماتت فاطمة كان علي يزور قبرها كلّ يوم، واقبل ذات يوم فانكبّ على القبر وانشأ يقول:

مالي مررتُ على القبور مسلّماً　　قبر الحبيب فلم يردَّ جوابي[3]

١ـ الكافي للكليني والمجالس للمفيد والأمالي للشيخ ونهج البلاغة للرضي.
٢و٣ـ الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص١٤٨.

محاولات فاشلة

وأصبح الصباح من تلك الليلة فأقبل الناس ليشيّعوا جنازة السيدة فاطمة فبلغهم الخبر ان عزيزة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قد دفنت ليلاً وسرّاً.

وكان علي (عليه السّلام) قد سوّى في البقيع صُور قبور سبعة أو أكثر، وحيث ان البقيع كان في ذلك اليوم وإلى يومنا هذا مقبرة أهل المدينة، لهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر السيدة فاطمة، فأشكل عليهم الأمر، ولم يعرفوا القبر الحقيقي لسيدة نساء العالمين، فضج الناس، ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لن يخلف نبيكم إلاَّ بنتاً واحدة، تموت وتُدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها، ولاتعرفوا قبرها؟!!

فلقي المقداد أبا بكر وقال له: إنا قد دفنّا فاطمة البارحة.

فقال عمر: يا أبا بكر ألم أقل لك انهم يريدون دفنها سرّاً؟

فقال المقداد: ان فاطمة اوصت هكذا، حتى لاتصلّيا عليها[1].

فجعل عمر يضرب المقداد على رأسه ووجهه، واجتمع الناس وانقذوه منه.

فوقف المقداد أمامهم وقال:

«إن ابنة رسول اللّه ماتت والدم يجري من ضلعها وظهرها، بسبب الضرب والسوط الذي ضربتموها، وقد رايت ما صنعتم بعلي، فلاعجب

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص١٩٩.

اذا ضربتموني»[1].

فقال العباس: انها اوصت ان لاتصلّيا عليها.

فقال عمر: لاتتركون ـ يا بني هاشم ـ حسدكم القديم علينا ابداً!!

فقال عقيل: وانتم ـ واللّهِ ـ لأشدّ الناس حسداً، وأقدم عداوة لرسول اللّه وأهل بيته.

ضربتموها بالأمس، وفارقت الدنيا، وظهرها بدم، وهي غير راضية عنكما[2].

ثم قال رجال السلطة: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلّي عليها، ونزور قبرها.

أرادوا تنفيذ هذه الخطة كي يزيّفوا الخطة التي خططتها السيدة فاطمة في وصاياها، وأن يحبطوا المساعي التي بذلها الامام علي (عليه السّلام) في إخفاء القبر، وحرمان بعض الناس عن درك ثواب الصلاة على جنازة السيدة فاطمة.

وإلاّ فما معنى نبش القبر لأجل الصلاة على الميت؟

أكانوا يظنون أن عليّاً دفن فاطمة بلا صلاة؟

هل من المعقول أن يظن أحد ذلك؟

وأي إسلامٍ وأي دين وشريعة يبيح نبش قبر ميت قد صلّى عليه وليّه بأحسن وجه وأكمل صورة، صلّى عليه بتصريح ووصية منه؟؟!

إنني أعتقد أن الذي جرّأهم على هذه المجازفة و خرق الآداب وتحطيم المعنويات هو إستضعافهم لأمير المؤمنين (عليه السّلام) فكأنهم قد نسوا أو

١ـ كامل البهائي لعماد الدين الطبري ج١ ص٣١٢.

٢ـ المصدر السابق ص٣١٣.

تناسوا سيف الامام علي وبطولاته في جبهات القتال، وشجاعته التي شهد بها أهل السماء والأرض.

إن كان الامام أمير المؤمنين لم يجرّد سيفه في تلك الأحداث والمآسي التي حدثت بعد وفاة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) لأجل توحيد كلمة المسلمين، وعدم تفرّقهم عن الدين، فليس معنى ذلك أن يسكت عن كل شيء وأن يصبر على كل هضيمة ورزية.

وبعبارة أخرى: إن كان علي (عليه السّلام) مأموراً بالصبر في موارد معينة ومواطن محدودة، فلايعني ذلك أن يتحمّل كل إهانة ويسكت عليها.

وصل إلى الامام خبر المؤامرة التي يوشك أن تُنفّذ، وكان للامام (عليه السّلام) قباء أصفر يلبسه في الحروب، لأن الملابس الفضفاضة الطويلة العريضة لاتناسب القتال وإنما تتطلب الحرب ملابس تساعد على سرعة الحركة والأعمال الحربية، وكان ذلك القباء من ملابس علي (عليه السّلام) الخاصة للحروب.

لبس الامام ذلك القباء الأصفر، وحمل سيفه ذا الفقار وقد احمرّت عيناه ودرّت أوداجه من شدة الغضب، وقَصَد البقيع.

سبقت الأخبار عليّاً إلى البقيع، ونادى مناديهم: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم باللّه: لئن حُوّل من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الآخر.

تلقى الناس هذه التهديد بالقبول والتصديق، لأنهم عرفوا أن عليّاً صادق القول، قادر على ما يقول.

ولكن عمر استخف بهذا التهديد والإنذار وقال: ما لك يا أبا الحسن! واللّه لننبشنّ قبرها ونصلّينّ عليها!!

فضرب الامام بيده إلى جوامع ثوب الرجل وهزّه، ثم ضرب به الأرض، وقال له: يابن السوداء! أمّا حقي فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم، وأما قبر فاطمة فوالذي نفس علي بيده: لئن رُمتَ وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم!!

فقال أبو بكر: يا أبا الحسن بحق رسول اللّه وبحق من فوق العرش إلاَّ خلَّيت عنه، فإنا غير فاعلين شيئاً تكرهه.

فخلّى عنه وتفرّق الناس، ولم يعودوا إلى ذلك[١].

وبقيت وصايا السيدة فاطمة باقية ونافذة المفعول حتى اليوم وبعد اليـوم.

١ـ بحار الأنوار ج٤٣. باب ما وقع عليها من الظلم.

الامام علي في تأبين السيدة الزهراء

إن كانت العادة والإنسانية قد قضت برثاء الميت، فإن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) تستحق الرثاء بعد وفاتها كما تستحق الثناء في حياتها وبعد مماتها.

والرثاء تعبير عن الشعور، وإظهار التوجُّع والتأسُّف على الفقيد، وبيان تأثير مصيبة فقده على الراثي.

وإنطلاقاً من هذا المفهوم فانه يجدر بالامام علي (عليه السّلام) أن يرثي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) ويبث آلامه النفسية من تلك الفاجعة المؤلمة، فالامام يشعر بألم المصاب أكثر من غيره، لأنه يقدّر فقيدته حق قدرها، وتأثير الصدمة في نفسه أقوى وأكثر، فلاعجب إذا هاجت أحزانه فقال مخاطباً لسيدة النساء فاطمة العزيزة بعد وفاتها قائلاً:

نفسي على زفراتها محبوسة　　　يا ليتها خرجت مع الزفرات
لاخير بعدكِ في الحياة وإنما　　　أبكي مخافةأن تطول حياتي

وقال:

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة　　　وصاحبها حتى الممات عليل
ذكرت أبا ودّي فبتُّ كأنني　　　بِردّ الهموم الماضيات وكيل
لكل اجتماع من خليلين فرقة　　　وكلُّ الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد　　　دليل على أن لايدوم خليل

وقال:

فراقكِ أعظم الأشياء عندي　　　وفقدك فاطم ادهى الثكول

سأبكي حسرة وأنوح شجواً على خِلٍّ مضى أسنى سبيل
ألا يا عين جودي واسعديني فحزني دائم أبكي خليلي

وقال:

حبيب ليس يعدله حبيبُ وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن عيني وجسمي وعن قلبي حبيبي لا يغيب

وقال مخاطباً للسيدة فاطمة بعد وفاتها:

مالي وقفت على القبور مسلِّماً قبر الحبيب فلم يردّ جوابي
أحبيب مالك لاتردّ جوابنا أنسيت بعدي خلّة الأحباب[1]

وفي كتاب الانوار العَلوية[2] ما ملخّصه:

لمّا ماتت فاطمة (عليها السّلام) احتجب الامام أمير المؤمنين (عليه السّلام) في منزله عن الناس، وصار لايخرج إلاّ للصلاة وزيارة قبر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

قال عمار: فمضيتُ الى دار سيدي ومولاي أمير المؤمنين، فاستأذنت عليه، فاذن لي، فلمّا دخلت عليه وجدته جالساً جلسة الحزين الكئيب والحسن عن يمينه، والحسين عن شماله، وهو ينظر الى الحسين ويبكي.

فلم املك نفسي دون ان اخذتني العبرة، وبكيت بكاءاً شديداً، فلما سكن نشيجي قلت:

سيدي اتأذن لي بالكلام؟

قال: تكلَّم يا أبا اليقظان.

قلت: سيدي أنتم تأمرون الناس بالصبر على المصيبة، فما هذا الحزن الطويل...؟

١ـ بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٦.

٢ـ للعلاّمة البحّاثة الشيخ جعفر النقدي ص٣٠٦.

فالتفت اليَّ وقال: «يا عمّار إن العزاء عن مثل مَن فقدته لعزيز، اني فقدتُ رسولَ اللّه بفقد فاطمة.

انها كانت لي عزاء وسلوة.

كانت اذا نطقت ملأت مسامعي بصوت رسول اللّه.

واذا مشت لم تخرم مشيته.

وانّي ما احسستُ بفراق رسول اللّه إلاّ بفراقها.

وانّ اعظم ما لقيتُ من مصيبتها: أني لمّا وضعتُها على المغتسل. وجدتُ ضلعاً من اضلاعها مكسورا، وجَنبها قد اسودَّ من ضرب السياط، وكانت تخفي ذلك عليَّ مخافة أن يشتدّ حزني، وما نظرت عيناي الى الحسن والحسين إلاّ وخنقتني العبرة، وما نظرت الى زينب باكية إلاّ واخذتني الرقَّة عليها....».

تاريخ وفاتها (عليها السّلام)

ليس من العجيب أن يختلف المؤرّخون في تاريخ وفاتها ومقدار عمرها كما اختلفوا في تاريخ ولادتها قبل البعثة أو بعدها، وهكذا الاختلاف في مقدار مكثها في الحياة بعد وفاة أبيها الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

فاليعقوبي يروي أنها عاشت بعد أبيها ثلاثين أو خمسة وثلاثين يوماً، وهذا أقلّ ما قيل في مدة بقائها بعد الرسول.

وقول آخر: أربعون يوماً.

وقول ثالث: خمسة وسبعون وهو الأشهر.

ورابع: خمسة وتسعون يوماً وهو الأقوى، وهناك أقوال لايعبأ بها كالقول بأنها عاشت بعد أبيها ستة أشهر أو ثمانية أشهر وهذا أكثر ما قيل في مكثها بعد أبيها (صلى اللّه عليه وآله وسلّم).

وهناك أحاديث واردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) كانت ولاتزال مورد الاعتبار والاعتماد.

ففي كتاب (دلائل الامامة) للطبري الإمامي بإسناده عن الامام الصادق (عليه السّلام): انها قُبضت في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة.

وفي البحار ج٤٣ عن جابر بن عبداللّه: وقبض النبي ولها يومئذ ثماني عشرة سنة وسبعة أشهر.

أيضاً: عن الامام محمد بن علي الباقر (عليه السّلام): وتوفيت ولها ثمانية عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً.

وروى الكليني هذا القول في الكافي.

وعلى كل تقدير فان عشرات الآلاف من المجالس والمآتم تقام في البلاد الشيعية بمناسبة وفاة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) في المساجد والبيوت والجامع، ويطعمون الطعام في يوم وفاتها بكل سخاء، وتسمّى تلك الأيام بـ (الفاطمية) فيرقى الخطباء المنابر ويتحدثون عن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وعن حياتها الزاخرة بالفضائل والمناقب والمواقف المشرّفة، ويختمون كلامهم بذكر بعض مصائبها وآلامها.

أوقافها وصداقاتها (عليها السّلام)

كان لها سبعة بساتين وقفتها على بني هاشم وبني المطلب، وجعلت النظر فيها والولاية لعلي (عليه السّلام) مدة حياته، وبعده للحسن وبعده للحسين (عليهما السّلام) وبعده للأكبر من ولدها، وكان كتاب الوقف موجوداً عند الامام الباقر (عليه السّلام)، كما في كتاب الكافي للكليني - وصورة الكتاب هكذا:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما أوصت به فاطمةبنت محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) بحوائطها السبعة: العواف والذلال والبرقة والمبيت والحسنى والصافية وما لأمّ ابراهيم إلى علي بن أبي طالب، فان مضى فإلى الحسن فإن مضى الحسن فإلى الحسين فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من وُلدي.

شهد اللّه على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وكتب علي بن أبي طالب».

وتسأل: كيف وصلت هذه البساتين السبعة إلى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)؟

لقد ذكر السمهودي[1] ان مخيرق اليهودي - وكان من أحبار يهود بني النضير - أسلم وقُتل يوم أُحُد، وأوصى ببساتينه السبعة إلى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) فأوقفها النبي سنة سبع من الهجرة على خصوص فاطمة (عليها السّلام) وكان يأخذ منها لأضيافه وحوائجه.

وأوصت لأزواج النبي لكل واحدة منهن اثنتا عشر أوقية، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، ولإمامة بنت أبي العاص بشيء[2].

١- تاريخ المدينة ج٢ ص١٥٢.

٢- دلائل الامامة.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) يومَ المحشر

إن كان بعض المسلمين لم يراعوا حرمة سيدة نساء العالمين في حياتها، وأذاقوها أنواع الذل والهوان، وقابلوها بالكبت، ولم يرقبوا فيها كرامتها ولاكرامة أبيها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

ولم يحفظوا فيها كلام اللّه تعالى حيث أنزل آيات بينات في حقها وحق زوجها وولديها سيدي شباب أهل الجنة كآيات التطهير والمباهلة وسورة هل أتى وآية المودة في القربى.

وكأنّهم لم يسمعوا وصية أبيها في حقها حيث قال: «المرء يُحفظ في وُلده» وقوله: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني» وأمثال ذلك من الكلمات التي أوصى بها الرسول أُمّته بحق ابنته الوحيدة فاطمة الزهراء.

واستنصرتهم فلم ينصروها، واستنجدت بهم فلم يسعفوها، ولم يتكلم منهم متكلم.

فإن اللّه تعالى قد حفظ ويحفظ لفاطمة الزهراء (عليها السّلام) مقامها، ولم يبخس من حقها شيئاً، فلقد ذكرها في كتابه المجيد، وأحلّها محلاً لم تدركه أية انثى في العالم، وقد جعلها اللّه سيدة نساء العالمين.

وبعد هذا كله فإن اللّه تعالى سيُظهر عظمتها لأهل العالم كلهم في يوم القيامة.

في ذلك اليوم الذي يحشر فيه الظالمون ووجوههم مسودّة.

في ذلك اليوم الذي يعضّ الظالم على يديه.

في ذلك اليوم يجمع اللّه تعالى فراعنة الأُمم، وهم أذلاَّء حقراء قد أذهلهم الفزع الأكبر، وقد تذكر كل منهم أعماله ومخازيه وموبقاته.

وقرأ إضبارته المليئة بهتك حرمات اللّه، وظلم أوليائه وإهدار دماء الأبرياء، وإذلال الصالحين.

في ذلك اليوم تتبخَّرالشخصيات الجبَّارة،وتنعدم إمكانيات الطواغيت وتُسلب قدرة الفراعنة.

في ذلك اليوم تظهر عظمة الصدّيقة الطاهرة، ومنزلتها السامية عند ربها وجلالة قدرها وعظم شأنها.

إنه يوم عظيم، وعجيب ومدهش ومذهل.

فانبياء اللّه يحشرون من قبورهم. ويتجهون نحو المحشر.

وجميع الخلائق على اختلاف أديانهم وألوانهم وأعمالهم.

وجميع الأُمم على اختلاف شرائعهم.

وجميع العالمين «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً».

وحتى الجنين الذي سقط من بطن أُمه قد استوى إنساناً كاملاً.

أكثرهم عراة وكلهم حفاة.

يجتمعون على صعيد المحشر، ويصطفُّون صفوفاً تبلغ سبعين ألف صف، تبدأ الصفوف من أقصى المشرق وتنتهي إلى أقصى المغرب.

في ذلك اليوم تتجلى شخصية الزهراء عند أهل المحشر.

وإليك بعض الأحاديث التي تشير إلى هذا المعنى، وقد ذكرها جمع غفير من علماء العامة أضف إليها طائفة كبيرة من تلك الأحاديث التي رويت عن أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) وها هي بعض تلك الأحاديث:

١ـ روى الحاكم النيسابوري في المستدرك ج٣ ص١٥٣ باسناده عن علي (عليه السّلام) قال: سمعت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) يقول:

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع غضّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) حتّى تمرّ».

ورواه ابن الأثير في (أُسد الغابة) ج٥ ص٥٢٣ والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص٢١٢، والذهبي في (ميزان الإعتدال ج٢ ص١٨) والهمذاني في (مودة القربى) ص١٠٤ مع زيادة قال:

٢ـ عن علي (عليه السّلام) عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) قال:

«إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: يا أهل القيامة اغمضوا أبصاركم، لتجوز فاطمة بنت محمد، مع قميص مخضوب بدم الحسين. فتحتوي على ساق العرش فتقول: أنت الجبار العدل، إقض بيني وبين مَن قتل وَلدي. فيقضي اللّه بسُنّتي وربّ الكعبة.

ثم تقول: أللهم أشفعني فيمن بكى على مصيبته، فيشفّعها اللّه فيهم».

ومنهم الزرندي في (نظم درر السمطين) والمتقي في كنز العمال ج١٣ ص٩٣ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٦ ص٢١٢ وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص١٢٧ وابن أبي الحديد في شرح النهج وابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) ج٣ ص٢٣٧.

والسيوطي في(الخصائص)ج٢ص٢٦٥و(الجامع الصغير)و(التعقيبات) والكناني المصري في (تنزيه الشريعة المرفوعة) والنبهاني في (الفتح الكبير) و(جواهر البحار) والشافعي في (المناقب) والملا علي القارى في (جمع الوسائل) والقندوزي في (ينابيع المودة) والشبراوي في (الإتحاف بحب الأشراف) والشبلنجي في (نور الأبصار).

٣ـ ويروي هذا الحديث عن أبي هريرة كلٌّ من:

أبي نعيم في (دلائل النبوة) وابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة) وغيرهما.

يروي هذاالحديث أيضاً عن أبي ايوب الأنصاري كل من: الخوارزمي في (مقتل الحسين) قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «ينادي مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكّسوا رؤُوسكم وغضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد على الصراط.

قال: فتمرّ ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين كالبرق اللامع».

ورواه القرماني في (أخبار الدول) والطبري في (ذخائر العقبى) وابن الصباغ في (الفصول المهمة) والصفوري في (نزهة المجالس) وغيرهم.

ويروى هذا الحديث عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري، وغيرهما.

٤- وقد روى جمع كثير من علماء العامة عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) أن السيدة فاطمة الزهراء ترد المحشر على ناقة رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) العضباء أو ناقته القصوى.

فاطمة الزهراء (عليها السّلام) والشفاعة

هناك أحاديث كثيرة - مذكورة في كتب الشيعة وأهل السنة - تصرّح بشفاعة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) يوم القيامة.

وإليك بعضها فيما يلي:

١- عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: قلت لأبي جعفر (الباقر) (عليه السّلام): جُعلت فداك يابن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدّتك فاطمة، إذا أنا حدّثت به الشيعة فرحوا بذلك؟

فقال أبو جعفر (عليه السّلام): حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال: «إذا كان يوم القيامة تُنصب للأنبياء والرسل منابر من نور، فيكون منبري أعلى من منابرهم يوم القيامة.

ثم يقول الله: اخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها.

ثم يُنصب للأوصياء منابر من نور، ويُنصب لوصيّي علي بن أبي طالب في أوساطهم منبر، فيكون منبره أعلى من منابرهم.

ثم يقول: يا علي أُخطب، فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها.

ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لإبنيّ وسبطيّ وريحانتيّ ايام حياتي منبر من نور، ثم يقال لهما اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلها!

ثم ينادي المنادي ـ وهو جبرئيل (عليه السّلام) ـ : أين فاطمة بنت محمد؟.

.... ـ فتقوم (عليها السّلام).

إلى أن قال: ـ فيقول اللّه تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد وعلي والحسن والحسين ـ عليهم السّلام ـ : للّه الواحد القهار.

فيقول اللّه تعالى: يا أهل الجمع اني قد جعلتُ الكرم لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين!

يا أهل الجمع، طأطؤا الرؤوس، وغضّوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة، مدّبحة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليهارحل من المرجان، فتُناخ بين يديها، فتركبها، فيبعث اللّه مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها، ويبعث إليها مائة ألف ملك، يحملونها على أجنحتهم، حتى يصيّروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول اللّه: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرتُ بك إلى جنّتي؟

فتقول: يا رب أحببتُ أن يُعرف قدري في مثل هذا اليوم!

فيقول اللّه: يا بنت حبيبي! أرجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لكِ أو لأحد من ذريّتك، خُذي بيده فأدخليه الجنة!

قال أبو جعفر ـ عليه السّلام ـ : واللّه يا جابر، إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها، كما يلتقط الطير الحب الجيّد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يُلقي اللّه في قلوبهم أن يلتفتوا.

فإذا التفتوا يقول اللّه ـ تعالى ـ :

يا أحبّائي ما التفاتكم، وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم؟!.

فيقول اللّه: يا أحبّائي ارجعوا وانظروا:

من أحبّكم لحبّ فاطمة.

انظروا: من أطعمكم لحب فاطمة.

انظروا: من كساكم لحب فاطمة.

انظروا: من سقاكم شربة في حب فاطمة.

انظروا: من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة.

فخذوا بيده، وأدخلوه الجنة......[1].

٢ـ وورد عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين ـ عليّاً ـ (عليه السّلام) يقول: دخل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) ذات يوم على فاطمة وهي حزينة، فقال لها: ما حزنكِ يابنيّة؟

قالت: يا ابة ذكرتُ المحشر، ووقوف الناس عراة يوم القيامة!

فقال: يا بنيّة إنه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرئيل عن اللّه (عزّوجلّ) أنه قال: «أول من ينشق عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثم بعلك علي بن أبي طالب (عليه السّلام)، ثم يبعث اللّه إليكِ جبرئيل في سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثم يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور، فيقف عند رأسكِ، فيناديك: يا فاطمة بنت محمد قومي إلى محشرك.

فتقومين آمنة روعتك ، مستورة عورتك ، فيناولك إسرافيل الحُلل فتلبسينها، ويأتيك روفائيل بنجيبة من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفة[2] من ذهب، فتركبينها، ويقود روفائيل بزمامها، وبين يديك سبعون

١ـ بحار الأنوار ج٨ ص٥١، تفسير فرات بن إبراهيم ص١١٣.

٢ـ محفّة ـ بكسر الميم ـ : مركب للنساء كالهودج.

ألف ملك بأيديهم ألوية التسبيح، فإذا جدّبك السير استقبلتك سبعون ألف حوراء، يستبشرون بالنظر إليكِ،بيدكل واحدةمنهن مجمرةمن نور، يسطع منهاريح العودمن غيرنار،وعليهن أكاليل الجوهر،مرصّعةبالزبرجدالأخضر[1].

٣ـ وعن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال: سمعت جابر بن عبداللّه الأنصاري يقول: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): إذا كان يوم القيامة تُقبِل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة..... وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل آخذ بخطام الناقة ينادي بأعلا صوته:

«غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد» فلايبقى يومئذ نبي ولا رسول ولا صدّيق ولا شهيد إلاّ غضّوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة.....

وتقول: الهي وسيدي احكم بيني وبين من ظلمني، اللهمّ احكم بيني وبين من قتل ولدي.

فإذا النداء من قِبَل اللّه جل جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي سليني تُعطي، واشفعي تُشَفَّعي، فوعزتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم.

فتقول: إلهي وسيدي : ذريّتي وشيعتي وشيعة ذريّتي ، ومحبّيّ، ومحبّي ذريتي.

فإذا النداء من قِبَل اللّه جل جلاله: أين ذريّة فاطمة وشيعتها ومحبّوها ومحبّو ذريّتها؟

فيُقبلون وقدأحاط بهم ملائكة الرحمة،فتقدمهم فاطمة(عليها السّلام) حتى تُدخلهم الجنة[2].

٤ـ وروي عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ـ في قوله تعالى:

١ـ بحار الأنوار ج٤٣.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٣.

«لايحزنهم الفَزَع الأكبر وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون» ـ قال:

«... فتدخل فاطمة ابنتي الجنة وذريّتها وشيعتُها، ومن أولاهم معروفاً ممن ليس هو من شيعتها.

فهو قول اللّه (عزّوجلّ): «لايحزنهم الفَزَع الأكبر».

قال: هو يوم القيامة.

«وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون» هي ـ واللّهِ ـ فاطمة وذريّتها وشيعتها، ومن أولاهم معروفاً ممن ليس هو من شيعتها»[١].

أيها القارىء الكريم:

بعد ما مرّ عليك من الأحاديث الصحيحة الصريحة بشفاعة السيدة فاطمة (عليها السّلام) يوم القيامة، تعال وقِف معي موقف المتعجب من آراء مستحدثة، وأقوال مبتدعة تتحدى جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن الشفاعة لأولياء اللّه، فتراهم ينكرون الشفاعة وينفونها حتى من سيد الأنبياء محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) وهم يحسبون أنهم يدافعون عن توحيد اللّه تعالى فكأن الشفاعة تناقض التوحيد، أو تدعو إلى الشرك باللّه (عزّوجلّ).

إقرأ هذه الآيات المباركة ثم احكم:

«من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه[٢].

ولايشفعون إلاّ لمن ارتضى[٣].

ما من شفيع إلاّ بإذنه[٤].

لايملكون الشفاعة إلاّ من اتخذ عند الرحمن عهداً[٥].

يومئذ لاتنفع الشفاعة إلاّ لمن اذن له الرحمن[٦].

١ـ تفسير فرات الكوفي.
٢ـ البقرة: ٢٥٥.
٣ـ الأنبياء: ٢٨.
٤ـ يونس: ٣.
٥ـ مريم: ٨٧.
٦ـ طه: ١٠٩.

ولاتنفع الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له[1].

لاتغني شفاعتهم شيئاً إلاّ من بعد أن يأذن اللّه لمن يشاء»[2].

هذه الآيات كما تراها تصرح بالشفاعة بإذن اللّه ، وتثبت الشفاعة للشافعين.

أما تكفي هذه الآيات لإثبات الشفاعة لأولياء اللّه أيها المسلمون؟

هذه الآيات كما تراها تصرّح بشفاعة أولياء اللّه في يوم القيامة.

وأما الشفاعة لهم في الدنيا فإليك هذه الآيات المباركة الصريحة في تخويل أولياء اللّه الشفاعة والدعاء والاستغفار للناس: قال تعالى:

١- «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤُك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه توّاباً رحيماً» فإن الآية دلّت على أن العاصين إذا جاؤا إلى الرسول تائبين، وجعلوا يتوسلون به في طلب المغفرة من اللّه، واستغفر عند ذلك لهم الرسول لوجدوا اللّه تواباً رحيماً، فلو كان الاستشفاع من النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلّم) شركاً للّه لما وجدوا اللّه تواباً رحيماً، لأن اللّه لايغفر ان يشرك به.

٢- قوله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب: «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنّا خاطئين» وقول يعقوب: «سوف استغفر لكم ربي» فإنه صريح في سؤالهم وتوسلهم بأبيهم إلى اللّه في الاستغفار وطلب العفو.

٣- قوله تعالى: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين».

٤- «وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم».

٥- «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها».

هذا والبحث يحتاج إلى مزيد من التفصيل ولكن الكتاب لايسع لذلك، بل يحتاج إلى مجال أوسع واللّه وليّ التوفيق.

١- سبأ: ٢٣.

٢- النجم: ٢٦.

التوسّل الى اللّه بفاطمة الزهراء

قال تعالى: «اولئك الذين يَدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة»[1].

روى الحاكم الحسكاني الحنفي[2] ـ في هذه الآية ـ: عن عكرمة قال: هم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

وروي عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أن اللّه تعالى حين خلق آدم، اراه انوار محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم اوحى اليه: «هؤلاء خمسة شققتُ لهم خمسة أسماء من أسمائي... فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا الاحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين... فاذا كانت لك اليَّ حاجة فبهؤلاء توسَّل».

ثم قال النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «نحن سفينة النجاة، ومن حاد عنّا هلك، فَمن كانت له الى اللّه حاجة فليسأل بنا أهل البيت...»[3].

وروي ان السيدة فاطمة (عليها السّلام) قالت: «... واحمدوا الذي لعظمته ونوره يبتغي من في السماوات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصّته ومحلّ قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة انبيائه...»[4].

١ـ الاسراء: ٥٧.

٢ـ في شواهد التنزيل ج١ ص٣٤٢.

٣ـ فرائد السمطين للجويني الشافعي ج١ ص٣٦.

٤ـ شرح نهج البلاغة ج١٦ ص٢١١.

وعن الامام العسكري (عليه السّلام) قال: «نحن حجة اللّه على الخلق، وفاطمة حجة علينا»[١].

وروي ان الامام الباقر (عليه السّلام) اصابته الحمّى، فكان يتوسل الى اللّه تعالى ـ لشفائه ـ بالسيدة الزهراء (عليها السّلام) وينادي ـ بأعلى صوته، وهو على فراش المرض ـ : يا فاطمة بنت محمد. حتى يُسمع صوته عند باب الدار[٢].

ومن الامور المجرَّبة لقضاء الحوائج هو أن تقول:

«اللهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها عدد ما احاط به علمك».

تقولها خمسمائة وثلاثين مرة.

١ـ كتاب أطيب البيان.

٢ـ بحار الأنوار ج٤٦.

زيارة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)

١ـ روي عن جابر بن عبدالله الانصاري قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «... ومن زار فاطمة فكأنما زارني...»[١].

٢ـ وعن يزيد بن عبدالملك[٢] عن أبيه عن جدّه قال: دخلت على فاطمة فبدأتني بالسلام ثم قالت: ما غدا بك؟

قلت: طلب البركة.

قالت: اخبرني أبي ـ و هو: ذا ـ أنه من سلّم عليه وعليٍّ ثلاثة أيام، أوجب اللّه له الجنة.

قلت لها: في حياته وحياتك؟

قالت: نعم وبعد موتنا[٣].

٣ـ وروي عن الامام علي (عليه السّلام) عن فاطمة (عليها السّلام) قالت: قال لي رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): يا فاطمة مَن صلّى عليك غَفر اللّه له، وأَلحقه بي حيث كنتُ من الجنة[٤].

١ـ بشارة المصطفى.

٢ـ الظاهر أنه النوفلي، من أصحاب الامام الباقر (عليه السّلام) ذكره المامقاني في رجاله، وليس المقصود يزيد بن عبدالملك المرواني، لأن أباه وجده كانا منفيين من المدينة المنوّرة الى الطائف، لبغضهما لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ولم يعودا الى المدينة إلاّ في عهد عثمان.

٣ـ التهذيب.

٤ـ كشف الغمة.

وقد روى السيدابن طاووس هذه الزيارةللسيدةالزهراء(عليها السّلام) وقال: روي أن من زارها بهذه الزيارة، واستغفر اللّه غفر اللّه له وادخله الجنـة.

والزيارة هي:

«السلام عليك يا سيدة نساء العالمين، السلام عليك يا والدة الحجج على الناس أجمعين، السلام عليك أيّتها المظلومة الممنوعة حقّها».

ثم قل: «اللهم صلّ على اَمَتِك وابنة نبيّك وزوجة وصيّ نبيّك، صلاةً تزلفها فوق زلفى عبادك المكرّمين من أهل السماوات والأرضين»[1].

وهناك زيارة اخرى مرويّة عن الامام محمد الجواد (عليه السّلام) ولها(عليهاالسّلام) زيارات اخرى أيضامذكورةفي كتب الدعاء والزيارات.

١ـ الاقبال للسيد ابن طاووس.

مواكب الشعراء في رثاء السيدة الزهراء

إن عظمة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وفضائلها ومزاياها ومصائبها وما رأت من الضغط والكبت والاضطهاد كانت كافية لتهييج العواطف الجيّاشة تجاهها، فلاعجب إذا طفق الشعراء ينشرون مدائحهم للسيدة فاطمة ـ بمختلف اللغات ـ ويعبّرون عن شعورهم وحبهم ومودتهم ايّاها.

وذلك حينمااهتزت ضمائرهم،فتفتحت قرائحهم،وفاضت أحاسيسهم فطفقوا يثنون على السيدة فاطمة الزهراء أحسن الثناء، ويرثونها بأوجع الرثاء.

وأي شاعر يشعر بآلام السيدة فاطمة الزهراء ولايهيج شعوره؟ وأي إنسان يدرك مواهب السيدة فاطمة الزهراء ومزاياها ولايعبّر عن مشاعره؟ إلاّ أن يكون شعوره متحجّراً، أو إدراكه معطّلا أو أحاسيسه راكدة جامدة.

إن جمال حياة السيدة فاطمة الزهراء يأخذ بمجامع قلب كل حر، وكل قلبٍ حر سليم.

ولقد كان للشعراء مواقف مشكورة مذكورة تجاه سيدتنا فاطمة الزهراء وأخص منهم شعراء القرون الأخيرة فلقد سجلوا أروع آيات الولاء بأجمل تعبير، وصبوّها في قالب النظم والقريض مدحاً ورثاءً، وكفاهم بذلك ثمناً للجنة التي وُعد المتّقون.

فإنك تجد الأدب الرفيع والمستوى الأعلى والتعبير الأجمل الأرقى في كل بيت من كل قصيدة، وكأن كل بيت منها هو بيت القصيد.

وإليك طائفة من باقات الولاء التي سجّلها الشعراء في ديوان التاريخ الخالد:

١ـ لقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الازري (تغمده اللّه برحمته) حيث قال:

نقضوا عهد أحمد في أخيه ... وأذاقوا البتول ما أشجاها
يوم جاءت إلى عديٍ وتيمٍ ... ومن الوجد ما أطال بكاها
فدنت واشتكت إلى اللّه شكوىً ... والرواسي تهتزّ من شكواها
لست أدري إذروّعت وهي حسرى ... عاند القوم بعلها وأباها
تعظُ القوم في أتم خطاب ... حكت المصطفى به وحكاها
هذه الكتب فاسألوها تروها ... بالمواريث ناطقاً فحواها
وبمعني «يوصيكم اللّه» أمر ... شامل للأنام في قرباها
فاطمأنّت لها القلوب وكادت ... أن تزول الأحقاد ممن طواها
: أيها القوم راقبوا اللّه فينا ... نحن من روضة الجليل جناها
واعلموا أننا مشاعر دين اللّه ... فيكم فأكرموا مثواها
ولنا من خزائن الغيبِ فيضٍ ... ترد المهتدون منه هداها
أيها الناس أيّ بنت نبيٍ ... عن مواريثه أبوها زواها؟
كيف يزوي عني تراثي عتيقٌ ... بأحاديث من لدنه افتراها
كيف لم يوصنا بذلك مولانا؟ ... وتيماً من دوننا أوصاها؟
هل رآنا لانستحق اهتداءً ... واستحقت تيم الهدى فهداها
أم تراه أضلّنا في البرايا ... بعد علم لكي نصيب خَطاها
أنصفوني من جائرينٍ أضاعا ... حرمة المصطفى وما رعياها

٢ـ ولشيخ الفقهاء والفلاسفة آية اللّه الشيخ محمد حسين الاصفهاني (رحمه اللّه) في مدح الزهراء (عليها السّلام) ورثائها:

جوهرة القدس من الكنز الخفي ... بدت فأبدت عاليات الأحرف
وقد تجلى من سماء العظمة ... في عالَم الأسماء أسمى كلمة
بل هي أُمّ الكلمات المحكمة ... في غيب ذاتها، فكانت مبهمة
أُم أئمة العقول الغرّ، بل ... (أُم أبيها) وهو علّة العلل
روح النبي في عظيم المنزلة ... وفي الكفاء كفؤمن لاكفؤله
تمثّلت رقيقة الوجود ... لطيفة جلّت عن الشهود
تطوّرت في أفضل الأطوار ... نتيجة الأدوار والأكوار
تصوّرت حقيقة الكمال ... بصورة بديعة الجمال
فإنّها الحوراء في النزول ... وفي الصعود محور العقول
يمثّل الوجوب في الإمكانِ ... عيانها بأحسن العيان
فإنّها قطب رحى الوجود ... في قوسي النزول والصعود
وليس في محيط تلك الدائرة ... مدارها الأعظم إلاّ (الطاهرة)
مصونة عن كل رسم وسِمة ... مرموزة في الصحف المطهّرة
(صدّيقة) لامثلها صدّيقة ... تفرغ بالصدق عن الحقيقة
بدا بذلك الوجود الزاهرِ ... سرّ ظهور الحقّ في المظاهر
هي (البتول) الطهر و (العذراء) ... كمريم الطهر ، ولا سواء
فإنّها سيدة النساء ... ومريم الكبرى بلا خفاء
بُشراك يا أبا (العقول العشرة) ... بالبضعة الطاهرة المطهرة
مهجة قلب عالَم الإمكان ... وبهجة الفردوس في الجِنان
غُرّتها الغرّاء مصباح الهدى ... يُعرف حسن المنتهى بالمبتدا

وفي محيّاها بعين الأولياء عينان من ماء الحياة والحياء
بُشراك يا خلاصة الإيجاد بصفوة الأنجاد والأمجاد
أم الكتاب وابنة التنزيل ربّة بيت العلم بالتأويل
بحر الندى ومجمع الْبحرين قلب الهدى ومهجة الكونين
واحدة النبي أوّل العدد ثانية الوصي نسخة الأحد
ومركز الخمسة من أهل العبا ومحور السبع علوّاً وإبا
لك الهنا يا سيّد البرية بأعظم المواهب السنّيّة
أتاك طاووس رياض الانس بنفحة من نفحات القدس
من جنّة الأسماء والصفاء جلّت عن المديح والثناء
فارتاحت الأرواح من شميمها واهتزّت النفوس من نسيمها
بها انتشى في الكون كل صاح وطابت الأشباح بالأرواح
تحَيى بها الأرض ومَن عليها ومرجع الأمر غداً إليها
لهفي لها لقد أُضيع قدرها حتى توارى بالحجاب بدرها
تجرّعت من غصص الزمان ما جاوز الحدّ من البيان
وحبّها من الصفات العالية عليه دارت القرون الخالية
تبتّلت عن دنس الطبيعة فيا لها من رتبة رفيعة
مرفوعة الهمة والعزيمة عن نشأة الزخارف الذميمة
في أُفق المجد هي الزهراء للشمس من زهرتها الضياء
بل هي نور عالَم الأنوار ومطلع الشموس والأقمار
رضيعة الوحي من الجليل حليفة لمحكم التنزيل
مفطومة عن زلل الأهواء معصومة عن وصمة الخطاء
معربة بالستر والحياء عن غيب ذات بارىء الأشياء
(راضية) بكل ما قضى القضا بما يضيق عنه واسع الفضاء

(زكية) عن وصمة القيود | فهي غنيّة عن الحدود
يا قِبلة الأرواح والعقولِ | وكعبة الشهود والوصولِ
مَن بقدومها تشرفت (منى) | ومن بها تدرك غاية المنى
وبابها الرفيع باب الرحمة | ومستجار كلّ ذي ملمّة
وما الحطيم عند باب فاطمة | بنورها تطفأُ نار الحاطمة
وبيتها المعمور كعبة السما | أضحى ثراه للثريا مَلثما
وخدرها السامي رواق العظمة | وهو مطاف الكعبة المعظمة
حجابها مثل حجاب الباري | بارقة تذهب بالأبصار
تمثل الواجب في حجابها | فكيف بالإشراق من قبابها
يا درة العصمة والولاية | من صدف الحكمة والعناية
فالكوكب الدرّي في السماء | من ضوء تلك الدرّة البيضاء
والنيّر الأعظمُ منها كالسُّها | كيف ولا حدّ لها ومنتهى
أشرقت العوالم العلوية | بنور تلك الدرة البهية
يا دوحة حازت سنام الفلك | بل جاوز السدرة فرعها الزكي
يا دوحةً أغصانها تدلَّت | بموضع فيه العقول ضلَّت
دنت إلى مقام (أو أدنى) فلا | تبتغ من ذلك أعلى مَثَلا
يا شجر الطور وأين الشجرة | من دوحة المجد الأثيل المثمرة؟
وإنما السدرة والزيتونة | عنوان تلك الدوحة الميمونة
أثمارها الغرّ مجالي الذات | مظاهر الأسماء والصفات
مبادىء الحياة في البداية | ومنتهى الغايات للنهاية
أثمارها عزائم القرآن | في صفحات مصحف الإمكان
أثمارها منابت للمعرفة | من جنة الذات غدت مقتطفة

لك الهنا يا (سيد الوجود) في نشئات الغيب والشهود
بمن تعالى شأنها عن مثل كيف ولا تكرار في التجلّي
ولا يثنى هيكل التوحيد فكيف بالنظير والنديد
وملتقى القوسين نقطة، فلا ترى لها ثانية أو بدلا
وحيدة في مجدها القديم فريدة في أحسن التقويم
وما أصابها من المصاب مفتاح بابه (حديث الباب)
إن حديث الباب ذو شجون مما به جنت يد الخؤون
أيهجم العدى على بيت الهدى ومهبط الوحي ومنتدى الندى؟
أيضرم النار بباب دارها وآية النور علا منارها
وبابها باب نبي الرحمة وباب أبواب نجاة الأُمة
بل بابها باب العلي الأعلى فثمّ وجه اللّه قد تجلّى
ما اكتسبوا بالنار غير العار ومن ورائه عذاب النار
ما أجهل القوم فإن النار لا تطفيء نور اللّه جل وعلا
وإنّ كسر الضلع ليس ينجبر إلاّ بصمصام عزيز مقتدر
إذ رضّ تلك الأضلع الزكية رزية لا مثلها رزية
ومن نبوع الدم من ثدييها يُعرف عُظم ما جرى عليها
وجاوز الحد بلطم الخدّ شلّت يد الطغيان والتعدّي
فاحمرّت العين ، وعين المعرفة تذرف بالدمع على تلك الصفة
ولاتزيل حمرة العين سوى بيض السيوف يوم ينشر اللوى
وللسياط رنّة ، صداها في مسمع الدهر، فما أشجاها
والأثرالباقي كمثل الدملج في عضد الزهراء أقوى الحجج
ومن سواد متنها اسودّ الفضا يا ساعد اللّه العلي المرتضى

ووكز نعل السيف في جنبيها ... أتى بكل ما أتى عليها
ولست أدري خبر المسمار ... سل صدرَها خزانة الأسرار
وفي جنين المجد ما يُدمي الحشا ... وهل لهم إخفاء أمر قد فشا
والبابُ والجدار والدماءُ ... شهود صدق ما به خفاء
لقد جنى الجاني على جنينها ... فاندكت الجبال من حنينها
أهكذا يُصنع بابنة النبي ... حرصاً على الملك فيا للعجب؟
أتُمنع المكروبة المقروحة ... عن البكاء خوفاً من الفضيحة؟
تالله ينبغي لها تبكي دماً ... ما دامت الأرض ودارت السما
لفقد عزها : أبيها السامي ... ولإهتضامها وذُلّ الحامي
أتستباح نحلة الصدّيقة ... وإرثها من أشرف الخليقة؟
كيف يُردّ قولها بالزور ... إذ هو ردّ آية التطهير؟
أيوخذ الدين من الأعرابي ... وينبذ المنصوص بالكتاب؟
فاستلبوا ما ملكت يداها ... وارتكبوا الجريمة مُنتهاها
يا ويلهم قد سألوها البيّنة ... على خلاف السّنة المبيّنة
وردّهم شهادة الشهود ... أكبر شاهد على المقصود
ولم يكن سدّ الثغور غَرضا ... بل سدّ بابها وباب المرتضى
صدّوا عن الحق وسدّوا بابه ... كأنّهم قد أمنوا عقابه
أبضعة الطهر، العظيم قدرها ... تدفن ليلاً ويعفّى قبرها
ما دُفنت ليلاً بستر وخفا ... إلاّ لوجدها على أهل الجفا
ما سمع السامع فيما سمعا ... مجهولة للقدر والقبر معا
يا ويلهم من غضب الجبّار ... بظلمهم ريحانة المختار

٣ـ لبعض الشعراء المتأخرين:

إن قيل حوّاء قلت : فاطم فخرها ... أو قيل مريم قلت : فاطم أفضل
أفهل لحوّا والد كمحمد؟ ... أم هل لمريم مثل فاطم أشبُلُ
كلٌّ لها حين الولادة حالة ... منها عقول ذوي البصائر تذهل
هذي لنخلتها إلتجت فتساقطت ... رطباً جنياً فهي منه تاكل
وضعت بعيسى وهي غير مروعة ... أنّى وحارسها السريّ الأبسل
وإلى الجدار وصفحة الباب إلتجت ... بنت النبي فاسقطت ما تحمل
سقطت وأسقطت الجنين وحولها ... من كل ذي حسب لئيم جحفل
هذا يعنّفها وذاك يدّعها ... ويردها هذا وهذا يركل
وأمامها أسد الأسود ، يقوده ... بالحبل قنفذ هل كهذا معضل
ولسوف تأتي في القيامة فاطم ... تشكو إلى رب السماء وتعول
ولترفعنَّ جنينها وحنينها ... بشكاية منها السما تتزلزل
ربّاه! ميراثي وبعلي حقّه ... غصبوا، وابنائي جميعاً قُتّلوا
فرخاي: ذا بالسُمّ أمسى قلبه ... قطعاً ، وهذا بالدماء مغسّل

٤ـ ومن قصيدة لبعض أشراف مكة نقتطف منها بعضها:

وأتت فاطم تطالب بالإر ... ث من المصطفى فما ورّثاها
ليت شعري لِمَ خولفت سنن ... القرآن فيها ؟ والله قد أعلاها
نُسخت آية المواريث منها ... أم هُما بعد فرضها بدّلاها؟
أم ترى آية المودة لم تأ ... تِ بودّ الزهراء في قرباها
ثم قالا: أبوكِ جاء بهذا ... حجة من عنادهم نصباها
قال: للأنبياء حكم بأن لا ... يُورَثوا في القديم وانتهراها
أفَبِنتُ النبي لم تدر إن كا ... ن نبي الهدى بذلك فاها؟

بضعة من محمد خالفت ما ... قال ؟ حاشا مولاتنا حاشاها
سمعته يقول ذاك وجاءت ... تطلب الإرث ضلّةً وسفاها؟
هي كانت للّه أتقى وكانت ... أفضل الخلق عفّةً ونزاها
أو تقول : النبي قد خالف القر ... آن ؟ ويح الأخبار ممن رواها
سل بإبطال قولهم سورة النمـ ... ـل ، وسَل مريم التي قبل طه
فَهُما ينبئان عن إرث يحيى ... وسليمان من أراد انتباها
فدعت واشتكت إلى اللّه من ذا ... ك وفاضت بدمعها مقلتاها
ثم قالت: فَنحلة لي من وا ... لدي المصطفى فلم ينحلاها
فأقامت بها شهوداً فقالوا: ... بعلها شاهد لها وابناها
لم يُجيزوا شهادة ابني رسول ... اللّه هادي الأنام إذ ناصباها
لم يكن صادقاً علي ولا فا ... طمة عندهم ولا ولداها
جرّعاها من بعد والدها الـ ... ـغيظ مراراً فبئس ما جرّعاها
ليت شعري ما كان ضرّهما الحفـ ... ـظ لعهد النبي لو حفظاها؟
كان إكرام خاتم الرسل الها ... دي البشير النذير لو أكرماها
ولكان الجميل أن يُقطعاها ... فدكاً ، لا الجميل أن يقطعاها
أترى المسلمين كانوا يلومو ... نهما في العطاء لو أعطياها؟
كان تحت الخضراء بنت نبي ... صادقٍ ناطقٍ أمينٍ سواها؟
بنت مَن؟ أُمّ مَن ؟ حليلة مَن ؟ ... ويل لمن سنّ ظلمها وأذاها
شيّعت نفسَها ملائكة الرحـ ... ـمن رفقاً بها وما شيّعاها
كان زهداً في أجرها أم عناداً ... لأبيها النبي لم يتبعاها ؟
أم لأن البتول أوصت بأن لا ... يشهدا دفنها فما شهداها
لا نبي الهدى أُطيع ، ولا فا ... طمة أُكرمت ولا حسناها

.... إلى آخر القصيدة.

ختام واعتذار

أيها القارىء الكريم

لقد قضينا معك فترة من الزمان في رحاب السيدة فاطمة الزهراء (عليها السّلام) وذكرنا الشيء اليسير مما يتعلق بحياة سيدة نساء العالمين.

واعلم اننا لم نذكر ـ في هذا الكتاب ـ إلا بعض المقتطفات من ترجمة السيدة الزهراء، فلو أردنا أن نذكر ـ هنا ـ ما سجلته التواريخ واحتوته موسوعات الأحاديث لكان هذا الكتاب أضعاف هذا الحجم من حيث غزارة المواد، ولكننا اكتفينا هنا بما يسهل قبوله ولا يعسر على العقول هضمه ولا يصعب على النفوس تحمّله، ولئلا يتهمنا المتهمون بالغلو والإفراط.

وبعد هذا كله فانني أقبل كل نقدٍ علمي أو أدبي أو تاريخي بكل ترحيب وتقدير، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

محمد كاظم القزويني

كربلاء المقدّسة ـ العراق

١٣٩٣ هـ

فهرس الكتاب

كتب مطبوعة للمؤلّف

١ـ الإمام علي (عليه السّلام) من المهد الى اللّحد

٢ـ فاطمة الزهراء (عليها السّلام) من المهد الى اللّحد

٣ـ الإمام محمد الجواد (عليه السّلام) من المهد الى اللّحد

٤ـ الإمام علي الهادي (عليه السّلام) من المهد الى اللّحد

٥ـ الامام الحسن العسكري (عليه السّلام) من المهد الى اللّحد

٦ـ الإمام المهدي (عليه السّلام) من المهد الى الظهور

٧ـ الإسلام والتعاليم التربويّة

٨ـ فاجعة الطف أو مقتل الحسين (عليه السّلام)

٩ـ شرح نهج البلاغة ـ صدرت منه ثلاثة أجزاء ـ

١٠ـ السيدة زينب الكبرى (عليها السّلام) من المهد الى اللّحد

تحت الطبع

موسوعة الإمام الصادق (عليه السّلام)

ويقع في ستين مجلداً إن شاء اللّه تعالى

